



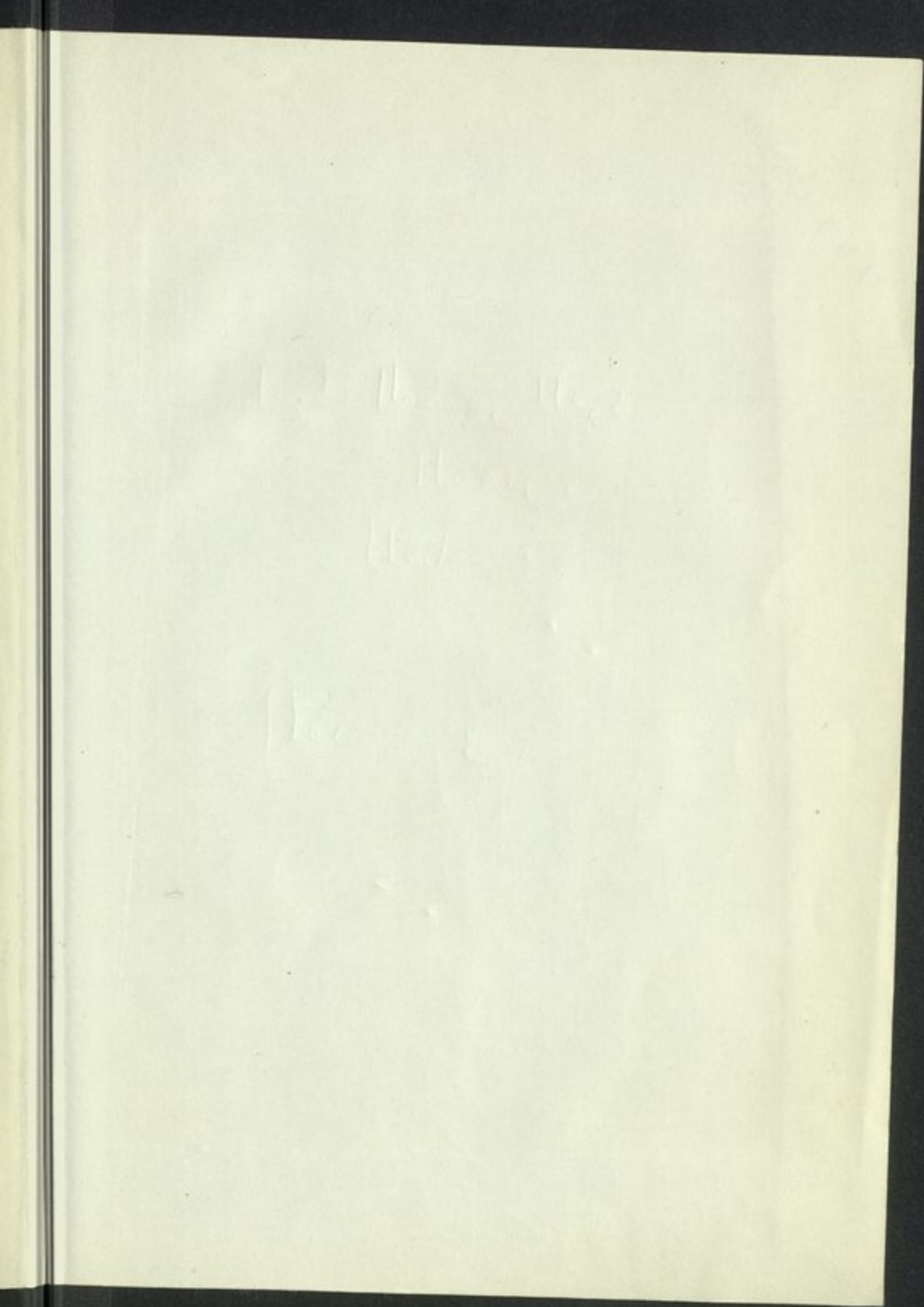
U. B. LIBRARY

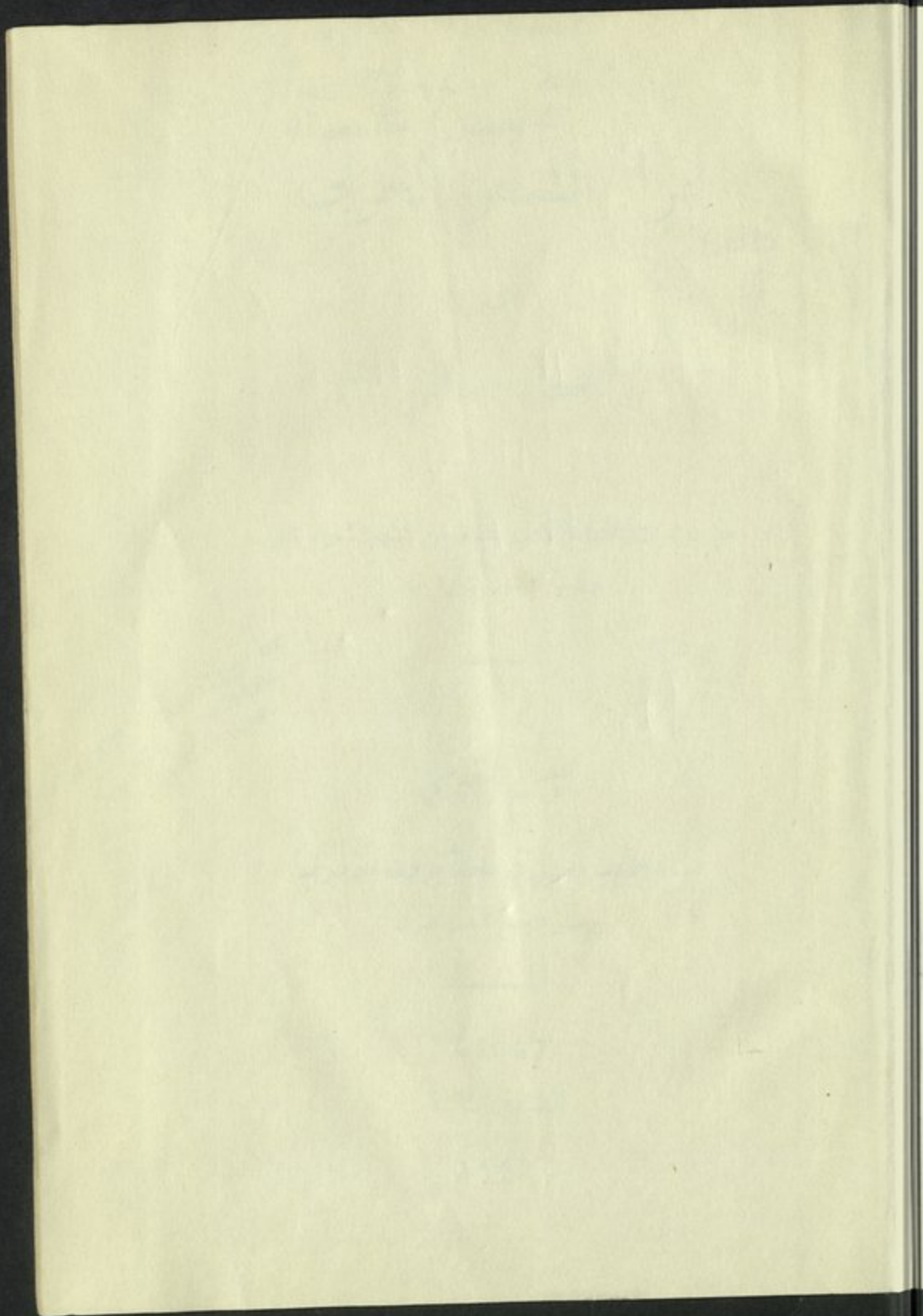
AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT



أمرء السَّعْرِ العَرَبِي  
في العَصْرِ،  
العَبَّاسِيِّ.

المَقْدَسِيِّ.





Jan. 11 1880  
Pat. Salt 1880.

Harcache O. Khoury  
Rue Ibrahim Safi  
Quartier Jesuites

M 2 711 A  
812.71  
1123411  
C. 3

# امراء الشعر العربي

CA  
AEB

832.7109  
M234v3A

في

العصر العباسي c. 1

وهو دراسات تحليلية لادب ثمانية من اشهر شعراء العرب  
وللجو الذي نشأوا فيه

AUB faculty or  
AUB related  
publication

انيس المقدسي

استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

وعضو المجمع العلمي العربي

68067

الطبعة الثالثة

١٩٤٦

English: French, Class. Cat. Sept. 1948

THE  
ROYAL  
ARMY



1903  
1904  
1905



## اخطاء مطبعية

نأسف لوقوعها ونرجو الانتباه اليها والمبادرة الى اصلاحها

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
توطئة ٢	١٠	يعني بذلك	يعني ذلك
٢	٢	الاسمي	الاسمي
٦٢	٢	ظاهر	ظاهراً
٦٢	٢	البي	التي
٦٤	١٩	سيرات	سيرات
٦٩	١٨	جعفر بن قدامه	قدامه بن جعفر
١٠٤	١٤	ولو قرأت	وقد قرأت
١٠٦	٣	فلاح	لنا فلاح
١٢٢	١٢	مقدراته	مقدرته
١٤٣	٣	خلقان	خلكان
١٤٩	٣	المدح	صميم المدح
١٥٥	٧	انتشار	انتشار
١٩٤	٦	يسلم	يسلك
٢٠٢	٣	مطربها	لك مطربها
٢٠٧	٩	اكتتام	باكتتام
٢٣٥	٤	لتعصرفن	لتنصرفن
٢٨٧	٤	جوه	جده
٣٠٥	١	من سب	ما سب
٣١٠	٥	إقل	أقل
٣٢٧	١٢	قام	اقام
٣٣٩	١	دهنها	رهنها

صوابه	خطأ	سطر	صفحة
بعد درسه	درسه	١١	٣٤٤
والجيب	والجيب	البيت ٥	٣٥١
بامره	امره	حاشية ٣	٣٥٥
اخافوا	اخلفوا	حاشية ١	٣٦٦
فلي بعد	فعلي بعد	١٦	٣٧٤
وتروي	وتروي	١١	٣٨٢
الجرس	الخرس	١	٣٨٣
يجلب	يجلب	١	٣٩٤

تثنيه - ترك سهواً من باب المصادر كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز طبع ١٩٣٩  
وفيه تراجم ابي نواس وابي العتاهية وابي تمام والبحثري \*

## توطئة

### في الغرض من هذا الكتاب

(١١) لدرس الادب طريقتان - الاولى الطريقة الاجمالية ، وهي المتبعة في المدارس الثانوية ، والاوساط الادبية العامة ، ويراد بها الاطلاع على كل ما انتجته قرائح الادباء والعلماء في مختلف العصور . وقد كان المرحوم العلامة جرجي زيدان اول من نظم هذه الطريقة في تاريخ الادب العربي ، ثم تلاه جملة من الاساتذة والادباء ، فعنوا بذلك ووضعا من المؤلفات ما يفي بحاجات الطلبة والمتأديين

(١٢) والطريقة الثانية طريقة التقصي الدقيق ، وهي المتبعة في معاهد البحث الخاصة في الجامعات وسواها . وفيها ينحصر جهد الباحث في وجهة معينة يتقنها . كأن ينصرف مثلاً الى فرع معين من فروع البلاغة ، او باب من ابواب الفيلولوجيا ( فقه اللغة ) - او يقتصر على حياة شخص من اشخاص التاريخ كالمثني ، او الغزالي ، او ابن خلدون - او كتاب خاص من كتب الادب كالعقد الفريد ، او العمدة ، او اللزوميات . وبهذه الطريقة يُدرَّب الطالب على جمع المعلومات من شتى المصادر ، ويُخرَج في اصول النقد ، وسابك السبيل العلمي في الكتابة . وهنا يشترك الاستاذ والطالب توّصلاً الى هدف واحد هو دقة الاستقراء ، والنظر في الاصول نظراً لا تشوبه شائبة التفرُّض ، او المتابعة العمياء .

(١٣) وبين هاتين الطريقتين طريقة وسطى نطلق عليها اسم « التخصص الاولي » . وفيها يُعتمد الى فرع واسع من فروع الادب كالشعر مثلاً ، فيُختار للمتأديب نخبة من امرائه ، ويُدرس كل منهم درساً وافياً يجمع بين البحث العلمي والتحليل الادبي جمعاً يتكّن المتأديب من الانتقال بعدئذ الى درجة التقصي الدقيق .

وقد حاولنا في هذا الكتاب ان نحقق هذه الغاية فاخترنا الشعر في العصر العباسي ،

وتناولنا من امرائه ثمانية فدرسنا عصرهم وشعرهم على الطريقة التحليلية الحديثة ، وقرنا ذلك بذكر اهم المصادر التي يرجع اليها في دراستهم ، وبطائفة كبيرة من روايتهم الشعرية . فتم لنا بذلك غرضان ، غرض علمي وهو الجري في ميدان البحث الحر ، وغرض ادبي وهو التفقه بالادب نفسه .

ونحن نعلم ما سنستهدف له بسبب اختلاف الآراء . فان مقاييس البحث في الادب ليست مقاييسه في العلوم الطبيعية والرياضية . وانا نحن نعرض هذه الابحاث للتأديبين المفكرين ، ولطلاب التخصص الاولي مدرجة الى التخصص العالي ، وسعياً وراء الحقيقة العلمية . وانا لترحب بكل انتقاد مبني على الدرس والانصاف واصول البحث والمنطق . وقد كان معولنا في اختيار هؤلاء الثانية شهرتهم ، وانهم اعلم اثرأ من سواهم في تاريخ الشعر العباسي ، ولا يعني ذلك انه لا يوجد بين سائر الشعراء من يرتفع الى درجتهم او من يفوقهم في بعض المناحي ، وانا يعني انهم يمثلون العصر العباسي افضل تمثيل ، وفي درسههم درس لذلك العصر ودرس للحركة الادبية فيه .

وها نحن نتقدم الى العالم العربي بالطبعة الثالثة من هذا الكتاب بعد ان بذلنا الجهد في ضبطها وتنقيحها . نفعل ذلك نزولاً عند رغبة كثير من الادباء العلماء والاساتذة ، وحباً بدراسة وافية لهذه السلسلة الشعرية العظيمة التي تعكس لنا العواطف العربية في احصب العهود الادبية .

جامعة بيروت الاميركية

١ آب سنة ١٩٤٦

٠ م . خ . ٠ م

## العوامل السياسية في الخلافة العباسية

### نظرة عامة

حكم العباسيون في بغداد خمسة قرون كان عرشهم فيها ملعباً للاهواء والحركات السياسية المختلفة . وقد رأينا تمهيداً لهذا البحث ان نقسم مدة حكمهم اقساماً توضح لنا العوامل التي كانت تعمل فيها والتي ادت اخيراً الى انحلالها . وهي عند التحقيق خمسة . نطلق عليها اسم « ادوار سياسية »

### الدور الاول - دور القوة المركزية ٢

(١) العدايل  
من الخلافة  
العباسية

اي قوة الخلافة، ويمتد من بدء الدولة الى اواخر حكم المتوكل، فيشغل نحو قرن من الزمان بلغت فيه الخلافة اقصى قوتها وازهى مظاهرها . وفي هذا الدور كانت بغداد عاصمة لسلطنة واحدة تمتد مما يقرب من الهند الى افريقيا ( تونس )

### الدور الثاني - دور التجزئة ب

كان الخليفة المعتصم قد نظم من فتيان الاتراك جنداً يعتمد عليه في حماية العرش . فلما مات المعتصم اصبح نفوذ امراء الجند شديداً في الخلافة . ولم يكسد يقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ حتى اصبح الخليفة في قبضتهم يتصرفون به كما يشاؤون . ويمتد هذا الدور الى سنة ٣٣٤هـ، على ان الخلافة فيه بقيت برغم استبداد الجند محافظة على شي . من رونقها، وكان لها وزارة وعمال . ومما يذكر في هذا الدور ان ديوان الخلافة كان قد نقله المعتصم سنة ٢٢١هـ الى سامراء وبقي فيها نحواً من ٥٨ سنة ثم اعيد الى بغداد

### الدور الثالث - الدور البوهمي ( ٣٣٤ - ٤٤٧ ) >

وفيه كانت السلطة الحقيقية في يد بني بويه « وصارت الوزارة من جهتهم والاعمال اليهم »

واصبح الخليفة لا يملك من المال الاً راتباً يتقاضاه . على ان البويهيين كانوا اهل سياسة ودهاء ، فابقوا للخلافة نفوذها الاسمي ، وصاروا يحكمون في الدولة ظاهراً بامر الخلفاء . وبقولهم كذلك الى ان ضعفوا ثم زال ملكهم بقيام السلاجقة .

### الدور الرابع - الدور السلجوقي ( ٤٤٧ - ٥٩٠ ) هـ :

فيه كانت السلطة للسلاجقة ، وهم دولة تركية قوية عرضت مملكتها واستولت على الامر في بغداد وضربت باسم سلاطينها النقود وخطب لهم على المنابر . على انهم كانوا كالبويهيين يحافظون على الخلافة ويظهرون التبجيل لصاحبها .

### الدور الخامس - دور الاقضياء :

انقرضت دولة السلاجقة من بغداد ايام الناصر ، ولكن الانحلال كان قد تمكّن من جسم المملكة العباسية . فلما ذهب بنو سلجوق لم يبق للخلافة في بغداد سوى بعض الخيام - العراق . فكانت الخلافة في طور الاحتضار ، ولم تزل كذلك حتى جاءها المغول سنة ٦٥٦ هـ . فتهبوا بغداد وقتلوا آخر خلفائها ومحوها ما كان قائماً من معالمها .

\*\*\*

هذه نظرة عامة نلقيها عن بعد على العصر العباسي . وانما نحن في ذلك كالواقف على روبة مشرفة على سهل عامر يسرح نظره في اقسامه العامة ويتبين معالمه الرئيسية دون ان يتغلغل فيه ليطلع على دواخله وخوافيه . وغايتنا من ذلك معرفة الخطط السياسية العامة تمهيداً لدرس حالة العصر النفسية ، وتوصلاً الى فهم ادابه . فنحن هنا انما نحاول درس الجو الذي نشأ فيه ادب القوم لا تاريخهم السياسي ، والا فالافضل الرجوع الى المطولات التاريخية كالتطريبي والسعودي وابن الاثير ومسكويه وصاحب الفخرى والذهبي وابن خلدون وسواهم ممن خاضوا عباب هذا البحث وجاءوا بالاخبار الوافية .

ولما القينا نظرتنا العامة على هذه القرون الخمسة ظهر لنا في حياة الدولة العباسية وما تقبّل عليها من غير الدهر ظواهر كبرى تمثل لنا ما نحن بصددده ، اهمها ما يلي :

### الظواهر تطوّر الخطط :

- ١ - التنافس على السيادة بين العناصر الجنسية
  - ٢ - ضعف الخلافة وتجزؤها الى امارات مستقلة
  - ٣ - الحركات الهدامة الداخلية
  - ٤ - غارات الروم والافرنج على اطرافها
- وقد كان يجدر بنا ان نتجاوز ذلك الى الكلام عن احوال الممالك الاسلامية، ولاسيما البلاد العربية بعد سقوط بغداد، ونزبط ذلك بقيام العثمانيين وانتزاعهم الخلافة من العباسيين في مصر، وما كان من احوال الادب في ايامهم، ثم نسوق الكلام الى حالة الناطقين بالعربية في العصر الاخير، وما كان لهم من النهضة بعد الحرب الكبرى . وانما ذلك خارج عن موضوعنا فترجته الى فرصة اخرى نتناول فيها الادب العربي الحديث واثر التطور فيه ، ونعود الان الى الظواهر السياسية الكبرى في العصر العباسي .

### التنافس بين العناصر الجنسية ( ١ )

#### واخصها العربي والفارسي

في الفتوح الاسلامية الاولى وضع حجر الزاوية لبناء الملك العربي العام . فبعد ان كان معظم العرب في جاهليتهم قبائل متفرقة ضاربة في اجواز الفلاة، وبعد ان كانت حكوماتهم في العراق والشام وسواهما خاضعة لاحدى الدول الساندة من فرس او روم ، اصبحوا في عهد الراشدين دولة واحدة ذات سيادة، فثما فيهم حب الفتح والسلطان، ووصل الى اشده في دمشق ايام الامويين، واستمر على ذلك في بغداد الى ايام المعتصم . فعصر السيادة العربية لم ينته بغتة بانتها الدولة الاموية بل بقي نحو قرن بعدها . نعم ان عوامل الضعف كانت قد بدأت تعمل في جسم الدولة والخلافة ، ولكن سيادة العنصر العربي اخذت تهبط تدريجياً وبقي العرب على شي . كبير من القوة والنفوذ طيلة العصر العباسي الاول . في هذا العصر بلغت الخلافة اوج قوتها ، فكانت بغداد كما كانت دمشق قبلها عاصمة سلطنة مترامية الاطراف لا تقل عن سلطنة رومة في ابان مجدها ، وكان الخليفة العربي الحاكم المطلق يتصرف بشؤون الدولة واموالها كما يشاء .

لبدو  
بهدر  
امويين  
لا العنصر  
العراق

اما الروح الفارسية التي كانت تمثل عظمة الفرس الماضية وآمالهم في استرجاعها فقد كانت في احط دركاتها أيام الامويين، ولكنها اخذت تنتعش في اواخر حكمهم، ولم تلبث ان تجسّمت بروح الثورة الخراسانية يقودها ابو مسلم لنصرة العباسيين . وعرف العباسيون ذلك للفرس فاتكولوا عليهم في الادارة والوزارة، ولذا رأينا نفوذهم يتعاظم، ورأينا التنافس بينهم وبين العرب يشتد . وعلى ذلك يعدُّ الجاحظ دولة العباسيين اعجمية خراسانية ودولة بني مروان عربية اعرابية وفي اجناد شامية<sup>(١)</sup> . وقال ابن خلدون « كان بنو امية يستظهرون بحروبهم وولاية اعمالهم برجال العرب مثل عمر ابن سعد وعبدالله بن زياد والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صفرة وخالد القسري وابن هبيرة وبلال بن ابي بردة ونصر بن سيار وامثالهم . وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيه ايضاً برجال العرب . فلما صارت الدولة للانفراد بالمجد وكبح العرب عن التطاول للولايات ، صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل وبني طاهر وسواهم<sup>(٢)</sup> » .

على ان العباسيين الاول كانوا اصحاب بطش وقوة، فانهم مع اتكالمهم على الفرس لم يستسلموا لهم ، بل ابقوا للخلافة العربية جلالها . يدل ذلك على ذلك ما فعله المنصور بابي مسلم حين خشي منه الطغيان<sup>(٣)</sup> ، وكذا ما فعله الرشيد بالبرامكة حين اخذته الغيرة من تعاضهم واهية دولتهم<sup>(٤)</sup> ، والمعتمد بالافشين لطمعه او لانه على ما قيل كاتب بعض امراء العجم واحب ان ينقل الملك اليهم<sup>(٥)</sup> : بل كانت سياستهم حفظ التوازن بين المضربة واليمينية والخراسانية منعاً لاستبداد فريق بالدولة<sup>(٦)</sup> . وكانت جيوشهم مؤلفة من عرب وفرس ، ثم جاء المعتمد فقطع عن هؤلاء المال وجعل جنده من الاتراك .

ومما يدل ذلك على هذا التنافس بين العنصرين العربي والفرسي مدائح الشعراء الذين نبغوا في ذلك العصر . فاذا اعتبرت اهم شعرانه تجدهم في اول الامر يتسابقون الى باب الخليفة ويتنافسون في مدحه ، ثم تجدهم يتحوّلون الى امراء الدولة من عرب وفرس . ويزداد هذا التحوّل مع الزمن الى العنصر الاخير ، فقد نبغ بين ايام المأمون والمعتمد ثلاثة من اكبر شعراء العرب هم ابو تمام والبحري وابن الرومي ، وكان اكثر مديح الاول ( وهو اقدمهم ) في المعتمد وبعض كبار العرب كأبي سعيد الثغري والقاضي احمد بن دؤاد وخالد بن يزيد

سيف  
سرازمند

(١) البيان والتبيين (س) ٣ - ٢١٧ (٢) المقدمة (بيروت) ١٨٣ . راجع هنا قصيدة المهلب في رثاء المتوكل ، المقدم (المطبعة الحامية ١٣٣١) ٢ - ١٨٦ (٣) المسعودي ٦ - ١٨٣ الفخري ١٢٦ (٤) المقدمة ١٧ و ١٦ الفخري ١٥٥ (٥) مختصر الدول لابن العربي ٢٦٢ واليعقوبي ٢ - ٥٨٢ (٦) ابن الاثير ج ٥ - ٢٢٣



ومالك بن طوق وابي دُف العجلي . ومدح الثاني المتوكل واختص به ، ومع ذلك كانت مدانته في كبار الدولة من الفرس تفوق مدانته في امراء العرب . اما ابن الرومي فليس له في الخلفاء شي . يذكر ، واهم ممدوحيه من الاعاجم كآل وهب وآل طاهر وامثالهم . وسيأتي تفصيل ذلك في كلامنا عن الشعراء واحوال ممدوحيههم .

ولو تحررت الاسباب التي آلت الى وهن العرب ، وهم اصحاب الخلافة ، ومنافسة الاعاجم لهم في الرئاسة والادارة ، ثم تغلبهم عليهم لرأيت من اهمها - عدا انقسامهم بين عينية ومضرية - تناحرهم على الامر بين عباسية وعلوية ، بل العباسيون انفسهم لم يكونوا يدا واحدة فراجت بينهم سوق الاغتيال والدسائس والفتن : من ذلك قتل المنصور لعنه عبدالله<sup>(١)</sup> ، وفتنة الامين والمأمون ، وثورة ابراهيم بن المهدي عم المأمون وطلبه الخلافة ، وما كان من قتل المتوكل وغير ذلك من الحركات السياسية التي اوهنت قوى العنصر السائد ، ومهدت السبيل لاختلال عصبته .

\*\*\*

بدأ نفوذ الفرس في الدولة العباسية منذ نجح الخراسانيون في الدعوة لبني العباس ومبايعة السفاح . وقد ظلت كفة العرب وكفة الفرس متكافئتين حتى انتصرت خراسان مرة اخرى وجلس المأمون على العرش . فتعاضم نفوذ الفرس جداً وما زال كذلك حتى بلغ اوجه ايام عضد الدولة البويهبي الذي قبض على زمام الامر في بغداد ، فتحول الامر بعد ذلك الى نزاع بين الفرس والترك انتهى بقيام السلاجقة كما سيذكر في حينه . ولم يبق للعرب في الدولة من قوة تذكر الا في بعض امارات حكموها ، كما مارة بني حمدان في حلب وامارة بني الاغلب في تونس ، وسواهما من الامارات التي ستذكر في كلامنا عن تجزؤ المملكة العباسية .

( < ) ضعف الخلافة

وتجزؤها الى امارات مستقلة

كانت خلافة الراشدين زعامة دينية دنيوية والدين فيها اقوى واظهر ، واصبحت في

عصر السيادة العربية ( العصر الاموي و صدر العصر العباسي ) ملكاً عظيم الشأن واسع الاطراف ذا قوة مركزية عظيمة . فلما انقضى هذا العصر ، وفسدت عصبية العرب التي كانت ركن القوة الحربية في الدولة ، اخذت الخلافة تتحول تدريجياً من سلطة ملكية مسيطرة الى زعامة دينية مستضعفة . قال ابن خلدون ثم تغلب العجم الاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة ، فلم تكن تعدو اعمال بغداد حتى زحف الديلم اليها وملكوها وصار الخلائف في حكمهم ، ثم انقرض امرهم وملك السلجوقية فصاروا ( الخلفاء ) في حكمهم <sup>(١)</sup> .

وجاء في الفخري قوله واصفاً دولة بني بويه : «فدوخت الامم واذت العالم واستوت على الخلافة ، فعزت الخلفاء ووتتهم ، واستوزرت الوزراء وصرفتهم ، وانقادت لاحكامها امور بلاد العجم والعراق ، واطاعتهم رجال الدولة بالاتفاق <sup>(٢)</sup> . وكذلك كان السلاجقة كما ذكر ابن خلدون ؛ على ان هذه الدول المسيطرة لم تتناول الى مقام الخلافة فكانوا يدينون بطاعة الخليفة تبركاً <sup>(٣)</sup> . وكانوا على ما ذكر القلقشندي مع غلبتهم على امر الخلفاء يقتصرون على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف بالاقوال ، ويكونون امر الولايات الى الخليفة يباشرها بنفسه فتكتب عنه العهود والتقاليد على ما يشهد به الموجود من انشاء الصابي وغيره <sup>(٤)</sup> .

وقد وصف صاحب كتاب الفخري هذه الحالة احسن وصف اذ قال : «ثم طرات عليها ( اي على الدولة العباسية ) دول كدولة بني بويه وفيها كبشهم وخلقهم عضد الدولة ، ودولة بني سلجوق وفيها مثل طغرلبيك ، وكالدولة الخوارزمية وفيها مثل علاء الدين ، وجريدة عسكريه مشتملة على اربعمئة الف مقاتل ، . . . الى ان يقول ولم تقو دولة على ازالة ملكهم ومحو اثرهم بل كان الملك من هؤلاء المذكورين يجمع ويحتشد ويحرق العساكر العظيمة حتى يصل الى بغداد . فاذا وصل التمس الحضور بين يدي الخليفة ، فاذا حضر قبل الارض بين يديه ، وكان قصارى ما يتمناه ان يوليه الخليفة ، ويعقد له لوا . ويخلع عليه <sup>(٥)</sup> . فن كل ذلك نستنتج ان هؤلاء الملوك كانوا يتصرفون بامور الدولة كما يشاؤون الا انهم كانوا يظهرن التبجيل لصاحب الخلافة فيقدمونه ويقبلون يديه ويتبركون به ، وهم في الواقع اصحاب الامر ليس للخليفة منه شيء ، وانما كانوا يفعلون ذلك لما كان للخلفاء من المنزلة الدينية في نفوس الناس .

\*\*\*

(٣) المقدمة ٣٠٨

(٢) الفخري ٣٠٤

(١) المقدمة ١٥٥

(٥) الفخري ١٠١

(٤) صبح الاعشى ١١ - ٧٣

ولم يكد يدخل القرن الرابع الهجري حتى ضعفت الحكومة المركزية في بغداد جداً ولم يبق للخلافة من نفوذ فعلي في المملكة . فكانت خلافة الرازي ، وبلاد فارس في يد بني بويه ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طُغج ثم في ايدي الفاطميين ، وخراسان والبلاد الشرقية في ايدي السامانية . وثمّت امارات اخرى ، واليك ذلك ببعض التفصيل :

## الامارات المستقلة في بلاد فارس

وقد نشأت وانقرضت في مدد مختلفة بين سنة ٢٠٥ هـ و ٤٣٤ هـ وهي

الطاهرية في خراسان	الصفارية في فارس
السامانية ما وراء النهر	الساجية في اذربيجان
الزيارية في جرجان	

اما الامارة الفارسية الكبرى فقد مر ذكرها وهي البويهية (٣٢٠ هـ - ٤٤١) ويرجع نسب ملوكها الى ابي شجاع بويه بن فناخسار من ولد يزدجرد آخر ملوك الفرس<sup>(١)</sup>. نشأت في بلاد الديلم واخذت بالتقدم حتى استولت على بلاد فارس ثم استولت على بغداد واصبح لها الامر والنهي في العراق وفارس . وكان الخليفة يعيش في ظلها من إقطاع يعينه له الملك البويهي<sup>(٢)</sup>. وهذه الدولة شيعية لكنها لم تتعرض للخلافة العباسية (وهي سنّية) بل ابقتها على حالها<sup>(٣)</sup> وابتقت للخلفاء حق اصدار المراسيم والخلع . وهذا كبيرهم عضد الدولة لما استولى سنة ٣٧٢ على بغداد وعلى شؤون الدولة، لم ير بدأ من تنظيم الخلافة<sup>(٤)</sup>، مع انه لا يعتقد باطناً بحق العباسيين فيها وقد زوج الخليفة ابنته وغرضه ان تلد ابنته ذكراً فيجعله ولي العهد وتكون الخلافة في ولده<sup>(٥)</sup>.

## الامارات التركية

ومنها الطولونية في مصر والشام ٢٥٤-٢٩٢

الاخشيدية في مصر والشام ٣٢٣-٣٥٨

(١) ابن العبري ٢٧٩، الفخري ٢٠٦ (٢) ابن العبري ٢٩١ (٣) ابن الاثير ٨-١٢٩

(٤) مسكويه (٥) ابن الاثير ٨-٣٣٦

الغزنوية في خراسان وافغانستان ثم الهند ٣٥١-٥٨٢ .  
قال ابن خلدون وقد بلغت هذه الدولة من الغز المبالغ العظيمة<sup>(١)</sup>

اما الامارة التركية الكبرى

فهي السلجوقية وقد نشأت اولاً في تركستان ثم جمع جدهم سلجوق عشيرته ونفر بهم من بلاد الترك الى بلاد المسلمين ، فلما دخلها اظهر الاسلام وعلى ذلك نشأ اولاده . وما زال امرهم يعظم حتى ملك طغرل بك ، وهو اول سلاطينهم ، بلاد العجم وكان قيامه في خلافة القائم العباسي ، ثم تقدم الى بغداد بدعوة من القائم لينصره على نادر اسمه البساسيري<sup>(٢)</sup> . فاستولى عليها وخطب له بالسلطنة على منابر بغداد وذلك سنة ٤٤٧ هـ . وتولى خلفاؤه الامر بعده ، وما زالوا يسوسون الامور في بغداد حتى ضعف امرهم . ثم زالت دولتهم في خلافة الناصر سنة ٥٩٠ هـ وكان السلاجقة في ابان مجدهم اصحاب شوكة عظيمة ، وهم عدة فروع امتد سلطانهم من افغانستان الى البحر المتوسط . ولما ضعف امرهم استبد عمالهم (الاتابك) بالاحكام في اماراتهم المختلفة ، ولم يبق لهم بعد ذهاب دولتهم في بغداد وغارة المغول على المملكة العباسية الا آسيا الصغرى ، فقد حفظوها حتى جاء الاتراك العثمانيون فاستولوا عليها . واستسوا على انقراض السلاجقة سلطنتهم العظيمة ، ثم لم يعتموا ان اصبح سلاطينهم خلفاء العالم الاسلامي ودخلت اكثر البلدان العربية في حوزتهم . ولهم تاريخ خاص لا يدخل في بحثنا هذا

### الامارات العربية

نشأ في الدولة العباسية بضع امارات عربية مستقلة ، على انها - اذا استثنيت العلوية والادريسية منها - كانت جميعها تحطب للخليفة العباسي وتعدّه ارفع الامامي الاكبر . ومنها :

الادريسية - في مراكش ١٧٢-٣٧٥ وكانت معادية للعباسيين

الاغلبية - في تونس ١٨٤-٢٨٩ امراؤها من تميم

المحدانية - في حلب ٣١٧-٣٩٤ شيعية وامراؤها من تغلب اشهرهم

سيف الدولة ممدوح المتنبى .

(١) ابن خلدون ٣٦٠-٤ (٢) ملك هذا الناصر الامر حيناً في بغداد ودعا فيها للفاطميين

المزيدية - في الحلة ٤٠٣ - ٥٤٥ وهم من بني اسد  
 العقيلية - في الموصل ٣٨٦ - ٤٨٩ دولة مضرية من كعب  
 المرديسية - في حلب ٤١٤ - ٤٧٢ وهي مضرية وامراؤها من بني كلاب  
 على ان اهم الدول العربية التي نشأت في اثناء العصر العباسي اثنتان الفاطمية والانديسية -  
 واليك كلمة وجيزة في كل منهما

### الدولة الفاطمية (٢٩٦ - ٥٦٧)

وهي علوية اسماعيلية . بذلك يقول ابن خلدون<sup>(١)</sup> وابن الاثير<sup>(٢)</sup> وابن الطقطقي<sup>(٣)</sup>  
 ويشك غيرهم في اصلها العلوي .

وكان بدء امرها في افريقيا ايام المقتدر العباسي ، ثم انتقلت (في ٣٥٨ هـ) الى مصر  
 وبقيت هناك حتى ازالتها صلاح الدين الايوبي ٥٦٧ هـ . وهذه الدولة عظيمة الشأن ، تختلف  
 عن سواها من الدول التي نشأت ايام العباسيين انها قرنت الملك بالدين فنشأت خلافة تراحم  
 الخلافة العباسية . وقد تبسّطت فاستولت على افريقيا ومصر وسوريا والحجاز وبمبارة ابن  
 خلدون قاسمت العباسيين شقّ الأبلمة ، ثم اخذت بالانحدار وما زالت كذلك حتى استولى  
 صلاح الدين على مصر . فلما مات العاضد (آخر خلفائها) قطع صلاح الدين الخطبة للفاطميين  
 وحوّلها الى العباسيين .

وللدولة الفاطمية يد على الادب العربي ، فهم الذين انشأوا الجامع الازهر ، وكانوا ينشطون  
 العلماء والادباء بالمعطف عليهم واقتناء المكاتب الكبرى وفتح ابوابها لهم .

### الدولة الاموية الاندلسية (١٣٨ - ٤٢٨)

تبدأ بعبد الرحمن الداخل ( حفيد هشام بن عبد الملك بن مروان ) الذي فرّ من وجه  
 العباسيين الى افريقيا ، ثم تمكّن من دخول الاندلس والاستيلاء عليها . وما زال الملوك من  
 آلّه يتوارثون الحكم فيها حتى قام عبد الرحمن الناصر فبلغت به الدولة الاموية في الاندلس  
 اوجها ، وهو اول من طمع بالخلافة من امرائها فلقبّ بامير المؤمنين<sup>(٤)</sup> . قال مسكويه

(٣) الفخري ١٩٣

(٢) ابن الاثير ٨ - ٨

(١) ابن خلدون ٤ - ١١

(٤) ابن خلدون ٤ - ١٣٣

فعل ذلك لما ضعف امر الامة وهت اركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبتدعة على الاقاليم<sup>(١)</sup>. وقد ازدهرت في ايامه الاندلس اياماً ازدهاراً، وبقيت كذلك ايام ابنه المنتصر ثم اخذت دولة بني امية تضعف واخذ الفساد يستولي على امارتهم، فتجزأت واصابها ما اصاب الدولة العباسية من ضعف العرش واستبداد الامراء باماراتهم المختلفة. ولهذا الدولة تاريخ خاص خارج عن تاريخ الدولة العباسية وقد نشأ فيها من الاداب والعلوم والفنون ما يقتضي سفراً خاصاً. وقد ذكرناها في عرض هذا البحث زيادة للايضاح وتتمة للكلام عن الدول العربية التي انفصلت عن الخلافة العباسية

\*\*\*

ومن الامارات المشهورة التي كان لها شأن يذكر في الخلافة العباسية الدولة الكردية المعروفة بالايوبية (٥٦٤ - ٦٤٨) واشهر ملوكها مؤسسها السلطان صلاح الدين الذي اشتهر في وقائمه مع الصليبيين >

### تأثير هذا التجزؤ في الادب العربي

وكان من نشوء هذه الدول في العالم الاسلامي ان الادب تحول عن بغداد الى مراكز اخرى. فكان الخليفة الراضي الذي يوبع ٣٢٢ هـ آخر خليفة دون له شعر، وآخر خليفة كانت مراتبه وجوازه وخدمه وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين<sup>(٢)</sup>. ومعنى ذلك ان العرش العباسي لم يعد الموثل الاكبر للادب والادباء، وانه نشأ في الامارات المستقلة حواضر زاحمت بغداد في الشعر والعلم، نذكر من ذلك بلاط سيف الدولة في حلب، وتلك الحلقة الادبية التي كانت تحيط به مثل ابن خالويه وابن نباتة واني فراس والمتيني. والنامي والفارابي والسري الرفاء والخالديين، وبلاط آل بويه ومن كان يتصل بهم كابن العميد والصايي والصاحب بن عباد، وامراء سامان وما كان لهم من عطف على العلم والعلماء<sup>(٣)</sup>. وقس على ذلك سائر الامارات في مصر والعراق والاندلس وفارس والمغرب، فان اللغة العربية ظلت الى ايام العثمانيين لغة الادب والدين والسياسة في اكثر الممالك الاسلامية. وكان الامراء من عرب وغير عرب يتنافسون في العطف على الادباء والعلماء. وفي جمع الكتب

وخدمة العلم واطهر من فعل ذلك من غير العرب الملوكة الايبويون في اماراتهم المختلفة<sup>(١)</sup> . وهذا التنافس على الادب يفسر لنا تلك الظاهرة التاريخية الغريبة - استمرار الادب العربي مع ضعف العرب وذهاب السيادة من ايديهم . واليك بعض امثلة من رجال العلم في ذلك العصر توضح لك ما نحن بصدده

ابن سينا الطبيب الفيلسوف توفي ٤٢٨ هـ . كان في بخارى في خدمة نوح بن منصور الساماني وفي خوارزم عند مامون بن مامون البيروني - الفلكي المشهور توفي ٤٣٠ هـ . كان في الهند واقام مدة في خوارزم وقد قدم بعض كتبه للسلطان محمود الغزنوي الجرهري - صاحب الصحاح توفي ٣٩٨ هـ . كان في نيسابور وقد ألف كتابه لابي منصور البشيكى

ابن فارس - اللغوي المشهور توفي ٣٩٠ هـ . ألف كتابه الصحابي للصاحب ابن عباد ابن دريد - صاحب الجمهرة والمقصورة توفي ٣٢١ هـ . صحب ابن ميكال امير فارس وألف له بعض كتبه

المسعودي - المؤرخ المشهور توفي ٣٤٦ هـ . نشأ في بغداد وطاف البلدان ثم استقر في مصر مسكويه - المؤرخ والفكر توفي ٤٣١ هـ . صحب ابن العميد وخدم بني بويه ابن البيطار - النباقي المشهور وكان في خدمة الملك الكامل الايوي وامثال هؤلاء الاعلام كثيرون لا يتسع المقام لذكرهم . اما المدن التي شاركت بغداد او زاحمتها في الادب والعلم فنذكر منها - مصر وحلب ودمشق وقرطبة واشبيلية والقيروان وخوارزم ونيسابور وبخارى . ومن الامراء الذين اشتهروا بميلهم الى الادب وعطفهم على العلماء . ركن الدولة البويهى ومنصور الساماني وشمس المعالي قابوس ومحمود الغزنوي والعزيز والحاكم الفاطميان وصلاح الدين الايوي وغيرهم

### الحركات الهدامة الداخلية

كانت الدولة العباسية منذ نشأتها مرتعاً خصباً للثورات، وتاريخها وثيق الارتباط بها . وهذه الثورات تظهر في مظهرين كبيرين - حركات الخوارج والحركات العلوية

## مركات الخوارج

ويرجع تاريخها كما هو معروف الى ايام صفين والتحكيم . من ذلك الحين ظهر الخوارج وانشأوا حزباً معادياً للخلافة فحاربوا الامام علياً بعد ان كانوا قبلاً من انصاره . ولهم مع الامويين وقائع مشهورة ، وقد كانوا من اشد الاخطار على دولتهم حتى قهرهم الحجاج بن يوسف والمهلب ورجلها ، فضعف امرهم وتشتتوا في النحاء مختلفة . ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك حتى خلافة المنصور العباسي . ففي ايامه خرجوا في عمان بقيادة زعيمهم شيان بن عبد العزيز ولكن المنصور ارسل اليهم جيشاً قوياً فهزمهم وقلَّ جيوشهم

ولما كانت خلافة المعتمد والعرش العباسي في حال اضطراب من جراء المستبدين به - عادوا الى حركاتهم فخرجوا في ولاية الموصل بقيادة مساور بن عبدالله ، وتمكنوا سنة ٢٥٥ هـ من دخول الموصل والاستيلاء على كثير من النحاء العراق . وبلغ من امرهم ان زحفوا على بغداد نفسها ، لكن جيوش الخليفة ردتهم فراجعوا . واقام مساور في الموصل حتى اغتيل سنة ٢٥٨ هـ ولم يبق للحركة الخارجية بعد ذلك من قوة سياسية في العراق . على انها بقيت في الجزيرة العربية وفي افريقيا تحت اسم الاباضية ( وهي فرع منها ) قوة لا يستهان بها . ثم اعتراهم الوهن فتضعفت احوالهم ، ولم يلبثوا ان انسحبوا من معتزك الجهاد السياسي والحربي (١)

## الحركات العلوية

وهي اما ثورات قام بها آل البيت انفسهم خروجاً على الخلافة القائمة او حركات هدامة مؤسدة على المبدأ العلوي . وقد بدأت الاولى ( ثورات الائمة ) منذ انتزع الامويون الملك من آل البيت ، ومنها قيام الحسين الى الكوفة ومقتله في كربلاء ، وما تبع ذلك من دعوات وثورات طيلة الحكم الاموي ، كثورة المختار في العراق ثم الثورة الخراسانية ، وكانت علوية في اول الامر ثم تحولت الى العباسيين .

ولما قام العباسيون وانفردوا بالملك دون العلويين رجع النزاع الى ما كان عليه بين الشيعة والخلفاء . فتحركت الشيعة حركات عدتها العباسيون عصياناً ، كخروج النفس الزكية في المدينة ايام المنصور ، وخروج يحيى بن عبدالله في الديلم ايام الرشيد ، ويحيى بن عمر بن

(١) ومن اراد التوسع في حركات الخوارج فليراجع من المصادر العربية . ابن خلدون ج ٢ . ابن الاثير ج ٢ ص ٦١ و ٦٢ و ٧١ و ١٥٠ - ١٥٧ - خطط القرظي ٢ - ٣٥٤ وسواها



يحيى في الكوفة أيام المستعين ، وظهور الكوكبي بقزوين وطرده آل طاهر<sup>(١)</sup> ، لكن الخلفاء تمكنوا من الثأرين وقتلوهم

وفي بدء خلافة المأمون (وذلك قبل ان يقدم من خراسان الى بغداد) كثرت حركات الشيعة حتى رأى ان يعهد بالامر بعده لعلي الرضا<sup>(٢)</sup> ، ولكن استياء العباسيين وموت علي الرضا حالاً دون ذلك . ثم كثرت خروجهم في الحجاز واليمن والعراق وفارس وتتابعت دعواتهم . وهم ولئن لم يستطيعوا تقويض العرش العباسي فقد احدثوا فيه اضطراباً شديداً كان من جملة الاسباب التي ادت الى انحلال الدولة . ولا يخفى ان الخلافة الفاطمية التي ذكرناها آنفاً كانت من ثمار الحركات العلوية ومن اشد الضربات على الخلافة العباسية

\*\*\*

اما الحركات الهدامة المؤسسة على المبدأ العلوي فقد قامت بها هيئات منظمة احدثت تأثيراً كبيراً في المملكة العباسية، واهمها حركات الزنج والقرامطة والحشاشين (الباطنية)

### الزنج

حوالى منتصف القرن الثالث الهجري في ايام الخليفة المعتمد قام رجل اسمه علي بن محمد يدعي النسب العلوي . فاستمال اليه قلوب العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها وفسدهم على مواليتهم حتى اجتمع اليه منهم ومن سواهم خلق كثيرين، وما لبث حتى عظم شأنه واشتدت شوكرته . وانفقت له حروب وغزوات نصر بها، فتغلم شره وانبثت عسكره السودان في البلاد العراقية والبحرين والاهواز . وفي ٢٥٧ هـ اغاروا على مدينة البصرة فنهبوها واحرقوها واحدثوا فيها فظائع ذكرها ابن الرومي في قصيدة عصماء . ستذكر في كلامنا عن هذا الشاعر . وكانت بينهم وبين جنود الخلافة حروب عظيمة دامت سنين كثيرة وذبح فيها الوف من القتلى ولكنها انتهت سنة ٢٧٠ هـ بقهرهم وتحرير البلاد من شرهم . وكان قائد العباسيين الاكبر في حروبهم الموفق اخا الخليفة المعتمد . ومن كبار رجاله موسى بن بغا، وابراهيم بن المدبر ، وابو العباس ابن الموفق ، وسواهم ممن يرد ذكرهم في مدائح الشعراء.<sup>(٣)</sup>

(٢) ابن خلدون ٦ - ٩

(١) الطبري اخبار سنة ٢٥١

(٣) للتوسع في البحث راجع ابن الاثير ج ٧ و٨، ابن خلدون ٦ - ١٨ - ٢٢، الفخري ١٨٥،

الطبري في اخبار سنة ٢٥٥ و٢٦٧ الخ .

## القرامطة

كان ابتداء ظهورهم سنة ٢٧٨هـ بسواد الكوفة، وقد قاموا يدعون لآل البيت . وقوي امرهم هناك ثم ظهر منهم جماعة من البحرين وعاثوا في البلاد يتوون البصرة . فحاربهم عمال العباسيين ولكن القرامطة انتصروا عليهم واستفحل امرهم في العراق، فانضم اليهم جموع من اعراب الشام وهاجموا دمشق . وكان بينهم وبين عامل الطولونيين فيها وقائع شتى ، وما زال امرهم يتعاظم ونفوذهم يتسع في العراق والشام والجزيرة العربية حتى امتد طرق الحج بايديهم فصاروا يعتدون على الحجاج . وفي سنة ٣١٧هـ دخلوا مكة فنهبوا اموال الحجاج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم اقتلعوا الحجر الاسود من الكعبة وحملوه الى هجر فبقي عندهم اثنتين وعشرين سنة . قال ابن الاثير فلما بلغ ذلك الخليفة الفاطمي المهدي كتب الى زعيمهم ابي طاهر ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة ويقول : قد حنّفت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والاحاد بما فعلت ، وان لم تردّ على اهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما اخذت منهم ، وتردّ الحجر الاسود الى مكانه ، وتردّ كسوة الكعبة فانا بري . منك في الدنيا والآخرة فلما وصله هذا الكتاب اعاد الحجر الاسود واستعاد ما امكنه من الاموال

وبقي امرهم الشغل الشاغل لولاة الامر في بغداد اكثر القرن الرابع الهجري ، وانك لتعرف مبلغ ما احدثه في نفوسهم من كتاب كتبه الصائبي عن لسان الخليفة<sup>(١)</sup> . ثم ضعف امرهم وتفرقوا في البلاد<sup>(٢)</sup>

الطاسون<sup>(٣)</sup>

وهم من الباطنية . ظهوروا اولاً في ساوه ايام ملكشاه السلجوقي فناضلهم اولو الامر لكنهم لم يستطيعوا قهرهم . فلما مات ملكشاه استفحل امرهم في اصبهان . وفي ٤٩٣هـ استولى زعيمهم ومؤسس فرقتهم الحسن بن الصباح على قلعة ألموت وهي من نواحي قزوین وجعلها مقر الحكم الاسماعيلي ، ومنها تصدر الاوامر الى كل النواحي وكان يدعو للخليفة

(١) راجع رسائله ٢٤٦ (٢) راجع اخبارهم في - ابن الاثير ج ٧ و ٨ و ٩ ابن خلدون ٤ - ٣٠٩ و ٨٨ - ٤٥٩ تجارب الامم III ص ١٠٩ و ١١٠ - الطبري اخبار سنة (٣) عن ابن الاثير وابن خلدون وابي الفداء ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١

الفاطمي بصر . وفي ٤٩٨ هـ ظهر امرهم في الشام فتملكوا حصن افامية وقطعوا الطرق . واخذت شوكتهم تتعاظم حتى كانت سنة ٥٢٠ هـ فاستولوا على بانياس ثم على اماكن اخرى وكان بطشهم شديداً في المسلمين والافرنج الصليبيين، وكان دأبهم اغتيال الامراء والزعماء . ومما يدل على شدة شكيمتهم ان صلاح الدين الايوبي حاربهم في الشام ثم رأى ان يصالحهم . وقد ظلوا اصحاب قوة وبطش وظل نفوذهم عظيماً من تركستان الى البحر المتوسط حتى اواخر الدولة العباسية وقيام دولة التتر ، فهاجمهم هولاء في العراق وخرّب قلاعهم واغار عليهم في الشام الملك الظاهر ملك مصر . وهكذا خضت شوكتهم وتشتتوا سراخم في الاقطار الاسلامية، وذلك بعد ان اضطرت لهم ملوك المسلمين والصليبيين نحواً من قرن ونصف .

والباطنية التي ينتمي اليها الحشاشون تعضد المذهب الشيعي فكانت لذلك من اكبر انصار الدولة الفاطمية، ومن افعال العوامل دينياً وسياسياً في تقويض سلطة الدولة العباسية

### العوامل الهدامة الخارجية ومنها غارات الروم

كانت بلدان الشرق الادنى المتاخمة لبحر الروم قبل الفتح الاسلامي جزءاً من مملكة الرومان الشرقية ( البيزنطية ) . فلما حدث الفتح الاسلامي تقاصّ ظل الروم امام العرب الفاتحين . فاحتل العرب مصر وسوريا وانتزعوا جزءاً من الاناضول وبقي اكثره تابعاً للروم لان العرب لم يستقروا هناك . ولتاخمة الاناضول لسوريا والجزيرة العراقية نشأ بين الفريقين منذ المئة الاولى الهجرية حروب متواصلة كان النصر فيها سجالاً . في ايام معاوية مثلاً توغلت جيوش العرب حتى القسطنطينية ثم تراجعت <sup>(١)</sup> ، واضطر معاوية سنة ٣٢ هـ ان يصالحهم على مئة الف <sup>(٢)</sup> . وفي ايام عبد الملك هجم الروم على سوريا فبلغوا حماه وقنسرين والعواصم ثم هاجموا السواحل حتى خضع لهم قسم من الجبل . قال البلاذري وصالح عبد الملك الروم، بعد موت ابيه وطلبه الخلافة، على شي . كان يؤديه اليهم <sup>(٣)</sup> . وفي ايام سليمان بن عبد الملك عاد العرب فهاجموا القسطنطينية <sup>(٤)</sup> . وبقي الحال على هذا المتوال بين الروم والمسلمين اكثر ايام العباسيين . ولا يتسع المقام هنا لذكر الوقائع او لتعداد المدن والحصون التي كانت تتداولها

ابن خلدون ٢ - ٢٢٨ (٢) البيعقوبي ج ٢ ص ٢٥٧-٢٥٨

(٦) ابن الاثير في حوادث سنة ٩٨

(١) الطبري ٥ - ٢٨٨٨

(٣) فتوح البلدان ١٨٨

أيدي الفريقيين . على انه لا بد من القول انه كان لهذه الحروب اثر كبير في الادب العربي .  
يكفي ان نشير هنا الى ما سنذكره من روائع ابي تمام والبحري والمتنبي في انتصارات المعتصم  
والمتوكل وسيف الدولة . ولم تنج الممالك الاسلامية من خطر الروم الذين كانوا يواصلون  
الغارات من الشمال حتى استقر الاتراك في الاناضول وحالوا دون تقدم الروم نحو الجنوب

### (٢) غارات الصليبيين

وبينا كان الروم يتهددون الدولة العباسية من الشمال الغربي، وكان السلاجقة يوطدون  
نفوذهم في عاصمتها، اتفق الافرنج على اكتساح الشام وما اليها بحجة انتزاع بيت المقدس  
من ايدي المسلمين . وهكذا بدأت الحروب الصليبية واخذ الاوروبيون يواصلون الغارات  
على الانحاء الساحلية من سوريا وفلسطين ومصر

\*\*\*

ويمتد عصر الحملات الصليبية من ١٠٩٦م - ١٢٩١م - وقد كانت الخلافة العباسية  
في اوائله متفككة العرى، والفاطميون في مصر يتربصون الفرص للايقاع بها، وكانت  
سوريا - المعترك العام يومئذ - قد خرجت من حكم الدولة السلجوقية الرئيسية واصبحت  
امارات يتنازعها اتابكهم وخلفاء مصر . فاغتم الافرنج تلك الفرصة، وغزوها اولاً عن  
طريق الروم، ثم عن طريق البحر، ولم يعتموا ان احتلوا القدس واسسوا فيها مملكة لاتينية  
بقيت نحو قرن ونصف (١١٠٠م - ١٢٤٣م) . ولم يكتفوا بذلك بل مدوا نفوذهم على  
القسم الغربي من سوريا الى ما وراء انطاكية، فاسسوا الامارات المختلفة وابتنوا القلاع  
الحصينة، ساعدتهم على ذلك تنازع الحكام في البلاد وضعف الخلفاء في بغداد والقاهرة .  
ولكن الصليبيين كانوا من عناصر وبلدان شتى، فنشبت بينهم منازعات كثيرة ادت اخيراً  
الى فشلهم وخرابهم من البلاد<sup>(١)</sup>

ومن كان له اليد الطولى في خضد شوكة الافرنج صلاح الدين الايوبي ملك مصر  
واخوه الملك العادل، ووقائعهما مع الصليبيين في مصر والشام مشهورة . واصلاح الدين  
والآله في الادب العربي اثر كبير يظهر في المدائح التي نالوها من شعراء زمانهم . نذكر منهم ابن  
الساعاتي<sup>(٢)</sup> وابن النبيه وابن قلاص وابن مفرج النابلسي وابن التعاويذي وقد ذكره ابن

(١) قال ابن الجوزي في مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٤٨ سنة ٥٨٢ وفيها ظهر الخلاف بين الفرنج  
وتفرقت كلمتهم وكان لسعادة الاسلام (٢) نشرنا ديوانه حديثاً عن نسخة خطية فريدة .

خَلِّصَ ذِكْرًا خَاصًّا فِي سِيْرَةِ صَلاَحِ الدِّينِ وَذَكَرَ بَعْضَ مَدَائِحِهِ . نَاهِيكَ بِالرِّسَالَةِ الَّتِي كَانَ يَتَبَارَى بِهَا مَنَشُو ذَلِكَ الزَّمَانَ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ وَعِمَادُ الدِّينِ الْإِصْفَهَانِي<sup>(١)</sup> .  
وَبِرْغَمِ مَا كَانَ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ فِي خِلَالَ تِلْكَ الْحُرُوبِ مِنَ الْعِدَاءِ الْمُسْتَحْرَمِ وَالْتِرَاعِ الْمُسْتَمْتَرِ ، خَرَجَ الْفَرِيقَانِ مِنْ صَهْرِهِمَا بِفَوَائِدِ اجْتِمَاعِيَّةِ إِدْبِيَّةٍ عَظِيمَةٍ . وَبِمَا كَانَتْ فَائِدَةٌ لِلغَرِبِيِّينَ اعْظَمَ ، فَانْهَمَ رَجَعُوا عَنِ الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ وَقَدْ اقْتَبَسُوا مِنْ حَضَارَتِهِ يَوْمَئِذٍ مَا كَانَ لَهُ إِثْرٌ كَبِيرٌ فِي حَيَاتِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ

### والخلاصة

ان الدولة العباسية لم يكفد يمضي عهد خلفائها الثانية الاول حتى ظهرت فيها عوامل الفساد التي أدت الى انحلالها . وهذه العوامل داخلية وخارجية - فالداخلية (١) ضعف السلطة المركزية لتسلط المستبدين بها من عجم و اترك (٢) استقلال الامارات المختلفة وتنازعا (٣) عوامل الفتى والثورات من خوارج وعلوية  
والخارجية - غارات التتر من الشرق، وغارات الروم والصليبيين<sup>(٢)</sup> من الغرب . وهناك عوامل اخرى يرجع فيها الى المطولات التاريخية

(١) راجع اخبار صلاح الدين في مرآة الزمان للجوزي ج ٨ ص ٢٧٠ - ٢٨٠ في اخبار سنة ٥٨٩ . وراجع الكلام على الرسائل في تطور الاساليب النثرية للمؤلف  
(٢) من اراد التوسع في الحروب الصليبية فليراجع من بين المصادر الكثيرة مرآة الزمان للجوزي ج ٨  
ما ورد في الجزء الخامس من ابن خلدون  
اخبار الصليبيين في دوائر المعارف و لاسيا البريطانية  
كتاب The Crusaders in the East للمورخ ستيفنسون (Stevenson)  
رسائل الكتاب ايام صلاح الدين في صبح الاعشى .

## تطور الحياة الاجتماعية

في العصر العباسي

### الحضارة في فجر الاسلام

✳ من المعلوم ان بلاد العرب لم تكن في زمن الجاهلية خلواً من حضارة ما . وفي القرآن الذي هو نص تاريخي صادق نجد الدليل على ذلك في ذكر المتاجر البرية والبحرية والشركات والاحتكارات والشورى والصنائع والكتابة والملاهي والنقود وبعض المعارف . فاذا اضفت ذلك الى ما نقله المؤرخون من اخبار اليمن وقريش والامارات العربية القديمة في العراق وحوران وتدمر وسواها، عرفت انه كان للعرب قبل الاسلام اتصال بالعمران السائد يومئذ . فلما جاء الاسلام وحدثت الفتوح ازداد هذا الاتصال وتنظم ، وكان له بعد ذلك آثاره المعروفة . بيد ان الروح الدينية كانت في فجر الاسلام قوية جداً ، فوفقت بهم قليلاً عن الاخذ بأسباب الرخاء الحضري، وكان لها اثر بين في تنظيم حكومتهم الاولى ✳ حتى كان بعض امراتهم الاول يسلكون مسلك التقشف ويشددون في تنفيذ احكام الدين . يلبسون الخلق المرفق من الاثواب ويتجافون عن اطيب الطعام ويسرون في الاسواق كعامة الناس . والشواهد على ذلك من اقوال المؤرخين كثيرة متعارفة لا يسعها هذا المقام <sup>(١)</sup> . نكتني منها بمثال رواه لنا الطبري عن عمر قال - ان سلمة بن قيس بعث برسول الى عمر ينبئه بفتح بلاد الاكراد ويحمل اليه حلى وجواهر . قال الرسول فاتيت امير المؤمنين وهو يغذي الناس متكئاً على عصا كما يصنع الراعي ، وهو يدور على القصاع ويقول يا يرفاً زد هؤلاء لحماً ، زد هؤلاء خبزاً ، زد هؤلاء مرقه . فاذا طعام فيه خشونة . ثم اتبعته الى داره فاذا هو جالس على مسح ، متكئ . على وسادتين من ادم محشوتين ايضاً . فنبتذ الي احداهما . فجلست عليها ، واذا هو في صفة فيها بيت عليه ستر . فقال يا ام كلثوم ( زوجة عمر ) غذاءنا -

(١) راجع وصف حالهم في مقدمة ابن خلدون ٢٠٤ والفخري ٥٢

فأخرجت إليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق - إلى آخر الحديث<sup>(١)</sup>.  
 على أن هذا التخرج كان على أشده في خلافة عمر . ذكروا أنهم استأذنه في بناء  
 الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل ، فقال أفلوا ولا  
 يزيدن أحدكم على ثلاثة آيات ولا تطأوا في البنيان والزموا السنة<sup>(٢)</sup>. وماذا يراد بالسنة هنا  
 غير ما عهدوه من مقتضيات التقشف اتباعاً لأحكام الدين ؟ وتأييداً لذلك نقل العلماء الأول  
 كمالك وابن حنبل وابن سعد وسواهم كثيراً من الأحاديث النبوية التي تحض على البساطة  
 والتقشف . فلما جاء عهد عثمان أخذوا يتساهلون في ذلك فقد روى المسعودي أن الصحابة  
 أيام عثمان اقتنوا الضياع والمال وابتنوا الدور ذات الشرفات<sup>(٣)</sup> . ولما حدثت الفتنة على  
 ذلك الخليفة أراد خصومه أن يستغلوا هذا التساهل العمراني فذكروا من جملة ما تقوم عليه  
 بناء الدار<sup>(٤)</sup> . وقد فسر ذلك المستشرق كاسانوفاً بقوله « أن القوم الذين نشأ فيهم عثمان  
 (أي الأمويين) كانوا أقل اهتماماً بأمور الدين والآخرة منهم بأمور الدنيا ، فكان همهم  
 الفتح وجمع المال<sup>(٥)</sup> . ولعل الأصوب أن نقول أن التخرج الديني ضد الحضارة والرفاهة أمر  
 غير طبيعي فلا يلبث أن يزول . وهكذا كان بعد الحكم العمري ، برغم أن بعض الصحابة  
 والتابعين ظلوا على سنة عمر .

## الدولة الأموية

ولما انتقل مركز الخلافة إلى الشام خطا العرب إلى الامام في سبيل الحضارة السياسية  
 والاجتماعية . « وكان معاوية مؤسس الدولة الأموية أول من اقام الحرس والشروط والبوابين  
 في الاسلام ، وارعى الستور ، ومشي بين يديه بالخراب ، وجلس على السرير والناس تحته<sup>(٦)</sup> .  
 وقد ظهر على معاوية الميل إلى محاكاة الاعاجم في آبهتهم منذ كان عاملاً على الشام . ذكر ابن  
 خلدون انه لما اتى معاوية عمر بن الخطاب عند قدومه إلى الشام في ابهة الملك وزيه من العديد  
 والعدة استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية ؟ فقال يا امير المؤمنين أنا في ثغر تجاه

(١) الطبري (ليدن) جم ١ - ٢٧١٦ (٢) مقدمة ابن خلدون ٣٥٨  
 (٣) مقدمة ابن خلدون ٣٥٨ (٤) اليعقوبي ٢ - ٢٠٢  
 (٥) Moh. et la fin du monde 58 (٦) اليعقوبي ٢ - ٢٧١ الفضري ٧٨

العدو ، و بنا الى مباحاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة <sup>(١)</sup> .  
 وبعد ان كانوا في المدينة اهدمهم الاول يحسبون التجاني عن الرفه والرخاء واجبا دينية  
 صاروا لما استقر ملكهم في الشام يتأنقون في اسباب الحياة الحضرية ، فلبسوا الخلل  
 المزركشة ، واقاموا الابنية الفاخرة ، وانصرفوا الا القلائل منهم الى الملاهي <sup>(٢)</sup> . ولم ينحصر ذلك  
 في دمشق بل زاه في كثير من الحواضر كالكوفة والبصرة والمدينة ومكة . ومن البديهي  
 ان يقبل الخاصة ومن يليهم من العامة على ما يقبل عليه امرؤهم ، حتى ان بعض ابناء الصحابة  
 الاول واحفادهم اصحروا من اكثر الناس استمتاعا بالملاهي .

ومن امثلة ذلك <sup>(٣)</sup> جعفر بن ابي طالب فقد تشاغل بالغناء والحواري حتى عيب  
 عليه سعيه في هدم مروته <sup>(٤)</sup> . ومنهم الوليد بن عقبة اخو عثمان بن عفان فقد شهد عليه اهل  
 الكوفة انه صلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران <sup>(٥)</sup> ، و <sup>(٦)</sup> عمر بن الخطاب  
 حده عمرو بن العاص بمصر لشرب الخمر . ومنهم الوليد بن عثمان بن عفان <sup>(٧)</sup> ، وحفيده  
 العرجي الشاعر ، وابن ابي عتيق حفيد ابي بكر ، وغيرهم من ابناء الصحابة الذين اقتضت  
 السياسة الاموية منعهم من الاشتغال بالسياسة فاندفعوا في سبيل اللهو والمجون <sup>(٨)</sup> وصار  
 اللهو الشغل الشاغل لبعض المترفين حتى في مناسك الحج <sup>(٩)</sup> . وهذا الاقبال من الامراء ومن  
 دونهم على الدنيا كان له بلا شك تأثير كبير في تنشيط الصناعة والتجارة والادب ، فاقبل  
 على دمشق وسائر الحواضر العربية عدد من الصناع والمغنين والحواري والشعراء مما زاد  
 حركة الاعمال واحدث فيها حالة اجتماعية لم يعهدها الراشدون .

ومع كل ذلك بقيت للبدواة نزعة في نفوس الامويين . فلم يكن امرؤهم برغم  
 سياستهم التي كانت ترمي الى تعظيم البيت الاموي يترفعون عن معاشره رعاياهم ومخالطتهم  
 والسماح لهم بالكلام عندهم لا فقد نقل عن الوليد بن يزيد والفرع اخيه انها لما مات معبد  
 ( المغني المشهور ) مشيا بين يدي سريره حتى اخرج من دار الوليد <sup>(١٠)</sup> . وكان عبد الملك  
 اول خليفة منع الناس من الكلام عند الخلفاء . وتقدم فيه وتوعد عليه <sup>(١١)</sup> . ولا غرابة فقد  
 كان بعضهم يكلمه بما لا يكلم به الملوك ، كما روى الجاحظ عن رجل من بني  
 مخزوم وكان زبيرياً ، قال دخل على عبد الملك فقال له عبد الملك اليس قد ردك الله على

(١) المقدمة ٢٠٣ (٢) المقدم ٢-١٥٢ والمبرد ١-٣٩٢ (٣) القند  
 ٤-٣٢٧ خاية الارب ٤-٨٩ (٤) الاغاني ٤-١٨٦ (٥) المبرد ١-٣٩٣  
 (٦) الاغاني ( دار الكتب ) ١-٣٧ (٧) البيان والتبيين ٢-١٣ والفخري ٨٩



عقيقك ؟ فقال أو من رُدَّ اليك فقد رد علي عقبه ؟ فاستحى وعلم انه قد اساء<sup>(١)</sup> . ودخل كثير علي يزيد بن عبد الملك يسأله عن معنى بيت للشماخ فاستحقه واخرجه<sup>(٢)</sup> . ويثبت ذلك انهم كانوا حتى ايام الوليد يسمون خلفاءهم باسمائهم . قال اليعقوبي كان الوليد يقول لا ينبغي لخليفة ان يناشد ولا يكذب ولا يسميه احد باسمه ، وعاقب علي ذلك<sup>(٣)</sup> . وعن ابن خلدون انهم تجافوا عن القاب التعظيم مع الغضاضة والسذاجة لان العروبة في منازعها لم تفارقهم حينئذ ، ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة<sup>(٤)</sup> ، وقال كانت اعطيتهم اكثرها الابل اخذاً بذهاب العرب وبدواتهم ، ومثلهم كان عملهم .

وقد نقل ابن خلدون حديث الحجاج ووليته في اختتان بعض ولده ، قال فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائهم الفرس ، فقال شهدت بعض مرازية كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعاً احضر فيه صحاف الذهب على اخونة الفضة ، اربعاً على كل واحد ، تحمله اربع وصائف ، ويجلس عليه اربعة من الناس ، فاذا اطعموا أتبعوا اربعتهم المائدة بصحافها ووصفانها . فقال الحجاج وقد علم انه لا يستقل بهذه الابهة يا غلام انحر الجزر<sup>(٥)</sup> . ويظهر مما ذكره في موضع آخر ان نظامهم الحربي ظل بدياً فكانت اسفارهم لحروبهم وغزواتهم بظعونهم وسائر حللهم واحيائهم من الاهل والولد<sup>(٦)</sup> ومع ما درته الفتح عليهم من المال وما مهدت لهم من سبل الحضارة لم يخرجوا خروجا تاماً عن منازع البادية في حياتهم . الا انهم توسعوا كثيراً في الملاهي فتنظمت في الامصار المختلفة حركة الغناء واللعب على الالات ونشأت في المدن المختلفة ولاسيما مدن الحجاز مجالس خاصة وحلقات خاصة من مغنين ومغنيات اتخذت الغناء مهنة ترتزق بها . وقد بلغ ذلك منهم حتى صار فيهم دور خاصة للملاهي والمطالعة<sup>(٧)</sup> . في كتاب الاغاني ان عبد الحكم بن عمرو الجعفي اتخذ بيتاً في المدينة فجعل فيه شطرنجاً وزدات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار اوتاداً فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جرد دفتره فقرأه او بعض ما يلعب به ، فلعب به مع بعضهم<sup>(٨)</sup> . واذا قابلت ذلك بما كانت عليه المدينة ايام ابي بكر وعمر مثلاً تجد فرقاً كبيراً في اتجاه الافكار نحو الملاهي .

(١) البيان والتبيين ١-١٨٢ (٢) البيان والتبيين (س) ٢-١٩٦  
 (٣) اليعقوبي ٢-٣٤٨ (٤) المقدمة ٢٢٨ (٥) البيان والتبيين (س) ٢-١٩٢  
 (٦) المقدمة ٣٦٨ (٧) الاغاني (بولاق) ج ١٤-٥٢

اما في دمشق - عاصمة الدولة يومئذ - فقد كان الخلفاء انفسهم الا القليل منهم ينسبطون هذه الحركة . وكان يزيد بن معاوية اول من سن الملاهي في الاسلام من الخلفاء وآوى المغنين وشرب الخمر<sup>(١)</sup> . واشهرهم في ذلك سليمان بن عبد الملك<sup>(٢)</sup> ، ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد . وفي ايامهم كثرت الملاهي . ولم تنحصر في الخاصة بل تعدتها الى العامة ، فنشأت طبقة من المتخصصين في صناعة الطرب كان لهم اتباع يدبرونهم على الغناء والالات تدريجاً فنياً ، وظهر في الحجاز جماعة من المغنين بلغوا من الشهرة مبلغاً عظيماً - منهم :

ابن مسحج - (مكي) وابن محرز (مكي) وطويس (مدني) وابن سريج (مكي) ومعبد (مدني) وجميلة (وكانت معلمة القينات في المدينة) وعزة الميلاء وحنين والغريص واضرابهم من تجمد اخبارهم بالتفصيل في كتب الادب<sup>(٣)</sup> .

وقد رافق تقدم الغناء في هذا العصر تقدم الشعر الغزلي ، ولا غرو فهما ربيبا عاطفة واحدة . ومن الشعراء الذين عرفوا بالغزل والتشبيب وما الى ذلك من لهو ومجون

الاحوص وهو مدني من الارس

يزيد بن الطائية وهو شاعر بدوي

نصيب مولى عبد العزيز بن مروان وقد اشتهر ايضاً بالغناء .

عمر بن ابي ربيعة هو مشهور واختص شعره بوصف النساء وحاله معهن

العرجي وقد مر ذكره وكان شغوفاً باللهو والصيد والتشبيب

ومن طبقتهم كثيرون لا يتسع لهم المقام<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

ومن مظاهر التطور الاجتماعي ايام الامويين نشوء دور التعليم وازدياد عدد المتعلمين . فقد كان العرب في اول امرهم اميين ، الا افراداً قلانل بلغوا في الحجاز اول الدعوة الاسلامية سبعة عشر شخصاً<sup>(٥)</sup> . ثم اخذ عدد القراء والكتبة يتزايد كما قال ابن خلدون « لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا الممالك وتزلوا الكوفة والبصرة واحتاجت

(١) الاغاني ١٦-٧٠ (٢) المستطرف ٢-١٨٨

(٣) راجع كتاب الاغاني ج ١-١٥٢ ج ٣-٨٤ ج ٧-١٤٤ واماكن اخرى فيه . وخاية الارب للنويري ج ٤ ص ٢٣٢ - ٢٩٠ . والكامل ج ١-٣٩٤

(٤) وتجمد اخبارهم في الاغاني والشعر والشعراء ووفيات الاعيان وسواها

(٥) البلاذري ٣٧١

الدولة الى الكتابة، استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه، وتداولوه فترقت الاجادة فيه<sup>(١)</sup> وطبيعي ان تتقدم القراءة والكتابة، وان ينشأ في مساجد الحواضر حلقات تعليمية ويكون فيهم معلمون لصبيانهم. وقد ورد ذكر معلم الكتاب في شعر جرير اذ قال - « هذي دواة معلم الكتاب ». وفي اخبار الوليد بن عبد الملك انه مر بمعلم صبيان يعلم جارية الخ<sup>(٢)</sup>.

وذكر الجاحظ امثال الناس عن المعلمين. وفي دفاعه عنهم جعلهم ثلاث طبقات - مؤدبي اولاد الملوك - ومؤدبي الخاصة - ومعلمي كتاتيب القرى. و ذكر بضعة من كبار المؤدبين في العصر الاموي مثل الجهني والشعبي وعبد الصمد الاعلى وكيت بن زيد وقيس بن سعد وعطاء بن ابي رباح وعبد الحميد الكاتب والحجاج بن يوسف، يوم كان يعلم في الطائف<sup>(٣)</sup>. وبعبارة اخرى فرق بين الاساتذة المؤدبين وبين معلمي الكتاتيب الذين لم يبلغوا مكانة في العلم والتأديب. وقال ان امثال العامة قد تصدق على بعض هؤلاء الاعلى الطبقة الاولى التي ينتمي اليها كبار العلماء والفقهاء وقادة الافكار وقد نقل ابن قتيبة وصايا بعضهم لمعلمي العصر الاموي فلترجع<sup>(٤)</sup>.

ويدلك على انتشار التعليم في هذا العصر نشاط حركة النسخ والتدوين: ذكروا انه في معركة صفين رفعت نحو خمسة نسخة من القرآن<sup>(٥)</sup>. ومع انه لم يصلنا شي. بذكر مما دون في هذا العصر فلا شك ان التدوين سابق للعصر العباسي. ومن ادلة ذلك نقلهم الدواوين الاميرية الى اللغة العربية. ويجدثنا اليعقوبي ان زياد ابن ابيه كان اول من دون الدواوين ووضع النسخ للكتب<sup>(٦)</sup>.

وفي هذا العصر بدأت حركة النقل والترجمة واول من فعل ذلك خالد بن يزيد. ففي الفهرست نقل له الكيمياء. رجل اسمه اسطفان<sup>(٧)</sup>. ويقول ابن النديم ان سالماً كاتب هشام نقل بعض رسائل ارسطو وذكر كتباً في مواضع مختلفة دونت في هذا العصر. فما مر نستنتج ان احتكاك العرب بسواهم احدث فيهم ميلاً الى الاخذ عنهم، فزاد

(٢) البيان والتبيين ٢-١٦٤

(١) المقدمة (بيروت) ٢٢٠

(٣) البيان والتبيين ١-١٠١ (٤) عيون الاخبار (دار الكتب المصرية) مج ٢-١٦٦

(٥) المسعودي ٤-٣٧٨ (٦) اليعقوبي ٢-٢٧٨ (٧) الفهرست (ل) ٢٤٢ و ٢٤٤

فيهم عدد المتعلمين وكثر الاقبال على القراءة والكتابة، واصبح في كثير من المساجد مراكز تعليمية للعلوم اللسانية والدينية

على ان المدارس لم تكن قد تنظمت تماماً وذلك

١ لعدم توفر الادوات الكتابية وافتقارها

٢ لقصر مدة الامويين ولانشغالهم بالحروب والفتن

\*\*\*

وبقي الامر كذلك حتى قام العباسيون وانتقلوا الى بغداد ، ثم انصرفوا الى العلوم والمدارس، فتنظمت اسباب التعليم والتدوين والتصنيف ، وحدثت تلك الحركة الفكرية المشهورة

فالعصر الاموي عصر انتقال اجتماعي تطورت فيه نوعاً عادات العرب ومعارفهم ودخل اللغة كثير من المصطلحات الادارية والاجتماعية والعلمية التي لم يكن للجاهلية عهد بها<sup>(١)</sup>

### مضارة العصر العباسي

في هذا العصر بلغ التطور الاجتماعي اوجهه ويظهر ذلك في ما يلي :

١ - نشوء قومية عربية جديدة

٢ - عمران بغداد وسواها من الحواضر

٣ - اتساع الثروة وترف الخاصة

٤ - النهضة الفكرية العامة

ولتشرح كلاً من هذه الظواهر الاجتماعية ببعض التفصيل

### نشوء قومية عربية جديدة

واساس هذا النشوء (١) انتشار العرب في الامصار بعد الفتح (٢) امتزاجهم عن سبيل الزواج بعناصر اخرى (٣) تعرب الامم المغلوبة  
خرج العرب من الجزيرة العربية فاتحين فانثسروا في الاقطار التي افتمحوها كالعراق

(١) راجع امثلة ذلك في تاريخ اللغة العربية لزيدان ص ٢٠-٣٠

وفارس والشام ومصر وأفريقيا والاندلس وانشأوا فيها مستعمرات خاصة صارت بعدئذ مدناً عامرة كالبصرة والكوفة وواسط والانباء وبغداد والقاهرة والقيروان وسواها . وكانوا في اول امرهم يرحلون في اثر الفتوح قبائل وعشائر فيقيمون في الامصار ويتحضرون . والظاهر ان هذه الهجرة الى الامصار المغلوبة كانت من سياسة القادة والامراء . فقد ذكر البلاذري مثلاً ان ابا عبيدة رتب ببالس ( بناحية حلب ) جماعة من المقاتلة واسكنها قوماً من العرب الذين كانوا بالشام فاسلموا بعد قدوم المسلمين ، وقوماً لم يكونوا من البعوث تزعوا من البوادي من قيس<sup>(١)</sup> . وذكر ان مسلمة بن عبد الملك اسكن مدينة الباب في الخزر اربعة وعشرين الفا من اهل الشام<sup>(٢)</sup> ، وان هرثمة اختط الموصل واسكنها العرب<sup>(٣)</sup> . وقال المقدسي كانت تدعى اولاً خولان حتى وصل بها العرب عمارتهم ومصرها<sup>(٤)</sup> . وقد سبق هذه الهجرات الاسلامية الاولى الى الامصار المجاورة لبلاد العرب هجرات قديمة يدلنا على ذلك انه قبل الاسلام وجدت امارات وقبائل عربية في العراق وسوريا وفلسطين كاللخميين والغساسنة والتدمريين والانباط وسواهم . وكثير من هؤلاء القبائل تحضر واصطبغ بصبغة البلاد الدينية والاجتماعية

واستمر الامر على ذلك شطراً من الدولة العباسية . فقد بنى المنصور ملطية من شعور الروم ( وكان قد رتب فيها معاوية رابطة من المسلمين ثم خربت ) ، واسكن فيها اربعين الف مقاتل من اهل الجزيرة<sup>(٥)</sup> . وفي ايام المهدي غزا الحسن بن قنطرة بلاد الروم بجيش مؤلف من اهل خراسان والموصل والشام وامداد اليمن ومطوعة العراق والحجاز وبنى طرطوس ( وكانت قد خربت ) ومصرها<sup>(٦)</sup> . ومما يشعر بسياسة التمهيد هذه انه لما اراد المأمون غزو الروم قال اوجه الى العرب فآتي بهم من البوادي ، ثم اتزلم كل مدينة افتتحها حتى اضرب القسطنطينية . على ان الاجل لم يمهل ان يتم هذا الفتح<sup>(٧)</sup> .

ومن ذلك تحرك العصبية في الامصار المختلفة كربيعة ومضر ايام الوليد في خراسان ، والقيسية واليانية ايام المأمون في مصر ، وخم وجذام سنة ٢٥٧ هـ<sup>(٨)</sup> في فلسطين . ناهيك بمن كان قد رحل من العرب الى افريقيا والاندلس .

(١) البلاذري ١٥٠	(٢) البلاذري ٢٠٧	(٣) البلاذري ٣٣٣
(٤) احسن التقاسيم ١٣٩	(٥) البلاذري ١٧٨	(٦) البلاذري ١٦٩
(٧) اليعقوبي ٢-٥٧٣	(٨) راجع اليعقوبي ٢ و ٣٩٩ و ٣٦٧ و ٦٢٣	

والى انتشار العرب بعد الفتح واستقرارهم في الامصار يشير ابن خلدون في قوله -  
 «وكان قد وقع في صدر الاسلام الانتماء الى المواطن فيقال جند قَسْرين وجند دمشق  
 وجند العوام، وانتقل ذلك الى الاندلس . ولم يكن لأطراح العرب امر النسب، وانما كان  
 لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب .  
 ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها  
 من العصبية فأطرحت ، ثم تلاشت القبائل ودرث العصبية بدورها وبقي ذلك في البدو  
 كما كان» (١)

وإذا نظرت الى هذا الامتزاج من جهة اخرى تجد ان الجزيرة العربية لم تكن مركز  
 الملك العربي الأ نحواً من ربع قرن . ثم تحول الامر الى دمشق ببغداد ونشأت على اثر  
 ضعف الخلافة في بغداد حواضر لامارات مستقلة . ومعنى ذلك من الوجهة الاجتماعية ان  
 العنصر العربي الفاتح استقر قسم كبير منه بعد الفتح خارج الجزيرة حتى قدّر بعضهم من  
 دخل سوريا منه بنحو ربع مليون (٢) . ولا نستطيع ان نجزم بصحة هذا العدد ولكننا  
 لا نشك ان الفتح سهّل للعرب الانتشار والاستقرار في البلاد التي افنتحوها ولا يعقل ان  
 يحدث ذلك دون امتزاج او احتكاك قوي بالامم الاخرى . ففي الشام كان الروم والسريريان  
 واليهود، وفي العراق الاراميون والفرس، وفي مصر الاقباط، وسواهم في سوى ذلك . وقد  
 اتصل العرب بهذه الامم اتصالاً وثيقاً واختمروا بثقافتهم وحياتهم الاجتماعية . وكان اكثر  
 امتزاجهم بالفرس، او لا لاسراع هؤلاء باعتناق الاسلام، وثانياً لما كان لهم من التأثير  
 السياسي بعد ان اصبحت بغداد عاصمة الخلافة

وإذا تحريت ذلك من الوجهة اللغوية يتضح لك وجه الامتزاج - فان اكثر الالفاظ  
 المقتبسة اميونانية او فارسية . على ان اليونانية راجعة بالاكثير الى حياة اليونان العلمية والفلسفية  
 دلالة على ان الامتزاج كان عن هذا السبيل (٣) . اما الالفاظ الفارسية فمعظمها اجتماعي - وقد  
 تحررنا اكثر من مئة لفظة فارسية الاصل فوجدنا معظمها من باب الماكل والمشرب والملبس  
 والمفرش والملهي، ومن الادوات المنزلية والصناعية وما الى ذلك، مما يدل على شدة تأثرهم  
 من حياة الفرس الاجتماعية (٤)

(٢) La Syrie - Lammens 119-210 (٢)

(١) المقدمة ١٣

(٣) تجد كثيراً من هذه الالفاظ في الكتب الطيبة والعلمية لذلك العهد (٤) راجع المقتبسات

الاعجمية في شفاء الغليل للخفاجي وفي المرآة للجوالقي والالفاظ المرآة لآدي شير وسواها

وإذا نظرت الى البلدان العربية اليوم وجدت في الفاظها المعربة الحديثة قياساً منطقياً لما حدث في الماضي . فكثر الفاظها العلمية مقتبسة عن لغات اوربا الحديثة . اما الاجتماعية ففي العراق تكثر منها المقتبسات الفارسية والتركية ، وفي سوريا الايطالية والفرنسية ، وفي مصر التركية والاوروبية . وما وجود هذه الالفاظ الاً دلالة على احتكاك سكانها بالامم التي اقتبسوا عنها . وذلك ما حدث للدولة العربية في بغداد وسواها . وهذا الامتزاج اللغوي الاجتماعي طبيعي بين الشعوب تتبادل فيه الالفاظ كما تتبادل السلع . فكما ان العرب اخذوا اولاً عن الفرس والروم والسريان والاقباط الذين استقروا بينهم كثيراً من الفاظهم ومصطلحاتهم ، عاد هؤلاء فاحذوا من العربية ما لا يمكن حصره هنا ، ولاسيا الفرس الذين اصبحت لغتهم مزيجاً من الفارسية القديمة والعربية . وكذلك اخذ غيرهم كالترك والاسبان . وكل ذلك دليل على تبادل اسباب الحياة الاجتماعية . ويكون الاقتباس عموماً على احد سبيلين

(١) الامم المغلوبة من الامم الغالبة ✓

(٢) اللغات المتأخرة في نوع من انواع الحضارة من اللغات المتقدمة فيه ✓

### الامتزاج بالزواج

ولم تقف عملية المزج في الاقطار الاسلامية عند هذا الحد ، بل تعدتها الى ما هو اعرق . فقد اختلط الجنس العربي بسواه عن سبيل الزواج : اختلط اولاً بالامم التي اعتنقت الاسلام من فرس وترك وبربر وسواهم ، ثم بالامم الاخرى عن طريق السبيل والحواري . اللواتي لعبن دوراً مهماً في تاريخ الاسلام الاجتماعي . وقد كان الامويون اولاً يتعصبون ضد ابنا الاماء ولا يستخلفونهم : فقد اُتّب عبد الملك علي بن الحسين لتزوجه جارية ، وعيّر هشام زيد بن علي بن الحسين بقوله : انت الذي تنازعتك نفسك في الخلافة وانت ابن امة<sup>(١)</sup> . ولما تزوج ابراهيم بن النعمان بن بشير الانصاري يجيى بن حفصه مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين الف درهم قال قائل يعيره<sup>(٢)</sup>

لعمرى لقد جلّت نفسك خزبةً      وخالفت فعل الاكثرين الاكارم  
ولو كان جدّك الذان تتابعا      بيدرٍ لماراما صنيع الألامم

على ان ذلك لم يمنع حتى بعض الخلفاء الامويين من التزوج بالاماء . فكانت ام يزيد بن الوليد فيروزا شاهي ابنة شيرويه <sup>(١)</sup> ، وام يزيد بن عبد الملك شاهفريد بنت فيروز بن كسرى <sup>(٢)</sup> ، وكانت جدة مروان بن محمد كردية . اما بنو العباس فكثرت ذلك بينهم ، حتى كان كثير من خلفائهم ابناء اماء <sup>(٣)</sup> . منهم المنصور والرشيد وابراهيم بن المهدي والمأمون والمعتز والمستعين والمعتز والمهتدي والمقتدر والمكتفي والمستضي . والناصر ، وقس على ذلك سائر الطبقات حيث اختلط الدم العربي بسواه اختلاطاً واسع النطاق

### تعرُّب الامم المغلوبة

من هذه الامم من تعرَّب تعرباً جزئياً وقتياً كفارس والاندلس مثلاً ، ومنها من تعرَّب تعرباً كلياً دائماً كعصر والشام والعراق وشمالى افريقيا . وقد حدث هذا التعرُّب فيها تدريجياً : بدأ منذ الفتح الاولى وقبلها بهجرة العرب واشتد بنشر الاسلام ، ثم بتحول دواوين الحكومة ايام الامويين ، وبما كان للعرب او للمسلمين من امتيازات في المملكة الاسلامية . واخذت حركة التعرُّب تتقدم مع الايام حتى استقرت العربية في هذه الاقطار . والمشاهد ان ذلك جرى في الاقطار السامية الاصل او التي تمت الى الساميين بنسب متين ، اما في سواها فلم يكن الا جزئياً كما ذكرنا ولوقت معين . فلما زالت شوكة العرب زالت الصبغة العربية عنهم وبقي اثرها في لسانهم ومدنيتهم . وهكذا نشأ في الاقطار الاسلامية العربية ( ما نسميه اليوم بالشرق العربي ) قوميات شتى ، اجمعها جامعة معنوية قوية هي جامعة اللغة والثقافة . ( وليس من نسميهم اليوم ابناء العرب ( خارج الجزيرة العربية ) الا مزيجاً من عناصر شتى اصطبغت بالصبغة العربية وارتبطت بتاريخ العرب وميراثهم الادبي . وهذا الامتزاج القومي اللغوي التاريخي اثر في الادب العربي تأثيراً يَبِيناً ، فكثرت فيه المقتبسات الاجنبية ، واختمرت فيه الحياة الفكرية اختاراً ادى الى نشوء الحضارة العربية المعروفة في القرون الوسطى )

(١) عن الجاحظ ( راجع رسائل الجاحظ مطبعة السعادة مصر ص ٥١ )

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ( لزبدان ) ١٥٣-٤



## \* حضارة بغداد عاصمة العباسيين

كانت بغداد في أيام الفرس قرية يقوم بها سوق لهم ، فاغار عليها المشي فانتسفاها<sup>(١)</sup> ، ثم لم تلبث بعد ان اختارها المنصور العباسي مركزاً لدولته وبني فيها مدينته ، حتى زخرت بال عمران واصبحت من اعظم العواصم في القرون الوسطى . وانا نحن نذكرها هنا ذكراً خاصاً لعلاقتها الكبيرة بالشعراء الذين ندرس حياتهم وشعرهم ، ولأنه فيها تتجلى الحضارة العربية في ابهى ظواهرها

وقد مرت بنا في عرض كلامنا عن «العوامل السياسية في الدولة العباسية» ما كان من تنازع العناصر المختلفة في بغداد ، وان اهمها ثلاثة (١) العرب - ويمثلهم البيت المالك وبعض الامراء والعمال (٢) الفرس - ويمثلهم الوزراء والكتبة ومعظم رجال العلم ثم امراء الليليم المتغلبون (٣) الاتراك - وكان منهم امراء الجند ثم السلاجقة ورجالهم . في بغداد التقت عناصر شتى واجناس كثيرة تتنافس على السيادة والرزق وكان لهذا التنافس اثره في احوالها الاجتماعية . ولما كانت هذه المدينة عاصمة الخلافة والدولة ، ولا سيما في القرنين الاولين من العصر العباسي كان من الطبيعي ان تتدفق فيها اموال الاقاليم عن طرق شتى اهمها - الحياية والمصادرة والتجارة والزراعة . ولنتناول كلاً منها بقليل من الاسهاب .

## الحياية والمصادرة

بلغت رقعة المملكة العباسية في ابان قوتها حدّاً عظيماً من الاتساع فكان يجيى اليها بما وراء النهر الى المغرب الاقصى . قيل وقد حسب خراج الروم للمعتصم فبلغ اقل من ثلاثة آلاف الف . فكتب الى ملك الروم ان اخس ناحية ، عليها اخس عبيدي ، خراجها اكثر من خراج ارضك<sup>(٢)</sup> . واذا صحت هذه الرواية لم يكن المعتصم مبالغاً ، فقد ترك لنا قدامة بن جعفر قائمة مسهبة في الخراج لعهد المعتصم يبلغ مجموعها اكثر من ٣٨٨ مليون درهم<sup>(٣)</sup> . واحصى ابن خلدون الخراج ايام المأمون وفصله اقلياً اقلياً فاذا مجموعهُ يزيد على الاربعمئة مليون درهم<sup>(٤)</sup> . وكان الخلفاء في صدر الدولة العباسية مطلقي التصرف بالاموال

(٢) احسن التقاسيم للمقدسي ٦٣

(١) مرصد الاطلاع ١ - ١٦٣

(٤) المقدمة ١٧٩ - ١٨١

(٣) تاريخ التمدن الاسلامي ٢ - ٥٦

والارواح، تُجسب اليهم الاموال الطائلة فينفقونها في رجالهم وحاشيتهم وملاهيهم، ويختزنون منها ما يرونه حين الحاجة . فان المنصور خلف لابنه المهدي ما يزيد عن ٦٠٠ مليون درهم و١٤ مليون دينار<sup>(١)</sup> وخلف الرشيد نحو ٩٠٠ مليون درهم<sup>(٢)</sup>. هذا مع كل ما اشتهر به من السخاء والاسراف ، حتى قال الطبري عنه انه لم يُر خليفة اعطى منه<sup>(٣)</sup> . وكانت غلة امه الخيزران في العام ١٦٠ مليون درهم . اما عمال الخلفاء . ووزراؤهم فكانوا يحصلون الاموال الطائلة ويتبارون في انفاقها . فقد بلغت عمالة الفضل بن سهل ايام المأمون على ما رواه الطبري نحو ثلاثة ملايين درهم، ووهب الفضل بن يحيى البرمكي الف الف درهم لمحمد بن ابراهيم العباسي<sup>(٤)</sup> . والبرامكة مشهورون بكرمهم ورحمتهم ، وكانوا اصحاب الدولة والمجد حتى نكسبهم الرشيد واستصنى اموالهم ، على ان الكرم والفتى لم ينحصرا فيهم . ومن يراجع اخبار الوزراء والعمال يدعش لكثرة ما كان يصلهم من المال ، وما كانوا ينفقونه في سبيل مآربهم ومذاتهم . جاء في سراج الملوك للطرطوشي ان العامل ايام عمر بن الخطاب كان راتبه ٦٠٠ درهم في الشهر ، فصار العمال ايام الامويين يتقاضون الرواتب الكبيرة . على انهم لم يبلغوا عموماً مبلغ زملائهم في العصر العباسي .

ولم يكن هذا المال عن طريق الحياة المشروعة فقط بل كان للمصادرة شأن كبير في العصر العباسي . والمصادرة مال يقبضه السلطان من الوزير وهذا من العمال والعمال من الرعية . وقد بلغت في الدولة العباسية ان انشأوا لها ديواناً خاصاً . واخبار بني العباس حافلة بذكر المصادرات ، وكذلك اخبار وزراءهم وعمّالهم . من امثلة ذلك قائمة ما قبضه ابن الفرات وهي اغوذج لانواع المصادرة ومقاديرها ويبلغ مجموعها ملايين الدراهم<sup>(٥)</sup> . وقد نال ابن الفرات من ذلك ما نال سائر الكبراء . فقد قال عن نفسه تأملت ما صار الى السلطان من مالي فوجدته عشرة آلاف الف دينار ، وحسبت ما اخذته من الحسين بن عبدالله الجوهرى بن الجصاص فكان مثل ذلك . واليك امثلة اخرى مما يرويه اليعقوبي : سخط المتوكل على الفضل بن مروان وقبض ضياعه وامواله ونفاه ، ثم رضي عليه ورده ، وسخط على احمد بن خالد المعروف بابي الوزير فاستصفى ماله ثم رضي عليه . ولما سخط على الكتاب قال لاسحق بن ابراهيم انظر لي رجلين احدهما لديوان الخراج ، والاخر لديوان الضياع ( المصادرة ) ، ثم يذكر ما فعله هذا الخليفة بايتاخ التركي وهرثة عامل مصر ، ويقول : ووجه الى فارس

(١) السعدي ٦-٢٣٣ (٢) ابن الاثير ٦-٧٦ والطبري جم ٣-٧٦٤ (٣) الطبري

جم ٣-٧٤١ (٤) الفخري ١٥١ (٥) راجع عصر المأمون للرفاعي ١-٤٣١

بالحسين بن اسماعيل مكان عمه محمد بن ابراهيم، وامره ان يعذبه حتى يستخرج الاموال التي صارت اليه، فعذب حتى مات. وفي مكان آخر يذكر قبضه ضياع ابن ابي دؤاد وامواله، وانه احضر الى بغداد فلم يقيم قليلاً حتى مات<sup>(١)</sup>. وفي الفخري امثلة كثيرة على هذه المصادر، منها مصادرة المعتد للوزير ابي الصقر بن بلبل، وام المقتدر لكتابها ابن الخصيب، وابن الفرات لابن مقلة على مئة الف. قال وفي ايام المقتدر وايام وزيره ابي القاسم كثرت المصادر ولم ينج الوزير نفسه منها فصادره الخليفة وابعده. واعجب من ذلك ما فعله القاهر باهات اولاد المقتدر، وخاصة بام المقتدر. فقد عذبا وصادر منها مئة وثلاثين الف دينار<sup>(٢)</sup>. هذا عدا ما صادره الاتراك والديلم وكثير من الوزراء وكبار العمال مما لا يسعه هذا المقام<sup>(٣)</sup>.

! (وكانت هذه الاموال الوفيرة ينفق اكثرها في بغداد فليس من الغرابة ان نسمع عن كثرة البذخ والسخاء في دوائر الخلفاء والامراء<sup>(٤)</sup>). وقد تناول زيدان في تاريخ التمدن الاسلامي<sup>(٥)</sup> نفقات الدولة العباسية، وبعد ان بحث فيها باسهاب ونقل ما نشره فون كريمير عن احمد بن محمد الطائي، وما اشترطه هذا على نفسه ان يقدمه من ضمانه لبيت المال (وفيه ما كان ينفقه بيت المال ايام المعتضد)، وجد ان مجموع النفقات كانت نحو مليونين ونصف مليون دينار في السنة، باعتبار سبعة آلاف دينار لكل يوم؛ فاذا حسبنا ان النفقات كانت متقاربة ايام المأمون والمعتصم والمعتضد، واخرجنا ذلك من معدل ارتفاع الجباية كما اوردها ابن خلدون وقدامة، استنتجنا ان نحواً من ٣٠٠ مليون درهم كانت تبقى في بيت المال يتصرف بها الخليفة كما يشاء. فهل يستغرب او ينكر بعد هذا دفعهم (حتى في ايام ضعفهم) الوف الدنانير للشعراء والمغنين والعلماء، او في سبيل الجواري وسائر الملاهي التي اشتهروا بها، وراحت سوقها في زمانهم؟ وايضاحاً لذلك تنقل بعض امثلة من بذخهم

### ملايين الموقس والمكثفي

اشتهر هذان الخليفان بكثرة ما جمعا من الاثواب وبكثرة التأنق في اللبس حتى كان

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ من ٥٩٢ - ٥٩٧ (٢) كتاب الفخري من ١٨٨ - ٢٠٣

(٣) راجع امثلة ذلك في تجارب الامم لسكويه في اخبار سنة ٣٥٠ و٣٦١

(٤) راجع مثلاً لذلك بذخ المتوكل - المسعودي ٧-٢٧٦ (٥) ج ٢ ص ٦٥-٧٢

للسوفق ستة الاف ثوب من جنس واحد<sup>(١)</sup>، وكان للمكتفي من الاثواب ما يبلغ عشرات  
الالف<sup>(٢)</sup>

### هو اهر المضرب واسرافه

كانت خزانة الدولة في ايامه مترعة بالجواهر ، من جملتها حجر الياقوت الذي اشتراه  
الرشيد بثلاثمائة الف دينار ، والدرة اليتيمة التي كان وزنها ثلاثة مثاقيل الى غير ذلك من  
الجواهر النفيسة، ففرقه جميعه واتلفه في ابسرد مدة<sup>(٣)</sup> . ولا عجب فقد كان له احد عشر الف  
خادم من الروم والسودان وهم بمثابة حاشيته وحرسه .

### بنوخ ام جعفر وام المنيعين

ذكر المؤرخون، انه كان لام المستعين بساط فيه نقوش على اشكال الحيوانات والطيور  
اجسامها من الذهب وعيونها من الجواهر، وقد قدروا قيمته بنحو ١٣٠ الف دينار<sup>(٤)</sup> .  
وذكر ابن خلكان ان ام جعفر البرمكي كانت في ايام عزها توشي ووراها اربعمئة وصيفة،  
وقد يكون في ما ذكره مبالغة ولكنه يشير الى غنى وافر وبذخ عظيم

### الرهابي والرئيد والوائق ومطربوهم

قيل ان الهادي اعطى ابرهيم الموصل في يوم واحد ١٥٠ الف دينار<sup>(٥)</sup>  
وغنى ابن محرز في حضرة الرشيد بابيات مطلعها « واذكر ايام الحمى ثم انشئ الخ »  
فاستخف الرشيد الطرب وامر له بثمة الف درهم ، وفعل مثل ذلك لدحمان الاشقر<sup>(٦)</sup> .  
وهبات هذا الخليفة لندمانه وشعرائه اكثر من ان تحصى هنا . واقتدى الواثق بجدّه فوهب  
اسحق وقد غنى في حضرة مئة الف درهم<sup>(٧)</sup>

(١) الفخري ١٨٦

(٢) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ٥ - ١٠٧

(٣) الفخري ١٩١ (٤) المستطرف ١ - ١٩١

(٥) الاغاني ٥ - ٦ (٦) المستطرف ٢ ص ١٨٢ - ١٨٤ (٧) المستطرف ٢ - ١٨٥

## «لؤلؤم والافراح والماكن»

ذكروا ان المال الذي انفق يوم زفاف بوران الى المأمون على القواد فقط بلغ نحواً من خمسين الف الف درهم<sup>(١)</sup>

وذكر صاحب التكملة ان ابا الفضل الشيرازي عمل دعوة انفق فيها الف الف درهم ووهب فيها جواري وغلماً وضياعاً الخ

وفي يوم زفاف ابنة القاسم بن عبيد الله الى احمد بن المكتفي انفق ما يزيد على عشرين الف دينار<sup>(٢)</sup>

اما المساكن فنكتفي منها بذكر دار الوزير ابن الفرات التي انفق عليها منتي الف دينار ، ومثلها دار ابن مقله<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وانا هذه امثلة قليلة سقناها لنوضح ما نحن بصدده من توفر المال لدى الخاصة ولا سيما قبل انحلال الدولة . وفي اخبار العباسيين ورجالهم مما تجده في تضاعيف كتب الادب والتاريخ ما يملأ صفحات عديدة . ولم يكونوا يستطيعوا القيام بهذه النفقات الطائلة وهذه الابهة العظيمة ( مهما كان مبالغاً فيها ) لولا تدفق الاموال عليهم من الاقاليم المختلفة ، حتى في ايام ضعفهم وخروج السلطة من ايديهم بقي لهم حظ وافر من المال : فان البويهيين لما استولوا على الامر ببغداد عينوارتبا للخليفة خمسة آلاف درهم كل يوم<sup>(٤)</sup> . وفي سنة ٥٣٣٤ هـ عين للمطيع الف الف درهم<sup>(٥)</sup> ، وهو مبلغ كبير اذا قيس برواتب الحكام اليوم . ولم يكن ما يقبضه الخليفة المستضعف يومئذ الا شيئاً يسيراً بالنسبة الى ما كان يتقاضاه صاحب الامر وعائلته . وهذه الاموال الطائلة كان ينفق اكثرها في بغداد ، وكان نصيب الادب منها وافراً ، ولما تجزأت المملكة الى امارات مستقلة لم يتغير الحال كثيراً على الادباء والعلماء وارباب الفنون ، اذ اصبحت حواضر هذه الامارات تنافس بغداد في الفنى والبذخ والانفاق على العلم والادب ، وان لم تبلغ ما بلغته العاصمة الكبرى في ابان مجدها

(١) الطبري جم ٣-١٠٨٣ وترتيب الاسواق ٣-١١٧

(٢) صلة الطبري آخر اخبار سنة ٣٠٦ (٣) صلة الطبري اخبار سنة ٣١٨

(٤) ابن الاثير اخبار سنة ٣٣٤ (٥) تجارب الامم اخبار ٣٣٤

## العمران التجاري والزراعي

لم تكن بغداد مركزاً للخلافة والسلطنة فحسب بل كانت مركزاً كبيراً للتجارة، أيضاً، ساعدها على ذلك مركزها الجغرافي على نهر كبير صالح للملاحة وانها في نقطة وسطى بين الشرق والغرب . والمعروف ان المسلمين كانوا في العصر العباسي سلاطين البحار تختر سفنهم الى سومطره وزنجبار وكالكتا<sup>(١)</sup> وجزائر الهند والصين<sup>(٢)</sup> ومدغسكر، وتجوب البحر المتوسط الى الاندلس وسواها . وقد تركوا اثر تفوقهم التجاري في المصطلحات التي اقتبستها لغات العرب عنهم - مثل

Garracca	حرآقة	Cable	حبل السفينة
Tarif	تعريفة	Amiral	امير البحر
Musaline	موصلين	Arsenal	دار الصناعة
Damask	دمقس		

وما اشبه من الالفاظ التي دخلت اوربا عن طريق التجارة<sup>(٢)</sup>

ويوازي اساطيلهم التجارية في الاهمية قوافلهم البرية التي كانت تحمل المتاجر من كل الجهات وقد ذكر المقدسي في احسن التقاسيم انواع التجارات من الاقاليم المختلفة واهمها -

الياقوت والاماس والعقاير والارز	من الهند
اللؤلؤ	من البحرين
المنسوجات	من ايران
الحصر والقباطي والقراطيس	من مصر
الزجاج والخزف	من البصرة
المسك والكافور	من الصين
الزقيق الابيض	من تركستان والاندلس وبلادالصقالبة وسوها
الزقيق الاسود	من السودان

وغير ذلك من المتاجر الواسعة التي لا يتسع المقام لذكرها . ولا شك انه كان لبعضهم

(١) ترجم مؤخرآ في روسيا كتاب صيني يرجع الى القرن الحادي عشر معظمه عن تجارة الصين مع العرب - راجع كتاب زويمر A moslem seeker After God p. 30 وفيه انه وجد مسكوكات كوفية في اسكندنافيا ترجع الى القرن الحادي عشر

(٢) راجع كتاب فون كريمر 362 The Orient Under The Caliphs. Tr. Bnkhsh

يند كبرى في التجارة، فان جوهرياً من الكرخ ساومه يحيى البرمكي على سفظ من الجواهر  
تبلغ سبعة ملايين درهم<sup>(١)</sup>. وقد عرف من كبار التجار آل الجصاص (مر ذكرهم في باب  
المصادرة)، والشريف عمر : ذكر ابن الاثير ان دخله السنوي كان الف وخمسة  
الف درهم . وكانت ثروات بعض تجار المراكب في البصرة تقدر بالملايين . وقد دفعت  
التجارة بعضهم الى اقصى البلاد : ذكر المقرئ ان علي بن بغداد البرمكي قدم الاندلس  
تاجراً سنة ٣٣٧<sup>(٢)</sup>. وامثال هذا التاجر كثيرون ممن كانوا يرحلون من الشرق الى الغرب  
وبالعكس . وكان لبغداد نصيب وافر من ذلك تعكسه لنا بعض قصص الف ليلة وليلة،  
فهي وان تكن اساطير لا صحة لها تمثل روح العصر الذي بلغت فيه بغداد والبصرة اوج  
حضارتها التجارية

اما الزراعة فقد كانت ايام العباسيين على درجة عظيمة من الارتقاء : فانهم على ما  
يستدل من اخبارهم جعلوا همهم احتقار الانهر وانشاء الجسور والترع ، حتى جعلوا ما بين  
دجلة والكوفة سواداً مشبكاً غير ميمر تحترقه انهار الفرات<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر المؤرخ مسكويه  
في عرض كلامه عن عضد الدولة تلافيه بغداد بالعمارة بعد ان خربت لكثرة الفتن والمصادرات  
والاضطرابات . قال « وكان ببغداد انهار كثيرة (ذكر منها نحو عشرة بعضها من دجلة  
وبعضها من الدجيل ) فاندفنت مجاريها وعفت رسومها الخ ، ثم ذكر مصالح السواد وتعمير  
القناطر على انهاره وحماية مزارعه وما بلغ بهمة عضد الدولة من العمران بعد الخراب<sup>(٤)</sup> .  
وفي كل ذلك اشارة الى عهد زراعي راقد عرفته بغداد والعراق عموماً ايام زهر الخلافة .  
ومثل ذلك في كتاب القاضي ابي يوسف الى هارون الرشيد كما نقله فون كريبير في كتابه  
«الشرق تحت حكم الخلفاء»<sup>(٥)</sup>. فان ابا يوسف يذكر من واجبات الحاكم تعمير الاقنية  
للري وتنظيف الانهر التي تحمل المياه من الفرات والدجلة الى السواد ، وما الى ذلك من  
الجسور والسدود والقناطر والملاحة . ويؤيد ما ذكرناه من هذا العمران الزراعي ان  
ارتفاع اخراج من السواد ايام المعتصم (كما في قائمة قدامة بن جعفر) بلغ من القمح والشعير  
نحو ثلث ارتفاع الاقاليم كلها اي حوالي ١١٥ مليون درهم، وبقي على هذه النسبة الى اواسط  
«القرن الثالث الهجري (راجع قائمة ابن خرداذبه) . وليس ذلك دليلاً على ثقل الجبايات

(٢) فتح الطيب ٢ - ٨٢

(١) راجع المتطوف ديسمبر ١٩٣٠ ص ٥٣١

(٣) تجارب الامم اخبار سنة ٣٦٩

(٤) الاصلطخري ٨٥

(٥) النسخة الانكليزية ٣٣٨ (ترجمة Bukhsh)

فقط، ولكن على عمارة الارض ايضاً وتمكن الناس من القيام بما يتطلب منهم للدولة .  
ولم ينحصر هذا العمران الزراعي في السواد ، بل زاره ايام عزّ العباسيين في اقاليم اخرى  
كخراسان ومصر وسواهما

(فالتجارة والزراعة، وبما كان يجبي الى بغداد ايام عزّها ، توفرت فيها اسباب العمران  
حتى فاقت سواها واصبحت عروس الحواضر في القرون الوسطى) او كما قالت دائرة  
المعارف الاسلامية ( في كلامها عن بغداد ) انها بلغت في ايام زهوها المقام الاول بين المدن  
في العالم المتمدّن يومئذ . وقد زارها ايام المستنجد السائح اليهودي بنيامين الطليطلي وقال  
عنها ( ولم تكن يومئذ في ابان مجدها ) « انها اخر مدن العالم لا يقابلها الا القسطنطينية <sup>(١)</sup> »  
وزارها الرحالة ابن جببر الاندلسي سنة ٥٨٠ هـ في اواخر العصر العباسي وقال عنها  
« واما حماماتها فلا تحصى عدّة : ذكر لنا احد اشياخ البلد انها بين الشرقية والغربية نحو  
الانبي حمام وكذلك مساجد لا يأخذها التقدير ، والمدارس فيها نحو الثلاثين وما فيها من  
مدرسة الا ويقصر القصر البديع عنها ، واعظمها واشهرها النظامية » . الى ان يقول  
« فشان هذه البلدة اعظم من ان يوصف واين هي مما كانت عليه - هي اليوم داخلة تحت  
قول حبيب ( ابي تمام )

لا انت انت ولا الديار ديار خفّ الهوى وتوتّ الاوطار <sup>(٢)</sup>

ويحق لابن جببر ان يقول ذلك متأسفاً نادياً عمران بغداد . فقد ذكر الخطيب البغدادي  
بغداد في ايام المأمون وقال كان فيها خمسة وستون الف حمام <sup>(٣)</sup> . ويظهر لنا في ذلك بعض  
المبالغة ، ولكنه مهما كان ، فهو يدل على عظمة المدينة واتساع عمرانها حتى لقد قدّرت  
مساحتها بنحو ستة عشر الف فدان ، وعدد سكانها بنحو مليون ونصف او اكثر <sup>(٤)</sup>  
ولم ترتق هذا الارتقاء العظيم في مدة لا تتجاوز الستين سنة الا لانها كانت مركز  
دولة تسيطر على اقاليم وشعوب تضارع ما كانت عليه الدولة الرومانية في عنفوان قوتها .  
ويؤيد ذلك ما نجده من وصف اقاليمها في كتب الاصلطخري وابن حوقل والمقدسي وابن  
جببر وابن خرداذبه وقدامة وسواهم من ارباب الرحلات وكتب الخراج

(١) Coke - Bagdad the City of Peace ١٣٤ (٢) رحلة ابن جببر (مصر) ٣٠٧

٢٠٨ (٣) نقل ذلك زيدان عن ابن خلدون وعن سير الملوك (راجع تاريخ التمدن

الاسلامي ج ٢ - ١٩٠) (٤) تاريخ التمدن الاسلامي ٣ - ١٩٠



## بعض صور اجتماعية بعكسها الادب العباسي

١ - كثرة الجواري والقلبان - من نتائج المال والترف في العصر العباسي اقتناء الجواري والقلبان . وكان في بغداد - كما كان في البصرة وسواها من الحواضر الكبرى - سوق لبيع الرقيق من عبيد واماء : حكى عن ابي دلامة الشاعر انه مر بنجاس يبيع الرقيق فرأى عنده من كل شي . حسن فانصرف مهموماً ودخل الى المهدي فانشد قصيدة منها -  
ان كنت تبغي العيش حلواً صافياً فالشعر أعزبهُ وكن نجاساً<sup>(١)</sup>

وذكر الاصفهاني انه كان للرشيذ زهاء ألفي جارية<sup>(٢)</sup> ، وعن المسعودي كان للمتوكل اربعة الاف جارية<sup>(٣)</sup> . ولم يقصر الفاطميون في مصر عن العباسيين في بغداد . فقد كان في قصر اخت الحاكم بامر الله ثمانية آلاف جارية<sup>(٤)</sup> . ومثل هؤلاء ملوك الاندلس وسواهم ، على ان ذلك لم ينحصر في قصور الملوك والامراء ، بل تعداهم الى منازل الخاصة وارباب اليسار من تجار وملاكين وعلما ، ومن يليهم من طبقات الشعب . وكانت ائمان الجواري تختلف من عشرات الدنانير الى الالوف . وقد يبلغ الشغف ببعض الامراء ان يدفع مئات الالوف من الدراهم في سبيل احداهن . وكانوا يتهادون الجواري ، فقد اهدى طاهر الى المتوكل هدية فيها ٢٠٠ وصيفة ووصيف<sup>(٥)</sup> ، بل كانت الامراة احياناً تهدي زوجها بعض الجواري كما فعلت زبيدة مع الرشيد<sup>(٦)</sup> . وقد بلغ اهتمامهم بتثقيف الجواري والقلبان وتعليمهم مبلغاً عظيماً اذ كان ذلك يزيد ائمانهم ويأتي بالربح الى المتشجرتين بهم

ومع اننا نجد في العصر العباسي بعضاً من النساء الرقيقات علماً وثقافة ، واننا نجد في كتب التاريخ شواهد على انه كان يتاح للفتاة ان تتعلم كالفتى ، لا نجد الادب العباسي يعكس لنا من حالة المرأة ما يجعلها في مقام رفيع : خذ الشعر مثلاً تجده من هذا القبيل نوعين - الهزلي والجدي . فالهزلي كشعر ابي نواس واضرا به اكثره مقرون بحياة الجواري اللواتي كن يشترين ويتهادى بهن ، وهو يصور لنا عبت الشباب الماجن . اما الجدي كشعر المعري فمشائم ينظر الى المرأة في المنزل نظرة سوداء ، ولعله متأثر مما بلغته من التأخر

(١) الاغاني ٩-١٣٣ (٢) الاغاني ٩-٨٤ (في اخبار علية) (٣) مروج الذهب ٧-٢٧٦

(٤) خطط المقرئ ج ٢-٣٣٣ (٥) المسعودي ٧-٢٨١

(٦) الاغاني ١٦-١٣٣ (في اخبار دنانير)

الاخلاقي بعد ان زاحتها الجارية فاعتقلت وحيل بينها وبين الرقي العلمي والادبي . ويظهر ذلك في الادب المنشور كما يظهر من الشعر ، ولا يستثنى من هذا الحكم الاً قلائل لا يبني عليهن حكم عام .

ومما يذكر هنا ما بلغه بعضهم من التهتك والانحطاط الاخلاقي الاجتماعي ، حتى صاروا يستخدمون الغلمان كالجواري ، ومن ذلك نشأ غزل المذكر كما نراه في شعر بعض من مهتكي ذلك العصر

٢ - مجالس الشرب والغناء . توفرت في الحواضر ولاسيما بين الخاصة في بغداد مجالس الشرب ، ولم تكن تخلو منها قصور الحكام . وكان بعضهم يتذرع الى ذلك - على مناقضته لاوامر الدين - بان الشرع حلل نبيذ الخمر . وعليه بنى ابن خلدون دفاعه عن الرشيد اذ قال « وانما كان الرشيد يشرب نبيذ الخمر على مذهب اهل العراق ، وفتاويهم فيها معروفة . واما الخمر الصرف فلا سبيل الى اتهامها بها ولا تقليد الاخبار الواهية فيها . الى ان يقول . « وحال ابن اكرم والمأمون في ذلك حال الرشيد ، شراهم انما كان النبيذ ، ولم يكن محظوراً عندهم »<sup>(١)</sup> . على ان شرب الخمر على انواعها كان شائعاً كما يتبين من درس الشعر العباسي ، وكذلك مجالسة الندما . والمغنين والقينات . ولم يكن ذلك بدعة في الدولة العباسية ، فقد سبقهم الى ذلك الامويون ، وახبار يزيد والوليد وسليمان وغيرهم كافية للدلالة على ما ذكرناه . فبعد ان كان المسلمون ايام الراشدين يتحرجون من الخمر ويعاقبون شاربها ، اصبحوا بعد ذلك يرون في بعض خلفائهم وزعمائهم ما يسهل لديهم معاقبتها : نعم ظلت الشريعة نافذة في حد السكارى ، ولكن ذلك لم يمنع الناس من تعاطي المسكر وارتياح الحانات . ومها كان من المبالغة في ما ينقلونه عن الهادي والرشيد والامين والواثق والمتوكل ، ومن جرى مجراهم من الملوك او نادمهم من الشعراء والمغنين ، فاجماع اكثر المؤرخين على شربهم الخمر وبلوغ بعضهم من ذلك درجة التهتك ، حتى روى الابشيهي ان الواثق كان يرقد في المكان الذي يشرب فيه ، ويرقد معه نداماؤه<sup>(٢)</sup> . وكان الشراب عادة مقروناً بالغناء ، ففي كل مجلس طرب عند الخاصة يحضر اولو الفن فيغنون او يرقصون ، ويشرب الحاضرون ، ويقضون وقتهم على ذلك . ومن امثلة ذلك ما نقله ابن الاثير عن الامين انه امر يوماً قتيمة جواريه ان تهني له مئة جارية فتصعد اليه عشراً عشراً بايديهن

العديدان يغنين بصوت واحد<sup>(١)</sup> . وكتب الادب ملأى باخبار المغنين والمغنيات ، وما كان يبذل لهم من الاموال الطائلة ، وسنلم بشي . من ذلك في كلامنا عن الشعراء .

٣ - نشوء حركة زهدية مضادة اترف العصر ، وسنتكلم عليها في غير هذا المقام ✓  
 ٤ - التائق في الفنون الحضرية . ويدخل تحتها تشييد المنازل ونسج الثياب والمفروشات ، وطهي الطعام وبناء المراكب وصنع الآلات الموسيقية ، وما الى ذلك من اسباب الحضارة . وقد بلغت البلدان الاسلامية من ذلك في العصر العباسي مبلغاً عظيماً : يدل ذلك على ذلك وصف القصور والمساجد التي كان يبنيها الملوك والامراء في الخواضر الكبرى ، مما يعكسه لنا الشعر العربي في ذلك العصر كما سترى عند كلامنا عن الشعراء . وكذلك وصف الولايم والرياش وسائر اسباب الحضارة الصناعية : ذكر ابن خلدون انه كان للملوك دور في قصورهم لنسج اثوابهم تسمى دور الطراز ، وكان القايم عليها ينظر في امور الصناعات فيها وتسهيل آلتهم واجراء ارزاقهم<sup>(٢)</sup> . ولما احتك الصليبيون بالشرقيين وجدوا في رقي الشرق الصناعي والاجتماعي والزراعي ما حادهم الى اقتباس كثير من فنونه وعوائده ، وقد رجعوا الى اوروبا يحملون معهم من الشرق ما كان له تأثير في نهضة اوروبا الاجتماعية في القرون الوسطى - كترية دود الحرير وصناعة النسيج والسجاد والسكر والزجاج والحرف والبارود ) وما الى ذلك مما نتجده مفصلاً في المباحث الخاصة عن الحروب الصليبية<sup>(٣)</sup>

٥ - انتشار المدارس والعلوم ذكرنا قبلاً ان الامية كانت سائدة في العرب قبل الاسلام ، وانهم اخذوا بعد ذلك يحطون في سبيل الثقافة ، وما عتموا ان انشأوا حلقات العلوم الدينية والفقوية في المساجد والكتاتيب البسيطة في القرى . ولما استقر الامر للعباسيين زادت حركة التعليم والتثقيف وتنظمت دور العلم في الامصار المختلفة ، ولاسيا في بغداد ومصر : قال المقرئ « والمدارس مما حدث في الاسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانا حدث عملها بعد الاربعمئة من سني الهجرة »<sup>(٤)</sup> ، ثم يذكر بعض المدارس المهمة ويتناول مدارس مصر خاصة فيصفها مدرسة مدرسة . ولا شك ان المقرئ يعني بالمدارس هنا مؤسسات تعليمية خاصة توقف لها الاوقاف والاموال ، وتجري على نظم معينة كالنظامية في بغداد ، ودار العلم والازهر في مصر ، والآ فان التعليم سابق للدولة العباسية ،

(٢) المقدمة ٢٦٧

(١) ابن الاثير ٦ - ١٠٠

(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية تحت Crusades (٤) المقرئ ج ٢ - ٣٦٣

ولكنه لم ينتظم إلا ما بعد القرن الرابع الهجري . واهم مراكز التعليم في العصر العباسي بغداد ودمشق ومصر والكوفة والبصرة وقرطبة والقدس ، وياها حلب وطرابلس ومدائن كثيرة من امصار مختلفة<sup>(١)</sup>

\*\*\*

ومن اسباب الرقي العلمي في هذا العصر تلك الحركة الكبيرة - اعني حركة النقل العلمي عن اليونان والفرس والهنود التي عرفت اهل العربية بالعلوم الكونية القديمة واخرجت منهم بعدئذ مشاهير في الطب والفلسفة والفلك والرياضيات والجغرافيا وسواها . ولما كنا قد خصصنا الفصل التالي للبحث في هذه الحركة الفكرية فاننا نجتزئ هنا بالاشارة اليها وبذكر ظواهرها العامة وهي -

١ - تنافس الامراء في العالم الاسلامي على بناء المدارس والكليات والسخاء عليها .  
٢ - نمو حركة النسخ والتدوين وازدياد عدد الكتب وانتشارها<sup>(٢)</sup>  
٣ - انشاء المكاتب العامة والخاصة

٤ - حظوة العلماء والادباء لدى الملوك والامراء

٥ - الرحلات العلمية من الاندلس الى الشرق وبالعكس

٦ - المذاهب الفكرية المختلفة ونشاط اربابها في الدفاع عنها

٧ - اختار العقلية العربية بالعلوم الطبيعية والفلسفية

كل ذلك احدث في العصر العباسي تجديداً ظاهر الاثر في الشعر الذي يمثل تآثر الامة به ، يحيط بها من اسباب العمران



(١) راجع هنا القائمة التي نظمها خليل طوطح في كتابه The Contribution of the Arabs to Education 23

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون في صناعة الوراقة

## مجاري الحركة الفكرية

ليس للحركة الفكرية في امة من الامم منبثق خاص تتدفق منه تدفق ينبوع من جوانب التلال . بل هي كسيول الاودية تمدّها المياه القليلة المتحدرة من هنا ومن هناك فلا تلبث ان تصير عجاجة شديدة الشكيمة . (كذلك حياة العرب الفكرية كثيرة الاصول متشعبة الروافد) وهيئات ان نحاول الآن البحث عن كل اصل وكل رافد منها فانها متصلة بظلمات يتيه فيها الاستقراء العلمي والقياس المنطقي . فما تاريخها الذي نبسطه هنا الا وصف اجمالي للمجاري الكبرى التي تمثل لنا طور البلوغ في حياة الناطقين بالعربية على اننا لا نرى مندوحة عن القاء نظرة الى الماضي العريق في القدم لنطلع على بعض العوامل الرئيسية التي كان لها يد في ترقية هذه الحركة الفكرية العربية ، فنربط الماضي بالحاضر ربطاً يسهل لنا فهم مبادئها والنظر في رجالها، ما اخذوا وما اعطوا . وذلك ما حدانا الى ان نجعل كلامنا في مبحثين رئيسيين

- ١ - المصادر الرئيسية التي استمدت منها العربية مجاريها الفكرية
- ٢ - وصف بعض المجاري الكبرى مما له اثر يذكر في الادب العربي

### في المصادر الرئيسية

وهو يتناول ما استمده العرب من فلسفة اليونان ومن الحركات الفكرية في الهند وايران وهو بحث واسع نلخصه لطلاب الادب فيما يلي استناداً الى مراجع تذكر في حينها .

### المصدر اليوناني

كان الجو الذي ظهرت فيه النهضة العربية ( الاسلامية ) مشعباً بالنظريات اليونانية . فمنذ اغار الاسكندر على آسيا زاحقاً الى الهند، اخذت العلوم اليونانية تنتشر في الشرق<sup>(١)</sup>، وتحتّر عقول المفكرين ببيادى الفلسفة الذين انجبتهم بلاد اليونان ولما نهض الرومان

ومدوا رواقهم على شاطئ البحر المتوسط - على البلدان التي ورثها خلفاء الاسكندر -  
 قضوا على سيادة العنصر اليوناني السياسية، لكنهم لم يقضوا على مدينة اليونان لان الرومان  
 انفسهم كانوا يعدون اليونان اساتذة لهم في العلم والحضارة . فكان في العالم الروماني  
 مركزان كبيران للحركات الفكرية اثبتا في الغرب ، ومجري الفلسفة فيها ادبي اجتماعي ،  
 والاسكندرية في الشرق ومجري الفلسفة فيها ديني روجي<sup>(١)</sup> . وكان طلاب العلم يقصدون  
 هذين المركزين للتبحر في العلوم والفلسفة ، حتى الرومان انفسهم كانوا يؤمنونها هذه الغاية<sup>(٢)</sup>  
 وفي اوائل القرن السادس للميلاد اشتد اضطهاد الحكومة الرومانية على مفكري اثينا  
 الذين كانوا يتشيعون للتعاليم اليونانية القديمة ( الوثنية ) ، فاضطر هؤلاء الى هجرة الاوطان  
 والضرب في رحاب الارض ، ولسان حالهم ينشد

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القلى متعزلاً

فساقتهم الاقدار الى بلاط كسرى انوشروان ، ذلك العاهل الفارسي المحب للعلم  
 والفلسفة ، فانزلهم على الرحب والسعة ، ولم يعتسوا ان احدثوا في بلاده حركة فكرية  
 جديدة ظهر آذيتها في مدرستي نصيبين وجنديسابور<sup>(٣)</sup> . ولكنها لم تلبث ان ضعفت لرجوع  
 هؤلاء المفكرين الى بلادهم

وكأننا قدر تغير فارس ان تكون الصلة الادبية بين الشرق والغرب ، وهذا الفخر  
 الذي فات العنصر الفارسي انقلب الى العنصر السرياني ( السوري ) الذي عرف الشرقين  
 بفلسفة اليونان وعلومهم . ففي اوائل القرن السابع للميلاد كانت بلاد العرب تتمحض  
 بتولود جديد ، بمدينة دينية مركزها الحجاز ، حتى اذا ترعرت وامتد سلطانها واستوت  
 على سوريا ومصر وسواها من بلدان البحر المتوسط ، استقرت تطلب غير الفتح المادي من  
 اسباب التقدم والحضارة ، فانصرفت الى تحصيل العلم والفلسفة واتخذت ادلتها في ذلك  
 واستاذتها مفكري اليونان الذين كانت تعاليمهم كما ذكرنا قد ملأت العالم المتمدن شرقاً  
 وغرباً ، ولا سيما تعاليم فيثاغورس وافلاطون وارسطو . ذكر ابن القفطي ان خمسة هم  
 اساطين الحكمة ، وهم ايديقليس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطوطاليس<sup>(٤)</sup> ، ولا

(١) Alexander ' Short Hist . of philosophy 117

(٢) Mosheim, Ecclesiastical Hist . 1-78

(٣) Arab thought 42- . Les penseurs de l'Islam 111-7

(٤) اخبار الحكماء . ١٢

شك ان الاخيرين اشد هم علاقة بحياة العرب

قلنا انه كان في العالم القديم قبل الاسلام مركزان رئيسيان للعلم والفلسفة اثينا  
والاسكندرية، على انها لن يكونا الوحيدين. ففي القرن الخامس للميلاد كان للعلم والفلسفة  
بضعة مراكز اهمها، عدا اثينا والاسكندرية، القسطنطينية وبيروت ورومية والرُّها  
(اورفا) وهي في القسم الشمالي الغربي من الجزيرة، ونصيبين في شمالي الجزيرة، وجنديسابور  
في بلاد فارس، وحران. وكان للفلسفة اليونانية الحظ الاوفر في هذه المراكز العلمية، اذ  
على فلاسفة اليونان كان المعول في الطبيعيات والافيات والرياضيات. قال موسهيم في كلامه  
عن العلم والفلسفة في القرن الخامس بعد الميلاد<sup>(١)</sup>: « كان طلاب الشرائع يؤمنون ببيروت  
وطلاب الطبيعيات والكيمياء يؤمنون الاسكندرية. وقد اشتهر معلمو القسطنطينية  
والرُّها والاسكندرية في فن التعليم على ان اساتذة البيان والشعر والفلسفة وسواها من  
الفنون لم ينحصروا في هذين المراكز بل انتشروا في كل الجهات وانشأوا لانفسهم نوادي  
ومدارس» (فالشرق الادنى قبل الدعوة الاسلامية كان تحت تأثير الروح اليونانية الفلسفية)،  
نعم ان تلك الروح كانت تتباين مظاهرها بالنسبة الى اماكن ظهورها، ففي مدارس  
القسطنطينية المسيحية، وفي مدرسة حران الصابئية، ومدرسة جنديسابور الفارسية، والرُّها  
السريانية، وفي مدرسة الاسكندرية اليونانية الوثنية كان الفكر اليوناني سائداً ولكن  
سيادته كانت على درجات متفاوتة

(في هذا الجو اليوناني نشأت حياة العرب الفكرية مستمدة من الشرق روحها وعواطفها  
الدينية التي يعكسها لنا الشيخ السجستاني بقوله « ان الشريعة مأخوذة عن الله عز وجل  
بواسطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور  
المعجزات. وفي اثنتائها ما لا سبيل الى البحث عنه والغوص فيه، ولا بدءاً من التسليم المدعو  
اليه، وهناك يسقط لم ويبطل كيف الخ<sup>(٢)</sup> ومن الغرب نظرياتها الفلسفية ومبادئها العلمية  
المبنية على المنطق والثواميس الطبيعية) وقد دخلت هذه النظريات الى الآداب العربية عن  
طريق النقل او الترجمة وكان لها في حياة العرب الفكرية تأثير بعيد المدى. ومن العلوم  
ان نقل العلوم او الفلسفة بدأ منذ العصر الاموي<sup>(٣)</sup>. على ان العصر الاموي لم يتسع لتقدم  
هذه الحركة، فلما انتقلت الخلافة الى بغداد اخذت حركة النقل تنمو نمواً سريعاً وزادها

(١) Ecc. Hist. I - 381 (٢) الفنطلي اخبار الحكماء ٦٠ (٣) الفهرست (ل) ٢٤٢

نشاطاً تنظيم بيت الحكمة في بغداد والاهتمام بطلب الكتب العلمية من بلاد الروم<sup>(١)</sup>، وبرعاية خلفاء ولاسيما المأمون اخذ جماعة من نصارى الشام يترجمونها الى العربية ، وقد اشتهر منهم جماعة كانوا من اركان النهضة العلمية في ذلك الحين، وتبعهم سواهم حتى بلغت الترجمة اوجها في القرن الرابع الهجري . ومن اراد الاطلاع على اسما النقلة والكتب التي نقلوها فليراجع كتاب الفهرست لابن النديم فإنه جمع فاعى . وقد تناول النقل الطب والرياضيات والفلك واصناف العلوم الفلسفية .

ولم تقف النهضة عند هذا الحد بل اخذ العلماء من الناطقين بالعربية يدرسون هذه المنقولات ويشرحونها ويصنفون الكتب في موضوعاتها ، وتوسعوا في بعض الفروع الى درجة بعيدة فجادوا بما يذكر لهم في تاريخ الفكر العلم .

ومع ان اكثر الناقلين عن اليونانية والسريانية كانوا من السريان واكثر المصنفين يتون بانسابهم الى غير العرب ، فان اللسان العربي كان الاداة التي استعملت في النقل والتصنيف ، فاصبح لغة العلم والثقافة في ظلمات القرون الوسطى ، وتسرب اليه كثير من الالفاظ الجديدة والمعاني الجديدة مما يعكسه لنا الشعر والنثر في العصر العباسي

ولعلنا لا نخطئ اذا قلنا ان الذين تأثروا من ابناء العربية بالفكر اليوناني كانوا فرقتين ، فرقة اعتمدت فلاسفة اليونان ولاسيما ارسطو فشرحت اقوالهم وانصرفت الى درس نظرياتهم استكشافاً لاسرار الحكمة وسعياً وراء البحث العلمي . وهؤلاء هم المعروفون بالفلاسفة كالفارابي وابن سينا وابن رشد واضرابهم ، وفرقة اعتمدت نظرياتهم واساليبهم في النضال الروحي او الكلامي وهم المتكلمون الذين سيمر بنا شيء من اقوالهم وآرائهم فلنتقدم من هنا الى ذكر شيء عن المصادر الشرقية التي استمد منها العرب كثيراً من حركاتهم الفكرية

### المصدر الفارسي

قال الاستاذ جاكسون استاذ اللغات الايرانية الهندية في جامعة كولومبيا « ان فتح المسلمين لفارس اشبه بفتح النورمان لانكلترا . وما معركة القادسية ونهاوند الا مثال لمعركة هاستنغس<sup>(٢)</sup> . وكأنه بذلك يعني ان العرب ، وان كانوا اخضعوا فارس وحكموا

(١) الفهرست (ل) ٣٤٣ واخبار الحكماء ١١٩

Jackson, Early Persian Poetry 14 (٢)



العنصر الفارسي ، لم يستطيعوا ان يقتلوا الروح الفارسية الفكرية فبقيت متقدة في صدور الشعب تظهر كلما سنحت لها فرصة . ولا شك ان الاداب العربية رجت شيئاً كثيراً من الفرس يدلك على ذلك العدد الكبير من رجالها الذين هم من اصل فارسي . قال ابن خلدون في مقدمته <sup>(١)</sup> - « ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم ٠٠٠ وكان صاحب النحو سيويوه ، والفارسي ، والزرجاج من بعدهما ، وكلهم عجم في انسابهم ، وكذا حملة الحديث ٠ وكان علماء اصول الفقه كلهم عجم كما يعرف ، وكذا حملة علم الكلام ، وكذا اكثر المفسرين ٠ ولم يبق يحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم ، وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلق العلم باكتاف السماء لانه قوم من اهل فارس ٠ ولم يزل ذلك في الامصار ( اي حمل العجم للعلم ) ما دامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة ذهب العلم من العجم » آه . والذي يحقق النظر في علاقة العجم بالعرب سياسياً ودينيّاً وفكريّاً لا يستطيع الا ان يرى ان التيار الفكري من قبل العجم كان قوياً في حياة العرب ، واطهر ما يكون ذلك فيما يلي

١ - في ان الاقطار العجمية هي الحقل الذي نمت فيه بذور الشيعة وبانتشار الشيعة بين العجم اكتسبت اللغة العربية كثيراً من العواطف والافكار الفارسية . قال الدكتور مور استاذ التاريخ الديني في جامعة هارفرد <sup>(٢)</sup> ان ما نراه من الغلو والتعصب عند بعض الطوائف الشيعية ناشى . بلاريب عن ان كثيراً من اتباع زرادشت انضوا الى الاسلام تحت لواء الشيعة . وفي ذلك اشارة الى ما تسرب الى اللغة العربية من ديانة العجم القديمة بانضمام المحوس الى الاسلام وتعريبهم

٢ - في ان زعماء الحركة الفكرية العربية اكثرهم من العجم ، وقد تقدمت الاشارة الى ما ذكره ابن خلدون من ذلك ، وتزيد هنا ان مالوك بني ساسان ولاسيا كسرى انوشروان الذي سبق الدعوة الاسلامية بقليل من الزمن كانوا قد اهتموا جداً باحياء العلوم والاداب الايرانية ، وان العرب انفسهم كانوا ينظرون الى العجم نظرهم الى قوم متقدمين عليهم في الحضارة والعلم ، وعندهم لكسرى المذكور مقام فريد وكان في البلاد العجمية قبل الاسلام مراكز مهمة للعلم اهمها جنديسابور حيث التقت تحت رعاية العرش الفارسي

(١) المقدمة ٢٩٧-٢٩٩

(٢) Moor, Hist. of Religion 438

الفلسفة الهندية بالفلسفة اليونانية، وقد مرّ الكلام على هذه المدرسة في كلامنا عن المصدر اليوناني

٣ - في الكتب التي نقلت عن الفارسية ذكر ابن النديم<sup>(١)</sup> ما يزيد على اربعين كتاباً اكثرها يرجع الى اصل فارسي والباقي كتب تحت رعاية الفرس . ومن اهم ما تسرب من الفرس الى حياة العرب الادبية الرسائل او الكتب التي تبحث في الفلسفة الادبية ككتاب مسكويه « ادب العرب والفرس » . جاء في كتاب العلامة الروسي انوسترانوف « تأثير ايران في اداب العرب »<sup>(٢)</sup> ان هذا الكتاب يرجع الى اصل فارسي وكذلك كتاب الادب لابن المقفع وكتب اخرى في هذا الباب من اراد مراجعة اسمائها فليراجعها في هذا الكتاب الفريد<sup>(٣)</sup>

وقد ذكر الفهرست اسماء الذين نقلوا من الفارسية الى العربية نخس منهم هنا ابن المقفع المشهور وآل نونجت - موسى - ويوسف ابنا خالد - ابو الحسن علي بن يزيد التميمي - حسن بن سهل الفلكي - البلاذري - جبلة بن سالب كاتب هشام - اسحق بن زيد - عمر بن فرخان وسواهم<sup>(٤)</sup> . ولو ان المقام يقتضي الاسهاب في ذكر اعمالهم وشرح ما نقلوه لذكرنا هنا الكتب التي نقلوها كتاباً كتاباً ولكن ذلك ليس غرضنا هنا

٤ - في العلاقة الجغرافية والتاريخية التي نزاها بين الفرس والجاهلية . من ذلك ان مملكة الحيرة العربية كانت مركز النفوذ الفارسي بين عرب الجزيرة ، وان ذلك اقتضى ان يكون بين الجنسين احتكاك ادبي اجتماعي . ومما يشير الى هذا الاحتكاك ما ذكره القفطي<sup>(٥)</sup> عن الحارث بن كلدة طبيب العرب ان اصله من تغيف من اهل الطائف وقد رحل الى فارس واخذ الطب عن اهل تلك الديار من اهل جنديسابور وغيرها ومن يدري انه لم يكن غير الحارث من عرب الجاهلية الذين رحلوا الى فارس في طلب العلم . وهذه الصلة الادبية لم تنقطع بظهور الاسلام فان انتشار العرب بالفتح في الاقطار الفارسية جعل احتكاكهم بالفرس اشد مما كان قبلاً . ومع ان القمم الكبير من كتب الفرس ذهب بعد الحلال دولتهم فقط حافظ المجوس على عدد مهم منها بقي الى الدولة العباسية الى ايام

(١) الفهرست (ل) ٣١٣-٣١٦ (٢) نقله الى الانكليزية الاديب الفارسي نريمان

(٣) Iranian Influence on Moslem lit . 53

(٤) ٣٣٣-٣٣٤

(٥) ٣٣٣-٣٣٤

(٦) الفهرست (ل) ٣٤٤ (٥) اخبار الحكماء ١١٣

عبدالله بن طاهر الذي اطلق يد التلّف فيها<sup>(١)</sup> والذي يدقق في تاريخ فارس يرى ان الآداب والعلوم والتقاليد الوطنية الفارسية بقيت سالمة بعد الفتح الاسلامي في الولايات الشرقية والجنوبية كخراسان وفارس وابدلنا على ذلك ان خراسان كانت بؤرة الحركات السياسية التي ادّت الى اسقاط الامويين

اما ولاية فارس ( وهي في جنوبي ايران ) فقد كانت حصن المجوس هناك حفظت كتبهم ومعتقداتهم الدينية والفلسفية وكان بعض مؤرخي العرب يرجعون اليهم<sup>(٢)</sup>، وقد وصف جغرافيو العرب كالأصطخري وابن حوقل والمقدسي وياقوت واليعقوبي تلك البلاد وصفاً يدل على ان المجوس ( اتباع زرادشت ) كانوا يتمتعون بالحرية الدينية في ولاية فارس، وانهم كانوا لا يزالون محافظين على الشيء الكثير من الكتب الفارسية القديمة وهنا لا يسعنا الا ان نذكر « الشعوبية » وهي فرقة من اصل عجمي كانت طبعاً تتعصب للعجم وتفضلهم على العرب . ولا شك انها كانت من حملة الروح الفارسية الى اللغة العربية ، وكذلك كان الزنادقة الذين كان يتهم بمذهبهم بعض من اكابر الادباء والشعراء كبشار وابن المقفع وسواهما . وكانت الزنادقة تطلق بالاكثّر على المجوس او الثنوية<sup>(٣)</sup> اي على اتباع زرادشت او اتباع ماني الحكيم وكلاهما فارسيان<sup>(٤)</sup>

### المصدر الرشدني

يصعب تعيين السبيل الذي جرى فيه الفكر الهندي الى نفوس الناطقين بالعربية ولكن مما لا ريب فيه انه كان للفلسفة والعلوم الهندية تأثير شديد في تكوين الفلسفة العربية . وقد تقدم معنا ان مدرسة جنديسابور كانت قبل الاسلام ، ولسيا في ايام كسرى انوشروان، مركزاً علمياً التقت فيه علوم الهند بعلوم اليونان، ومنه حمل الشيء الكثير الى العرب . ونلمح شيئاً من العلاقة الفكرية بين الهند وامم الشرق الادنى قديماً في ما القاه سكرتير المتحف التجاري في فيلادلفيا على الجمعية الفلسفية الاميركية حيث يقول ان الهنود كانوا يرسلون سفراء الى سلوقية وانطاكية واسكندرية وغيرها ، وكان هؤلاء السفراء

Browne, Lit. Hist. of Persia I — 347 (١)

Iranian Influence 21,25—26 (٢) عن لسان العرب والقاموس

(٣) من اراد الاطلاع على مذهب هذين الحكيمين فليراجع ذلك في دائرة المعارف البريطانية ،

وفي كتاب Zoroaster جاكسون ، وفي الفهرست لابن الندم

ايضاً دعاة دينيين<sup>(١)</sup> . على ان احتكاك العربية بالعقلية الهندية لم يبلغ كماله الا بعد الاسلام، فان امتداد العرب بالفتح قرّب العناصر الهندية من العناصر السامية العربية وجعل بينها علاقة كبيرة في التجارة والعلم والدين

من ايام بني امية الى ايام محمود بن سبكتكين ( اواخر القرن الرابع للهجرة ) كان الفتح الاسلامي باباً لتسرّب المبادئ الفلسفية الهندية الى نفوس العرب ، وقوام الفلسفة الهندية التي ظهر اثرها في تاريخ الفكر العربي الزهد والفناء الروحي، وقد انتشرت هذه المبادئ الروحية بانتشار البوذية في ولايات ايران الشرقية واحتكاكها هناك بالاسلام بعد الفتح<sup>(٢)</sup> . واذا اعتبرنا ما اخذه افلاطون وفيثاغورس من فلسفة الهنود يحق لنا ان نقول ان شيئاً من فلسفة الهنود وتعاليمهم وصلت الى العرب عن طريق اليونان ايضاً

وفي الفهرست لابن النديم<sup>(٣)</sup> ذكر الكتب الهندية المشهورة والذين نقلوا منها الى العربية، ومنها كتب الطب والخرافات والاسمار والاحاديث والتوهم او السحر والمواعظ والحكم، ومنها كتاب ملل الهند واديانها . وجاء فيه نقلاً عن الكندي « حكي بعض المتكلمين بان يحيى بن خالد البرمكي بعث برجل الى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم وان يكتب له اديانهم فكتب له هذا الكتاب . قال محمد ابن اسحق : الذي عني بامر الهند في دولة العرب يحيى بن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بامر الهند واحضارها علماء طبها وحكمتها<sup>(٤)</sup> . ويذكر الجاحظ عن لسان ابي الاشعث ان يحيى بن خالد اجتلب اطباء الهند مثل منكه وبازيكر وقلبرقل وسندبار وفلان وفلان<sup>(٥)</sup>

والخلاصة ان مجري الفكر العربي له روافد ثلاثة كبرى، اليونان وهو اهمها ثم الفرس، والهند، وان ما اكتسبه العقل السامي العربي من هذه المصادر غير السامية ايقظ فيه حركة قوية ظهرت ثمارها الفلسفية والعلمية في ابان التمدن الاسلامي، وسنشير الى كل من هذه المصادر في سياق كلامنا على المجاري الرئيسية في حياة العرب الفكرية

(١) Early Communication Between China and the Medit. 1921

(٢) Moore-Hist. of Religion 447 (٣) الفهرست (ل) ٣٠٥ و ٣١٥-١٧

(٤) الفهرست (ل) ٣٢٥

(٥) البيان والتبيين (ع) ١-٢٠٠

## المجاري الفكرية العامة

للحركة الفكرية عند العرب ثلاثة مجاري كبرى - الفلسفة والكلام والتصوف. وغاية الفلسفة التوصل الى المبادئ الاولى عن طريق العلم، واصحابها في الغالب اتباع اليونان وتجد لهم في الشعر العربي نقثات تنم على آرائهم كقصيدة ابن سينا في النفس التي يقول فيها<sup>(١)</sup>

هبطت اليك من المحل الارفع  
محبوبة عن كل مقلة عارفة  
وصلت على كره اليك وربما  
أنفت وما ألقت فلماً واصلت  
واظنتها نسيت عهداً بالحى  
ومنهما -

سامر الى قعر الحضيض الاوضع  
طويت عن الفطن اللبيب الاروع  
قفص عن الأوج الفسيح الارفع  
ثم انطوى فكأنه لم يلعب

وفي الشعر العربي كثير من الاشارات الفلسفية والاضاع العلمية التي كانت شائعة في

العصر العباسي

كقول ابي القاسم الاصفهاني يصف حماماً في دار صديق له<sup>(٢)</sup>

ودخلت جنته وزرت جسيمه  
والبشر في وجه الغلام نتيجة  
وقول ابي علي المهندس<sup>(٣)</sup>

تقسم قلبي في محبة معشر  
كان فوادي مركزاً وهم له  
بكل فتى منهم هواي منوط  
محيط واهوائي لديه خطوط

(١) راجعها في دائرة المعارف للبستاني تحت ابن سينا

(٢) الففطي ٣٢٤ (٣) الففطي ٣٦٧

ولم ينحصر ذلك في اقوال العلماء والفلاسفة بل تعدّاهم الى اهل الادب، كقول المتنبي مشيراً الى اختلاف المفكرين في مصير النفس

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم  
ف قيل تلخص نفس المرء سالمة

وقوله ذاكرًا فلاسفة الاقدمين

من مبلغ الأعراب اني بعدها  
وسمعت بطليموس دارس كتبه  
ولقيت كلّ الفاضلين كأنما

وقول المعري في عالم الافلاك

العالم العالي برأي معاشر  
زعمت رجال ان سياراته  
وقوله - اركان دنيانا غرائر اربع

وقوله - في مصير الروح

قد قيل ان الروح تأسف بعدما  
ان كان يصحبها الحجبى فلعلها  
اولا فكم هذيان قوم غابر

والمعري كثير من النفثات الفلسفية وسترى ذلك في حينه

ولو تحريتنا جميع ما دخل الشعر العربي من هذا الباب عرفنا ما كان للفلسفة والعلوم الطبيعية من التأثير في الادب . وقد كنا نود ان نثبت هنا زبدة الآراء الفلسفية التي اقتبسها العرب عن سواهم ولاسيما عن افلاطون وارسطو والافلاطونية الجديدة . ولكننا نكتفي هنا بالإشارة اليها ونحيل المتعمق الى مصادرها الرئيسية اما الكلام فجارشتي نخض منها بالذكر المعتزلة والاشعرية

### المعزلة

ظهر الاسلام فاعتنقه العرب وامتد بالفتوح الاولى الى غير العرب، ولم يكن كل الذين اعتنقوه وقاموا بفروضة ونوافله في درجة واحدة من خلوص الايمان والاعتقاد، بل كان

شأنهم في ذلك شأن المسيحيين أيام قسطنطين الكبير : فان انقلاب الدولة الرومانية بغتة من الوثنية الى المسيحية ليس بدليل على ان كل الذين دانوا يومئذ بالدين الجديد استأصلوا من اعماق نفوسهم مبادئ مذهبهم الاولى ، بل بقي بعضهم محافظين باطناً على معتقدات غير مسيحية لم تلبث ان ظهرت في تاريخ المسيحية واشتد خطرهما على المبادئ الحقيقية ، حتى كان ما كان من الاصلاح ، وما نجم عنه من التطورات الجديدة

هكذا الاسلام اعتنقه كثيرون ممن بقي في نفوسهم اثر من غيره ، ولكن ذلك الاثر لم يظهر الا بعد ان صلح له الجو ، ولا سيما بعد ان خرجت الدولة العربية تدريجاً من بساطتها الاولى الى حياة الحضارة والعلم . هذه امور ليس بالهين اقامة الدليل التاريخي عليها لانها عن قبيل العوامل الخفية التي ندر كها بالاجتهاد والاستنتاج ، ولكن لا بد من ذكرها قبل التبسط في الحقائق الراهنة . والذي لا جدال فيه انه في الدولة الاموية بدأت تبشير حركة فكرية لم تعهد في ايام الراشدين ، وما ذلك الا لان العقل كان قد بدأ يستنير بانوار جديدة . وصحب هذه الاستنارة تطورات فكرية ، منها حركة المعتزلة التي نحن بصدها . واول معتزلي حسب النص التاريخي هو واصل بن عطاء . وكان من اتباع الحسن البصري ، ثم اخذ مذهبه في الانتشار حتى بلغ ابانه في ايام المأمون العباسي ، ولكنه عاد الى التقهقر والضعف حتى قضى عليه ، ولم يعد الى الظهور كذهب خاص

والمعتزلة ، على اضطراب كثير من نظرياتها ، تحاول اخضاع النظريات الدينية لحكم العقل ، وهي بلا ريب نتيجة منطقية لاحتكاك الفلاسفة بالدين : فقد جاء الاسلام وتعاليمه واضحة ونصوصه محدودة ، وهي مبنية كسائر النصوص الدينية على التسليم لله والايان بوحيه المتزل . ولم يخامر قلوب المؤمنين الاولين شك فيها ولا شغلهم بحث عن اسرارها ، فلم يجهم ازاء تقواهم البسيطة الخالصة من شوائب الرب ان يحكموا التقدير العقلي في كل ما آمنتم به قلوبهم واطمأنت اليه نفوسهم . وتلك مزية الايمان الحقيقي . وانك اذا استقصيت اخبار الدعوات الدينية لتجده من الصفات الملازمة للدعاة الاول . فلما لعبت في الجو الاسلامي رياح الفلسفة ، وتسرب الى العقول شي من نظريات الحكمة اليونانية<sup>(١)</sup> ولا سيما المشائية (الارسطوية) ، شرع المفكرون يبحثون وبقيسون ويقولون علام

(١) راجع الكلام عن النظام في كتاب الفرق بين الفرق للبندادي ١١٣ . وعن الجاحظ في

الملل والنحل للشهرستاني

ولم ؟ فقادهم ذلك الى مسائل ابعدهم عن بساطة المعتقد المبني على التزليل<sup>(١)</sup> . من هذه المسائل مسألة خلق القرآن ، ومسألة صفات الله ، وحرية الارادة ، وقدمية الكون وكيفية المعاد وما شاكل

وقد رفض المعتزلة ازالة القرآن وجعلوه مخلوقاً<sup>(٢)</sup> ، وكان من اهم انصارهم في ذلك المؤمن وامره مشهور

وكذلك نفوا الصفات الالهية وهي العلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام . قال ابن خلدون في كلامه عن المعتزلة : «فقضوا بنفي صفات المعاني لما يازم على ذلك من تعدد القديم بزعمهم (راجع مقدمة ابن خلدون تحت علم الكلام) ذلك لانهم نظروا الى الصفات كوجودات يازم عنها تحديد وجود الله المطلق وهذا عندهم مناف للاحكام العقلية » . على ان منهم من لم ينكر صفات الله وانها سرمدية بل ذهب مذهب ابن العلاف (المتوفى ٢٢٨ هـ) ان صفات الله ليست بشي . خارج عن جوهر الله بل هي اشكال يتشكل فيها ذلك الجوهر . وكان يقول ان علم الله هو الله ، وان قدرة الله هي الله<sup>(٣)</sup> . فالارادة مثلاً ليست صفة خارجية يتصف بها الخالق بل هي صورة اخرى لعلمه . وهكذا جميع الصفات مظاهر مختلفة لجوهر واحد . وقد زاد على ذلك احد ائمتهم ابراهيم النخّام المتوفى ٢٣١ هـ ، فقال ان الله لعلمه السرمدية باختر لا يريد غيره ، ان ارادة الله هي علمه . فالمطلق عندهم (الله) لا يوصف بنبي ولا اثبات ، فلا يقال هو واحد او اكثر ، ولا يوصف بالقدم عندهم غير الله . ومع ان بعضهم اثبتوا لله احوالاً اربعة هي العالمية والقادرية والحئية والموجودية ، فقد فرقوا بين الثبوت والوجود بالذات وقالوا انها موجودات غير موجودة<sup>(٤)</sup> : فكانهم يعنون بذلك ان هذه الصفات حالات تظهر فيها الذات لا صفات زائدة عليها . وهذا قريب من مذهب ابني هاشم ابن الجبائي المتوفى ٣٢١ هـ ، اذ جعل لجوهر الله احوالاً شتى يظهر فيها . ومع ان هذه الاحوال لا توجد بنفسها ولا تتصور بدون الجوهر فهي تمتاز عنه وبها يعرف الجوهر<sup>(٥)</sup> . ومنهم من يذهب الى ان الله يعلم جسم الاشياء . ولا يعلم تفاصيلها وانه لا يقدر ان يخلق الذات ، وانا هو قادر ان يخرجها من العدم الى الوجود<sup>(٦)</sup>

(١) نقد العلم والعلما . ٩٠ والبندادي ٩٤ (٢) مقدمة ابن خلدون ٤٠٦ وفلسفة ابن رشد ٥٧

(٣) نقد العلم والعلما . ٨٨ (٤) شرح تهذيب الكلام ١١١

(٥) الملل والنحل للشهرستاني هاشم ابن حزم ١ - ١٠٢ (٦) نقد العلم والعلما . ٨٨



فالمعتزلة في ذلك تخالف الصفاتية ، اي التي تثبت الصفات لله . والارادة عندهم حرة وقد فسّر الجاحظ ( وهو معتزلي ) الارادة بانها حال من احوال المعرفة ، وحرية العمل او الارادة ان يعرف العمل من فاعله . فالانسان عند المعتزلة مخير لا مسير ، وهو مسؤول عن اعماله ، وانه على اكتسابه يترتب العقاب والثواب<sup>(١)</sup>

ويضادهم في ذلك الجبرية . وهم يقولون لا علة ولا معلول في الاشياء التي نراها او نشعر بها ، لان كل شيء مسبب مباشرة عن الله . فاذا نعتت فالنعاس وضع في بعمل خاص من الله ، واذا كتبت فتحرريك القلم وارادة الكتابة وما يتعلق بها قد اتصلت بي رأساً من الله لولا دافع لما يريد الله ، وما للانسان ألا واسطة لتنفيذ ارادة الله<sup>(٢)</sup> . وعلى ذلك الاشاعرة الذين يذهبون الى ان الله يخلق كل عمل ، وزاد عليهم الباقلاني تطرفاً بقوله بل الله يحدد كل شيء . ( حتى اللون مثلاً ) كل لحظة . فما يفعله الله الآن وما يخلقه قد يجيء في اللحظة التالية ما يناقضه : كل شيء ، كل عمل ، كل حركة في الكائنات متوقف مباشرة على ارادة الله

هذه التعاليم التي ترجع كل شيء الى ارادة الله مباشرة تبرز لنا شريعة القضاء والقدر في اعظم مظاهرها . وليست المعتزلة على ذلك ، لان القول بجبرية الارادة وبمسؤولية الانسان يناقضه . وحجتهم انه لو كان العبد غير خالق لافعاله الاختيارية لكان القول بالثواب والعقاب لغواً

### قدمية الكون

وهذه المسألة نراها في كل نظام فلسفي ، فالفلسفة المادية مثلاً تجعل الكون قديماً ( اي ازلياً لا بداية له ) والروحية تجعله محدثاً . وواضح ان الدين والكلام يذهبان الى حدوث الكون بقوة الخالد المبدع المريد . فما قول المعتزلة في هذا الشأن ؟ قال ابن رشد في كلامه عن المعتزلة<sup>(٣)</sup> : « واما المعتزلة فانه لم يصل اليها من كتبهم في هذه الجزيرة ( الاندلس ) شيء نقف منه على طريقهم في هذا المعنى ويشبه ان يكون طريقهم من جنس طرق الاشعرية » . فكأنه يقول ان المعتزلة والاشعرية سيان في نظرهما الى قدم الكون . وهو على

(٢) الشهرستاني هامش ابن حزم ١ - ١١٠

(١) فلسفة ابن رشد ١٠٥ والبغدادي ٩٤

(٣) فلسفته ٤٥

ما ارى غاية ما يصل اليه الباحث عن معتقدتهم . فانهم وسائر المتكلمين سواء في هذا الصدد ، الا ان نظرهم الى الله غير نظر اهل السنة . فهم اميل الى جعله مصدراً للعقل الفعال الذي تفيض منه عوالم النفس والطبيعة . وهذا يجعل الجنة والخلود والحجم في نظرهم غير الاحوال المحسوسة التي يصورها الدين . ولا ريب ان للفلسفة اليونانية تأثيراً ظاهراً في مبادئهم ، فالقول في ازلية صفات الله وتفسيرهم تلك الصفات بانها هي نفس جوهر الله او انها اعراض لجوهر واحد ، وقول شيخهم النظم ان النفس بحجم الجسد وعلى شكله تتخلل دقائقه كما تتخلل الزبدة دقائق اللبن ، مأخوذ من قول ارسطو في المادة وصورتها . وقول معمر السلمي في صفات الله ومطلقته يقود الى الرأي الاتحادي ( اي ان الله والكون واحد ) الذي هو اثر من آثار الافلاطونية الجديدة مصبوغ بالصبغة الهندية . واما نظرية بعضهم ان الله لمعرفته الكلية بالخير لا يستطيع ان يريد غيره لعباده فيقرب ان يكون نفس ما علم به الرواقيون<sup>(١)</sup> . وللنظم رأي في الخلق يكاد يكون نفس الافلاطونية الجديدة . والخلاصة ان الاعتزال مبدأً فكري يحاول ان يستنير بالعقل ويخضع كل شيء لاحكامه ، لكنه اراد ان يجمع بين العقل والنقل متمسكاً بكليةها فلم يوفق تماماً ، ولذلك كثرت اضراده ومنتقدوه

### الاشعرية

وهم ينتسبون الى ابي الحسن الاشعري المتوفى في ٩٥٣ م ، وكان من تلاميذه المعتزلة في بغداد ، ولكنه لم يبق كذلك بل انقلب عليهم واصبحت فرقته اشد الفرق في مناقشتهم<sup>(٢)</sup> ، واليك بعض اوجه النضال بين الفرقتين

### في ماهية الله

كان الجمهور من المؤمنين ينظرون الى ما ذكره الكتاب المتزل عن اعضاء الله الجسدية كاليد والعين والاذن الخ نظراً حرفياً . اما المعتزلة فاتخذت ذلك من قبيل التأويل ، فقالوا لا يد حقيقة لله وانما هي اشارة الى قوته وبسطته ، وهكذا فسروا سائر الاعضاء . فقام

(١) راجع النظامية في الفرق بين الفرق ١١٣ والبهشية ١٦٩

(٢) ابن خلكان ١ - ٣٢٦

الاشعري وعلم ان الله يمكن رؤيته في الآخرة وان له سمعاً وبصراً ويدين ووجهاً الخ ،  
ولكن ماهية تلك الاعضاء خارجة عن معقول الانسان او هي وراء العلم<sup>(١)</sup>

### المعاد

ذهبت المعتزلة الى ان الدليل العقلي هو الهادي الذي يهديننا الى معرفة ما وراء الطبيعة<sup>(٢)</sup> ،  
وان حالة النفس من عذاب او نعيم انما هي حالة عقلية لا جسدية . فقال الاشعري بل العقل  
لا يستطيع الهداية ، فما علينا الا التصديق والايمان بالوحي المنزل وان الامور التي ذكرها  
الكتاب كجلوس الله على العرش والحوض والموقف والفردوس والملائكين والمنتكر والنكير  
وما شاكل - كل ذلك حقيقة راهنة لا صور خيالية كما يدعي المعتزلة

### صفات الله

وفي هذا الباب يسلك الاشعري مسلكاً وسطاً بين السنة والمعتزلة فهو يقول بصفات الله  
وقدميتها على ان تلك الصفات اشكال او تكيفات لجوهره ، فلا هي عين ذاته ولا هي  
غيرها<sup>(٣)</sup>

### رأيه في الفرائد

سلك في ذلك مسلكاً اصبح معول اهل الكلام ، وهو ان القرآن كلام نفسي قديم  
غير مخلوق ، وانما المخلوق هو الصور اللفظية لذلك الكلام النفسي

### الجبر والاختيار

( القضاء والقدر وحرية الارادة ) . ليس عند الاشاعرة من ارادة حرة . فانه ( القديم  
الازلي ) عندهم هو المطلق المدبر لكل حركة - خالق الانسان واعماله وما الانسان الا  
آلة في يده ، مسير عقلاً وجسماً بارادته الالهية ، وليس له من عمل الا الكسب . وهو

(١) الشهرستاني هامش ابن حزم ١-١٣١ و١٣٢

(٢) راجع مناقشات ابن تيمية في ذيل فلسفة ابن رشد ٨

(٣) او كما يقولون هي منه بنسبة الواحد الى العشرة فهو ليس بالعشرة ولا غيرها

كما في القاموس «تعلق قدرة العبد و ارادته بالفعل المقدور» اي تطبيق ارادة الله على العمل . وهذا طبعاً يقود الى الاعتقاد بان الله خالق الخير والشر وهو مخالف لمبدأ الاعتزال القائل بان الله لا يستطيع ان يريد غير الخير، وان الخير والشر يدركهما الانسان بالعقل وعلى ذلك فهو مسؤول عن اعماله

ومبدأ الاشعرية ينفي من الطبيعة نظام العلة والمعلول ، لانه يجعل الله علة كل شيء . صغيراً كان ام كبيراً، جسدياً ام عقلياً . فاذا مسست النار مثلاً لم تحرقك النار لان الحرق من طبيعتها، بل لان الله يخلقه عند مسك ايها . وعليه لا يستغرب او لا يستحيل ان يجعلك تشعر بالبرودة عند مسك النار ، لان نوع الحس راجع رأساً الى ارادته . فما العجائب اذن بجوارق لنظام الكون ، بل هي من اعمال الله غير المألوفة عندنا

قلنا ان المبدأ الاشعري معول اهل الكلام . والنضال الذي احتدم بين الاشعرية والمعتزلة انتهى بانتصار الاولى . ولم يتقضى القرن الرابع للهجرة حتى انقضى معها عصر المعتزلة

## التصوف

تباينت الاراء في اصل هذه الكلمة فذهب بعضهم الى انها من صفا النفس، وهو قول المتصوفة . وقال غيرهم بل هي من اصل يوناني معناها الحكمة . على ان ابن خلدون يرى كما يرى كثيرون غيره ان اشتقاق اسمهم من الصوف<sup>(١)</sup>

كان المؤمنون الاولون من الصحابة والتابعين معروفين بالقناعة عاكفين على الصلاة والعبادة معرضين عن زخرف الدنيا وزينتها، فلما تقدم المسلمون في الحضارة ومالوا الى الترف في العصر الاموي وما بعده ، نشأت بين اهل الدين (حركة مرماها الرجوع الى بساطة الايمان الاولى ونبذ الشهوات العالمية) . على ان هذه الحركة لم تكن الا توطئة للتصوف الحقيقي الذي عرف بعدئذ . فاننا نراه في ابانه نظاماً روحياً خاصاً يمت بشيء من القرابة الى انظمة روحية سابقة . فما هي هذه الانظمة ؟ قال المستشرق فون كيرير<sup>(٢)</sup> ان اصل الصوفية عربي يرجع الى نظام الزهد والتسك الذي كان شائعاً في المسيحية قبل الاسلام .

(١) راجع المقدمة الصوفية لابن الوردى ومقدمة ابن خلدون ٦٦٧ ودائرة المعارف البريطانية تحت Sufism . ويظهر ان لبس الصوف قدم في الاسلام فقد ذكره ابن قتيبة في عيون الاخبار وارجعه الى زمن الحسن البصري

والدليل على ان عرب الجاهلية احتسكوا بزهاد المسيحيين وعرفوهم، ما ورد في اشعارهم عنهم والذي يظهر لنا ان في كلام فون كيرير بعض الحقيقة لا كلها . فقد يكون نساك المسيحية المثال الذي تحمده متصوفو الاسلام ، ولكن النظام اللاهوتي الصوفي لا يقف عند ذلك، بل يرجع الى مصادر يونانية وهندية وفارسية . فالافلاطونية الجديدة التي مر ذكرها آنفاً كانت قد ختت الفكرية الشرقية بكثير من المبادئ اللاهوتية ، ومنها التجسد ، وعودة النفس الى اصلها ( العقل الفعال او الله ) . اما الاثر الهندي في التصوف فتراه واضحاً في فكرة الاتحاد الروحي فالفلسفة الهندية تعلم ان الروح الاعظم والعالم المادي واحد (وحدة الوجود) ، وكل ما في العالم يجري من ذلك الروح واليه يعود - هو الموجود الساطع الذي يرى في قرص الشمس كما يرى في عين الانسان . هو النور الرضاء الذي يضيء في السماء وفي الارض وفي نفس الانسان . وهو الذات العاقلة الخالدة السعيدة

على ان الرجوع الى الروح الاعظم يقتضي فهم اسفاره المقدسة ( الفيدا ) وبممارسة الطقوس والعبادات الخاصة ، ولاسيا مراسم التقوى والتوبة . وانما يطهر العقل من كل فساد بممارسة الفضيلة لنفسها دون النظر الى ثواب . ولا يستحق الاتحاد بالروح الاعظم (برهما) الا الذي يتصف بالصفات التالية -

- ١ - التمييز بين ما يبقى وما يفتى ٢ - عدم الاكثارات لثواب او مسرة
- ٣ - الحصول على السكوت التام وضبط النفس ٤ - الرغبة في الخلاص

فهناك شبه بين الاتحاد الصوفي والفناء الهندي « الزفانا » ، ولكن الاختلاف بينهما بين ، لان الاول يقضي باستقلال ذاتية النفس في الوجود الاعظم ، وان يكن قد توغل بعضهم في القول بالوحدة<sup>(١)</sup> ، والثاني يقول بتلاشيها . وسترى في شرح الصوفية بعد ان فيها اثر كبيراً من التعاليم الهندية التي كانت منتشرة في العجم والهند قبل الاسلام ، والتي جعلت للتصوف صبغة غير الصبغة الزهدية التي عرف بها اتقياء المسلمين الاولين : هؤلاء لم يؤسسوا لاهوتاً جديداً ولا خرجوا عن نصوص القرآن في ماهية الله ، وحالة النفس بعد الموت .

اما الاثر الفارسي فقد ذهب بعضهم الى انه يرجع الى المانوية والمزدكية اللتين كان

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ٤٧٢ و٤٧٣

للزهد فيها شأن يذكر<sup>(١)</sup>. ولعل أهم اثر فارسي في الصوفية وفي سواها من الحركات الفكرية في الاسلام ان الذين قاموا بهذه الحركات اكثرهم من اهل فارس، فهم ورثة العقلية الفارسية التي كانت قد تأثرت من تعاليم الهند ومن تعاليم الزعماء الروحانيين، كفاي الحكيم وسواه. وماي ثنوي، وخلاصة تعليقه كما شرحه ابن النديم<sup>(٢)</sup>: ان لا يكون مبدأين النور والظلمة، ولكل من هذين المبدأين اجزاء، وباشتباك الاجزاء النورانية بالاخري حدث الكون. فالخلاص (او السعادة) قائم على تطهير العالم من اجزاء الظلمة المشتبكة باجزاء النور. وسيظهر اثر ذلك في الصوفية

يؤخذ من تعاليم ائمة المتصوفين ان نقطة الدائرة في نظامهم هي الوحدة<sup>(٣)</sup> اي اتحاد النفس بالله. وهذا المبدأ يوافق المبدأ الهندي كما مر معنا، والمبدأ اليوناني (الافلاطونية الجديدة)، الا انه يختلف عن هذا بان الحصول على الوحدة لا يتوقف بالاكثر على العقل بل على التقوى وقمع الشهوات. قال الجنيد البغدادي: التوحيد معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج العلوم ويكون فيه الله كالم يزل<sup>(٤)</sup>، واخذته الخلاج المتوفى ٣٠٩ وذهب مذهب الغلاة من الشيعة، وقال بالحلول اي حلول الله في الاجسام، وبالتناسخ وقد قتل بافتاء اكثر علماء عصره<sup>(٥)</sup>.

وفكرة الحلول ظاهرة تماماً في كلام ابي يزيد البسطامي وهو اول من قال بالفناء<sup>(٦)</sup>، او الذي خطا الخطوة الاولى من التصوف الى الحلول<sup>(٧)</sup>. ومن مبادئهم ان الله هو الموجود الحقيقي - لا وجود حقيقي سواه (افلاطونية)، ولكن في الانسان نفساً عاقلة هي صورة معكوسة عن نفس الله، وهي قادرة ان تقترب من الحقيقة الالهية. وبما انه لا وجود حقيقي لغير الله فعرفة الله لا تحصل بواسطة مادية (بالكسب او الدليل)، بل بالهام روحي، وان هذا الالهام يحصل في حالة التجرد عن الدنيا<sup>(٨)</sup>. ومع انه لا وجود حقيقي لغير الله نجد هذا الوجود متمزجاً بالغير الحقيقي. وهذا الامتزاج اساس العالم المادي (قابل ذلك بالمادية). فالشر نتيجة لازمة لامتزاج هذين الوجودين، وغاية النفس الاتحاد بالله،

(١) Arabic Thought 190 (٢) الفهرست (ل) ٣٢٧-٣٢٨ (٣) ابن خلدون ٤١٣

(٤) الرسالة القشيرية ١٣٥ (٥) ابن خلكان ١-٢٠٦ وابن النديم ١٩٠

(٦) دائرة المعارف البريطانية تحت Sufism (٧) Nicholson, Hist. of Arabs 390

(٨) فلسفة ابن رشد ٤٤٤، ومقدمة ابن خلدون (التصوف)

وكل ما يساعد على بلوغ هذه الغاية فهو صالح، وكل ما يحول دونها فهو شرير (وهذا تتفق جميع الأديان والمذاهب) . وهذا الشوق الى الاتحاد بالحقيقة الالهية هو الحب الذي يتفنى به الصوفيون ، ويعلمونه اساس ايمانهم ( راجع اشعار ابن الفارض اكبر شاعر متصوف عند العرب )

ومن اكابر المتصوفين في العرب محيي الدين بن العربي المتوفى ٦٣٨ هـ . كان اولاً من اتباع ابن حزم المشهور . وفي تعاليمه يظهر مبدأ الحلول والوحدة تام الظهور فمن اقواله في الله - « فلذلك قال تعالى انا عند ظن عبدي بي - اي لا اظهر له الا في صورة معتقده فان شاء . اطلق وان شاء . قيد . فانه المعتقدات تأخذه الحدود وهو الاله الذي وسعه قلب عبده ، فان الاله المطلق لا يسهه شيء ، لانه عين الاشياء . وعين نفسه . والشئ لا يقال فيه يسع نفسه ولا يسعها » اه (١)

ومن شرّاح ابن العربي عبد الرزاق المتوفى ٧٣٠ هـ ، وهو يقول بجزية الارادة لان النفس البشرية عنده فيض من روح الله ، فهي تشارك الله في القدرة على الاختيار وان العالم على احسن ما يمكن ان يكون ، وان الاشياء ستفنى اخيراً في وجود الله الكائن الحقيقي الوحيد . ويقسم البشر الى ثلاثة اصناف وهم

العالمون - اي محبو الذات الذين تدور حياتهم حول نفوسهم وهؤلاء لا يكثرثون للدين والمبادئ الروحية .

العظمون - وهم اهل الفكر الذين يرون الله بنور العقل في مظاهر الوجود

المرعوبون - وهم الذين يرون الله بالكشف اي بالهام روعي يوافيهم من الحضرة الربانية

\*\*\*

وإخلاصة ان الصوفية بدأت مظهراً من مظاهر الورع الديني ، ولكنها انتهت في غلاتها بتعاليم بعيدة عن تعاليم السنة . ومحور مذهبهم الكشف الرباني بالتجرد عن العالم

(١) خاتمة كتاب فصوص الحكم لابن العربي

والحب الالهي . وقد علق عليهم من تعاليم الهند والروم الوحدة والحلول والفناء في وجود الله ، على انهم تقادوا في مسألة الكشف والكرامات الى حد ان بعضهم صار يستعمل لذلك طرق الشعوذة والسحر والتدليس

من اراد التوسع في درس الحركة الفكرية في هذا العصر فليراجع

Lit. Hist. of Persia	برون
Le Dogme et la Loi	كولدزجر
Arabic Thought	اوليري
Les Penseurs de l'Islam	كارا دي فو
The Mystics of Islam	نكلسون
الملل والنحل	- ابن حزم
» »	- الشهرستاني
الفرق بين الفرق	- البغدادي
نقد العلم والعلماء	- ابن الجوزي
المقدمة	- ابن خلدون
	دوائر المعارف المختلفة





## القسم الثاني

### الشعر في العصر العباسي

---

سزابه - امراؤه (دراسات تحليلية و انتقادية) - المختار من دواوينهم

## بحث تمهيدي

في

## خصائص الشعر العباسي

إذا وازنت بين الشعر القديم والشعر المولد فلا شك أنك تجد في الأخير اثر التقدم ظاهر للعيان ، على ان ذلك لم يبلغ به مبلغاً يخرج به عن المناهج التي اختطها الاقدمون . خذ الوصف مثلاً فانك تجده عريقاً في الشعر يرجع الى ما قبل الاسلام . على انه بينما كان قديماً ينحصر في البداوة وما يشاكلها ، صار - بعد ان اتسع الافق العمراني لدى المسلمين ، وبعد ان طما بجر الرفه على بغداد وسواها من حواضر العصر العباسي - يتفنن في نعت اسباب الحضارة كاقصور والبرك والجنائن والولائم والجيوش والمراكب . ومثل ذلك تفتنه في الخمر وانواع النزل والمديح ، وما الى ذلك من ضروب النظم . ولا ينكر ان المولدين فاقوا الاقدمين في ذلك ، ولكنهم لم يبتدعوا اساليب جديدة او مواضيع جديدة تجوز لنا ان نقول ان الشعر طراً عليه في زمانهم تطور كبير .

والشعر نوعان رئيسيان وجداني وموضوعي . فالوجداني يدور على نفس الشاعر - على تأثره من امر ما ، واضهار ذلك التأثر بالكلام المنظوم . ومن ذلك مدحه لاميره ، او تغزله بفتاته ، او هجاؤه لعدوه ، او وصفه لما تقع عليه عينه ، او تحريضه على ما يشعر بصلاحه

اما الموضوعي فيدور على شيء خارج عن نفسه - على صفات يتخيلها او يراها فيما حوله من ظواهر الطبيعة او النظر في حياة الانسان ، وما الى ذلك من المواضيع الاخلاقية والادبية التي تمثل للجمهور ما يشعرون به في الحياة ، او تحملهم على اجنحة الخيال الى ما وراء المحسوسات ، فتستفز فيهم حب الجمال وتدفعهم في سبل الكمال

وانت اذا رجعت الى معظم دواوين الشعر في العصر العباسي ، ثم دقت في المقاييس الادبية التي وضعها علماء البلاغة ونقده الشعر امثال قدامة والاصفهاني والامدي والعسكري

والشعالي والجرجاني وابن الاثير واضرابهم ، رايت ان التجدد الشعري في العصر العباسي لم يتعد في الاغلب صناعة الشعر ، وانه منحصر في الوجداني منه . وهو يظهر لنا في ثلاثة مظاهر

(١) رقة العبارة (٢) التفنن في المعاني (٣) التوفّر على البديع اللفظي

وقد يضاف اليها التوسع في المصطلحات الانظمية

على انه من الانصاف ان نقول ان الشعر المولّد يمثل لنا ايضاً تجدداً في الناحية الروحية من الشعر، ناحية الزهد والورع والاصلاح: وتلك حركة خاصة سنتناولها في غير هذا المقام

### رقة العبارة

وحكمتنا من هذا القبيل اجمالي لا حصر فيه . فلا العهد القديم يتفرّد بجشونة الاسلوب وضخامة الالفاظ ، ولا المولد بالنعومة والسلامة وعذوبة العبارة . ومن المبين ان العبارة كثيراً ما تتوقف على الموضوع . فالشاعر القديم (بدويّاً كان ام حضريّاً) اذا تغزل او رثى او تأمل جاء بالرقيق الناعم ، كقول حمزة يصف ما فعل به الوجد

جعلتُ لعرّاف اليامة حكمه      وعرّاف نجد ان هما شفياني  
فقالا نعم نشفي من الداء كله      وقاما مع العواد بيتدران  
فما تركا من رقية يعلمانها      ولا سلوة الا وقد سقياني  
فما شفياء الداء الذي بي كله      ولا ذخرنا نصحاً ولا ألواني

وقول عمر ابن ابي ربيعة من قصيدته المشهورة في فتاته نعم  
وبتُ اناجي النفس اين خباؤها      وكيف لما آتني من الامر مصدرُ  
فدلّ عليها القلب رياً عرفتها      لها وهوى النفس الذي كاد يظهرُ

وقول ابي ذؤيب في رثاء بنيه

والنفس راغبة اذا رعبتها      واذا تردُّ الى قليل تقنع  
واذا المنية انشبت اظفارها      الفيت كل تيمة لا تنفع

الى ما يجري مجراه من الشعر العذب الذي لا يمكن حصره هنا . فاذا تعديت ذلك الى ما يختص بميشة الاعراب ووصف منازلهم وادواتهم ، اصبح الشعر خشناً متوعراً ، كالذي

تجده في صفات الطاول والجمال والقسى واوابد القفر، وما الى ذلك مما يعجُّ به الشعر القديم وكذلك الشعر المولد تجده في ادوار تختلف باختلاف مواضعه واحوال قائله . فبته الذي يسيل عدوبة ويبلغ الدرجة العليا من الاناقة ، وسيمر بنا كثير منه .  
ومنه ما يتُّ بنسب متين الى العهد القديم ، تقرأه فتجد فيه عنجوية البداوة وتوعرها  
كقول ابن دريد يصف حصانه

ومشرفُ الاقطارِ خاطِرٌ نحضه حايي القَصِيْرِي جُرْشَعٌ عردُ النَّسَا (١)  
سامي التَّلِيْلِ في دَسِيْعٍ مُفْعَمٍ رَحْبُ اللَّبَانِ في اَمِيْنَاتِ الْعُجْبِي (٢)  
ومنها في وصف حاله -

ما خلتُ ان الدهر يشيني على ضراء لا يرضى بها ضب الكدى (٣)  
ارمق العيش على برض فان رمت ارتشافاً رمت صعب المرتقى  
في كل يوم منزل مستوبل يشف ماء مهجتي او مجتوى  
وقول المعري في سقط الزند

لعل نواها ان تربع شطونها وان يتجلى عن شمس شطونها (٤)  
اذا ما اخننا حرّة فوق حرّة بكى رحمة الوجناء فيها وجينها (٥)

والمعري ولاسيا في شعر شبابه كثير من هذا الضرب

ومثله ابو تمام، وستناول ذلك في دراسته وتحليل شاعريته ، وانما نكتفي هنا بابياته التالية في وصف قتال حدث في الشتاء .

لقد انصعت والشتاء له وجه يراه الرجال جهما قطوبا

سبرّت (٦) اذا الحروب ابيضت حاج صبرها فكانت حروبا

فضربت الشتاء في اخدعيه ضربة عاودته قوداً ركوبا

وهذا ابو نواس وهو في طليعة المولدين ديباجة ورونقاً لا يخالو شعره احياناً من النزعة الأعرابية كقوله -

إنا اليك من الصليق فدائم طلع النجاد بنا وجيف الأينق

يتبعن مائة الملائق (٧) كأننا ترنو بعيني مقلت لم تفرق

(١) حصان مرتفع الجوانب ضخّم شديد العصب (٢) مرتفع العنق واسع الصدر قوي الارساغ

(٣) الكدى الصخور (٤) راع رجع . شطون بعيد . شطون دجون

(٥) حرّة ارض سوداء . الوجناء الناقة . الوجين الارض الغليظة .

(٦) سبرات غدوات باردة ابيضت خمدت (٧) ناقة مضطربة الاعضاء

وسنرى ذلك في درس شعره

فنحن اذن في نعتنا الشعر المولد بالرفقة لانني الحشونة البدوية من بعضه ، ولا نحصر النعومة والسلاسة فيه . على اننا برغم ذلك نجد ان التطور الاجتماعي قد انشأ في العصر العباسي جواً حضرياً رائعاً ، فقضى على الفاظ وتعبير ، وانشأ عوضها ما هو اشد ملائمة لروح العصر . ومن ذلك ميل الادباء عن اسلوب النظم القديم . وهو كما وصفه ابن قتيبة « ان يبتدىء الناظم بذكر الديار والدمن والاثار فيشكو ويبكي ويخاطب الربيع ويستوقف الرفيق . . . ثم يصل ذلك بالنسيب فيشكو شدة الشوق ولم الوجد والفراق ثم يرحل ويشكو النصب والسهو وسري الليل وانفناء الراحلة الخ » .<sup>(١)</sup> ومع ان هذا الميل الى التجدد لم يكن شاملاً ، فان له اثرأ بيئياً في المباحث النقدية التي عني بها علماء الشعر في ذلك العصر . ويوضح لنا ذلك ما ذكره ابن رشيق يصف الحالة الشعرية في زمانه ، اي في القرن الخامس الهجري (وقد سبقه الى ذلك نقدة الشعر منذ القرن الثالث) - قال « وليس بالمحدث من الحاجة الى اوصاف الابل ونعوتها ، والقفار ومياهها ، وحمر الوحش والبقر والظلمات والوعول ، ما بالاعراب واهل البادية ، لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم ان الشاعر انما يتكلفها تكلفاً ليجري على سنن الشعراء قديماً . . . الى ان يقول «الاولى بنا في هذا الوقت صفات الحمر والقيان وما شاكلها وما كان مناسباً لها ، كالكووس والقناني والاباريق وتفاح التجيأت وباقات الزهر ، الى ما لا بد منه من صفات الحدود والقودود . . . ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين»<sup>(٢)</sup> .

وله في العمدة مقابلة جيدة بين طريقة القدماء وطريقة المولدين في « باب المبدأ والخروج والنهاية » فلترجع هناك<sup>(٣)</sup>

ومن دلائل التجدد اللغوي في العصر العباسي ظهور « النقد البياني » الذي جعل اساس البلاغة في الالفاظ السهولة والخلابة والجزالة . وامثلة ذلك ما جاء لابي هلال العسكري في كتابه « الصناعتين » اذ قال - فاذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة ، والسهولة والرصانة ، مع السلاسة والنضاعة ، واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف ، وبعد عن سماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب ، قبله ولم يردّه ، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يعبّه . والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ وتقلق من الجاسي البشع . . . .

(١) الشعر والشعراء (م) ص ٧ (٢) العمدة ٢-٢٢٧ (٣) العمدة ١ ص ١٦٥-١٦١

والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ويسكن الى المألوف « الى آخر كلامه <sup>(١)</sup> . ومثل ذلك قول الجرجاني « واما رجوع الاستحسان الى اللفظ فلا يكاد يعدو خطأ واحداً وهو ان تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم ، ولا يكون وحشياً غريباً او عامياً سخيفاً <sup>(٢)</sup> »

ولا ينكر ان « النقد البياني » لم يصبح فناً ذا قواعد مرعية الا في القرن الرابع الهجري وما بعده ، بيد ان الروح النقدية التي تمثل التطور الصناعي في الشعر قديمة ترجع الى اوائل العصر العباسي

### الفن في المعاني

ويعنون بالمعاني الشعرية ضروب التمثيل والتشبيه والاستعارة

اما التمثيل فيراد به ان يعتمد الشاعر الى حكمة عقلية ادر كها الناس بالخطورة او عرفوها بالاختبار ، ويسبكها في قالب لفظي جميل ، كقول المتنبي

على قدر اهل العزم تأتي العزائم      وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وتعظم في عين الصغير صغارها      وتصغر في عين العظيم العظائم

والمثل في الشعر العربي كثير ، وقد تفتنوا فيه في العصر العباسي فتركوا لنا من اقوالهم جواهر غالية . ويكثر ذلك في شعر ابي العتاهية وابي تمام وابن الرومي والمتنبي والمعري واضرابهم وسنلم بالكثير منها عند درسنا هؤلاء الشعراء ، وهو داخل عند الجرجاني في قسم المعاني المعقولة . . . ويقابله عند ذلك الامام القسم التخيلي وهو كما قال : مغنن المذاهب كثير المسالك لا يكاد يحصر الا تقريباً ولا يحاط به تقسيماً وتبويباً ، ثم انه يجي . طبقات ويأتي على درجات فنه ما يجي . مصنوعاً قد تल्पف فيه واستعين عليه بالرفق والحدق حتى اعطى شها من الحق وغشي رونقاً من الصدق <sup>(٣)</sup> . . . الى ان يقول وجسلة الحديث الذي اريد به بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر امرأ هو غير ثابت اصلاً ويدعي دعوى لا طريق الى تحصيلها ويقول قولاً يندع فيه نفسه ويرى ما لا يرى <sup>(٤)</sup> ومع انه يخرج الاستعارة من هذا الحد ترى معظم امثله تدور على ضروب من التشبيه والاستعارة والمجاز ولا ين الاثير في المثل السائر بحث ضاف في توليد المعاني بسط فيه المراد بسطاً وافياً ،

(٢) امرار البلاغة ٣

(٤) امرار البلاغة ٢٢٣

(١) كتاب الصناعتين ٤١

(٣) راجع امرار البلاغة ٢١٦

وخلصته<sup>(١)</sup> : ان المعاني على ضربين ، ما ينتزع من شاهد الحال ، وما ينشأ من غير شاهد الحال ، واليك امثلة ذلك : فمن القسم الاول

بكروا واسروا في متون ضامر  
قيدت لهم من مربوط النجار  
لا يبرحون ومن رآهم خالم  
ابداً على سفر من الاسفار  
وهذا المعنى ( اي تشبيه المصابين بالفوارس الزاكبين ولا يبرحون مكانهم )  
استخلصه ابو تمام من رؤية بعض القائمين على الخليفة المعتصم مصابيين على اخشاب عالية

مثال ٢ -

وزاوتي كان بها حياء  
فليس تزور الا في الظلام  
بذات لها المطارف والحشايا  
فعاقتها وباتت في عظامي  
كان الصبح يطردها فتجري  
مدامعها باربعة سجام

شعر المتنبي بالحسنى ، وشاهد كيف كانت تزوره ليلاً وتدب في جسمه وكيف كانت تهبط صباحاً ويبتل جسمه بالعرق من جراء ذلك ، فوصفها كزائرة ذات حياء لا تزور حبيها الا ليلاً ، وتحيل الصبح يطردها فتتهطل لذلك مدامعها

مثال ٣ -

ضربت سيف الدولة خيمة عظيمة ، فهبت ريح شديدة فسقطت ، وكان المتنبي حاضراً فقال في ذلك

أيقدح في الخيمة العذل وتشمّل من دهرها يشمل  
الى ان يقول

رأت لون نورك في لونها  
كلون الغزالة لا يُغسل  
وان لها شرفاً باذخاً  
وان الخيام بها تحجل  
فلا تنكرن لها صرعة  
فن فرح النفس ما يقتل

فانظر كيف جعل سقوطها مسيئاً عن شدة ما نالها من الفخار والزهور ثم ساق الكلام

الى قوله

ولما امرت بتطينيها أشيع بأنك لا ترحل  
 فما اعتمد الله تقويضا ولكن اشار بما تفعل  
 فجعل تقويض الله لها تكذيباً لما اشيع عند تطينيها من انك لا تنوي غزواً لعدو. وقد  
 اجاد المتنبى في انتزاع هذا المعنى والباسه ثوب المجاز والخيال  
 ومن القسم الثاني ( اي المعاني المستكبرة من غير شاهد حال ) قول علي بن جبلة مادحاً  
 تكفل ساكن الدنيا حميدٌ فقد اضحت له الدنيا عيالا  
 \* كأن اباة آدم كان أوصى اليه ان يعوهم فعالا  
 اراد ان ينعت ممدوحه بالكرم العظيم الشامل ، فجعل العالم عياله وتخيّل ان آدم ابا البشر  
 اوصاه باعالتهم ففعل

وقول ابي تمام يمدح اميراً اقام على بابه حاجباً يمنع الناس  
 يا ايها الملك النائي برؤيته وجوده لمراعي جوده كذب  
 ليس الحجاب بقص. عنك لي املاً ان السماء ترجى حين تحتجب  
 وقوله في الحاسد والمحسود

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت ، اتاح لها لسان حسود  
 لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

ومثل ذلك في الحسن قول ابن الرومي  
 كل امرئ مدح امرءاً لنواله  
 لو لم يقدر ثم بعد المستقى  
 واطال فيه فقد اساء هجاء  
 عند الورود لما اطال رشاه

ومن لطيف المعاني قول ابن بقي الاندلسي

× بلبي غزالاً غالته مقلتي بين العذيب وبين شطي باري ×  
 حتى اذا مالك به سنة الكرى زحزحته شيئاً وكان معانقي  
 ابعده عن اضلع نشأقه كي لا ينام على وساد خافق

وامثلة ذلك كثيرة في الشعر المركد. واذا تأملتها تجد اكثرها او كلها من قبيل التفتن  
 في المجاز والتشبيه ، ولعل للاخير النصيب الاوفر مما يدخل في باب المعاني . وقد خصه ابن  
 رشيق بالذكر اذ قال . « ان المعاني انما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب بالاسلام



في اقطار الارض، فصَّرو الامصار وحضَّروا الحواضر وتأنقوا في الملابس والمطاعم، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره . وانا خصصت التشبيه لانه اصعب انواع الشعر وابعدها متعاطي<sup>(١)</sup>» وقال في موضوع آخر يقابل المحدثين بالقدماء . « واذا تأملت ذلك تبين لك ما في اشعار جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة، ثم اتى بشار بن برد واصحابه فزادوا معاني ما مررت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا اسلامي . والمعاني ابدأ تتردد وتتولد ، والكلام يقتنع بعضه بعضاً<sup>(٢)</sup> . ولم يرد ابن رشيق بالمعنى الشعري غير ما ذكرنا من التصرف في وجوه الصناعة المعنوية وأهمها عنده التشبيه . والذي يطالع دواوين كبار الشعراء في العصر العباسي ، ويقابلها بما نظم في العهد الاموي وما قبله ، يجد صحة ما ذهب اليه ابن رشيق وسواه من تفوق المولدين في ذلك . ولا نظن الا ان هذه المعاني التخيلية اخذت تتضاءل بعد عصر الشعر الذهبي، وقد ضعفت جداً بعد القرنين الثالث عشر والرابع عشر لليلاد وبقيت كذلك الى اواخر القرن التاسع عشر ، ثم اخذت بالانتعاش على يد شعراء القرن العشرين

### التوفر على البديع اللفظي

وما يقال عن رقة العبارة واختراع المعاني ، من حيث ان المولدين فاقتوا بها الاقدمين ، يقال عن البديع اللفظي : فقد جعلوا الاخير فناً معروفاً وجروا فيه الى الغاية . وانواع البديع كثيرة وقد الفت فيها كتب تدارسها الطلاب في كل جيل واول من صنف فيها عبدالله بن المعتز الشاعر المشهور ( في القرن الثالث الهجري ) فجعل منها بضعة عشر نوعاً ، ثم جمعها بن قدامة<sup>بن قدامة</sup> فجمع منها نحو عشرين ، وجاء العسكري في القرن الرابع فجعلها خمسة وثلاثين . ثم اخذ البيانيون والبديعيون يتفننون فيها حتى بلغت ما يزيد على المئة والخمسين ، واصبح للبديع في اواخر القرن العباسي سيطرة كبيرة لا على الشعر فقط بل على النثر ايضاً ، كما يتضح من الرسائل الديوانية والادبية في القرنين السادس والسابع على ان المولدين لم يبتكروا البديع ابتكاراً بل توسعوا فيه حتى بزوا سواهم : قال العسكري في كتاب الصناعتين رداً على الذين يعزون فضل ابتكاره للمحدثين ( اي ادباء العصر العباسي ) « فهذه انواع البديع التي ادعى من لا روية ولا رواية عنده ان المحدثين

ابتكروها وان القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما اراد ان يفهم امر المحدثين ، لان هذا النوع اذا سلم من التكلف وبرى . من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة<sup>(١)</sup> . والعسكري كما مر بنا من اهل القرن الرابع الهجري ، وكان الشائع في زمانه على ما يفهم من دفاعه ، ان ادباء العصر العباسي هم الذين ابتكروا انواع البديع فنفي ذلك وقال بوجودها في الشعر القديم . وذلك معلوم ، ولكنه لا ينبغي ان هذا الفن الكلامي لم ينظم ولم ينضج الا في العصر العباسي . ولا نعرف عصرأ بلغ فيه ولوع المشئين والشعراء بالبديع اللفظي كذلك العصر : فمذد ايام مسلم وابي تمام الى ايام ابن الفارض وصفي الدين الحلي تجد ولع الناس بالبديع يزيد مع الاجيال . وبقي كذلك الى ايام ابن معتوق ثم الى مستهل النهضة الاخيرة ، لم يقض عليه غير ما اصاب الادب في اواخر القرن التاسع عشر للميلاد وفي القرن العشرين من التطور اللفظي والخيالي

ولا يتسع المقام لذكر كل انواع البديع اللفظي والتمثيل عليها ، بيد انه لا بد من القول ان الطباق والجناس هما الركنان الاساسيان وعليهما يحوم اكثر الشعراء ، ويليهما رد العجز على الصدر ، والعكس ، والترصيع فسائر الانواع

وقد تناول ابن رشيقي امر المقابلة بين القدماء والمحدثين فقال «ان المحدثين اكثر ابتداءً لان الملك الاسلامي عظم في ايامهم» . واكثر النقاد يقولون ذلك ، ويعنون به ان اتساع الحضارة فتحت للشعراء ابواباً جديدة للمعاني ، كأوصاف الحجر والنساء والغلمان والغناء ، وسائر اسباب اللهو والقصف ، وان ذلك انشأ في نفوس البعض شعوراً معاكساً مال بهم الى الزهد والتصوف وانكار المذات - وفي ذلك ما فيه

على اننا عند التحقيق نجد ان هذا التجدد في المعاني انحصر بالاكثري في مجاري البديع لم يتعدأهما الى الفنون الخيالية العليا المبنية على معرفة اوسع في الكون والانسان ، وعلى نظرات ادق في الطبيعة والعرمان . ولم تكن الاشعار الروحية والادبية عموماً تأملات فلسفية في الحياة ، بل خطرات تأتي في سياق وعظ او انتقاد ، او تغير ذلك من المناسبات

### التوسع في المصطلحات اللفظية

وهذا باب واسع يعسر الخوض فيه هنا ، وهو يباحث تاريخ اللغة وتطورها اولى .

على ان الناظر في تطور الشعر المولد لا يسهه ألا ان يقف قليلاً عند هذه الظاهرة الادبية العامة، وهي تمثل لنا امرين - (١) اختلاط العرب بالاعاجم (٢) الميل الى التحرر من بعض القيود اللغوية . اما الاول فقد مرّ معنا في الكلام عن تطور الحياة الاجتماعية، فلا لزوم لاعادته . وبكفي هنا ان نقول ان هذا الاختلاط كان له اثره في الالفاظ الشعرية : قال الجرجاني في الوساطة ، ان المحدثين قد اتسعوا فيه حتى جاوزوا الحد لما احتاجوا الى الافهام وكانت تلك الالفاظ اغلب على اهل زمانهم واقرب من افهام من يقصدون وقد افرد ابو نواس حتى استعمل زغرده - ويازبنده - وباريكنده الخ .<sup>(١)</sup> ومن ذلك لابن الرومي شير وهي الاسد في الفارسية - زرياب اي ماء الذهب - الدوشاب وهو النبيذ الاسود - الكوش اي الاذن . وللمعري فرزان وفرازين وبياذق من اسما الشطرنج - والزيج والاسطرلاب من ادوات الفلك - وبعض الفاظ عامية مثل آرا بمعنى نعم وامثالها

وقد كان القدماء يستعملون الفاظ العجم عند الحاجة ولكنهم لم يبلغوا من ذلك ما بلغه المولدون<sup>(٢)</sup> . وعن الجاحظ كان الشاعر يتملح بها على عادة بعض الشعراء في ذلك الزمان<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

واما الخروج عن نصوص اللغة فما يلفت النظر وقد اشتهر بذلك بعضهم كالمتنبي وابن الرومي فن كلام الاول قوله  
ادت له بدل ادلته من  
اخاطره في روحي اراهنه  
فريض جمع فرائض  
يتفارسن اي كل يطلب اقتراس الآخر  
فرد رجل اي رجل واحدة  
الحدور والجلوب والتروك وما يشاكل هذه الصيغ  
العلم المبرح ( وهو اول من وصف العام بالتبريح )  
النطق اي اللسن

(٢) الوساطة ٣٤٧ - ٣٤٨

(١) الوساطة ٣٤٧ - ٣٤٨

(٣) البيان والتبيين ١ - ٦١

وعشرات مثلها تجدها في تضاعيف ديوانه<sup>(١)</sup>

ومن امثلة الثاني

مفاتيح - يزندقون - الاشرابات - الأذهاب - هجيج - نهارك انهر - الايام  
الاطاول - العلاجم - اللعاب. جمع لآب ، وكثير غيرها

وايست هذه الظاهرة شاملة ولكنها تكاد تكون عامة في العصر العباسي ، ولها  
اسباب لا تدخل في بحثنا الآن . ويدخل فيها المصطلحات والمسميات الجديدة التي نشأت  
بتقدم الحضارة . ولا شك ان هذا التجدد اللفظي بدأ في اللغة منذ اقدم عهودها وجرى منها  
مع الزمن ، حتى كانت النهضة العلمية الاجتماعية في العصر العباسي ، فظهر فيها بظهور كبير ،  
كما ظهر في نهضتنا العلمية الحديثة . ومع تخرج الشعر في المحافظة على الالفاظ اللغوية  
الصرافة لم يستطع التخلص من تأثير الالفاظ العربية ، كما تشهد بذلك النصوص الشعرية  
في كل زمان



(١) راجع ما انكره العلماء من شعره في كتاب الوساطة للجراني ٣٢٩ - ٣٦١

## امراء الشعر المولد

ابو نواس - ابو المتاهية - ابو تمام - البحري - ابن الرومي - المتني - المعري - ابن الفارض

يختلف الباحثون في من المقدم من شعراء العصر العباسي . ولا سبيل الآن الى البحث في اختلافاتهم والنظر في اسبابها فلكل نظره الخاص ، واكمل اراء يدعمها بحجج مقبولة . على اننا قد اخترنا منها لدراساتنا التحليلية هؤلاء الثانية ، وهم بلا جدال من الطبقة الاولى بين المولدين .

وقد كان معولنا في اختيارهم شهرتهم ، وانهم اعمق اثرًا من سواهم في تاريخ الشعر العباسي . ولا نقصد بذلك انه لا يوجد بين سائر الشعراء من يرتفع الى درجتهم او يفوقهم في بعض المناحي كأبي فراس مثلاً او الشريف الرضي ، بل انهم يمثلون العصر العباسي افضل تمثيل ، وفي درسههم درس لذلك العصر وللروح الشعرية العامة فيه

# ابو نواس

احسن بن هاني

ولد بين ( ١٤١ و ١٤٥ ) هـ - وتوفي بين ( ١٩٦ و ٢٠٠ )

حوالي ( ٧٦٠ - ٨١٦ ) م

مصادر دراسته - بينته - ميله الشعري - مقامه الادبي - شخصيته الشعرية

## مصادر دراسة

- ١ - ابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦ هـ ٨٩٥ م الشعر والشعراء المطبعة العمومية مصر ١٨٩٨  
ليدن ١٩٠٢
  - ٢ - الطبري توفي سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م تاريخ الرسل والملوك ليدين ١٨٧٩ - ١٩٠١
  - ٣ - الاصفهاني توفي سنة ٣٥٦ هـ ٩٦٧ م الاغانى بولاق ج ١٨ ومتفرقات في ج ١٦ و ١٦
  - ٤ - الجرجاني توفي ٣٦٦ هـ ٩٧٦ م الوساطة صيدا ١٣٣١
  - ٥ - المرزباني توفي سنة ٣٨٤ هـ ٩٩٤ م الموشح مصر ١٣٤٣ من ص ٢٦٢
  - ٦ - ابن النديم توفي سنة ٣٨٥ هـ ٩٩٥ م الفهرست ليبسك ص ١٦٠
  - ٧ - ابن شرف القيرواني توفي ٤٦٠ هـ اعلام الكلام ص ٢٢ - ٢٣
  - ٨ - الخطيب البغدادي توفي سنة ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م تاريخ بغداد مج ٧ من ص ٤٣٦
  - ٩ - ابن عساكر (٥٧١ هـ تهذيب التاريخ الكبير مطبعة روضة الشام ١٣٣٢) ج ٤  
ص ٢٥٤ - ٢٧٩
  - ١٠ - الانباري توفي سنة ٥٧٧ هـ ١١٨١ م طبقات الادباء من ص ٩٦
  - ١١ - ابن خلكان توفي سنة ٦٨١ هـ ١٢٨١ م وفيات الاعيان (ميري) ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٢
  - ١٢ - ابن منظور توفي سنة ٧١١ هـ ١٣١١ م اخبار ابي نواس
  - ١٣ - النويري توفي سنة ٧٢٣ هـ ١٣٣٣ م نهاية الارب (دار الكتب المصرية ١٩٢٥)  
٤ - ص ١١٩ - ١٢٣
  - ١٤ - طاش كوبري زاده توفي سنة ٩٦٨ هـ ١٥٦١ م مفتاح السعادة
  - ١٥ - البغدادي توفي سنة ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م خزانة الادب (بولاق) ١ - ١٦٨
- وفي مواضع شتى من الكامل للمبرد، والعمدة لابن رشيق، والفخرى لابن الطقطقي،  
وزهر الادب للحصري، ومختصر مقدمة الشعر لابن منقذ، ومعاهد التنصيص للعباسي  
(تجد زبدة الاخيرين في ذيل ديوان مسلم لغوجي (Goeji))  
وقد ترجم له مؤرخو الادب المتأخرون كالبستاني في دائرة المعارف، وزيدان في  
آداب اللغة وسواهما
- ومن تناوله في دراسات نقدية الاساتذة - طه حسين في حديث الاربعا، وعباس مصطفي  
عمار في كتابه (ابو نواس حياته وشعره ١٩٢٩ - ١٩٣٠) وعمر فروخ في كتابه (ابو نواس)

## ليته وعصره

٢

ولد شاعرنا في خوزستان من بلاد العجم، وانتقل به والداه وهو طفل الى البصرة فنشأ فيها. ويظهر ان اياه مات وتركه صغيراً في كفالة امه، فسلمته الى عطار ليتعلم تلك المهنة. ولا نعرف شيئاً كثيراً عن عهده «العطاري»، فان التاريخ يتخطى ذلك سريعاً ويبرزه لنا في صحبة الشاعر والبة بن الحباب. ثم لا نلبث ان نراه حوالي الثلاثين من عمره، وقد استقر في بغداد ومدح الرشيد واتصل ببلاطه. ويقول ابن رشيقي انه كان نديم الامين طول خلافته<sup>(١)</sup>. اما كتاب الفخري فينقل لنا انه كان من شعراء الفضل بن الربيع المنقطعين اليه<sup>(٢)</sup>. وليس من تناقض بين القولين: فان الفضل كان حاجب الرشيد ومن رجال دولته والوزير المقرب في دولة الامين، فقد يكون اتصل به اولاً ثم نادى الامين ومدحه. وتوفي في الفتنة قبل قدوم المأمون من خراسان

نشأ ابو نواس في العصر الذهبي للخلافة العباسية - عصر القوة والرخاء. وقد رأينا في كلامنا عن تطور الحياة الاجتماعية كيف كانت بغداد في ذلك العصر، من حيث غناها وعمرانها وبذخ المترفين فيها. ومن يطالع اخبار الامراء والوزراء ومن اليهم من ارباب الغنى، وكيف كانوا يتمتعون باسباب الحضارة من عبيد وجوار وقصور، ويستراسون في سبل اللهو من شرب وغناء ورقص، يعرف شيئاً عن الجو الذي وجد فيه شاعرنا والذي اثر في اخلاقه ايماً تأثيراً.

طبع ابو نواس على الظرف والمجون، وواقفته الاقدار في صحبة ابن الحباب، فاخذ عنه مذهبه في الشعر والحياة. وكان الشعر آتئذ في ايدي عصابة من اهل الاسراف والخلاعة، نذكر منهم - مطيع بن اياس - حماد عجرد - مسلم بن الوليد - داود بن رزين - الواسطي - الحسين بن الضحاك - الفضل الرقاشي - عمر الوراق - الحسين الخياط - علي بن الخليل - اسماعيل القرايطي واما لهم. وفي القرايطي يقول الاصفهاني «كان مألفاً للشعراء فكان ابو نواس وابو العتاهية (طبعاً قبل ترده) ومسلم وطبقتهم يجتمعون عنده ويقصفون ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان<sup>(٣)</sup>»

في عصابة كهذه العصابة وقع شاعرنا. وليس شعره لدى التحقيق الا مرآة لحياته واحوال معاصريه. ولقد بلغ من التادي في عبثه وتهتكه ان صار مثلاً في ذلك



روى الحصري « انه لما خلع المأمون اخاه الامين ووجّه بطاهر بن الحسين لمحاربته كان يعمل كتباً بعيوب اخيه تقرأ على المناير بخراسان . فكان مما عابه به ان قال انه استخلص رجلاً شاعراً ماجناً كافراً يقال له الحسن بن هاني ، استخلصه ليشرب معه الخمر ويرتكب المآثم ويهتك المحارم » . ثم يقول . . . « ويقوم بين يديه رجل فينشد اشعار ابي نؤاس في المجون »<sup>(١)</sup> . واننا لننظلم ابا نؤاس اذا حصرنا حياته وادبه في هذه الدائرة التي وضعت فيها كتب المأمون . فقد كان غير ذلك ( كما سنذكر في كلامنا عن مقدرته اللغوية ) ولكن المجون غلب عليه ، وفي سبيله صرف مواهبه  
قال ابو عبدالله الجمّاز يصف ابا نؤاس<sup>(٢)</sup>

« كان اطرف الناس منطقاً ، واغزرم ادباً ، واقدرهم على الكلام ، واسرعهم جواباً ، واكثرهم حياءً » . وبعد ان يصف شكله ولونه يقول -  
« وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الالفاظ ، حاو الشئائل ، كثير النوادر ، واعلم الناس كيف تكلمت العرب ، راوية للاشعار ، علامة بالاخبار ، كأن كلامه شعر موزون » .

كان الرجل واسع المعرفة - متصلاً بحياة عصره السياسية والفكرية ولكن انصرفه الى الخمر واسترساله في الموبقات حالاً دون ان يترك لنا اثرأ ادبياً كبيراً في غير سخائف الحياة .

### مبله في ادب الى الشعوية

قد تعجب من هذا الزعم بعد ان عرفت انه كان يلزم الفضل بن الربيع والامين بن الرشيد ، وهما معقد العصبية العربية في ذلك الوقت . ولكن لا عجب فابو نؤاس كما مر معنا من ام فارسية ، وقد ولد في بلاد فارس ، ونشأ لا تعرف له عصبية واضحة في العرب . وهم ينسبون له الى قبيلة حَكَم اليمينية فيقولون الحكمي ، ولكن ابن منظور صاحب اخباره يقول : « كان ابو نؤاس دعياً يخلط في دعوته »<sup>(٣)</sup> اي انه لم يكن ثابت الانتساب الى اصل من الاصول ، فهو تارة يدعي النسب الياني ، كقوله في حديث له مع الجمّاز

(٢) زهر الآداب ١ - ٢٠٤

(١) زهر الآداب ج ٣ - ١١١

(٣) اخبار ابي نؤاس ١٦

فلسا أن رأى زقي امامي تكلم غير مذعور اللسان  
وقال امن تميم ؟ قلت كلا وايكني من الحي الياني

وتارة يهجو اليمينية ، كقوله في هجاء هاشم بن حديج وهو كندي من صميم اليمن  
يا هاشم بن حديج لو عدت ابا مثل القلمس لم يعلق بك الدنس

والقلمس احد رؤساء كنانة وهي من غير اليمن كما هو معروف . وفي هذه القصيدة  
يعدد كرماء نزار الذين يفتخر بهم ، ويستغرب ذلك ممن له عصبية شديدة في اليمن . ونقل  
ابن منظور « انه كان يتنزر ويدعي للفردق ، ثم انقلب على التزارية وادعى انه من حاء  
وحكم فزجره يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له انت خوزي (اي من خوزستان)  
فمالك وحاء وحكم ، فقال انا مولى لهم فتركوه . وقال بعضهم لبعض انه ظريف اللسان  
غزير العاوم فدعوه . وبهذا الولا . يتعصب لنا ويكايده عنا ويهجو التزارية ، فكان كما  
قالوا . وكان يكنى اولا بابي فراس فعدل عن ذلك واكتنى بابي نواس تشبهاً بكنتية ذي  
نواس ، كما كانت اليمن تكنى وقيل غير ذلك<sup>(١)</sup> . ويذكر في محل آخر انه كان في دعاويه  
يتحان ويبعث ويخفي اسمه واسم امه لئلا يهجي ، وذلك مشهور عنه . والمذكور من امره انه  
كان مولى الحكميين يفتخر باليمن ويدحهم لذلك ، ويدح العجم ويذكرهم لانه منهم<sup>(٢)</sup>

فما ذكر آنفاً نستدل ان ابا نواس كان من اصل وضع وانه كان ينتسب الى الحكميين  
بالولا . والامر الراهن انه فارسي الضلع ياخذ ياخذ الشعوبية في الاستخفاف بالحياة  
العربية . ويزيدنا ثقة بذلك انه كان يأخذ العلم عن ابي عبيدة ويدحه ويذم الاصمعي<sup>(٣)</sup> .  
والى ذلك يذهب ابن رشيقي اذ يقول « وكان شعوبي اللسان وما ادرى ما وراء ذلك وان  
في اللسان وكثرة ولوعه بالشيء . لشاهد عدلاً لا ترد شهادته<sup>(٤)</sup> . ويروي له ابن عبد ربه  
ابياتاً ويقول انه قالها على مذهب الشعوبية<sup>(٥)</sup> . ونقل الطبري ان الرشيد حبسه لهجائه قريش<sup>(٦)</sup> .  
وانك لتلمس في شعره استهزاءه بالعرب كقوله

(١) اخبار ابي نواس لابن منظور ١-٣٧ وخزانة الادب ١-١٦٨

(٢) « « « « ٦٧ . وقد عده الجاحظ (في كتاب الموالي) من الموالي راجع

العقد ٣-٢٦٩ (٣) مفتاح السعادة ١-٩٣ (٤) السبعة ج ١-١٥٥

(٥) راجع العقد ٢-٨٧ (٦) الطبري (ليدن) ج ٣-٩٥٩

عاج الشقي على رسم يسائله وبث أسأل عن خماره البلد  
يبكي على طلل الماضين من اسد لا در درك قل لي من بنو اسد  
ومن تميم ومن قيس وأنهما ليس الا عارب عند الله من احد

سخريه اليمه تظهر فيها شعوبيته الشعرية . وهو يكثر من هجائه الاعراب والاعرابيات ،

ولاسيا اذا قابل حالهم بحضارة الفرس الغابرة كقوله

دع الرسم الذي دثرا يقاسي الريح والمطرا

وكن رجلاً اضاع العلم في اللذات والخطرا

الم تر ما بنى كسرى وسابور لمن غبرا

منازه بين دجلة والقرات اخصها الشجرا

لارض باعد الرحمن عنها الطلح والعشرا<sup>(١)</sup>

ولم يجعل مصايدها يرايبعا ولا وحررا<sup>(٢)</sup>

ولكن حور غزلان تراعي بالملا بقرا

فذاك العيش لا سيد بقفرتها ولا وبررا<sup>(٣)</sup>

اذا ما كنت بالاشياء في الاعراب معتبرا

فانك اياما رجل وردت فلم تجد صدرا

ويأخذ من هنا بدم اهل البادية رجلاً ونساء . وشعره يعج بنا يدل على شغفه بتاريخ

الفرس واناقة الحضرة ، ونفوره من الحياة البدوية التي كان يتغنى بها الاقدمون . ومن ذلك

ايضاً قوله

دع المعلى يبكي على طالله وخل عوفاً يقول في جملة

وقل لكلثوم<sup>(٤)</sup> المفضل بالشعر يطيل الاعراض عن رحله

واغد على اللهو غير متئد عنه فهذا اوان مقتبله

اما ترى جدّة الزمان وما ابدع فيها الربيع من عمله

وافي وجوه الزمان غادية عند اقتراب الشتاء من اجله

فاشرب على جدّة الزمان فقد وافى بطيب الهوى ومعتدله

من قهوة تذكر السرور وتندي الهم عند اعتراض مشكله

(١) من اشجار القفر (٢) الوحر من العطاء (كالجراذين وسام ابرص)

(٣) السيد الذئب والوبر حيوان اصفر من السنور (٤) هو العتابي الشاعر المشهور

وقوله

لقد جنّ من يبكي على رسم منزل ويندب اطلاقاً عفون بحرول  
فان قيل ما يبكيك قال حمامة تنوح على فرخ باصوات معل  
تذكرني حياً حلالاً بقفرة وآخية شجّت بفهر وجندل<sup>(١)</sup>

ومما يشعر ميله الى الفرس وانحرافه عن مذاهب العرب قوله من قصيدة  
دع الاطلاق تسقيها الجنوب وتبكي عهد جدتها الخطوب  
وخلّ لراكب الوجناء ارضاً تحتها النجبية والنجيب  
ولا تاخذ عن الاعراب لهواً ولا عيشاً فعيثهم جديب

ثم يصف خشونة عيشتهم ويقابل ذلك بصفاء العيش في الحضارة والتمتع بالحجر ، الى ان

يقول

فهذا العيش لا عيش البوادي وهذا العيش لا اللبن الحليب  
فاين البدو من ايوان كسرى واين من الميادين الزروب

\*\*\*

كان النضال في عصره مستحراً بين المحافظين والمجددين - بين الذين يرون التمسك  
بمقاييس الشعر القديمة ، وبين الذين يرومون استبدالها بمقاييس اخرى فوقف الى جانب هؤلاء .  
على انه لم يفعل ذلك في كل شعره ، وسنرى انه تابع المحافظين حيناً وجرى معهم في بعض  
سبلهم المعهودة

قلنا ان ابا نواس كان يأخذ في شعره اخذ الشعوبية . وعلى ذكر الشعوبية نقول انها  
حركة قام بها في صدر الدولة العباسية جماعة من المنتمين الى اصل فارسي ، وغايتهم تعظيم  
الفرس وحضارتهم ومقاومة ما كان قد نشأ في نفوس العرب ( ولا سيما ايام الامويين ) من  
روح التفوق والاستنثار بالمجد . وقد قام من الفريقين جماعة يناضلون عن مذهبهم ويرمون  
خصوصهم باليم سهامهم . نذكر من الفريق العربي ابن قتيبة والجاحظ وابن دريد ، ومن  
الفريق الشعوبي ابا عبيدة وسهل بن هرون والبيروني وحمة الاصفهاني . ولقد كان لهذه  
الحركة السياسية الاجتماعية تأثير ملموس في الادب ، وقد اشرنا الى تأثيرها على ابي نواس

(١) آخية اي عود دقيق يوضع بين حجارة الخائط لتشدّ اليه الدابة والفهر الحجر وكذلك  
الجندل

## حفاصه الادبي واسلوبه الشعري

ذكرنا سابقاً انه كان واسع المعرفة متصلاً بحياة عصره الفكرية . وفي شعره ما يشعر باطلاعه على آراء الفلاسفة والمتكلمين . على ان اهم ما يذكر له هنا تبخره في العلوم اللغوية والاسلامية ، حتى قال الجاحظ « ما رأيت رجلاً اعلم باللغة من ابي نواس وافصح لهجة مع مجانبه الاستكراه »<sup>(١)</sup> . وقال بعض الرواة « كان اقل ما في ابي نواس قول الشعر وكان خلاً راويةً عالماً »<sup>(٢)</sup> . وقال عن نفسه « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأةً من العرب غير الخنساء ، فما ظنك بالرجال ؟ واني لأروي سبعة ارجوزة لا تعرف »<sup>(٣)</sup> . ولقد تروى دهشتنا واستنكارنا ذلك اذا عرفنا ان اساتذته كانوا من مشاهير العلماء والمحدثين منهم ابو زيد الانصاري وابو عبيدة ابن المشي وعبد الواحد بن زياد وازهر السمان والقطن . ومنهم خلف الاحمر الذي لزمه مدة غير يسيرة<sup>(٤)</sup> . ولم يكتف بذلك بل قصد بادية بني اسد واخذ اللغة عن اعرابها<sup>(٥)</sup> وقد روى عنه جماعة من ادباء ذلك العصر وعلماؤه

اما النظم فيشهد بعلو كعبه فيه كبار اهل العربية . حدثت الآمدي عن المبرد قال ما تعاطى الشعر احد من المحدثين احذق من ابي نواس . وحكى ابن الجراح عن ابن عكرمة عامر الضبي عن ابن السكيت ان ابا عمرو الشيباني قال : لولا ما اخذ فيه ابو نواس من الارفات لاحتججت بشعره لانه كان يحكم القول ولا يخلطه<sup>(٦)</sup> . ولابن الاعرابي وابي عبيدة وابن خالوه شهادة كهذه الشهادة<sup>(٧)</sup> . واذا علمت ان الرواة وعلماء اللغة لم يكونوا يحتجون بما بعد العصر الاموي علمت منزلة شاعرنا في نفوسهم .

وقد نقل عن العتابي قوله : والله لو ادرك هذا الخبيث الجاهلية لما فضلت عليه احداً<sup>(٨)</sup> . ولكي تعرف شيئاً عن نفسية اللغويين في ذلك العصر ونظرهم الى المحدثين ننقل لك عن الحصري القصة التالية<sup>(٩)</sup>

كان ابو عبدالله محمد بن زياد الاعرابي يطعن على ابي نواس ويميب شعره ويضعفه

(١) اخبار ابي نواس لابن منظور ٦ (٢) اخبار ابي نواس لابن منظور ٥٣

(٣) « « « « « « ٥٤

(٤) ابن منظور ٢٣ و ٢٧

(٥) « « « « « « ٥٨ و ٢

(٦) ابن منظور ١٣

(٧) راجع هذه الشهادات أيضاً لحزمة الاصفهاني في مقدمة ديوان ابي نواس (مصر)

(٨) زهر الآداب ١-٢١٨

(٩) ابن منظور ٥٧

ويستلته . فجمعه مع بعض رواة شعر ابي نواس جلس ، والشيخ لا يعرفه . فقال له صاحب ابي نواس اتعرف اعزك الله احسن من هذا ، وانشده شعراً . فقال لا والله . فلمن هو ؟ قال الذي يقول

رسم الكرى بين الجفون مجيلٌ  
عنى عليه بكلى عليك طويل  
يا ناظراً ما اقلعت نظراته  
حتى تشخط بينهن قتييل

فطرب الشيخ وقال : ويحك لمن هذا ؟ فوالله ما سمعت اجود منه لتقديم ولا لمحدث ! فقال لا اخبرك او تكتبه ، فكتبه . فقال للذي يقول

ركب تساقوا على الاكوار بينهم  
كاس الكرى فانثى المسقى والساقى  
ساروا فلم يقطعوا عقداً لراحة  
حتى اناخوا اليكم قبل اشراق  
من كل جانلة الطرفين ناجية  
مشتاقه حملت اوصال مشتاق

فقال لمن هذا ، وكتبه . فقال للذي تذرته وتعيب شعره ابي علي الحكمي . فقال الشيخ اكتب علي ، فوالله لا اعود لذلك ابداً

وهذه القصة اذا صحت تدل على تعصب «الأعرابيين» (اي الميالين الى شعر الاعراب) على المحدثين كابي نواس واضرابه .

وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي يتعصب على ابي نواس ويقول : هو يخطى . وكان اسحق في كل احواله ينصر الاوائل ، فكنت انشده جيد قول ابي نواس ، فلم يحزن به ، لما في نفسه . فانشدته

وخيمة ناطور برأس منيفة  
تهم يدا من رامها بزيل  
فكان على امره . فقلت : والله لو كانت لبعض اعراب هذيل لجلعتها افضل شيء . سمعته قط (١) .

والغريب ان ما اصاب ابا نواس من تعصب اسحق اصاب اسحق نفسه من تعصب اهل اللغة (٢) . وهذا التعصب تجده في كل عصر وفي كل جيل

فمن كل ما ذكر يؤخذ ان ابا نواس كان من كبار اهل اللغة ، وما منعهم من الاحتجاج بقوله الا ارفائه وانه من المحدثين . وقد وصف اسلوبه الفني بالسلاسة وبعده عن التكلف .

قال محمد بن داود الجراح كان ابو نواس اجود الناس بديهة وارفقهم حاشية ، لسناً بالشعر .  
يقوله في كل حال ، والردي . من شعره ما حفظ عنه في سكره <sup>(١)</sup> . ومثل ذلك قول ابن  
رشيق « لم يكن يؤثر التصنع ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة وانما يجيء بالشعر على  
سجيته <sup>(٢)</sup> . وقد انحى ابن عبد ربه على المبرد باللائمة لسوء ما اختاره من شعر ابي نواس ،  
وقال قلبا يأتي له بيت ضعيف لركة فطنته ، وسبوطة بنيته ، وعذوبة الفاظه . وكل اشعاره  
الخرجات بديعة لا نظير لها . ونقل ما ذكره الجاحظ في كتاب الموالي من ان ابا نواس اقدر  
الناس على الشعر واطبعهم فيه <sup>(٣)</sup> . على ان ابن شرف القيرواني يخالف من تقدم ويصف  
شعر ابي نواس بالضعف وانه نافق عند العوام كاسد عند النقاد <sup>(٤)</sup>

ومع ما في اقوال هؤلاء العلماء مما يهمننا في درس شاعرنا لا نستطيع ان نعتمد عليها  
كل الاعتماد ، لانهم كثيراً ما يكتلون الكلام جزافاً ، وكثيراً ما يدفهم الى القول  
بكتابة في شعر او جمال رصف في عبارة . ولسنا نرى اراءهم - على صحة الكثير منها  
مستندة الى دراسة نقدية يصح قبولها . فلا بد اذن من الرجوع الى ديوان الشاعر والتحقيق  
فيه . وقد ظهر لنا منه ان ابا نواس يقف في شعره موقفين متناقضين - موقف المقلد  
وموقف المجدد . ففي فئة من قصائده يسير على سنن القدماء ، حتى كأنه احدهم . وفي فئة  
اخرى يتزع الى التجدد ، فينكر الاساليب القديمة ، ويذمها ويحاول القضاء عليها . ولنتقدم  
الى تأييد ذلك بادلة من ديوانه

### الموقف الاول

١- وفيه ( كما ترى في اكثر شعره المدحي والرثائي ) يتكلف الاسلوب الاعرابي ، فيقف  
في مدحه على الطول ، ويركب النياق ، ويقطع الهواجل ، ويأتي بمتوعر الالفاظ ، مما يدل  
على سعة معرفته باوابع اللغة وانه متأثر من محفظاته الواسعة . وربما كان موقفه هذا هو  
الذي حمل الشيباني وسواه من علماء اللغة على التنويه بقدرته اللغوية واحلاله المحل الرفيع بين  
اربابها . قال من قصيدة يمدح الرشيد

يا حبذا سفوان من مترَّبِعٍ ولربما جمع الهوى سفوان

واذا مرتت على الديار مسلماً فلغير دار اميمة المهجران

(١) عن حمزة الاصفهاني مقدمة الديوان (مصر ١٨٩٨) (٢) العمدة ١ - ٣٠٠

(٣) راجع تفصيل ذلك في المقدم ٣ - ٣٦٨ و ٣٦٩

(٤) راجع تفصيل ذلك في اعلام الكلام (مصر ١٩٢٦) ٣٢

أنا نسبنا والمناسب ظنة حتى رُميت بنا وانت حصان<sup>(١)</sup>  
 لما ترعت عن الغواية والصابا وخذت بي الشدنية المذعان<sup>(٢)</sup>  
 سبط مشافرها دقيق خطمها وكان سائر خلقها بنيان  
 واحتازها لون جرى في جلدها يقق كققراس الوليد هجان

ثم يصل على هذه الناقه الى المدوح ويعدد فضائله

وله من قصيدة يمدح الامين

اقول والعيس تعروري الفلاة بنا صعر الاعنة من مشى ووحدان  
 لذات لوثر عفرانة عذافرة كان تضبيرها تضبير بنيان<sup>(٣)</sup>  
 ياناق لا تسألي او تبغني ملكاً تقبيل راحته والركن سيان

وقال يمدح العباس بن عبدالله بن ابي جعفر المنصور من قصيدة مطلعها - « ايها المتتابع

من عفره »

ذا ومعبّر مخارمه تحسر الابصار عن قفطره<sup>(٤)</sup>  
 لا ترى عين البصير به ما خلا الاجال من بقره  
 خاض بي جثيه ذو جرر يفعم الفضلين من ضفوره<sup>(٥)</sup>  
 يكتسي عشونه زبدأ فنصيلاه الى نخوره<sup>(٦)</sup>  
 ثم يعم الحجاج به كاعتام الفوف في عشره<sup>(٧)</sup>  
 كل حاجاتي تناولها وهو لم تنقص قوى أشره  
 ثم ادناني الى ملك يامن الجاني لدى حجره

ومثل ذلك ارجوزته في الفضل بن الربيع واوها « وبلدة فيها زور »

(١) نسبنا اي تغزلنا في الشعر (٢) الشدنية المذعان اي الناقه السامسة الرأس  
 (٣) ذات لوثر اي ذات شدة . عفرانة شديدة كالاسد . تضبيرها اي اكتناز اللحم فيها  
 (٤) يصف اتساع الصحراء ويريد بمنبر المخارم اي قفر كالح الطرق تكمل الابصار دونه  
 (٥) ذو جرر اي جمل مكنتر اللحم شديد . الضفر جمع ضفار وهو حزام الرجل . العشون،  
 الذقن . النصيل، الخنك

(٧) الحجاج، ما حول العين والفوف القشر . والعشر شجر . ومعنى الايات : قطعت الى المدوح  
 صحراء واسعة لا يسكنها غير البقر الوحشي وكنت ممتطياً جملأني من المشاق والحر ما لقي وهو مع  
 ذلك لم يزل في نشاطه حتى بلغت به الى ملك . . . الخ



وهي طويلة يصف ركوبه ورحيله الى المدوح في عدة ابيات . منها

وعرر من الغرر	عسقتها على خطر
يهزه جن الأشر <sup>(١)</sup>	يبازل حين فطر
ولا قريب من خور <sup>(٢)</sup>	لا متشك من سدر
وبعدما جال الضفر	كأنه بعد الضمر
جأب رباغ المشفر <sup>(٣)</sup>	وانسج في فخر <sup>(٤)</sup>

وكها على هذا المنوال

فانت ترى في كل هذه القصائد محاكاته للشعراء الاعراب من وصف ناقة او فرس يركبها توصلاً الى اميره . وربما كان يقصد ذلك احياناً تعريفاً لمركزه الادبي بين ادياء ذلك العصر . قال ابن رشيق بعد ان ذكر ان المولد كان يتكلف ذلك ليجري على سنن الاقدمين « وقد صنع ابن المعتز وابو نواس قبله ، ومرت معها في تلك الطرائق ما هو مشهور في اشعارهم<sup>(٥)</sup> »

ويظهر ذلك في رثائه لاستاذه خلف الاحمر ، ولراويته ابي البيداء الرباحي . فمن مرثاته  
للأول -

لا تثل العصم في الهضاب ولا	شعواء تغزو فرخين في لُف <sup>(٦)</sup>
تخنو مجوشوشها على ضم	كقعدة المنحني من الحرف <sup>(٧)</sup>
ولا شبوب باتت تؤرقه النثرة منها	بوابل قصف <sup>(٨)</sup>
غدا ، كوقف الهلوك ، ينهفت القطقط عن منبتيه	والصكتف <sup>(٩)</sup>

وفي مرثاته لابي البيداء يقول -

هل مخطى حنقه عفر بشاهقة  
رعى باخيافا شتاً وطبأفا<sup>(١٠)</sup>

(١) البازل الجمل الذي طلع نابه . جن الاشر عنفوان البطر

(٢) السدر تحير النظر من شدة الحر . والخور الضعف (٣) اي جرى فأعيا

(٤) حمار وحش فتى

(٥) العمدة ٢-٢٢٧

(٦-٩) الشعواء العقاب . الجوشوش الصدر . الضرم فرخ العقاب . الشبوب الثور . النثرة اسم

لثلاثة كواكب . القطقط المطر . وقف الهلوك اي اسوار الغانية شبه به ملابسته

(١٠) عفر اي وعل . والشت والطبأ نباتان

او لقوة ام انهمين في لجف  
 او ذو شياه اغن الصوت ارقه  
 او ذو نخائض اشباه اذا نسقت  
 شتون حتى اذا ما صفن ذكرها  
 يوم عينا بها زرقاء طامية  
 زار الحمام ابا البيداء محترماً  
 شبيهتها شفا خطمهم وآماقا<sup>(١)</sup>  
 وبل سرى ماخض الودقين غيداقا  
 مناسجاً وثنت ملطاً وأطباقا  
 من منهل مورداً فاشتقن واشتاقا  
 يرى عليها لجين الماء أطراقا<sup>(٢)</sup>  
 ولم يغادر له في الناس مطراقا<sup>(٣)</sup>

الى آخر هذه الابيات وهذا الكلام الاعرابي القح<sup>(٤)</sup>. تأمل ذكره في الرثاء. للعفر ترعى  
 الشث والبطاق ، واللقة ام الانهمين في لجف عال ، والوبل الغيداق الماخض الودقين  
 والشعواء تحنو بجوشوشها على ضرم ، والشبوب (الشور) ينهفت القطقط عن كتفه ، فترى ان شاعرنا  
 الظريف خرج هنا عن « حضارته البغدادية » الى خشونة البداوة ، ولم يكتبف بمجاراة  
 الاولين في الفاظهم بل اخذ إخذهم في تشابيههم وصورهم الشعرية . ولا نرى تعليلاً منطقياً  
 لذلك الا ان نقول ان ابا نواس ، على ميله الى الاسلوب الحضري الجديد وعلى كرهه  
 للاعراب وحياتهم ، لم يتحرر حالاً من اسلوبهم إما لشدة ما علق في ذهنه من محفوظات  
 الشعر القديم ، او ليثبت الرواة واللغويين مقدرته في اللغة . والذي بطالع ديوانه بتدقيق  
 ويعارض ذلك براء العلماء فيه يرى متانة النظم وحسن الصنعة في مداخله ومرائيه ، ولكنه  
 لا يراه هناك ذا شخصية شعرية مستقلة - في هذا الموقف من شعره يظهر لنا الشاعر مقيداً  
 بقيود الزمان خاضعاً لاحكام العادة سائراً في مجرى « التقليد » العام . وانما ابو نواس ابو  
 نواس في موقفة الثاني

### الموقف الثاني

وهو مجلي عواطفه الطبيعية وجدانه الحقيقي . واكثر ما يكون ذلك في مجالس اللهو  
 والسرور . وقد صدق اذ قال عن نفسه : « لا اكاد اقول شعراً جيداً حتى تكون نفسي  
 طيبة واكون في بستان مؤنق وعلى حال ارتضيها من صلة او وصل او وعد بصلة . وقد قلت

(١) لقوة عقاب ام انهمين ام فرخين . اللجف مرّة الوادي . وما يلي وصف لبعض حيوانات الغفر

(٢) مركبا بعضه فوق بعض (٣) مطراق نظير

(٤) وفي العمدة ٢-١٢١ يعزو القصيدتين لابي ايوب

وانا على غير هذه الحال ابياتاً لا ارضاها<sup>(١)</sup> .

فالشاعر الذي ينجي . بالوصف الشائق والظرف الساحر ، فيجري الكلام من قلبه بلا  
كلفة ولا تصنع ، انما يتجلى لنا عندما يجاري طبيعته ، كما يتجلى ابو نواس في خمرياته  
وملاهيته . هنا يترك التحذلق والتنطس ويرسل عواطفه عبارات رائقة كقوله  
اترك الاطلال لا تعباً بها      انها من كل بؤس دانيه  
واشرب الخمر على تحريمها      انما دنياك دار فانيه  
من عقار من رآها قال لي      صيدت الشمس لنا في باطيه

وقوله

وخآر أنخت اليه رحلي      اناخة قاطن والليل داج  
فقلت له اسقني صهباء صرفاً      اذا مزجت توّقد كالسراج  
فقال فانّ عندي بنت عشر      فقلت له مقالة من يناجي  
أذقنيها لاعلم ذاك منها      فابرز قهوة ذات ارتجاج  
كان بنان ممسكها أشيمت      خضاباً حين تلمع في الزجاج

فشاعرنا في هذا الموقف يخرج عن الطريقة القديمة طريقة الوقوف على الطاول وقطع  
المفاوز وتجثم الاهوال توّصلاً الى مدح المقصود ، وعلى ذلك قوله

صفة الطاول بلاغة القدم      فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولما سجنه اخليفة على استمهاره بالخمر واخذ عليه ان لا يذكرها في شعره قال -

أعر شعرك الاطلال والمزل القفرا      فقد طالما ازرى به نعتك الخرا  
دعاني الى نعت الطاول مسأط      تضيق ذراعي ان اردّ له امرا  
فسمعاً امير المؤمنين وطاعة      وان كنت قد جثمتي مركباً وعرا

« فهو يجاهر بان وصفه الاطلال والقفرا انما هو من خشية الامام والّا فهو عنده فراغ  
وجهل »<sup>(٢)</sup>

ولم يكن ابو نواس على علو كعبه في وصف الخمر وبجالها نسيج وحده في ذلك .  
فقد تقدمه في الجاهلية والاسلام من وصف الخمر واحوال شاربيها . نذكر منهم الاعشى

(١) ابن منظور ٥٥

(٢) العمدة ١ - ١٥٥

وعدي بن يزيد ، ثم الاخطل والوليد بن يزيد . والذي يراجع اشعار الوليد يرى بينها وبين اشعار ابي نواس من اوجه الشبه ما يحملنا على الحكم بان شاعرنا تأثر بطريقة الوليد . بل قد ذهب ابو الفرج الاصفهاني الى ابعد من ذلك ، فقال « انه سلخ معاني الوليد فجعلها في شعره وكررها في عدة مواضع »<sup>(١)</sup> . ولتبيان ما نذهب اليه من تأثر ابي نواس بطريقة الوليد نتقل للاخير الابيات التالية ، ونترك للقارى . مقابلتها بالشعر النواسي ، وهي على حد قول الاصفهاني تنبىء عن نفسها<sup>(٢)</sup> - قال

اصدغُ شجياً الموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب  
واستقبل العيش في غضارته لا تقفُ منه آثارُ معتقبِ  
من قهوة زانها تقادُهما فهي عجوزٌ تعلو على الحطبِ  
اشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسبِ  
فقد تجأت ورقاً جوهرها حتى تبدت في منظر عجبِ  
فهي بغير المزاج من شررٍ وهي لدى المزج سائل الذهبِ

والوليد اشعار كثيرة في الخمر والغزل تتلمس فيهاروح شاعرنا وطبقته من مولدي العصر  
العباسي<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

ومع انصراف ابي نواس للعبث النسائي والعلواني لا نجد له في ذلك من جمال الشعر ما يضارع شعره الخمرى : فغزله ، على عذوبته احياناً وظرفه ، متخث ضعيف . ولعله في الغزل العلواني اصدق عاطفة منه في النسائي ، على انه في كليهما لا يجلو لنا غير الغرائز الحيوانية السفلى التي تنم عن تحرق شهواني يصل الى درجة الاسفاف احياناً . وشتان ما بينه في ذلك وبين كبار شعراء الغزل من عذريين وغير عذريين . ففي اشعار هؤلاء . قد تجد ما يثير فيك عواطف النفس ، ويريك جمال الحب ، ويصور لك المرأة تصويراً يروقك او يستهويك . اما في غزل شاعرنا النواسي فلا ترى غير جوارح مهتكتات ، وغلغان فاسدين ، واوصاف تدل على ما بلغه بعض القوم يومئذ من الانحطاط الاجتماعي .

(٢٠١) الاغاني ٦ - ١٠٧

(٣) راجع الاغاني ٦ س ٩٨ - ١٣٦

اما خرياته فبرغم ما يشوبها احياناً من سوء المجون - تدل على خفة روح عرف بها ،  
 ابو نواس في عصره . وقد وصفه بعض معاصريه بقوله « بانه كان اطرف الناس منطلقاً . . .  
 مليح الكلمة حسن الاشارة فصيح اللسان عذب الالفاظ حلو الشائل » (١) . حتى قيل ولم يكن  
 شاعر في عصره الا وهو يحسده لميسل الناس اليه وشهوتهم معاشرته . ويقرن هذه الخفة  
 الروحية بجمال فتي يستهوي القارى . ، ويستثير فيه حاسة الطرب والاعجاب .

اتبعه الى حانة وانظر كيف يدخلها مع رفاقه خفية . ( والحانات عادة في ضاحية  
 متزوية واصحابها من اليهود والنصارى ) . ها هو يلاطف صاحبها ، وقد تكون من اسمج  
 النساء ، فيداعبها ويسترق منها قبلة او يربت على ظهرها ، وفي يده الدنانير يضعها امامها ،  
 ويستخفها الى تقديم افضل الخمر المعتقة . ثم انظر كيف يقودك معه الى قبو قديم تحت  
 الحانة فيريك نسيج العنكبوت على الدنان ، ثم يريك الخمار وقد ضرب بالمبزل بعضها فخرجت  
 الخمر صهباء مشرقة تطرد الظلام

فجاء بها زيتية ذهبية فلم نستطع دون السجود لها صبرا

ولست اشك ان الشاعر يصف حوادث واقعية في غرآته الخمرية ، وان اكن اميل الى  
 الاعتقاد انه احياناً يمتزج الحديث ابهاجاً لزملائه . وفي كلتا الحالين ترى شعر ابى نواس  
 الحقيقي وترى تدفق شعوره الصريح . واليك تلخيص خمرية اخرى توضح ما نقصد اليه

وليلة مظلمة قصدت ورفاقاً لي الى بيت خمار ، فاخذنا نسير من زقاق الى زقاق حتى  
 وصلنا اليه وقد هجع هو واهل بيته . قرعنا الباب فاستيقظ مذعوراً وتوجس شراً من  
 ادلاجنا في مثل تلك الساعة فلم يشأ ان يجيبنا بل

تناوم خوفاً ان تكون سعاية وعاوده بعد الرقاد وجيب  
 ولما دعونا باسمه طار خوفه وايقن ان الرجل منه خصيب  
 وبادر نحو الباب سعيماً مليئاً له طرب باثاثرين عجيب

ثم فتحه هاشماً منحنياً امامنا ، وهو يقول مرحباً بالكرام . وجاء بالمصباح فقلنا له  
 اسرع لم يبق من الليل الا بقية قليلة . هات لنا خمر الطيبة

فابدى لنا صهبا، تم شباياها  
 فلما اجتلاها للندامي بدا لها  
 لها مرح في كاسها ووثوب  
 نسيم عبير ساطع ولهب

ثم جاءت جارية بيدها مزهر فاخذت تغني لنا ونحن نشرب. ومازلنا على هذي الحال:  
 كاس تذهب وكاس تجي، حتى غنت لنا «سرى البرق غريباً فحن غريب» ففاضت مدامع  
 العشاق منا وامسينا بين مسرور بنشوة الخمر وبالك من شدة الهوى، حتى لاح الصباح  
 وقد غابت الشعري العبور واقبلت نجوم الثريا بالصباح تؤوب

\*\*\*

ولنسمعه يقص علينا بلسانه الخاص حديث زيارة اخرى الى بعض هذه الحانات، ويصف  
 لنا الخمر وامراته وميزانها الغشوم وخمرها المعتقة، وكيف حمل الخمر الى رفاق كانوا ينتظرونه  
 في بستان، فاقاموا رداً من الزمن يتبعون النفس بين الرياحين بعيدين عن عين الرقباء  
 والحاسدين. قال -

اذا خطر منك الموم فداوها  
 الى قوله  
 بكأسك حتى لا تكون هموم

فشمّرت اثوابي وهروات مسرعاً  
 الى بيت خمار افاد زحامه  
 وفي بيته زق ودن ودورق  
 ودهقانة ميزانها نصب عينها  
 فاعطيتها صفراً وقبّلت رأسها  
 وقلت لها هزّي الدنان قديمة  
 وقابلي من شوق يكاد يهيم  
 له ثروة والوجه منه بهيم  
 وباطية تروي الفتى وتنيم  
 وميزانها للمشتري غشوم  
 على انني فيما اتيت ملّيم  
 فقالت نعم اني بذلك زعيم

وبعد ان تحضر له الخمر من قبو قديم عثقت فيه يقول

فرحب بها من زورق قد كتمتها  
 الى فتية نادمتهم فحسدتهم  
 ففتت نفسي والندامي بشرها  
 لعمرى لئن لم يغفر الله ذنبها  
 ومن اين للمسك الزكي كترم  
 وما في ندامي ما علمت لنيم  
 فهذا شقاء مرّ بي ونعيم  
 فان عذابي في الحساب أليم

ولو سألت نفسك ما الذي يستخفك في حديث كهذا - حديث الخمر والبعث والمجون  
 الصعب عليك الجواب، ولكنه في الحقيقة مستتر في تضاعيف الابيات - هو هذه الخفة

الروحية في الشاعر - هذا الظرف الايدي الذي كان يجيبه الى الناس . ولو انه كان غير ذلك ، لو كان سمح الروح واللسان ، لاستنقلته ولاشجارت نفسك من استماع احاديثه

### شخصيته في شعره

ليس لابي نواس في غير شعره الطبيعي ( الغزلي والطردي والحزبي ) شخصية خاصة . وقد مرت بنا صورته في غزله ، وانه هناك يجلو لنا ضعف النفس والتزعات البهيمية السافلة . اما طردياته فاراجيز تصف الكلاب والفهود وطيور الباز ، وما الى ذلك من اسباب الصيد والطرود . وهو فيها شاب مرح يتعمق بقوة الشباب وعشرة اهل الرخاء ، ويقرن ذلك بجبال في الوصف ورشاقة في التعبير . واليك مثالين من طردياته - قال

لما تجأى الليل وابيض الأفق<sup>(١)</sup> وانجاب ستر الليل عن وجه الطروق<sup>(٢)</sup>  
باكرني سهل المحيا واخلق<sup>(٣)</sup> ندب اذا استندبته شهم ليق<sup>(٤)</sup>  
يدعو الى الصيد ألا - قلت انطلق<sup>(٥)</sup> باكلب غضف صحيجات الحدق<sup>(٦)</sup>  
من اصفر اللون ومبيض ييق<sup>(٧)</sup> كانا اذناه من بعض الخرق<sup>(٨)</sup>  
لو يلصق الحد باذن لالتصق

وقال ينعت كلباً اسمه خلاب لسعته حية فمات

يا بؤس كلابي سيد الكلاب قد كان اغناني عن العقاب  
وكان قد اجزى عن القصاب وعن شراني جلب الجلاب<sup>(٩)</sup>  
يا عين جوذي لي على «خلاب» من لظباء العفر والذئاب ؟  
خرجت والدنيا الى تباب به وكان عدتي وناني  
اصفر قد خرج بالملاب كانا يدهن بالزرياب<sup>(١٠)</sup>  
فبينما نحن به في العباب اذ برزت كالحة الانياب  
رقشاء جرداء من الثياب لم ترع لي حقاً ولم تحابي  
غفر وانصاعت بلا ارتياب كانا تنفخ من جراب  
لا أبت ان أبت بلا عقاب حتى تذوقني اوجع العذاب

(١) اي بدا النهار على الطريق

(٢) الغضف المسترخية الآذان من الكلاب

(٣) جلب الجلاب اي العبيد (٤) الزرياب ماء الذهب . والملاب طيب يشبه الزعفران

وكل طردياته على هذا النمط ، يصف فيها ما كان يتسلى به اهل الرخاء من صيد الغزلان وسواها . وهي صور رشيقة للبيئة التي كان يعيش بها الشاعر

\*\*\*

قلنا انه في غزل ابي نواس تتجلى لنا «بهيميته» ، وفي طردياته مرحة وترفة . على ان في شخصيته شيئاً اعمق من ذلك ننفذ اليه من خلال اقداحه ومجالس سكره . ففي شعره الحمري يقرن البهيمية والمرح بتشاؤم قائم يذهب باناقة الحياة ويجرداها من كل قيمة وجمال . وانك اذا دقت في تحليل شعره لتتعرّف به الى نفسيته الحقيقية تجده - على حبه للحياة - مستخفاً بها . فهو من طلاب الذذة السانحة ينصرف الى الملاهي ليخدر اعصابه فلا يرى الام الحياة ومتاعها قال :

غدوت الى اللذات منهتك السر      وافضت بنات السر مني الى الجهر  
وهان عليّ الناس فيما اريده      بما جنّت فاستغثت عن طلب العذر  
رايت الليالي مرصداً لمديتي      فبادرت لذاتي بمبادرة الدهر

وقد نقل المرزباني القصة التالية عن الجمار قال -

كنت عند ابي نواس . قال ( ابو نواس ) اسمع ابياتاً حضرت ، قلت هات ، فانشدني

وملّعة باليوم تحسب انني      بالجهل اوثر صعبة الشطّار<sup>(١)</sup>  
بسكرت عليّ تلومني فاجبتها      اني لأعرف مذهب الابرار  
فدعي الملام فقد اطعت غوايتي      وصرفت معرفتي الى الانكار  
ورايت اتيابي اللذاذة والهوى      وتعبلاً من طيب هذي الدار  
احرى واحزم من تنظر آجل .      علمي به رجم من الاخبار  
ما جاءنا احدٌ يخبر انه      في جنة من مات او في نار

فاما بلغ الى هذا البيت قلت له : يا هذا ان لك اعداء ، وهم ينتظرون مثل هذه السقطات : فاتق الله في نفسك ، ودع الافراط في المجون ، واكتمها ، قال : لا والله لا اكتمها خوفاً ، وان قضي شيء كان . فمني الخبر الى الفضل بن الربيع ، ثم الى الرشيد ، فما كان بعد هذا الا اسبوع حتى جلس<sup>(٢)</sup>

(١) اهل الحب والدهاء . (٢) الموشح ٢٧٨



ومن قوله -

أعاذل أقصري عن بعض لومي  
تعيّرني الذنوب وائي حر  
فراحي توبتي عندي يجيب  
من الفتيان ليس له ذنوب  
غرّبت بتوبتي ولجبت فيها  
فشيتي الآن جيبك لا اتوب

هذي هي روح ابي نواس يرى الدهر واقفاً له بالمرصاد - يرى الموت نهاية كل شيء -  
فيقول لنفسه وما نفع الحياة وماذا نجد فيها غير الشقاء ؟ ويشعر بقوته وشبابه فيثب الى  
غمار المسرات الزائلة ويجوض فيها وهو يقول

طربت الى الصنّج والمزهر  
والقيت عني ثياب الهدى  
وشرب المدامة بالاكبر  
وخضت مجوراً من المنكر  
واقبلت اسحب ذيل المجون  
وامشي الى القصف في مآزر

ولا يقف عند الاستخفاف بقيمة الحياة بل يقدره باستخفاف بنواهي الادب والشريعة

كقوله

ولاح لحائي كي يجي . ببدعة  
لحائي كي لا اشرب الخمر انما  
وتورث وزراً فادحاً من يذوقها  
عليها لاني ما حيت رفيقها  
وهذا امير المؤمنين صديقها  
فما خلدنا في الدهر الا رحيقها

وقوله :

بكيت وما ابكي على دمن قفر  
ولكن حديثاً جاءنا عن نيينا  
وما بي من عشق فابكي على الحجر  
فذاك الذي اجرى دموعي على النحر  
فلما نهى عنها بكيت على الخمر  
اعزّر فيها بالثمانين في ظهري  
فاشربها صرفاً واعلم انني

ولم يقلل هذا الاستخفاف فيه تقدّمه نحو المشيب ، فمثل لا يقف عن اعتبار او نظري في  
العواقب بل عن ضعف او كلال . اسمه يذكر ايام الشباب ، وكانك تشعر باسفه ان الدهر  
لم يبق له غير القوة على معاورة الخمر -

كان الشباب مطية الجهل ومحتمن الضحكات والهزل

كان الجمالَ اذا ارتديت به  
 كان المشع في مآربه  
 والباعثي والناس قد رقدوا  
 والامري حتى اذا عزمت  
 فلان صرت الى مقاربة  
 والراح اهواها وان رزأت  
 الى ان يقول

فاعدر اخاك فانه رجل مرت مسامعه على العذل

\*\*\*

ولكن هل ادرك الشاعر ما يتوخاه من الدنيا ؟ نحن هنا امام مسالة عقلية لا يسعنا  
 الاغضاء عنها . والجواب عليها يتناول احد امرين  
 ١ - ان الحياة اثن ما في ايدينا ، وان سعادتها قائمة على تفهم قيمتها الحقيقية والسعي  
 لا دراكها

٢ - او ان الحياة مهزلة لا قيمة لها ، وما على العاقل الا ان يتناساها بالانغماس في  
 الملذات الدنيوية

ولسنا الان في مقام يمكننا من تحليل هاتين النظريتين تحليلاً فلسفياً وافياً ، على انه  
 لا بد من القول ان الاولى منها نظرة جدية الى الحياة - نظرة الى جمالها الحقيقي وفرصها  
 الثمينة ، وان الثانية نظرة استخفاف اليها وانصراف الى سخائفها  
 في الاولى يحاول الانسان ان يسعى نحو مرمى عال قد لا يحصل عليه ، ولكن السعادة  
 كل السعادة في هذا السعي المتواصل ، وبعبارة اخرى في شعور الانسان بالتقدم نحو المشل  
 العليا . وفي الثانية يتملك الانسان حوار العزيمة فيقف فشلاً ويحاول ان يستر فشله بمخدرات  
 الحياة الباطلة . ومن افضل الامثلة على ذلك ما زاه في رباعيات عمر الخيام من ميل الشاعر  
 المفكر الى نسيان الوجوه وآلامه بالحمر . ولعل الخيام تأثر بشعر ابي نواس ومذهبه ، وجرفه  
 تيار التشاؤم الى هذه الحالة السلبية . لانك لتجالس ابا نواس في مجالس لهوه فتسمع قهقهته  
 ونكاتة ، ويطربك ظرفه وجمال حديثه ، وتعجبك خفة روحه بين اقداحه وندمانه ،  
 ولكنك تستشف من وراء ذلك مرارة وتشاؤماً ، ربما كانا سبب عبثه بمخاتق الحياة  
 (١) الصبوت شديد الصوت (٢) التبل اي النار (٣) المقاربة ترك الغلو وقصد السداد

واسترساله في اسباب الملامهي . ولا يظهر ذلك في أبان قوته وديعان شبابه ظهوره بعد ان اضعفه الدهر وحط عن ظهر الصبا رحله كما قال . ذلك الاستخفاف الذي عرف به وهو في نشاط العمر ، تحول أيام الضعف الى اسفـر مؤلم ، لا عن تقوى ولكن عن شعور بالفشل . كان يشرب الخمر ويقول غير مبال

الراح شيء عجيب انت شاربـه فاشرب وان حملتـك الراح اوزارا  
يا من يلوم على حمراء صافية صر في الجنان ودعني اسكن النارا  
ثم تحمدت فيه قوة الشباب وفارقتـه ايام الهناء والرخاء فرأى ماضياً منهتكاً وفرصاً ضائعة ونفساً شائبة بالمعاصي فصاح آسفاً

دب في الفناء سفلاً وعلوا واراني اموت عضواً فعضوا  
ليس من ساعة مضت لي الا نقصتني بمرها بي جزوا  
ذهبت جدتي بطاعة نفسي وتذكرت طاعة الله نضوا  
لحف نفسي على ليال وايام تملتين لعباً ولهوا  
قد اسأنا كل الاساءة فاللهم صفحاً عنا وغفراً وعفوا  
قابل هذه الابيات بما ذكرناه سالفاً وقابلها بقوله

رداً علي الكاس انكما لا تدرين الكاس ما تجدي  
خوفتاني الله ربكما وكخيفتيه رجاؤه عندي  
لا تعذلا في الراح انكما في غفلة عن كنه ما تسدي  
ان كنتما لا تشربان معي خوف العقاب شربتها وحدي

وقوله من قصيدة

ألم ترني ابحت الراح عرضي وعض مراشف الظبي المليح  
واني عالم ان سوف تنأى مسافة بين جثماني وروحي  
وانظر كيف تحول اشره الى ضعف واستخفافه الى شعور بالفشل . وقد ذهب بعضهم انه كان يقترف ما يقترف اتكالا على الله ، ويستشهدون على ذلك بقوله  
لا تحظر العفو ان كنت امرأ حرجا فان حطر كـه بالدين ازراء  
وقوله

حتى اذا الشيب فاجاني بطلعتـه اقبح بطلعة شيب غير مبخوت  
عند الغواني اذا ابصرن طلعتـه اذن بالصرم من ود وتشيت

فقد ندمت على ما كان من خطي ومن إضاعة مكتوب المواقيت  
ادعوك سبحانك اللهم فاعف كما عفوت يا ذا العلى عن صاحب الحوت

او قوله من قصيدة

بادر شبابك قبل الشيب والعمار وحشث الكاس من بكر لابكار

الى قوله

فذاك قبل نزول الشيب عادتنا لكننا زنجي غفران غفار  
الى آخر ما نراه من كلامه الزهدي. وليس ذلك بادل على التوبة وحب التزهّد والتجدد  
ما هو على الشعور بالضعف والخور والخوف

جاء في الاغانى عن محمد بن ابراهيم الصوفي قال :

دخلنا على ابي نواس نعوّده في علته التي مات فيها ، فقال له علي بن صالح الهاشمي :  
يا ابا علي انت في اول يوم من ايام الآخرة وآخر يوم من ايام الدنيا ، وبينك وبين الله هنات ،  
فتب الى الله عز وجل . فبكى ساعة ثم قال ساندوني ساندوني . ثم قال الأخوف بالله  
عز وجل ، وقد حدثني حماد بن مسلم عن زيد الرقاشي عن انس بن مالك ، قال : قال  
رسول الله ( صلعم ) لكل نبي شفاعة ، واني اختبأت شفاعتي لاهل الكباثر من امتي يوم  
القيامة . افتراي لا اكون منهم ؟

هذا الشعور بفشل الاباطيل هو الذي كان يدفع شاعرنا في اواخر ايامه الى الندم  
والتحسر . وقد صدق الجرجاني اذ قال « فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء  
الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، لوجب ان يمحي اسم ابي نواس من الدواوين ويجذف ذكره اذا  
عدت الطبقات <sup>(١)</sup> »

على انه لا يجوز ان نحصر الحكم على فن الشاعر في منطقة الشرائع الروحية  
والاجتماعية ، التي اتفق عليها المصلحون والمهذبون . فالشعر لا يتقيد بذلك ، وما جماله  
قاتماً فقط على ما فيه من عبر وارشاد ، بل على ما يتجلّى فيه من شعور وحياة . الادب فن  
تتجلّى فيه خوالج النفس ، وعلى هذا التجلّي تتوقف منزلة الشاعر الفنية

نعم ان ابا نواس لم يزهد لتجدد في طبيعته ، بل مات كما عاش . وقد ترك لنا شعراً يحفظ  
لا لاسموا عواطفه ، ولكن لحفة روحه ، وجمال صنعته ، ولتمشيله الخلاب لحياته وحياته بيئته .

## المخار من شعر ابي نواس

١ - خرياته ومجالس لهوه

وداوي بانبي

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ✓  
 صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها ✓  
 وداوي بالتي كانت هي الداء  
 لو مسها حجرٌ مسته سراء

قامت بابريقها والليل معتكر ✓  
 فارسلت من ثم الابريق صافية ✓  
 رقت عن الماء حتى ما يلائنها ✓  
 فلو مزجت بها نوراً لمازجها ✓  
 دارت على قتيبة دار الزمان بهم (١) ✓  
 لتلك ابكي ولا ابكي لمنزلة ✓  
 حاشي لدرّة ان تُبنى الخيام لها ✓  
 فقل لمن يدعي في العلم فلسفة ✓  
 لا تحضر العفوان كنت امرءاً حرجاً ✓  
 فلاح من وجهها في البيت لألاء (١)  
 كأننا اخذها بالعين اغفاء  
 لطافة وجفا عن شكلها الماء  
 حتى تولد انوارٌ واضواء  
 فما يصيهم الا بما شاءوا  
 كانت تحل بها هند واسماء (٢)  
 وان تروح عليها الابل والشاء (٣)  
 حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء (٤)  
 فان حظركه في الدين اذراء

لها مرع في كاسريا ✓

دع الربع ما للربع فيك نصيب ✓  
 وما إن سبتي زينب وكوب ✓

(١) قبل هذا البيت بيت محذوف يصف به فتاة ساقية (٢) وفي رواية دان الزمان لهم  
 (٣) اي انا ابكي عليها لا على الطلول البالية  
 (٤) درّة كناية عن الحية  
 (٥) تعريض بالنظام احد رؤساء المعتزلة المتوفى ٢٣١؛ والمعتزلة تشدد النكير على مرتكبي

ولكن سبتي البابلية انها  
 جفا الماء عنها في المزاج لانها  
 اذا ذاقها من ذاقها حلقت به  
 وليلة دجن قد سریت بفتية  
 الى بيت خمّار ودون محله  
 ففزع من ادلاجنا بعد هجعة  
 تناوم خوفاً ان تكون سعاية  
 ولما دعونا باسمه طار دعره  
 وبادر نحو الباب سعياً مليئاً  
 فاطلق عن ناييه وانكب ساجداً  
 وقال ادخلوا حيتيم من عصابة  
 وجاء بمصباح له فاناره  
 فقلنا ارحنا هات ان كنت بائعاً  
 فابدى لنا صهباء تم شباهها  
 فلما اجتلاها للندامى بدا لها  
 فجاء بها تحدو بها ذات مزهر  
 فما زال يسقينا بكأس مجدة  
 وغنى لنا صوتاً بحسن ترجع  
 فمن كان منا عاشقاً فاض دمه  
 فمن بين مسرور وبالك من الهوى  
 وقد غابت الشعرى العبور واقبلت

لمثلي في طول الزمان سَناب  
 خيال لها بين العظام ديب  
 فليس له عقل يعد اديب<sup>(١)</sup>  
 تنازعها نحو المدام قلوب  
 قصور منيفات لنا ودروب<sup>(٢)</sup>  
 وليس سوى ذي الكبرياء رقيب<sup>(٣)</sup>  
 وعاوده بعد الرقاد وجيب  
 وابقن ان الرجل منه خصيب  
 له طرب بالزائرين عجيب  
 لنا وهو فيما قد يظن مصيب  
 فترلكم سهل لدي رحيب  
 وكل الذي يبغى لديه قريب  
 فان الدجى عن ملكه سينيب  
 لها مرح في كأسها ووثوب  
 نسيم عبير ساطع ولهب  
 يتوق اليها الناظرون ريب<sup>(٤)</sup>  
 تولى واخرى بعد ذاك توثوب  
 «سرى البرق غريباً فحن غريب»  
 وعاوده بعد السرور حجب  
 وقد لاح من ثوب الظلام غيوب  
 نجوم الثريا بالصباح تثوب

### ١٠ ومبك ضوها مصابها

ذكر الصبح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

(١) اديب نمت عقل اي ليس له عقل اديب يعد في العقول

(٢) كانت الحانات عادة في محلات بعيدة عن اعين الناس (٣) ذو الكبرياء اي الله ذو

الكبر. والادلاج السير ليلاً (٤) اي منية تحمل عوداً. والريب المطيبة او المنعمة

أوفى على شرف الجدار بسدفة  
 بادر صباحك بالصُّبوح ولا تكن  
 ان الصُّبوح جلاء كل محمَّر  
 وخذين لذات معيل صاحب  
 نُبته والليل ملتبس به  
 قال ابغني المصباح قلت له اتند  
 فسكبت منها في الزجاج شربة  
 من قهوة<sup>(١)</sup> جاءتك قبل مزاجها  
 صباء تغترس النفوس فما ترى  
 شك الزبال<sup>(٢)</sup> فؤادها فكأننا  
 عمرت بركاتك الزمان حديثها  
 فاشاع من اسرارها مستودعاً  
 فأتتك في صور تداخلها البلا  
 فكأنها والكأس ساطعة بها  
 غرداً يصفق بالجنح جناحاً<sup>(٣)</sup>  
 كسوفين غدوا عليك شحاحا  
 بدرت يديه بكأسه الاصباحا  
 يقتات منه فكاهةً ومزاحا  
 وازحت عنه نقابه فانزاحا  
 حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا  
 كانت له حتى الصباح صباحا  
 عطلاً فالبسها المزاج وشاحا  
 منها بين سوى السيات جراحا  
 اهدت اليك بريجها تقأحا  
 حتى اذا بلغ السامة باحا  
 لولا الملامة لم يكن ليباحا  
 فازلهن واثبت الاشباحا  
 صبح تقارب امره فانصاحا

## س رومانه في جسد

ما زلت أستلُّ روح الدنِّ في لطفٍ  
 حتى انشيت ولي روحان في جسدٍ  
 واستقي دمه من جوف مجروح  
 والدنُّ منطرح جماً بلا روح

## لا جف دمع الذي يبكي على هجر

عاج الشقي على رسم يسأله  
 يبكي على طلل الماضين من أسد  
 وعجت أسأل عن خمارة البلد<sup>(٤)</sup>  
 لا در درك قل لي من بنو أسد  
 ومن تميم ومن قيس ولقهما؟  
 ليس الاعاريب عند الله من أحد

(١) القهوة من اماء الحمر

(٢) يريد بالشقي هنا الشاعر الذي يبكي على الطلول

(٣) بسدفة اي قبيل الفجر

(٤) حديده يفتح جا الدن

لا جفّ دمع الذي يبكي على حجر  
 كم بين ناعت خمرة في دساكرها  
 دع ذا عدمتك واشربها معتقة  
 من كف مضطرب الزنار معتدل  
 أما رأيت وجوه الارض قد نضرت  
 حاك الربيع بها وشياً وجللها  
 واستوفت الخمر احوالاً مجرمة  
 فاشرب وجد بالذي تحوي يداك لها  
 يا عاذلي قد اتتني منك بادرة  
 لو كان لومك نصحاً كنت اقبله

ولا صفا قلب من يصبو الى وتد  
 وبين باك على قويز ومنتصد<sup>(١)</sup>  
 صفراء تفرق بين الروح والجسد  
 كأنه غصن بانر غير ذي اود  
 وألبستها الزراي نثرة الاسد<sup>(٢)</sup>  
 بيانع الزهر من مشي ومن وحد  
 وافتر عيشك عن لذاتك الجدد  
 لا تدخر اليوم شيئاً خوف فقر غد  
 فان تغمدتها عفوي فلا تغمد  
 لكن لومك موضوع على الحسد

## تفتر عن در

خفيت عليك محاسن الخمر  
 فصرفت وجهك عن معتقة  
 يسعى بها ذو غنة غنج  
 ونسيت قولك حين تشربها  
 « لا تحببن عقاراً خابية »  
 ام غيرتك نواب الدهر  
 تفتر عن در وعن شذر<sup>(٣)</sup>  
 متكحل اللحظات بالسحر  
 فتزول مثل كواكب النسر<sup>(٤)</sup>  
 والهمل يجتمعان في صدر

## افنا برها

ودار ندامي عطّلوها وادجلوا  
 مساحب من جر الزقاق على الثرى  
 ولم ار منهم غير ما شهدت به  
 بها اثر منهم جديد ودارس  
 واضعاث ريمان جني ويايس  
 بشرقي ساباط الديار البساسب<sup>(٥)</sup>

(١) ما اعظم الفرق بين من يصف الخمر ومواطنها وبين من يبكي على الاثار . والنووي الحفرة حول الحيمة . والمنتصد المقام او ما نضد من متاع الحيمة  
 (٢) نثرة الاسد اسم لثلاثة كواكب ، يريد بذلك ان مطرها البس الارض بسطاً من الازهار  
 (٣) الشذر قطع الذهب (٤) كواكب النسر اسم نجم . اي فتغيب في الفم غياب ضوء النجم  
 ودارا الافق (٥) ساباط مكان بالمدائن، وهذه الايات قيلت في مجلس لهو هناك ( زهر الاداب للحصري ٣ - ١٧٥ )



حبستُ بها صَحيبي جَدَدَتُ عَهْدَهُمْ  
 اقننا بها يوماً ويومين بعده  
 تدار علينا الرَّاحُ في عَسْجِدِيَّةٍ  
 حبتها بانواع التصاوير فارس<sup>(١)</sup>  
 قرارتها كسرى وفي جنباتها  
 مهيَّ تَدْرِيباً بالقسي الفوارس  
 فللخمر ما زُرَّتْ عليه جيوبها  
 وللعاء ما دارت عليه القلائس

### اجدت ابا عمرو فجود لنا الخمر

وفتيان صدق قد صرفت مطيهم  
 فلما حكى الزنار ان ليس مسلماً  
 فقلنا على دين المسيح بن مريم؟  
 ولكن يهودي يُجِبُّكَ ظاهراً  
 فقلت له ما الاسم قال سمؤال<sup>(٢)</sup>  
 وما شرفتي كنية عربية  
 ولكنها خفت وقل حروفها  
 فقلنا له عجباً بظرف لسانه  
 فادبر كالمزور يقيم طرفه  
 وقال لعمرى لو تزلم بغيرنا  
 فجاه بها زيتية ذهبية  
 خرجنا على ان المقام ثلاثة  
 عصابة سوه لا ترى الدهر مثلهم  
 اذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم

الى بيت خمار تزلنا به ظهورا  
 ظننا به خيراً فظن بنا شراً  
 فاعرض مزوراً وقال لنا هجرا  
 ويضمر في المكتون منه لك الغدرا  
 ولكنني أكنى بعمرو ولا عمرا<sup>(٣)</sup>  
 ولا اكسبتي لائناً ولا فخرا  
 وليس كاخري انا جعلت وقرا<sup>(٤)</sup>  
 اجدت ابا عمرو فجود لنا الخمر  
 لارجلنا شطراً واوجهننا شطرا  
 للنام لكن سنوسعكم عذرا  
 فلم نستطع دون السجود لها صبرا  
 فطابت لنا حتى اقننا بها شهرا  
 وان كنت منهم لا يريئاً ولا صفرا  
 يمشونها حتى تفوتهم سكر

### رضيت من الدنيا بطاس وسارده

غدوت على اللذات منهتك الستر  
 وافضت بنات السر مني الى الجهر

(١) عسجدية اي كاس ذهبية

(٢) اي ادعى ابا عمرو وليس لي ولد جدا الاسم

(٣) وليست كالكنية الاخرى الثقيلة

وهان عليّ الناس فيما اريده  
رايت الليالي مرصداً لمديّتي  
رضيت من الدنيا بكأس وشادن  
مُدام ربت في حجر نوح يديها  
صحيحٌ مريض الجفنُ مدناً مباعداً  
كأنّ ضياء الشمس نيط بوجهه  
اذا ما بدت ازرار جيب قميصه  
فاحسن من ركض الى حومة الوغى  
فلا خير في قوم تدور عليهم  
تحيّاتهم في كل يوم وليلة  
ظبي المشرفيات المزيرة للقبر

## واهندي ساري الظلام برها

يا شقيق النفس من حَكَمِ  
فاسقني البكر التي اختمرت  
نَمَّت انصات الشباب لها  
فهي لليوم التي بُزلت  
عَتَيْت حتى لو اتصلت  
لاحتبت في القوم ماثلة  
فرعتها بالمزاج يد  
في ندامي سادة زُهر

نمت عن ليلي ولم أُنم<sup>(١)</sup>  
بجوار الشيب في الرَّحِمِ<sup>(٢)</sup>  
بعد ما جازت مدى الهرم  
وهي ترَب الدهر في القَدَمِ  
بلسان ناطقٍ وغم  
ثم قصت قصة الامم<sup>(٣)</sup>  
خُلقت للسيرف والقلم  
اخذوا اللذات من أمم<sup>(٤)</sup>

(١) ذاك عندي افضل من جهاد الحرب وافضل من ان اخرج الى نحر الذبائح

(٢) حَكَم اسم الفيلة التي كان ينتمي اليها

(٣) لهذا البيت عدة تفاسير منها : ان حجار الشيب نسج العنكبوت الذي حول الدن . وقد

كُنِيَ عن الدن بالرحم . ومنها ان الشيب اشارة الى ما يعلو الكرم من الوبر الابيض والكرمة رحم

الحمر على المجاز (٤) اي جلست القرفصاء واخذت تقص عليهم اخبار الاقدمين

(٥) من امم اي من اقرب الطرق

فتمتت في مفاصلهم كتميتي البرء في السقم  
 فعلت في البيت اذ مزجت مثل فعل الصبح في الظلم  
 واهتدى ساري الظلام بها كاهتداء السفر بالعالم<sup>(١)</sup>

### فريذا شفاء مرّ بي ونعيم

اذا خطرت منك الموم فداوها  
 أدرها وخذها قهوة بابلية  
 ولا عرفت ناراً ولا قدر طابيح  
 لها من ذكي المسك ريح زكية  
 فشمرت اثوابي وهرولت مسرعاً  
 الى بيت خمّار افاد زحامه<sup>(٢)</sup>  
 وفي بيته زق ودن ودورق  
 فازقاه سود وحرّ دنانه  
 ودهقانه ميزانها نصب عينها  
 فاعطيتها صفرأ وقبّلت رأسها  
 وقلت لها هزّي الدنان قديمة  
 الست تراها قد تعتت رسومها  
 ذخيرة دهقان حواها لنفسه  
 فقلت بكم رطل فقلت بأصفر  
 فرحت بها في زورق قد كتبتها  
 الى فتية نادمتهم فحمدتهم  
 فتعت نفسي والتدامي بشرها  
 لعمرى لئن لم يغفر الله ذنبها

بكأسك حتى لا تكون هموم  
 لها بين بصرى والعراق كروم  
 سوى حرّ شمس اذ تهيج سحوم  
 ومن طيب ريح الزعفران نسيم  
 وقلبي من شوق يكاد يهيم  
 له ثروة والوجه منه بهيم  
 وباطية تروي الفتى وتُتيم  
 ففي البيت حبشان لديه وروم  
 وميزانها للمشتري غشوم<sup>(٣)</sup>  
 على اني فيما اتيت ملّيم  
 فقالت نعم اني بذاك زعيم  
 كما قد تعتت للديار رسوم<sup>(٤)</sup>  
 اذا ملك اخني عليه غشوم  
 فحزت زقاقاً وزرهن عظيم  
 ومن اين للمسك الزكي كتوم  
 وما في ندامي ما علمت لئيم  
 فهذا شقاء مرّ بي ونعيم  
 فان عذابي في الحساب اليم

(١) كما يجتدي المسافرون باعلام الطريق  
 (٢) دهقانه اي سيدة قروية وهي البائنة هنا  
 (٣) افاده اي ارجعه مالاً  
 (٤) هذا البيت وما بعده يصف قدم هذه الحمير  
 وانها كانت محفوظة لدهقان في دنان نسج عليها المنكبوت نسيجه فاصبحت لا يميز احدها من الآخر

## فلسفها بالراح والريحان

لا تحشعن لطارق الحدثن  
أوما ترى ايدي السحاب رقت  
من سوسن غض القطاف وأخزم  
وجني ورد يستبيك بحسنه  
حمرأ وبيضا يجتدين واصفراً  
كعقود ياقوت نطن ولؤلؤ  
ومن الزبرجد حولهن ممثلاً  
فاذا المهموم تعاورتك فلسفها

وادفع همومك بالشراب القاني  
حلل الثرى ببدايع الريحان  
وبنفسج وشقائق النعمان  
مثل الشمس طلعت من اغصان  
وملوتاً ببدايع الالوان  
اوساطهن فرائد العقيان  
سحطاً يلوح بجانب البستان  
بالراح والريحان والندمان

## دبني نفسي وديمه الناس للناس

اني عشقت وما بالعشق من باس  
مالي وللناس لم يلحوني سفهاً  
ما للعادة اذا ما زرت مالكتي  
الله يعلم ما تركي زيارتكم  
ولو قدرت على الاتيان جنتكم  
وقرأت كتاباً من صحائفكم

ما مرّ مثل الهوى شي على راسي  
دبني لنفسي ودين الناس للناس  
كان اوجههم تطلى بانقاس<sup>(١)</sup>  
الا مخافة اعدائي وحراسي  
سعياً على الوجه او مشياً على الراس  
لا يرحم الله الا راحم الناس

## نقى وبلند خيالانا

اذا التقى في النوم طيفانا  
يا قرة العين فما بالنا  
لو شئت اذ احسنت لي نائماً  
يا عاشقين التقيا في الكرى  
لذلك الاحلام غرارة

عاد لنا الوصل كما كانا  
ونشقى وبلند خيالانا  
اقتمت احسانك يقظانا  
فاصبحت غضبي وغضبانا  
وانما تصدق ايماننا

(١) انقاس جمع تقس وهو الخبز الاسود

ومن اقواله في جنان

غضبت لحوور في الكتاب كثير  
 كتب الكتاب على خلاف ضميره  
 لا والذي ان شاء صيرنا معاً  
 ما كان ذلك لما أتى من قولها  
 كتب بييني والدموع سواكب  
 فالحو من قبل الدموع وانما  
 قالت أراد خيانتني وغروري  
 فالحو فيه لكثرة التغير  
 فاداك من حزن هناك سروري  
 مني ولا للسهو والتقصير  
 صفة اللسان بما يكن ضميري  
 تجري دموع العاشق المهجور

وقال -

ابن الجواب واين رد رسانی  
 فددت كني ثم قلت تصدقوا  
 ان كنت مسكيناً فجاوز بابنا  
 يا ناهر المسكين عند سؤاله  
 قالت سننظر ردها من قابل  
 قالت نعم بججارة وجنادل  
 وارجع فمالك عندنا من نائل  
 الله عاتب في انتهار السائل

## مدائحهم واوصافهم

وهو لا يخرج في معظمها عن مذاهب الشعراء المتقدمين

## قال بمرح الاصبين

يا دار ما فعلت بك الايام؟  
 عزم الزمان على الذين عهدتهم  
 ايام لا اغشى لاهلك منزلا  
 ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم  
 وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه  
 ضامتك والايام ليس تضام  
 بك قاطنين ، ولزمان عوام  
 الا مراقبة علي ظلام  
 واسمحت سرح اللهو حيث اساموا<sup>(١)</sup>  
 فاذا عصارة كل ذلك انام

(١) نهز بالدلو اي ضرب جابالاء لتمتلي . ومعنى البيت انه شارك الغواة في لهوم وماشاهم .

وإذا المطيُّ بنا بلغن محمداً      فظهورهن على الرجال حرام  
 قرَّبنا من خير من وطئ الأثرى      فلها علينا حرمة وذمام  
 رُفِعَ الحجابُ لصلاح لناظر      قرَّرتْ قطعَ دونه الأوهام  
 ملك إذا علقت يداك بجبله      لا يعتريك البؤس والإعدام  
 ملك أغرُّ إذا شربت بوجهه      لم يعدك التبجيل والاعظام  
 فالبهو<sup>(١)</sup> مشتمل ببدر خلافة      لبس الشباب بنوره الإسلام  
 ان الذي يُرضي إلهه بهديه      ملك تردِّي الملك وهو غلام  
 ملك إذا اعتسر الأمور مضى به      راي يفعلُ السيف وهو حسام  
 فسلمت الأمر الذي ترجى له      وتقاست عن يومك الأيام

### وقال بمرح الفضل به الربع

وعظمتك واعظة القدير      ونهتكَ أبهة الكبير<sup>(٢)</sup>  
 ورددت ما كنت استعير      ت من الشباب الى المُعير  
 فالآن صرت الى النهي      وبلوت عاقبة السرور<sup>(٣)</sup>  
 هذا وبجر تنائف<sup>(٤)</sup>      وعر الاجازة والعبور<sup>(٥)</sup>  
 للجن فيه حاضر      جم المجلس والسمير<sup>(٦)</sup>  
 قاربت من مبسوطة      بالعنتريس العيسجور<sup>(٧)</sup>  
 لأزور صفو الله في ال      دنيا من الكرم الخطير<sup>(٨)</sup>  
 يا فضل جاوزت المدى      فجالت عن شبه النظير  
 أنت المعظم والمكبر      في العيون وفي الصدور

(١) البهو البيت المقدم امام البيوت ويراد به هنا قصر الخلافة

(٢) القدير الشيب او اوله والاجة العظمة والبهجة والكبر والنخوة . قال بعضهم وغلط ابو نواس في وصف الكبير بالاجة وقيل اجة الكبير وقاره وعينه اه

(٣) النهي العقل وقد يكون جمع نية بمعنى العقل . وبلوت اختبرت

(٤) التنائف جمع تنوفة وهي المفازة (٥) الحاضر من معانيه الحي العظيم . والسمير المسامر ولا يكون الا بالليل (٦) العنتريس الناقة الغليظة الوثيقة . والعيسجور الناقة السريعة

(٧) من الكرم متعلق بصفو . والخطير الرفيع

فاذا العقول تفاظنتك عرضن في كرم وخير<sup>(١)</sup>  
 واذا العيون تأملتك صدرن عن طرف حسير  
 ما زلت في عقل الكبير وأنت في سن الصغير  
 حتى تعصرت الشبيبة واكتسبت من القتير<sup>(٢)</sup>  
 عفاً المداخل والمخارج والفريزة والضهير  
 والله خص بك الخليفة فاصطفاك على بصير  
 فاذا آلت بك الامور كفيته فجمع الامور<sup>(٣)</sup>  
 من قاس غيركم بكم قاس الثاد على البحور<sup>(٤)</sup>  
 اين القليل بنو القليل من الكثير بني الكثير  
 قوم كفوا ابنا مكة نازل الخطب الكبير  
 فتداركوا جزر الخلافة وهي شاسعة النصير<sup>(٥)</sup>  
 لولا مقامهم بهسا هوت الرواسي من ثبير

### ومن لطائفه قوله بصف بعض سفن الامين

سخر الله للامين مطايا لم تسخر لصاحب المحراب<sup>(٦)</sup>  
 فاذا ما ركبه سرن برا سار في الماء راكباً ليث غاب<sup>(٧)</sup>  
 اسداً باسطاً ذراعيه يعدو أهرت الشدق كالح الانياب<sup>(٨)</sup>  
 لا يعانیه باللجام ولا السوط ولا غمز رجله في الركاب

(١) تفاظنتك تصورتك بفتنة. والخير (بالكسر) الكرم والشرف

(٢) تعصرت اي عصرت مرة بعد مرة. والقتير الشيب

(٣) الاث بك الامور استودعتك اياها. والفجم جمع قحمة وهي الممالك والمصاعب

(٤) الثاد الماء القليل (٥) الجزر قطع الشاة المذبوحة

(٦) صاحب المحراب هو سليمان عليه السلام

(٧) كان للامين ثلاث من السفن المعروفة بالحراقات لركوبه خاصة وهي الليث والعقاب

والدلفين كما هو ظاهر في هذه الايات وفي الايات النونية بعدها

(٨) أهرت الشدق اي واسمه

عجب الناس اذ راوه على صو رة ليث يترُّ مرَّ السحاب  
 سَبَحُوا اذ رَأَوْكَ سَمَرْتَ عَلَيْهِ كَيْفَ لَوْ أَبْصَرُوكَ فَوْقَ الْعُقَابِ  
 ذَاتَ زَوْرٍ وَمَيْسَرٍ وَجَنَاحَيْنِ تَشْتَقُّ الْعُبابُ بَعْدَ الْعُبابِ  
 تَسْبِقُ الطَّيْرَ فِي السَّمَاءِ اِذَا مَا اسْتَعْجَلُوهَا بِجَيْشَةٍ وَذَهَابِ  
 بَارِكْ اللهُ لِلْأَمِينِ وَابْقَا هـ وَأَبْقَى لَهُ رِذَاءُ الشَّبَابِ  
 مَلِكٌ تَقْصُرُ الْمَدَائِحُ عَنْهُ هَاشِمِيٌّ مَوْقُوقٌ لِلصَّوَابِ

### وقوله منظاراً مخاطباً الفضل

أنت يا ابن الزبيح أزممتني النُسكُ وعودتنيه والخير عاده  
 فارعوى باطلي وأقصر جبلي وتبدلتُ عفةً وزهاده  
 لو تراني ذُكرتُ للحسن البصري في حسن سمته او قتاده<sup>(١)</sup>  
 المساييح في ذراعيّ والمصحف في لَبِّي مكان القلاده  
 فادعُني لا عدمتَ تقويم مثلي وتفظنْ لموعد السجاده  
 تر إثراً من الصلاة بوجهي تُوقن النفس انها من عباده  
 لو رأها بعض المرانين يوماً لاشتراها يعدُّها للشهاده  
 ولقد طال ما شقيت ولكن ادركتني على يديك السعاده  
 وله مدائح مشهورة في العباس بن عبيدالله، وابن ابي جعفر المنصور، وفي الحُصيب بن  
 عبد الحميد المرادي امير خراج مصر . فلتراجع في ديوانه .

### من شعره الجدي

وهو يمثل شعوره وقد عجز وسم حياة الخُلاعة والمجون

### اذا اصحن الدنيا لبيب

ايا رُبَّ وجهٍ في التراب عتيقُ ويا رُبَّ حُسنٍ في التراب رقيقُ  
 ويا رُبَّ حزمٍ في التراب ونجدةُ ويا رُبَّ رأيٍ في التراب وثيقُ

(١) الحسن البصري وقناة امامان معروفان من اهل القرن الاول



أرى كل حمي هالكاً وابن هالكٍ      وإذا حسب في الهالكين عريق  
 فقل لتقريب الدار إنك ظاعنٌ      إلى منزل نائي المحل سحيق  
 إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت      له عن عدوٍ في ثياب صديق

## وعليك الفصد

خلّ جنيتك لرامٍ وامن عنه بإسلامٍ  
 متّ بداء الصمت خيرٌ لك من داء الكلام  
 ربما استفتحت بالمزح مغاليق الحرام  
 ربّ لفظٍ ساق آجالٍ لقيامٍ وقيام  
 انما السالم من الجسم فاه بلجام  
 فالبس الناس على الصحة منهم والسقام  
 وعليك القصد ان القصد ابقى للجرام<sup>(١)</sup>  
 شبت يا هذا وما تترك اخلاق الغلام  
 والمنايا آكلات شاربات للانام

## كأني لا اعود

الم ترني أجتّ اللهو نفسي      وديني واعتكفت على المعاصي  
 كأني لا اعود الى معادٍ      ولا اخشى هنالك من قصاص

فاني قد شبت<sup>(٢)</sup>

ايا من بين باطيةٍ وزقٍ      وعودٍ في يدي غانٍ معني  
 اذا لم تنه نفسك عن هواها      وتحسن صونها فإليك عني  
 فاني قد شبت من المعاصي      ومن إدمانها وشبعن مني  
 ومن أسوا واقبح من لبيبٍ      يرى متطرباً في مثل سني

(١) اي ان الاعتدال ابقى للقوة

(٢) وتروى هذه الايات ايضاً لابي العتاهية

## وقال برئى نفسه وقد سارف الموت

دبَّ فيَّ الغناء سفلًا وعلوا واراني اموتُ عضواً فعضوا  
 ليس من ساعة مضت لي الا تقصتي برها بي جزوا  
 ذهبت جدتي بطاعة نفسي وتذكرت طاعة الله ينضوا<sup>(١)</sup>  
 لطف نفسي على ليال وايام تلميتن لعباً وهوا  
 قد اسانا كل الاساءة فاللهم صفحاً عنا وغفرا وغفوا

(١) النضو الثوب البالي، اي بعد ان اصبحت عاجزاً

# أبو العتاهية

اسماعيل بن القاسم

١٣٠ - ٢١١ او ٢١٢ هـ

(٧٤٨ - ٨٢٨ م)

مصادر دراسته - كلمة في نسبه واتهامه بالزندقة - حياته الادبية - رسالته الشعرية  
مقابلته بابي نواس - شاعريته - حسناته وسيئاته الفنية

## مصادر دراسته

- الشعر والشعراء لابن قتيبة ( ليدن ) ٤٩٧ - ٥٠١  
 مروج الذهب للمسعودي ج ٢ في اخبار المهدي والرشيدي  
 الاغانى ( بولاتق ) ج ٣ ص ١٢٦ - ١٨٣  
 ج ٦ ص ١٨٦  
 ج ٨ ص ٢٤  
 ج ١٦ ص ١٤٩ - ١٥٠  
 الموشح للمرزباني ص ٢٥٤ - ٢٦٣  
 زهر الآداب للحصري ج ٢ ص ٣٥ - ٣٩  
 العمدة ( هندية ) ٢ - ١٠٦  
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ( مصر ) ج ٦ ص ٢٥٠ - ٢٦٠  
 وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٣  
 مقدمة ديوان ابى العتاهية رواية النمرى ( طبع الاباء اليسوعيين بيروت )  
 واخبار متفرقة في الكامل والفهرست والعمدة وغيرها

## كلمة في نسب وزئبقه

في كل عصر وفي كل قطر ، اذا كثرت اسباب الغنى والترف ، نشأ في المجتمع البشري مجريان متطرفان ، الاول مجرى العبث والخلاعة ، والثاني مجرى الحرص والتكشف .

في الاول ترى المسترسلين في الموبقات والشهوات الجارين مع الاهواء الى اقصى الغايات ، وفي الثاني ترى الذين عافت نفوسهم ملذات الدنيا ، فنكبوا عنها الى زوايا الزهد ينعون الى الناس زخارفها ، ويدعونهم الى نبذها والنظر الى ما وراءها . وكما يمثل ابو نواس في عصره الفئدة الاولى ويعكس لنسا حياتهم وعواطفهم ، يمثل زميله ومعاصره ابو العتاهية الفئدة الثانية ويعكس لنا في ديوانه عواطف المتطرفين من الروحيين والاخلاقيين

نشأ شاعرنا في الكوفة ، حتى اذا نضجت صناعة الشعر فيه ، امّ بغداد فأصل بيلاط العباسيين ومدح المهدي والمهدي والرشيد ، ومات في خلافة المأمون وقد بلغ الثمانين .

وقبل البحث في شعره نذكر نقطتين لم يوضحهما مؤرخوه تمام الايضاح وهما نسبة وزندقته . فقد ذكر بعض المؤرخين وتبعهم المستشرقان نكلسون وهوار<sup>(١)</sup> ان ابا العتاهية عربي الاصل . واذا راجعت ما اورده الاصفهاني وابن خلكان ومن نقل عنهما رايتهم يتفقون على نسبته الى عترة بالولا . في الاغاني عن محمد بن موسى قوله «ولاء ابي العتاهية من قبل ابيه لعترة ، ومن قبل امه لبني زهرة» .<sup>(٢)</sup> ولعل في اسم بلدته التي ولد فيها ما حداهم الى ذلك القول ، فقد ولد في عين التمر وهي على ما ذكروا بلدة في الحجاز . والحقيقة ان في العراق بلدة تعرف بهذا الاسم<sup>(٣)</sup> ، والاصح ان تكون هي مسقط رأس الشاعر . فانه نشأ في الكوفة والكوفة وعين التمر كلتاها من سقي الفرات . وما قد يؤيد صحة هذا القول ان بعضهم كان يتهمة بالزندقة<sup>(٤)</sup> ، ولم يكن يُتهم بها عادة الا الذين يمتون بنسب الى الفرس . ولم يكن ابو العتاهية شديد التمسك بنسبه فكان طول حياة يزيد بن منصور الحميري يدعي انه مولى لليمن وبنيتي من عترة . فلما مات يزيد رجع الى ولانه الاول<sup>(٥)</sup> ، وما ذلك فعل من ينتسب نسباً صريحاً الى العرب .

Nicholson, Lit. Hist. 296 - Huart, Hist. of Ar. Lit. 74 (١)

(٢) الاغاني ٣-١٢٧ (٣) ابن خلكان ١٠٠ ومعجم البلدان لياقوت

(٤) ابن قتيبة ( ليدن ) ٤٩٧ (٥) الاغاني ٣-١٢١

اما زندقته واتهامه بذهب الفلاسفة فليس في شعره ما يشبهها، ولم يذكره ابن النديم في جملة الشعراء الزنادقة الذين عاصروا ابا العتاهية . وكل ما رأينا من هذا القبيل ان قوماً من اهل عصره كانوا ينسبونه الى القول بذهب الفلاسفة ويحتجون بان شعره انا هو في ذكر الموت دون الآخرة<sup>(١)</sup>، وهو ليس بصحيح . وقد توهم كولد زيهر من البيت التالي اذا اردت شريف الناس كلهم قانظر الى ملك في زي مسكين

ان الشاعر ينوّه بفضل بوذا . والحق ما ذكره نكلسون من ان ذلك لا يراد به غير وصف التقي الزاهد، دون الاشارة الى شخص خاص<sup>(٢)</sup>

ومما نسب فيه الى الزندقة الابيات التالية<sup>(٣)</sup>

اذا ما استجزت الشك في بعض ما ترى فما لا تراه الدهر امضى واجوز.

يا رب لو انسيثنيها بما في جنة الفردوس لم انسها

ان المليك رآك احسن خلقه ورأى جمالك  
فحذا بقدره نفسه حور الجنان على مثالك

وليس في هذه الابيات عند التحقيق غير مبالغات خيالية قد تجري على لسان المؤمن لتقرير او ايضاح معنى شعري . ونقلوا عن الصولي قوله بالجوهري المتضادين كالثنوية، وقوله بالجبر وما شاكل<sup>(٤)</sup> . وقد جاراهم العلامة زيدان فقال في تاريخه وكان ابو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في امر الدين فتقلب على اطوار شتى شأن الذين يجلون انفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الناقد<sup>(٥)</sup> . على ان الناظر في شعره لا يجد فيه غير رجل متري يري الفقراء متغنياً باناشيد الزهد . وليس فيه من اثر لنظر نقدي في الكون او للزعة فلسفية في الدين

(٢) Lit. Hist. of the Arabs 297

(١) الاغاني ٣-١٢٦

(٤) الاغاني ٣-١٢٨

(٣) ابن قتيبة (ليدن) ٥٠١

(٥) تاريخ اداب اللغة ٢-٦٨

## حياته الادبية

تظهر لنا حياة ابي العتاهية في مظهرين - حياة الغزل والمناذمة، وحياة الوعظ والتكشيف - فقد اجمع المؤرخون ان شاعرنا كان في اول امره يجري مجرى المتخشين من شعراء عصره<sup>(١)</sup> ولكنه لم يكد يبلغ الخمسين حتى تحول عن سبيلهم . وكان ذلك على ما رواه صاحب الاغانى في خلافة الرشيد . قال « كان ابو العتاهية لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر الا في طريق الحج، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين الف درهم سوى الجوائز والمعادن . فلما قدم الرشيد الرقة ( وذلك سنة ١٨١ هـ ) لبس الشاعر الصوف وترهد، وترك حضور المناذمة والقول في الغزل<sup>(٢)</sup> . فكان شاعرنا اذن في صباه وفي شبابه يجري مجرى اهل الظرف من شعراء زمانه ، حتى زعموا انه كنى بابي العتاهية لانه كان يحب التهتر والتجوز والتعته<sup>(٣)</sup> . فما الذي دفعه الى ترك ما كان عليه الشعراء والتزام طريقة الزهد والتنسك ؟ سؤال جدير بالنظر . ولا بد لنا قبل الاجابة عليه من ان ننظر فيما يلي -

١ - حالته النفسية واستعداده الفطري لذلك

٢ - تأثر نفسه بتهتك معاصريه وقادهم في اسباب الترف

٣ - فشله في حبه لفتاة من جواري المهدي

٤ - ميله الى الطريقة الزهدية في الشعر

اما استعداد الفطري فليس لنا من دليل صريح عليه . ولكننا نستنتج مما عرف عن ابي العتاهية من حب المال والحرص على الدنيا ، انه كان ذا نظر في العواقب وعلى شيء - حتى في ابان شبابه - من ضبط النفس مما لا نراه عادة في متخني عصره . فلم يكن شديد الميل الى الانفاق في سبيل الشهوات ، وبكلمة اخرى لم تكن مشاركته لزملائه في تجونهم ايام شبابه لتقتل فيه ميله الى الحرص والرزانة . جاراهم ولكن الى حين، واندفع في تيار الحياة ولكنه لم يرخ لنفسه العنان . ولم يلبث ان رأيناه يتراجع عنه مشمئزاً، مهيباً بالآخرين ان يسلكوا سبيل الرشاد ، وان يعتبروا بظروف الزمان . ولا نشك انه كان لعصره تأثير عليه، وان ذلك التأثير تحول الى عاطفة شعرية مغايرة لعواطف زملائه يومئذ .

(١) راجع مجلسه مع ابي نواس وصريح النواني في العقد ٣ - ١٦٤

(٣) الاغانى ٣ - ١٢٧

(٢) الاغانى ٣ - ١٥٧

فترك الغزل والمنادمة ، واختط لنفسه اسلوباً آخر أحبّ ان ينفرد فيه . وأنا لنلمح ذلك مما نقله لنا ابن منظور عن ابي مخد الطائي قال « جاءني ابو العتاهية فقال لي ان ابانواس لا يخالفك ، وقد احببت ان تسأله ألا يقول في الزهد شيئاً ، فاني قد تركت له المديح والهجاء والخمر والرقيق وما فيه الشعراء ، ولزهد شوقي . فبعثت الى ابانواس بخفا الى واخذنا في شأننا . فقلت لابي نواس ان اباسحق<sup>(١)</sup> ( ابو العتاهية ) من قد عرفت جلالته وتقدمه ، وقد احب انك لا تقول في الزهد شيئاً . فوجم ابونواس عند ذلك وقال يا ابا مخد قطعت عليّ ما كنت احب ان ابالعه من هذا . . . . ولا اخالف اباسحق فيما رغب اليه<sup>(٢)</sup> . فابو العتاهية اذن اصطنع الزهد واتخذ طريقة فنية مندفعاً اليه بشوق نفسه الى هذا النوع من الشعر . واذا صح ما زعمناه لشاعرنا من الاستعداد الفطري ، وانه مجارة لهذا الاستعداد رأى ان ينفرد بالزهد دون سائر ابواب الشعر ، بقي ان ننظر في المحرك المباشر الذي حرك في نفسه شهوتها الزهدية وحبب اليه ترك حياته الاولى . هذا المحرك هو على ما يقول المؤرخون فشله في حبه لعتبة جارية الخيزران ام الرشيد . وفي ذلك يقول المعري<sup>(٣)</sup>

الله ينقل من شا ء رتبة بعد رتبة  
ابدى العتاهي نسكاً وتاب عن حب عتبه

وعن المسعودي ان ابالعتاهية لبس الصوف لياسه من عتبة<sup>(٤)</sup> . وكان ذلك ايام الرشيد . وقد آثر السجى على ان يرجع بعدها الى قول الغزل<sup>(٥)</sup> . أما انه احب هذه الجارية حباً شديداً فذلك ما اجمع عليه المؤرخون واليك بعضاً من غزله فيها -

يا عتب سيدتي اما لك دينٌ حتى متى قلبي لديك رهينٌ  
وانا الذلول لكل ما حملتني وانا الشقي البائس المسكين  
وانا الغداة لكل بالكر مسعد ولكل حب صاحب وخدين  
لا بأس إن لذك عندني راحة للصب ان يلقي الحزين حزين  
يا عتب اين افر منك اميرتي وعلي حصن من هواك حصين

(١) كنيته الحقيقية ابو اسحق وانما ابو العتاهية لقب له (٢) اخبار ابي نواس ٢٠

(٣) الزوميات ١ - ١١٨ (٤) المسعودي ج ٧ - ٣٣٦

(٥) الاغاني ٣ - ١٤٠



وقال من قصيدة

كانها من حسنها درةً اخرجها اليمُّ الى الساحل  
 كأنها فيها وفي طرفها سواحرٌ اقبلن من بابل  
 لم يبق مني حبُّها ما خلا حُشاشةً في بدن ناحل

ويذكر الحصري ان ابا العتاهية ضرب مئة سوط ونثي الى الكوفة من اجل غزله بعثة ، وان المهدي قال حين نفاه « أبي يتمرس ولحرمي يتعرض وبنسائي يعبث <sup>(١)</sup> ! » وجاء لابن قتيبة انه حبسه ، ثم تشمّع له يزيد بن منصور خال المهدي فاطلقه <sup>(٢)</sup> . والظاهر انه خاف المهدي فانقطع عن ذكر الجارية . فلما مات عاد امله فطلبها من الرشيد كما روى المسعودي ولكنه باء بالفشل . وبين اول حبه لعبة ويأسه من الحصول عليها نحو من عشرين سنة بقيت فيها شرارة الحب مشتعلة برغم كل الموانع ، وبرغم انه كان متزوجاً . وهو حب شديد وغريب في عصر كعصره ، يذكرنا بحب شاعر ايطاليا لفتاته بياتريس وما كان له من التأثير في نفسه كل حياته

من فشل دانتى نشأت الرواية الالهية . فهل من فشل ابي العتاهية نشأ شعره الزهدي ؟  
 قد يكون ذلك

على ان في مسلكه الزهدي ما راب بعض اهل زمانه . وتحدر هذا الريب بصحة زهده الى الاجيال التالية . هذا ابو العلاء المعري يقول في البيتين الانثي الذكر « ابدى العتاهي نسكاً » . وفي العبارة ما فيها من الشك في ذلك النسك . وهناك حكايات لمعاصريه تتم على روح الاستخفاف بترهده ، وتتهمه بالادعاء والتظاهر . من ذلك ما رواه الاصفهاني عن ثمامة بن اشرس قال انشدني ابو العتاهية :

اذا المرء لم يُعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكه  
 الا انما مالي الذي انا منفق وليس لي المال الذي انا تاركه  
 اذا كنت ذا مال فبادره بالذي يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له من اين قضيت بهذا ؟ فقال من قول رسول الله (ص) انا لك من مالك ما اكلت فافنيت ، او لبست فابليت ، او تصدقت فامضيت . فقلت له اتؤمن بأن هذا قول

(١) زهر الادب ٢-٣٦

(٢) الشعر والشراء (لیدن) ٤٩٨

رسول الله (ص) وانه الحق ؟ قال نعم . قلت فلم تجلس عندك سبعا وعشرين بدرة في دارك ، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تركي ، ولا تقدمها ذخرأ ليوم فقرك ؟ فقال يا ابا معن والله ما قلت هو الحق ، ولكني اخاف الفقر والحاجة الى الناس . فقلت وبم تريد حال من افتقر على حالك ، وانت دائم الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك لا تشتري اللحم الا من عيد الى عيد ؟ فترك جوابي كلامي كله ، ثم قال لي والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم . فلما قال هذا القول اضحكني حتى اذهلني عن جوابه ومعاتبته ، فامسكت عنه وعلمت انه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام<sup>(١)</sup>

وروى الحصري عنه الحديث التالي قال دخل ابو العتاهية على ابنه محمد وقد تصوف فقال الم اكن قد نهيتك عن هذا (اي عن التصوف) فقال ابنه وما عليك ان اتعود الخير ؟ فاخذ ابو العتاهية يؤنبه ويقرعه ثم قال له اقبل على سوقك فانها أعود عليك . وكان ابنه بزازاً<sup>(٢)</sup> . وامثال هذه الحكايات كثيرة تجدها في الاغاني وسواه . ولعل ذلك ما حمل سلم بن عمرو الملقب بالخاسر ان يغضب حين انشد ابو العتاهية قصيدته التي يقول فيها مخاطباً مسلماً بهذين البيتين :

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص اعناق الرجال  
هب الدنيا اليك عفواً ليس مصير ذلك الى الزوال

فقال سلم : « وبلي على الجرار الزنديق جمع الاموال وكثرها وعبأ البدور في بيته ثم ترهد مراعاة ونفاقاً فاخذ يهتف بي اذا تصدّيت للطلب . »<sup>(٣)</sup> وقال الجعاز ابن اخت سأم ويرويها ياقوت لسلم نفسه

ما اقبح الترهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد  
لو كان في ترهيده صادقاً اضحى وامسى بيته المسجد  
يخاف ان تنفد ارزاقه والرزق عند الله لا ينفد

وانك اذا تحريت الحكايات الكثيرة التي ينقلونها عن ابي العتاهية تجد اساسها شك معاصريه بصدق ترهده . وهذا الشك مبني عندهم على ما يلي : ١- سيرته الاولى ٢- حرصه

(٢) زهر الاداب ٣-٢٢٥

(١) الاغاني ٣-١٣٢

(٣) معجم الادباء لياقوت ٤-٢٤٨

على المال ٣ - تبرُّمُ الناس من الوعظ والانذار . وجل ما يقال هنا ان الرجل صدف عن سيرته الاولى ، وانه لزم جانب التدُّين واتخذ الشعر الزهدي فناً فاجاد فيه <sup>(١)</sup> . ولم يكن زهده انقطاعاً عن الدنيا وترفعاً عن حطامها ، ولكن تقييماً لمسلِك مترفيها وانذاراً بسوء مصيرها ، واشباعاً لشهوة فنية لم يستطع الا اشباعها . وكان برغم ما يحكونه محترماً من معاصريه حتى من ابي نواس <sup>(٢)</sup>

### رسالته ابي العتاهية في شعره

لا يحمل شاعرنا في شعره رسالة جديدة ، ولا يضع مبادئ فلسفية خاصة . وانا هو يعكس لنا روح الشرق الدينية - احتقار الحياة الدنيا وتعظيم الآخرة . اقرأ كل ديوانه فلا ترى فيه الدعوة الى ترك الجهاد في سبيل التقدم ، والتحرر من قيود المطامع

حتى متى يستفزني الطمع	ليس لي بالكفاف . تسع
ما افضل الصبر والقناعة	للناس جميعاً لو انهم قنعوا
واخذع الليل والنهار لاقوام	اراهم في الغنى قد رتعوا
لله در الدُّثني فقد لعبت	قبلي بقوم فما ترى صنعوا
اثروا فلم يدخلوا قبورهم	شيثناً من الثروة التي جمعوا
وكان ما قدموا لانفسهم	اعظم نفعاً من الذي ودعوا

وقال

طلبت الغنى في كل وجه فلم اجد	سبيل الغنى الا سبيل التعفف
خليلي ما اكفى اليسير من الذي	نحاول ان كنا بما عفاً نكتفي
وما اكرم العبد الحريص على التُّدى	واشرف نفس الصابر المتعفف

فانت في ذلك وفي سائر شعره امام منبر واعظ يرشدك الى سبل القناعة، سبل الخير كما ينص عليها الدين . ولكن في وعظه شاعرية جليلة ولحناً شجياً يخفف عليك مشقة الاضغاء

(١) قال الخطيب البغدادي كان يقول في الغزل والمدبح والهجاء قديماً ثم تنسك وعدل عن ذلك

الى الشعر في الزهد وطريقة الوعظ ٦ - ٢٥١

(٢) راجع في المصدر نفسه حديث ابي نواس واجلاله لابي العتاهية حتى قال ما رأيت قط الا

توعمت انه ساوي وانا ارضي

الى الوعظ، ولا سيما من واعظ يُعرف فيه الحرص وحب المال . وهو واعظ الموت والظلام  
ولكن في نبراته ما يجذبك اليه .

واي شيء ادلُّ على شاعريته من انه يحملك الى المقابر فيقف بك هناك امام الجثث  
البالية والعظام النخرة ، ثم يصف لك ظلام القبور واهوال الحمام ، وينتدب بطامع الانسان  
واباطيل الحياة في شعر يثير شجونك ويزيل بهجة الدنيا من امامك . وانت مع كل ذلك  
تسمع في ابياته ايقاعاً يحاو لاذنيك ، فتصفي اليه مسروراً ، وتشعر منه بنشوة خفية تملأ  
قلبك وتحرك عواطفك

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تباب

لمن نبي ونحن الى تراب نصير كما خلقنا من تراب

صوت شجي تقف لديه معتبراً خاشعاً ، ولكنك لا تلبث ان تعيده لنفسك فتنسى  
بجمله قتام الموت وعبوسة القبر . ثم تسمعه يقول

الا يا موت لم ار منك بدا اتيت وما تحيف وما تحابي

كانك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على الشباب

وانك يا زمان لذو صروف وانك يا زمان لذو انقلاب

اراك وان طليت بكل وجه كحلم النوم او ظل السحاب

فتنظر الى الموت نظرك الى صديق مؤاس يأتي ليخلصك من الزمان ، وينقلك الى  
ظلال الجنان . ولماذا ترى الموت كذلك وهو الرهيب المخوف ؟ لان الشاعر يضرب على  
وتر شجي يهيج فيك حاسة الاستحسان، فيطربك ويلقي على ما حولك من فساد ورعب  
مسحة من جمال الفن الشعري الذي يحول الظلام الى نور ، والرعب الى امن وطمأنينة

ولتنتب ذلك في نفسك اسمع الابيات التالية التي يصف بها طمع الانسان ووجوب  
القناعة وزوال الدنيا - وما تلك بواضيع تلذ الانسان عادة ، ثم شرح شعورك لدى سماعها

الم تر ريب الدهر في كل ساعة له عارض فيه المنية تلمع

ايا بائي الدنيا لغيرك تبتي ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع

ارى المرء وثأباً على كل فرصة وللمرء يوماً لا محالة مصرع

تبارك من لا يملك الملك غيره متى تنقضي حاجات من ليس يشبع

واي امرئ في غاية ليس نفسه الى غاية اخرى سواها تطع

وقوله

خليلي كم من ممت قد حضرته  
ومن لم يزد السن ما عاش عبرة  
اصبت من الايام لين اعنة  
متى دام للذنيا سرور لاهلها

ولكنني لم انتفع بحضوري  
فذاك الذي لا يستنير بنور  
فاجريتها ركضاً ، وابن ظهور  
فأصبح منها واثقاً بسرور ؟

وقوله

رجعت الى نفسي بفكري لعلها  
فقلت يا نفس ما كنت آخذاً  
فهل هي الا شعبة بعد جوعه  
ارى لك نفساً تبتغي ان تُعزها

تفارق ما قد غرّها واذها  
من الارض لو اصبحت املك كلها؟  
والأ مني قد حان لي ان املها  
ولست تعز النفس حتى تذها

الى غير ذلك من العظات الروحية البالغة ، مما يستهوي النفس برغم ما يتراعى فيه من  
اهوال الموت وكلاحة الورع والزهد . وكل ديوانه على هذا النمط العالي ولا يعيبه الا انه  
على وتيرة واحدة - موضوع واحد يردده في قصائد مختلفة الوزن والروي

ولا بد لنا في هذا المقام من ان نقف هنيهة نقابل الروح « النواسية » بالروح « العتاهية »  
فاننا الشاعر روحه ، وما شعره الحقيقي الا مجلي لعواطفه الداخلية

### ابو العتاهية وابو نواس

كلاهما متشائم - هذا في زهوه وسروره ، وذلك في ترهده وتقديره . ابو نواس لم  
يدرك قيمة الحياة ولم يفهم مراميها العالية فانفق نفسه وقواه في سخائفها ، وابو العتاهية اخطأ  
الغاية من وجود الفرد ومن علاقته بالمجتمع ، فنعى عليه ذلك ودعاه الى نبذ الدنيا والاهتمام  
بالآخرة . وكلاهما مخطى . - ذلك لافراطه في اباطيلها ، وهذا لافراطه في التهديد بها . ولو  
انا جارينا شاعرنا في اقواله وقنابنا يطلبه في عظاته لتحتّم علينا ان نقف كل جهاد وكل  
سعي ، ونعيش عيشة الخمول والقناعة . واين هذا من الرقي الاجتماعي الذي يتطلب من كل  
فرد ان يسعى ويجدّ ليدرك اقصى ما يستطيع ادراكه .

ساقنق ما بقيت بقوت يوم . ولا ابغي مكاثرة ببال

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذلّ الحرص اعناق الرجال  
فما ترجو كشيء ليس يبقى وشيكاً ما تغيره الليالي

هي الروح الشرقية القديمة التي تحتقر الدنيا وتنظر اليها كعمراً زائل حياة عليا . نظر  
تعكسه لنا كتب الدين ، واقوال الانبياء والاتقياء وقادة الحياة الدينية في كل جيل .  
واننا اذا فرسنا القناعة ( او الزهد ) بانها الجام الشهوات الفاسدة والاطماع الثائرة والتعالي  
عن الطبيعة الحيوانية التي تدعونا الى التعدي وحب الاثرة ، كانت القناعة حكمة اجتماعية  
عالية ، بل صدق الداعون اليها انها باب السعادة الدنيوية . واما اذا كانت كما يصفونها الوقوف  
عن الجهاد ، والبعد عن اسباب التقدم ، وطلب الراحة في زوايا المناسك ، والظهور بمظهر  
الفقر والتصوف ، فهي الخمول الذي يزيد اكدار الانسان ويبعده عن سعادته المنشودة .  
وهنا وجه الضعف في رسالة ابي العتاهية : انه قام ينشد لنا اناشيد الدين دون ان يتفنن  
في تطبيقها على الحياة العملية ، وكان في شعره يقلد الزهاد ورجال الدين تقليداً . والافني  
وسع من كان في مقدوره الشعري ان يستخلص من حياة عصره صوراً اجتماعية عالية بصورها  
فيريناها جمال الفضائل الدينية والآداب القومية ، او قباحة اضدادها ، على نحو ما يفعل  
الاجتماعيون من شعراء وناثرين

عكسه

ولابي العتاهية في هذا الضرب من المنظوم مكانة عالية - فهو قدير بضرب الامثال ،  
وعقد جوامع الحكمة في ابيات شعرية جميلة : واليك امثلة من ذلك

اخوك الذي من نفسه لك منصف اذا المرء لم ينصفك ليس اخاك

...

وليس امرؤ لم يرع منك بجهد جميع الذي ترعاه منه بنصف

...

هب الدنيا تساق اليك عفواً ليس مصير ذاك الى الزوال

...

وذقت مرارة الاشياء طراً فما طعم امرء من السؤال

...

اجلئك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل  
وليس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل  
اذا مالت الدنيا الى المرء رغبته اليه ومال الناس حيث يميل

...

توق بدا تكون عليك فضلاً فصانعهما اليك عليك عال

...

طلبت المستقر بكل ارض فلم ارا لي بارض مستقراً  
اطعت مطامعي فاستبعدتني ولو اني قنعت لكنت حراً

...

لقد حلبت الزمان اشطره فكان فيهن الصاب والسلع  
مالي بما قد اتى به فرح ولا على ما ولى به جزع

...

صاحب البغي ليس يسلم منه وعلى نفسه بنى كل باغ

...

لله دنيا اناس دائبين لها قد ارتعوا في رياض الغني والفتن  
كسائنات رتاع تبغني سحناً وحتفها لو درت في ذلك السمن

...

واي امرء في غاية ليس نفسه الى غاية اخرى سواها تطلع

...

وابلائي من دعاوي امل كلما قلت تداني بعدا  
كم امي بعد بعد غد ينفد العمر ولم الت غذا

...

الم تر ان الفقر يرحى له الغنى وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

فَقَشْتُ ذِي الدُّنْيَا فليس بها احد اراه لاَخِرِ حَامِدٍ  
حَتَّى كَأَنَّ النَّاسَ كَلَّهْمُ قد افرغوا في قالب واحد

...

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك  
الا لنقل السلطان عن ملك قد انقضى ملكه الى ملك

...

انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر اخوه  
فاذا احتجت اليه ساعة مجَّك فوه

وله ارجوزة حكيمية جمع فيها كثيراً من الامثال البليغة

وقد ذكر صاحب الاغانى انها تبلغ نحو اربعة آلاف مثل ، على انه لم يثبت منها غير  
بضعة وعشرين مثلاً . اما في ديوان ابى العتاهية فقد نقل منها ما يقارب الحسين ولم نعد  
عليها كلها او على معظمها في كتاب ما ، ولعلها ضاعت في جملة ما ضاع من كتب الاولين

واكثر حكمها عادي على ان فيها كثيراً مما يبلغ الدرجة الاولى من الجمال

كقوله -

ان كان لا يغبنيك ما يكفيك فكل ما في الارض لا يغبنيك

وقوله

لن يصلح الناس وانت فاسد هيهات ما ابعد ما تكابد

وهو معنى في غاية الجمال يريد بذلك ان المجتمع لا يصلح ما لم يصلح كل فرد ذاته .

وقوله

من جعل النمام عيناً هلكا مُبلغك الشر كباغية لكا

وهو معنى متداول مألوف ولكنه جميل

ومن اجمل معانية قوله

يوسع الضيق الرضا بالضييق وانما الرشد من التوفيق



ولو اردنا التوسع في الشطر الاول من هذا البيت لضايق بنا المقام وهو من اثبت الحقائق العقلية والاجتماعية

وهناك كثير من مثل هذه الابيات وهي تدل على مقدرة الشاعر على سبك الحقائق في قوالب شعرية جميلة . على ان حكمه عموماً محدود المعنى ، فهو يحصرها في منحنى واحد من مناحي الحياة ، ويظهر فيها مظهر المرشد المنذر ، والحكيم الواعظ . ولو قابلتها بحكم المتنبي مثلاً لوجدت هذه اوثق علاقةً باجريات الحياة ، وبالتالي اكثر شيوعاً بين جميع الطبقات . وما الفرق بين ابي العتاهية والمتنبي في هذا الباب الا ان الاول بني حكمه على ما تتطلبه حياة الزهد ، فخاف على حسن نظمها مقيدة بغايتها . واما الثاني فخاض غمار الحياة ، وعرف حلوها ومرها . وقد ترك لنا اختباره في ابيات يستهوي القلوب جمالها ، لصدق ما ترسمه من احوال العمران ، ولشدة مماثلتها لما يشعر به كل انسان .

### سأعربنه وسعره

قال صاحب الاغاني « ويقال اطبع الناس بشار والسيد وابو العتاهية . وكان ابو العتاهية غزير البحر لطيف المعاني سهل الالفاظ كثير الافتنان قليل التكلف الا انه كثير الساقط المرذول مع ذلك . واكثر شعره في الزهد والامثال » . على انه برغم ذلك كان من الطبقة الاولى في النظم

قال احمد بن زهير سمعت مصعب بن عبدالله يقول ابو العتاهية اشعر الناس فقلت باي شيء استحق ذلك فقال بقوله

تعلقتُ بآمالٍ طوالٍ ايّ آمالٍ  
واقبلت على الدنيا ملحاً ايّ اقبالٍ  
ايا هذا تجهُّز لفراتٍ ق الاهل والمال  
فلا بدّ من الموت على حال من الخال

ثم قال مصعب هذا كلام سهل حق لا حشر فيه ولا نقصان . يعرفه العاقل ويقرُّ به الجاهل . وقال ابن الاعرابي وقد اثاره رجل رمى ابا العتاهية بالضعف « فوالله ما رأيت شاعراً قط اطبع ولا اقدر على بيت منه ، وما احسب مذهبه الا ضرباً من السحر »<sup>(١)</sup>

وسمع الجاحظ مرةً من ينشد ارجوزة ابي العتاهية التي سماها ذوات الامثال حتى اتى  
على قوله

يا للشباب المريح التصابي روائح الجنة في الشباب

فقال للمنشد قف . ثم قال انظر الى قوله « روائح الجنة في الشباب » ، فان له معنى  
كعنى الطرب لا يقدر على معرفته الا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الا لسانه الا بعد التطويل  
وادامة التفكير . وخير المعاني ما كان القلب الى قبوله اسرع من اللسان الى وصفه<sup>(١)</sup>  
وكان الاصمعي يقول شعر ابي العتاهية كساحة الملوك ، يقع فيها الجوهر والذهب  
والتراب والحزف والنوى

وفي الاغاني سئل ابن منذر عن شعر اهل الاسلام فقال : من اذا شئت هزل واذا  
شئت جد فمثل جرير ، ومن المحدثين هذا الخبيث ( اي ابو العتاهية ) الذي يتناول شعره  
من كمه<sup>(٢)</sup>

وقال المبرد كان ابي ابي عمير بن القاسم ( ابو العتاهية ) لا يكاد يخلي شعره مما تقدم من  
الاخبار والآثار ، فينظم ذلك الكلام المشهور ، ويتناوله اقرب متناول ، ويسرقه اخفى  
سرقه<sup>(٣)</sup> .

والمأمل شعر ابي العتاهية يثبت لديه جل ما ذكرناه من وصف واصفيه . واهم خصائصه  
الفنية ثلاث :

١ - سهولة الالفاظ وهي مذهبه في جميع قصائده

نقل الاصفهاني قوله لابن ابي الايبيز وقد جاء يستريده من شعره . « فالصواب ان  
تكون الفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيما الاشعار التي في الزهد .  
وهو مذهب اشغف الناس به الزهاد واصحاب الحديث والفقهاء واصحاب الرياء . كذا  
والعامة ، واعجب الاشياء اليهم ما فهموه »<sup>(٤)</sup> . وانشد مرة ابياتا امام سلم الخاسر فقال  
سلم لقد جودتها ولم تكن سوقية . فقال ابو العتاهية والله ما يرغبنني فيها الا الذي زهدت

(١) الاغاني ٣ - ١٤٣

(٢) « ٣ - ١٥٤

(٣) الكامل ١ - ٢٣٨

(٤) الاغاني ٣ - ١٦١

فيه<sup>(١)</sup> . وقد عرف له نقدة الشعر ذلك . قال ابن رشيق : ومنهم من ذهب الى سهولة اللفظ واغتر في الركاكة واللين المفرط كابي العتاهية والعباس بن الاحنف ومن تابعهما<sup>(٢)</sup> وهم يرون العاية قول ابي العتاهية

يا اخوتي ان الهوى قاتلي      فسيروا الاكفان من عاجل  
ولا تلوموا في اتباع الهوى      فاني في شغل شاغل  
عيني على عتبة منهلة      بدمعها المنسكب السائل  
يا من رأى قبلي قتيلاً بكى      من شدة الوجد على القاتل  
بسطت كني نحوكم سائلاً      ماذا تُردُّون على السائل

وقد ذُكر ان ابا العتاهية و ابا نواس والحسين بن الضحاك اجتمعوا يوماً فقال ابو نواس لينشد كل واحد منكم قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء . فانشد ابو العتاهية هذه القصيدة فسأله وامتنع من الانشاد بعده وقال اما مع سهولة هذه الالفاظ وملاحظة هذا القصد وحسن هذه الاشارات فلا ننشد شيئاً

٢ - رشاقة التعبير . وهي من مزايا الشعراء المطبوعين ويراد بها البعد عن التكلف والتعقيد . تقرأ قصائد ابي العتاهية فتجدها رشيقة المبني آسيل عذوبة وطلاوة . وقد صدق الخطيب البغدادي اذ قال « وكان سهل القول قريب المأخذ بعيداً من التكلف متقدماً في الطبع<sup>(٣)</sup> » . تأمل هذه الابيات التي قالها امام المهدي يعزبه في بنت له ماتت فحزن عليها حزناً شديداً . قال شاعرنا فوافيته وقد سلا وضحك واكل وهو يقول ؟ لا بد من الصبر على ما لا بد منه . ولئن سلونا عن فقدنا لسلوناً عنا من يفقدنا . وما يأتي الليل والنهار على شيء الا ابلياه » . فلما سمعت هذا منه قلت يا امير المؤمنين اتأذن لي ان انشدك . قال هات فانشدته -

ما للجديدين لا يبلى اختلافهما      وكل غضب جديد فيهما بال  
يا من سلا عن حبيب بعد موته      كم بعد موتك ايضاً عنك من سال  
كأن كل نعيم انت ذائقه      من لذة العيش يحكي لمة الآل

(١) الاغاني ٤ - ١٧٣

(٢) العمدة ١ - ٨١

(٣) تاريخ بغداد ٦ - ٢٥١

لا تلعبن بك الدنيا وانت ترى ما شئت من عبر فيها وامثال  
ما حيلة الموت ألا كل صالحة او لا فما حيلة فيها لمحتال

وروي ان ابا العتاهية مرّ بابي نواس في السكة ومعه بعض الرفاق ، فسلم ثم اوما  
برأسه الى ابي نواس وانشأ يقول

لا ترقدن لعينك السهر - وانظر الى ما تصنع النير  
واذا سألت فلم تجد احداً فصل الزمان فعنده الخبر  
انت الذي لا شيء تملكه واحق منك بمالك القدر  
فنظر ابو نواس الى من حوله وقال : « افسح هذا ام انتم لا تبصرون »<sup>(١)</sup> .  
ومثل هذه الشهادة شهدها بشار يوم اشد شاعرنا قصيدته في المهدي  
الا ما لسيدي ما لها ادلاً فاحمل ادلالها

الى ان يقول -

اتته الخلافة منقاده اليه تجرّر اذياها  
ولو رامها احد غيره لزُلزت الارض زلزالها

فقال انظروا الى امير المؤمنين هل طار عن اعواده . والقصة مشهورة وقد ذكرتها

اكثر المصادر

وفي رشاقة شعره يقول ابن الاثير<sup>(٢)</sup> « وهذا ابو العتاهية كان في عز الدولة العبّاسية ،  
وشعراء العرب اذ ذاك موجودون كثيراً . واذا تأملت شعره وجدته كلاماً الجاري رقة  
الفاطر ولطافة سبك ، وليس بركيك ولا وامر . » وحكم ابن الاثير فيه حكم خبير ألا  
انه تقاضى عن بعض ركائمه كما سترى بعد .

٣ - سرعة الخاطر وما يقترن بذلك احياناً من الركافة . قيل له كيف تقول الشعر .  
قال ما اردته قط الا مثل لي فاقول ما اريد واترك ما لا اريد . وكان يقول لو شئت ان  
اجعل كلامي كله شعراً لفعلت<sup>(٣)</sup> . ووصفه ابن قتيبة بقوله « وكان احد المطبوعين ومن  
يكاد يكون كلامه كله شعراً » .

فهو سريع الخاطر . واذا صح ما ذكرناه من وصف الاصمعي له لم يكن من الذين  
يعتنون بغرابة ابياتهم وطرح ما يجب طرحه . وقد تناول المرزباني هذه الناحية من شعر

(٣) الاغاني ٣-١٣١

(٢) المثل السائر ١٠٠

(١) تاريخ بغداد (مصر) ٦-٢٥٩

لبي العتاهية وذكر اقوال الناس فيها واورد له بعض ما يعيرونه من شعره كقوله في عتبة -  
 الا يا عتبة الساعة أموت الساعة الساعة

وقوله في رثاء سعيد بن وهب

مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب  
 يا ابا عثمان ابكيت عيني يا ابا عثمان اوجعت قلبي

وغير ذلك من القول السخيف الذي تناقله الرواة من شعره<sup>(١)</sup>

فكان كثيراً ما تأتي الفاظه مكررة لا فائدة منها كقوله -

من أحس لي اهل القبور ومن رأى من أحسهم لي بين اطباق الثرى  
 من أحس لي من كنت آلفه ويألفني فقد انكرت بعد الملتقى  
 من أحس لي اذ يعالج غصة متشاعلاً بعلاجها عن دعا  
 من أحس لي فوق ظهر سريره يثي به نفر الى بيت البلى  
 يا ايها الحمي الذي هو ميت افنيت عمرك في التعليل والملي

فلو وثب فوق البيت الثالث والبيت الرابع، حتى وفوق الثاني ايضاً لكان الاتصال بين  
 الاول والاخير اشد ولم يخسر المعنى شيئاً يذكر . ناهيك بركاكة الفعل احس واستعمال  
 الوصل بدل القطع فيه . وكذلك قوله -

اين الحماة الصابرون حمية  
 وذوو المنابر والعساكر والدسا  
 وذكروا الحضاير والمدائن والقري  
 وذكروا المواكب والكتائب والنجائب والمراتب والمناصب في العلي  
 افناهم ملك الملوك فاصبحوا  
 ما منهم احد يحس ولا يرى  
 وهو الخفي الظاهر الملك الذي  
 هو لم يزل ملكاً على العرش استوى  
 وهو المقدر والمدبر خلقه  
 وهو الذي يقضي بما هو اهله  
 وهو الذي في الملك ليس له سوى  
 فينا ولا يقضى عليه اذا قضى

(١) راجع ذلك في الموشح ٢٥٦ - ٢٦١

فانظر التكرار غير المفيد في البيت الثاني والثالث ، ثم تأمل تكريره لصفات الله في  
الايات الثلاثة الاخيرة . وكله من قبل سرعة الخاطر وتراحم الالفاظ على المعنى الواحد .

واقراء هذه الايات من قصيدته التي مطلعها «لن تطل اسائله معطلة منازل» واحكم  
لنفسك فيما نحن بصدده من ميله الى الاطالة والتكرير وعدم الغرلة

أيتها المقابر فيك	من كناً ننازله
ومن كنا نتاجرهم	ومن كنا نعامله
ومن كنا نعاشره	ومن كنا نداخله
ومن كنا نفاخره	ومن كنا نطاوله
ومن كنا نشاربه	ومن كنا نؤاكله
ومن كنا نرافقه	ومن كنا ننازله
ومن كنا نكارمه	ومن كنا نجامله <sup>بخاصة</sup>
ومن كنا له إلفاً	قليلاً ما تراوله
ومن كنا له بالامس	اخواناً نواصله

وقوله يتعجب ممن لا يهتم بأخرفته

سبحان ربك ما اراك تتوب	والراس منك بشيمة مخضوب
سبحان ربك ذي الجلال اما ترى	نوب الزمان عليك كيف تنوب
سبحان ربك كيف يغلبك الهوى	سبحانه ان الهوى تغلوب
سبحان ربك ما تزال وفيك عن	اصلاح نفسك فترة ونكوب
سبحان ربك كيف يلتذ امرؤ	بالعيش وهو بنفسه مطلوب

ومن ذلك قصيدة يذكر فيها الانسان وموته ونسيان الناس له قال فيها،

فاذا ما استودعوه	الارض رهناً تركوه
خلفوه تحت رمس	او قروه اثقلوه
ابعدوه اسحقوه	او حدوه افرده
ودعوه فارقوه	اسلموه خلفوه
وانثوا عنه وخلوه	كان لم يعرفوه

وله مثل هذا كثير في ديوانه وهو راجع كما اسلفنا الى سرعة خاطره وتراحم الالفاظ حول المعنى الواحد من معانيه وعدم اهتمامه بطرح الفث منها

٤ - عدم التفنن في الخيال . ولا اريد باخيال هنا اللطائف الشعرية فقط من تشبيه واستعارة وكناية وما شاكل ، بل اعني الخطة او الصورة التي يتخيلها الشاعر فيحمل الناس عليها الى غرضه . فانت اذا طالت ديوان ابى العتاهية لا تجد فيه الا موضوعاً واحداً يحوم حوله ويعرضه علينا عرضاً يكاد يكون واحداً - وصف القبور واهوالها - فناء الاعراض الدنيوية - فساد الانسان وعقاب الآخرة . ولقد تقرأ بضع قصائد منه فتستغني بها عن سائر الديوان . واذا كان لك جلد الباحث وتحملت عناء قراءته الفيت نفسك امام موسيقي شرقي يكرر عليك لحناً واحداً يكتيفه على «تقاسيم» شتى فيؤثر فيك ، ولكنك لا تلبث بعد مدة ان تشعر بملل من ذلك التكرار ، وبرغبة في استماع شيء جديد على تلك الاوتار . ليس لابي العتاهية قلم الفئان الاجتماعي الذي يرى الحياة بطولها ويعرضها فيستخلص منها مواضيع شائقة يتفنن في عرضها على الجمهور . نعم ان العصور تختلف من حيث السياسة واسباب العمران ولكن الدوافع النفسية هي هي ، وما يحدث الآن كان يحدث في كل اوان لم يكن شاعرنا كثير الافتنان في انشاده ، بل كان له وتر واحد ينقر عليه نغبات متماثلة مؤثرة ولكنها خالية من سعة التخيل والنفوذ الى مناطق الحياة الحقيقية

فاذا قرنت ذلك بزياده الاخرى من سهولة المعنى وسلاسة المبني تفهم لماذا يختلف النظر في حقيقته ، ولماذا يجمع في شعره بين السمو والاسفاف والبالغة والراكاة

## النخار من شعر ابي العتاهية

يقف على المقابر فينشد لنا نغمة الموت والآخرة - وبرغم انه يكررها ويرجعها على وتر واحد  
نجد فيها ايقاعاً يلدُّ نفوسنا ويوتر فيها

## في غرور الدنيا

نصبت لنا دونَ التفكيرِ يا دُنْيا  
امانيّ يفنى العسر من قبل أن تفتي  
متى تنقضي حاجاتُ من ليس واصلاً  
الى حاجته حتى تكون له أُخرى  
لكل امرئٍ فيما قضى اللهُ خطَّةً  
من الامر فيها يستوي العبدُ والمولى  
وإن امرءاً يسعى لغيرِ نهايةٍ  
لمنفسٍ في لجةِ الفاقةِ الكبرى

## في ذكرى الشباب

بكيتُ على الشبابِ بدمعِ عيني  
فلم يفنِ البكاءُ ولا النحيبُ  
فيا اسفاً اسفتُ على شبابِ  
نماهُ الشيبُ والرأسُ الخضبُ  
عريتُ من الشبابِ وكان غضاً  
كما يعرى من الورقِ القضبُ

## في زوال الدنيا

لدوا للموتِ وابنوا للخرابِ  
فكلُّكمُ يصيرُ الى تبابِ  
لمن نبيني ونحنُ الى ترابِ  
نصيرُ كما خلقنا من ترابِ  
ألا يا موتُ لم أرَ منكُ بدءاً  
اتيتُ وما تحيفُ وما تحايي  
كأنَّكَ قد هجمتُ على مشيبي  
كما هجم المشيبُ على شباني  
يا دُنْيايَ ما لي لا اراني  
اسومكُ منزلاً إلا نبا لي  
وإنكُ يا زمانُ لذو انقلابِ  
وإنكُ يا زمانُ لذو انقلابِ  
فما لي لستُ احلبُ منكُ شطراً  
فاحمدُ منكُ عاقبةَ الحلابِ  
وما لي لا ألحُ عليكُ إلا  
بعثتُ الهمَّ لي من كلِّ بابِ



اراك وإن طليت بكلّ وجدٍ      كخلم النوم او ظلّ السحاب  
 او الامس الذي ولّى ذهاباً      وليس يعودُ او لمع السراب  
 وهذا الخلق منك على وفاقرٍ      وارجلهم جميعاً في الركاب  
 ومعد كل ذي عمل وسعيٍ      بما اسدى غداً دارُ الثواب  
 تفلّدتُ العظامَ من الخطايا      كاني قد امنت من العقاب  
 ومهما دمتُ في الدنيا حريصاً      فاني لا أوفّقُ للصواب  
 سأسأل عن امور كنت فيها      فما عذري هناك وما جوابي  
 بأية حجةٍ أحتجّ يومَ الحسابِ      اذا دُعيتُ الى الحساب  
 هما امران يوضعُ عنهما لي      كتابي حين أنظر في كتابي  
 فإما أن أُخلدَ في نعمٍ      وإما أن أُخلدَ في عذابِ

### في المطربة الحفيضة

طلبت المستقرّ بكل ارض      فلم ار لي بارض مستقرّاً  
 اطعت مطامعي فاستبعدتني      ولو اني قنعت لكنت حراً

### في اهل القبور

أخويّ مرّاً بالقبورِ      ر وسلياً قبل المسيرِ  
 ثم ادعوا من عادها      من ماجدٍ قرم فخورِ  
 ومسودّ رجب الفناء      اغرّاً كالقمر المنيرِ  
 يا من تضمّنه المقابرِ      من كبير او صغيرِ  
 هل فيكمُ او منكمُ      من مستجار او مجيرِ  
 او ناطق او سامع      يوماً بعرف او نكيرِ  
 اهل القبورِ احبّتي      بعد الجذالة والسرورِ  
 بعد الغضارة والنضارة      والتنعم والحبورِ  
 بعد المشاهد والمجا      لس والعاكر والقصورِ  
 بعد الحسان المسمعا      ت وبعد ربّات الخدورِ  
 اصبحتم تحت الثرى      بين الصفائح والصخورِ

اهل القبور اليكم لا بد عاقبة الامور

### في غرور المطامع

حتى متى يستغزني الطمع ليس لي بالكفاف .شسع  
 ما افضل الصبر والقناعة للناس جميعاً لو انهم قنعوا  
 واخذع الليل والنهار لاقوام اراهم في الغي قد رتعوا  
 اما المنايا فغير غافلة لكل حي من كأسها جرع  
 اي لبيب تصفو الحياة له والموت ورد له ومنتجع  
 يا نفس ما لي اراك آمنة حيث يكون الروعات والفزع  
 ما عد للناس في تصرف حالاتهم من حوادث تقع  
 لقد حلت الزمان اشطره فكان فيهن الصاب والسع  
 ما لي بما قد اتى به فرح ولا على ما ولى به جزع  
 لله در الدنيا لقد لعبت قبلي بقوم فسا ترى صنعوا  
 بادوا ووفتهم الالهة ما كان لهم والايم والجمع  
 اثروا فلم يدخلوا قبورهم شيئاً من الثروة التي جمعوا  
 وكان ما قدموا لانفسهم اعظم نفعاً من الذي ودعوا  
 غداً ينادى من القبور الى هول حساب عليه يجتمع  
 غداً توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا  
 تبارك الله كيف قد لعبت بالناس هذي الالهواء والبدع  
 شئت حب الدنيا جماعتهم فيها فقد اصبحوا وهم شيع

### في شرف العفاف والرضى

متى تتقضى حاجة المتكلف ولاسيا من مترف النفس مسرف  
 طلبت الغنى في كل وجه فلم اجد سبيل الغنى إلا سبيل التعفف  
 اذا كنت لا ترضى بشيء تناهه وكننت على ما فات جم التلهف  
 فلتست من المهم العريض بخارج ولست من الفيظ الطويل بمشتف  
 أراني بنفسى معجباً متعزراً كأني على الآفات لست بشرف

وإني كعين البائس الواهن القوي  
وليس أمرؤ؛ لم يرع منك بجهده  
خليلي ما اكفى اليسير من الذي  
نحاول ان كنا بنا عفاً نكتفي  
وما اكرم العبد الحريص على الندى  
واسرف نفس الصابر المتعفف  
وعين الضيف البائس المتطرف

### في ضرورة النفي

بليت وما تبلى ثياب صباكا  
ألم تر ان الشيب قد قام ناعياً  
تسّع ودع من اغلق النفي سمعه  
ألا ليت شعري كيف انت اذا القوي  
توت كما مات الذين نسيتهم  
تمتلت حتى نلت ثم تركتها  
اذا لم تكن في متجر البر والتقى  
اذا انت لم تعزم على الصبر للاذى  
اذا كنت تبغي البر فاكنف عن الاذى  
اخوك الذي من نفسه لك منصف  
كفاك من اللهو المضرب كفاكا  
مقام الشباب الغض ثم نعاكا  
كاني بداع قد اتى فدعاكا  
وهت واذا الكرب الشديد علاكا  
وتنسى وتهوى العرس بعد سواكا  
تنقل بين الوارثين مناسكا  
خسرت نجاة واكتسبت هلاكا  
رमित الذي منه الاذى ورماكا  
وما البر الا ان تكف اذاكا  
اذا المرء لم ينصفك ليس اخاكا

### في فناء الجاهة ومرارة الحرص

نعى نفسي الي من الليالي<sup>(١)</sup>  
فما لي لست مشغولاً بنفسي  
لقد ايقنت اني غير باق  
اما لي عبرة في ذكر قوم  
كان ممرضني قد قام يمشي  
وخلني نسوة يبكين شجواً  
ساقنق ما بقيت بقوت يوم  
تصرفهن حالاً بعد حال  
وما لي لا اخاف الموت ما لي  
ولكنني اراني لا ابالي  
تفانوا ربما خطرنا ببالي  
بنعشي بين اربعة عجال  
كان قلوبهن على مقال  
ولا ابغي مكاترة بمال

(١) وفي رواية - الى مر الليالي

تعالى الله يا سلم بن عمرو  
 هب الدنيا تساق اليك عفواً  
 فما ترجو لشيء ليس يبقى  
 وحقك كلُّ ذا يفنى سريعاً  
 خبرت الناس قرناً بعد قرن  
 وذقت مرارة الاشياء طراً  
 اذلّ الحرصُ اعناق الرجال<sup>(١)</sup>  
 اليس مصير ذاك الى الزوال  
 وشيكاً ما تغيره الليالي  
 ولا شيء يدوم مع الليالي  
 فلم ار غير ختال وقال  
 فما طعم امر من السؤال

### في المنية وبطرسيا

لمن طلل اسائله معطلة منازلهُ  
 غداة رأيتهُ تنعى اعاليه اسافله  
 وكنت اراه مأهولاً ولكن باد آهله  
 وكلُّ لاعتساف الدهر مغرضة مقاتله  
 فيصرع من يصارعه وينضل من يناضله  
 ينازل من يهيمُ به واحياناً يخاتله  
 واحياناً يؤخره وتارات يعاجله  
 ولم قد عز من ملك تحف به قنابله  
 يخاف الناس صولته ويرجى منه نائله  
 ويشني عطفه مرحاً وتعجبه شائله  
 فلما ان اتاه الحق ولي عنه باطله  
 فعمّض عينه له وت واسترخت مفاصله  
 رأيت الحق لا يخفى ولا تخفى شواكله  
 الا فانظر لنفسك اي زاد انت حامله  
 لمنزل واحدة بين المقابر انت نازله  
 قصير السمك قدرّصت عليك به جنادله  
 بعيد تراور الجيران ضيقة مداخله

(١) يخاطب الشاعر المروفي بسلم الحامس وقد مر ذكره

ألا إن المنية منهلٌ واخلق فاهله  
 واخر من ترى تفنى كما فنيت اوائله  
 لعمرك ما استوى في الامر عالمه وجاهله  
 ليعلم كل ذي عمل بان الله سائله  
 فاسرع فائراً بالخير قائله وفاعله

### في قصر العمر وهضبة الغنى

الا هل الى طول الحياة سبيلٌ  
 واني وان اصبحت بالموت موقناً  
 وللدهر الوانٌ تروح وتغتدي  
 ومثل حق لا معرج دونه  
 ارى علل الدنيا علي كثيرة  
 اذا انقطعت عني من العيش مدتي  
 سيعرض عن ذكري وتنتسى مودتي  
 وللحق احياناً لعمرى مرارة  
 ولم ار انساناً يرى عيب نفسه  
 ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً  
 اجلك قوم حين صرت الى الغنى  
 وليس الغنى الا غنى زين الفتى  
 ولم يفتر يوماً وان كان معدماً  
 اذا مات الدنيا الى المره زغبت

وأنى وهذا الموت ليس يقبل  
 فلي امل دون اليقين طويلاً  
 وإن نفوساً بينهن تسيل  
 لكل امرى يوماً اليه رحيل  
 وصاحبها حتى المات عليل  
 فان غناء الباكيات قليل  
 ويحدث بعدي للخليل خليل  
 وثقل علي بعض الرجال ثقيل  
 وان كان لا يخفى عليه جميل  
 وللناس قال بالظنون وقيل  
 وكل غني في العيون جليل  
 عشية يقري او غداة ينيل  
 جواد ولم يستغن قط بجيل  
 اليه ومال الناس حيث يميل

### في ذل السؤال

أتدري اي ذل في السؤال  
 يعز على التره - من رعاه  
 اذا كان السؤال ببذل وجهي  
 وفي بذل الوجوه الى الرجال  
 ويستغني العفيف بغير مال  
 فلا قربت من ذاك التوال

معاذ الله من خلق ديني يكون الفضل فيه علي لا لي  
 توق يدأ تكون عليك فضلاً فصانها اليك عليك عال  
 يدأ تملو يدأ يجميل فعلد كما علت اليمين على الشمال  
 اتنكر أن تكون انا نعيم وانت تروم قوتك في عفاف  
 متى تمسي وتصبح مستريحاً ورباً ان ظمئت من الزلال  
 تكابد جمع شيء بعد شيء وتبغى ان تكون رخي بال  
 وقد يجري قليل المال مجرى كثير المال في سد الخلال  
 اذا كان القليل يسد فقري ولم اجد الكثير فلا أبالي  
 هي الدنيا رأيت الحب فيها عواقبه التفريق عن يقال

## عبر الزمان

نادت بوشك رحيلك الايام أفلست تسمع او بك استصمام  
 ومضى أمامك من رأيت وانت للباقيين حتى يلحقوك إمام  
 ما لي اراك كأن عينك لا ترى عبأ تمر كأنهن سهام  
 تأتي الخطوب وانت متنبه لها فاذا مضت فكأنها احلام  
 قد ودعتك من الصباه نزاوة فاحذر فالك بعدهن مقام  
 عرض<sup>(١)</sup> المشيب من الشباب خليفة وكلاهما نعم عليك جسام  
 أهلاً وسهلاً بالمشيب مؤدراً وعلى الشباب تحية وسلام  
 ولقد غشيت<sup>(٢)</sup> من الشباب بنبطة ولقد وقك عثاره الاحكام  
 لله ازمنة عهدت رجالها في النابثات وانهم لكرام  
 ايام اعطية الاكف جزيلة اذ لا يضيع لذي الذمام ذمام<sup>(٣)</sup>  
 فلعبرة أخرت للزمن الذي هلك الارامل فيه والايام  
 زمن مكاسب اهله مدخولة دخلاً فروع اصوله الآتام

(١) وفي نسخة : عوض (٢) وفي رواية : غبت

(٣) وفي نسخة : افلا يضيع لدى الزمان ذمام

زمنٌ تحامى المكرماتِ سراته      حتى كأنَّ المكرماتِ حرام  
 زمنٌ هوتِ اعلامه وتقطعت      قطعاً فليس لاهله أعلام  
 ولقد رأيت الطاعمين<sup>(١)</sup> لما اشتهاوا      وهم لاطباق التراب طعام  
 ما زُخرفُ الدنيا وزُبرجِ اهلها      إلا غرورٌ كله وحطام  
 وكُربٌ اقوامٍ مضوا لسبيلهم      ولنمضينَ كما مضى الاقوام  
 وكُربٌ ذِي فُرُشٍ مُمهَّدةٍ له      امسى عليه من التراب ركام  
 وعجبتُ اذ علل الختوف كثيرةً      والناس من علل الختوف نيام  
 والغىُّ مزدحمٌ عليه وعودةً      والرشد سهلٌ ما عليه زحام  
 والموت يعمل والعيون قريرةً      تلهو وتلعب بالمني وقنام  
 والله يقضي في الامور بعله      والمرء يُحمدُ مرَّةً ويُسلام  
 والخلقُ يَقْدُمُ بعضُهُ بعضاً يقود      الخلف منه الى البلى القَدَام  
 كلُّ يدور على البقاء مؤملاً      وعلى الفناء تديره الايام

### في الذكر الطيب

سَكَنٌ يَبْقَى لَهُ سَكَنٌ      ما يَهْدَا يُوْذَنُ الزَّمَنُ  
 نَحْنُ فِي دَارٍ يَخْبَرُنَا      عَن بِلَاهَا نَاطِقٌ لِسِن  
 دَارٍ سِوَهُ لَمْ يَدُمُ فَرَحٌ      لَامرِيءٍ فِيهَا وَلَا حَزَنُ  
 مَا زَى مِنْ اَهْلِهَا اَحَدًا      لَمْ تَعْلُ فِيهَا بِهِ الْفِتَنُ  
 عَجِبًا مِنْ مَعْشَرٍ سَلَفُوا      اَيَّ غَيْبٍ بَيْنَ غُيْبِنَا  
 وَفَرُوا الدُّنْيَا لغيرِهِمْ      وَابْتَنُوا فِيهَا وَمَا سَكَنُوا  
 تَرَكُوها بَعْدَ مَا اشْتَبَكَتْ      بَيْنَهُمْ فِي حَيْثُهَا الْاِحْنُ  
 كُلُّ حَيٍّ عِنْدَ مَيْتِهِ      حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ الْكُفْنُ  
 اِنَّ مَالَ الْمَرءِ لَيْسَ لَهُ      مِنْهُ اِلَّا ذِكْرُهُ الْحَسَنُ  
 فِي سَبِيلِ اللهِ اَنْفُسَنَا      كَلْنَا بِالْمَوْتِ مَرَّتَيْنِ

## خداع الاماني

الدَّهْرُ ذُو دُولٍ وَالْمَوْتُ ذُو عِلَلٍ  
 وَلَمْ تَلِ عِبْرٌ فِيهِنَّ مَعْتَبِرٌ  
 وَالْمَبْتَلَىٰ فَهُوَ الْمَهْجُورُ جَانِبَهُ  
 يَبْكِي وَيَضْحَكُ ذُو نَفْسٍ مَصْرُفَةٌ  
 يَا بَانِعَ الدِّينِ بِالدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا  
 حَتَّىٰ مَتَىٰ أَنْتَ فِي هَوَىٰ وَفِي لَعِبٍ  
 مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يَدْرِكُهُ  
 إِنَّ الْمُنَىٰ لَعَرُورٌ ضَلَّةٌ وَهَوَىٰ  
 وَالنَّاسُ فِي رَقْدَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ  
 أَنْصَفُ هُدَيْتَ إِذَا مَا كُنْتَ مَنْتَصِفًا  
 يَا رَبِّ يَوْمَ آتٍ بَشْرَاهُ مَقْبَلَةٌ  
 لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَصْغَرَهُ  
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ لَا بَدَّ عَاقِبَةٌ  
 نَهَلَهُوْا وَلِلْمَوْتِ مُمَسَانَا وَمَصْبِحُنَا  
 مَا أَقْرَبَ الْمَوْتِ فِي الدُّنْيَا وَابْعَدَهُ  
 كَمْ نَافَسَ الْمَرْءُ فِي شَيْءٍ وَكَبَّرَ فِيهِ  
 بَيْنَا الشَّقِيقَ عَلَىٰ إِفْرِ يُسْرُ بِهِ  
 يَبْكِي عَلَيْهِ قَلِيلًا ثُمَّ يُخْرِجُهُ  
 وَكُلَّ ذِي أَجَلٍ يَوْمًا سَيَلْفُهُ  
 وَالْمَرْءُ ذُو أَمَلٍ وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ  
 يَجْرِي بِهَا قَدَرٌ وَاللَّهُ أَجْرَاهُ  
 وَالنَّاسُ حَيْثُ يَكُونُ الْمَالُ وَالجَاهُ  
 وَاللَّهُ أَضْحَكُهُ وَاللَّهُ أَبْكَاهُ  
 تَرْضَىٰ بَدِينِكَ شَيْئًا لَيْسَ بِسِوَاهُ  
 وَالْمَوْتُ نَحْوُكَ يَهْوِي فَاغْرَأْ فَاهُ  
 رَبُّ أَمْرٍ حَتْفُهُ فِيمَا تَمَنَّاهُ  
 لَعَلَّ حَتْفَ أَمْرِي فِي الشَّيْءِ يَهْوَاهُ  
 وَاللَّحَوَاثُ تَحْرِيكُ وَإِنْبَاهُ  
 لَا تَرْضَىٰ لِلنَّاسِ شَيْئًا لَسْتَ تَرْضَاهُ  
 ثُمَّ اسْتَحَالَتْ بِصَوْتِ النَّعْيِ بِشْرَاهُ  
 أَحْسَنُ فَعَاقِبَةُ الْإِحْسَانِ حَسَنَاهُ  
 وَخَيْرُ أَمْرٍ مَا أَحْمَدَتْ عَقْبَاهُ  
 مَنْ لَمْ يَصْبَحْهُ وَجْهَ الْمَوْتِ مَسَاهُ  
 وَمَا أَمْرٌ جَنَى الدُّنْيَا وَاحْتِلَاهُ  
 مِ النَّاسِ ثُمَّ مَضَىٰ عَنْهُ وَخَلَاهُ  
 إِذْ صَارَ اغْمَضَهُ يَوْمًا وَسَجَّاهُ  
 فَيَسْكُنُ الْأَرْضَ مِنْهُ ثُمَّ يَنْسَاهُ  
 وَكُلَّ ذِي عَمَلٍ يَوْمًا سَيَلْقَاهُ



# أبو تمام

حبيب بن اوس الطائي

ولد بين ١٨٨ و ١٩٢ هـ وتوفي ٢٣٠ او ٢٣١

حوالي ٨٠٤ م - ٨٤٥ م

توطئة تاريخية - ممدوحه - شخصيته في شعره - خصائصه الفنية  
( التائق البديعي - التفنن المعنوي - الشغف بالاغراب )



## مصادر دراسته

- ( مروج الذهب ) للمعدي ( اوربا ) ج ٧ ص ١٦٠ - ١٦٧  
 الاغانى ج ١٥ ص ١٠٠ - ١٠٨  
 وفي سيرة ديك الجن  
 ص ٢٢ - ٢٦ و ٥٩ - ٦٦ و ٣٦١  
 الوساطة للجرجاني  
 الموازنة للآمدي  
 الموسح في مأخذ العلماء على الشعراء المرزباني ( مصر ١٣٤٣ ) ص ٣٠٣ - ٣٢٩  
 اخبار ابي تمام للصولي نشر لجنة التأليف والنشر ١٩٣٧  
 تهذيب التاريخ الكبير لابن عساکر ج ٤ ص ١٨ - ٢٦  
 تزهة الالباء للانباري ص ٢١٣  
 وفيات الاعيان ج ١ - تحت « حبيب » ص ١٦٩ - ١٧٣  
 حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ - ٢٤٠  
 خزنة الادب للبغدادي ( بولات ) ج ١ ص ١٧٠ - ١٧٢  
 هبة الايام للبديعي نشر محمود مصطفى ١٩٣٤  
 ديوان ابي تمام للخياط  
 ديوان ابي تمام للدكتور ملحم الاسود  
 ومواضع شتى في كتب الادب الحديثة كدائرة المعارف للبستاني ومجلة الكلية ومجلة  
 المجمع العلمي ودائرة المعارف الاسلامية ودراسات عمر فروخ وسواها

## نوطته تاريخيه

يؤخذ من المصادر التاريخية ان ابا تمام ولد حوالي ١٩١ هـ في قرية يقال لها جاسم . وهي على ما ذكر ياقوت قرية تبعد عن (دمشق) ثمانية فراسخ على يمين الطريق <sup>الاعظم</sup> الى (طبريا) . ولا يعرف عن حدائمه فيها شيء . يذكر ، الا انه قد يلاحظ مما نقله ابن <sup>خلقان</sup> وابن عساكر انه كان في صغره يعمل عند حائك او قرزاز في دمشق <sup>(١)</sup> .

وكل ما يمكن استخلاصه من شتى الروايات ان والده رجل مسيحي اسمه (تدوس) (الطيار) ، فخرّف بعد اسلام الشاعر الى (اوس) . ويرجعون نسبه الى قبيلة طي ولذلك لقب بالطائي . وفي ديوانه مواقف يفاخر فيها بهذا النسب تذكر منها هنا قصيدته التي مطلعها - « تصدّت وجبل البين مستحصد شزر » ومنها

وهل خاب من جذماه في اصل طيبي  
عديّ العديين القلمس او عمرو  
لنا جوهر لو خالط الارض اصبحت  
وبطنانها منه وظهرانها تبر  
مقاماتنا وقف على العلم والحجى  
فامردنا كهمل واشيننا حبر  
ويأخذ فيها بذكر كرام الطائين وابطالمهم  
وما كان لهم من غرر الوقائع ويختمها بقوله :  
مساع يضل الشعر في كنه وصفها  
فما يتدي الا لاصغرها الشعر

والمجمع عليه انه انتقل وهو فتى الى مصر . وكان يلزم مسجدها يخدم فيه اهل العلم والادب ، فنشأ هناك . ثم جاب الاقطار فزار بغداد وخراسان ونيسابور وبلاد الجبل والحجاز وارمينيا والموصل وسواها . وشعره مفعم بما يدل على كثرة تجواله في الاقطار ، وتحمله للشاق والاختار

واذا دققنا في ديوانه وسيرته ترجّح لدينا انه هبط مصر يافعاً . ففي قصيدته التي قالها في مصر مادحاً آل الرسول ومطلعها « اظبية حيث استنتت الكشب العفر » ما يشير الى انه قالها وهو في السابعة عشرة . واليك هذه الايات منها

وان نكيراً ان يضيّق بن له  
عشيرة مثلي او وسيلته مصر  
وما لامرى . من قائل يوم عثرة  
لعاً وخذيناهُ الحدائة والفقر  
وان الذي احذاني الشيب لآتي  
رايت ولم تكمل له السبع والعشر

فاذا تأملت البيت الاول شعرت ان قائله حديث العهد بمصر، وانه انما أمها وسيلة  
للارتاق . ويثبت لنا ذلك ما جاء في حسن المحاضرة للسيوطي من انه هبط مصر « وهو  
في شيبته»<sup>(١)</sup>، وكذلك ما اشار اليه عرضاً ابن خلكان وابن عساكر انه كان في دمشق  
يعمل عند حايك . ويقول المرزباني ان اول نبوغه كان بدمشق<sup>(٢)</sup>

وفي شعره يدل على ان حياته في مصر لم تكن على ما يرام فاكثر شعره فيها نغفات  
متبرم يستغل الاقامة في وادي النيل . وهذه قصيدته الالامية شاهدة بذلك ؛ نظمها وقد  
مر عليه خمسة احوال في مصر فقال فيها -

بنفسي ارض الشام لا عين الحمى      ولا ايسر الدهنا ولا اوسط الرمل  
عدتني عنكم مكرهاً غربة النوى      لها وطر في ان تيمراً ولا تحلي

الى ان يقول

أخسة احوال مضت لمفيسه      وشهران بل يومان تُكَلُّ من الشكل  
ويمنعه من ان يبيت زماعه      على عجل ان القضاء على رسل  
لقد طلعت في وجه مصر بوجهه      بلا طالع سعد ولا طائر سهل  
وساوس آمال ومذهب همّة      مخيمة بين المطية والرحل  
نأيت فلا مالا حويت ولم أتم      فامتّع اذ فجعّت بالمال والاهل  
وكان ورائي من صريمة طيبر      ومعن وهب عن امامي ما يسلي  
فلم يك ما جرعت نفسي من الاسى      ولم يك ما جرعت قومي من الشكل

والذي يحضّل من هذه الابيات انه كان قبل خمسة احوال ترك قومه وجاء مصر منتجعاً  
الرزق ، فلم يلق ما يتوخاه ، ولم يحمله على البقاء فيها حتى الآن الا القضاء المعاكس .  
ويفهم من ذلك ضمناً انه ترك اهله وفيه مطامع . ولا تكون المطامع عادة قبل ان يشرف  
المرء على البلوغ . فشاغرنا على ما يظهر حَسِن اليه الاسلام وهو في الشام ففعل ذلك  
مندفعاً بما فيه من الطموح وطلب العلى<sup>(٣)</sup>، وظن انه ينال غايته في مصر فأما . ولضيق

(٢) الموشح ٣٢٤

(١) حسن المحاضرة ١-٢٤٠

(٣) وقد فعل ذلك بعض من كبار النصارى في عصره وبده كآل الفيض وآل ثوابه وآل

وهب . وكانوا من رؤساء الناس وكانت دولتهم ناضرة وابامهم مشرقة - الفخري ١٨٢ و ١٣٧

ذات يده وميله الى الادب لزم المسجد يخدم اهل العلم ويأخذ عنهم  
وما زال كذلك حتى نبغ واشتهر فهجر مصر قاصداً كبار الرجال في العالم الاسلامي -  
وبلغ المعتصم خبره فحمله اليه الى سامرا ( سر من راي ) فآزره ومدحه ، وكان في زمانه  
امير الشعراء وحامل رايتهم .

ثم عينه الحسن بن وهب على بريد الموصل ، فقضى في هذا المنصب الستين الاخيرتين  
من حياته، وتوفي هناك . وقد رأينا تمهيداً لدراسته ان نشأت هنا قائمة باهم ممدوحيه مرتبة  
بحسب عدد القصائد التي قيلت فيهم

١٠ هم محمد ومي ابي تمام

ابو سعيد محمد بن يوسف الثعري وآله ٢٩ قصيدة (من طي) وكان من كبار القادة  
آل وهب وزراء الدولة ١٣ = ينسبهم البعض في بني الحرث بن  
كعب ولكن الصحيح انهم من  
الموالي<sup>(١)</sup>

المعتصم ٨  
الخلفاء العباسيون } المأمون ٢  
الواثق ٢

القاضي احمد بن ابي دؤاد ( الايادي الجمعي ) ١٢ كان قاضي الدولة ومن اكبر  
المتنفذين فيها  
خالد بن يزيد بن مزيد ( الشيباني ) ١٢ من الامراء والقادة  
مالك بن طوق ( التغلبي ) ١٠ امير عرب الشام  
محمد بن الهيثم بن شيانه ٨ من اهل مرو (من الموالي)<sup>(٢)</sup>  
آل حميد الطوسي ( طائي ) ٦ ومنهم محمد بن حميد وقد اشتهر  
في حرب بابك  
ابو المغيث الراقصي وآله ٥ امير الشام

(١) راجع قصيدة ابي تمام « هل اثر من ديارهم دعس » ومختارات البارودي ٣٧٢ قول ابن  
الرومي عن ابن وهب « وذو نسب من آل ساسان شابك »  
(٢) ديوان ابي تمام للاسود ١ - ٣٨٣

عبدالله بن طاهر بن الحسين	٤	فارسي الاصل ( خزاعي الولاة )
ابو دلف القاسم بن عيسى ( العجلي )	٤	احد كبار رجال الدولة وامير خراسان
محمد بن الزيات الكاتب المشهور	٤	قائد عربي كبير وصاحب الكرخ
اسحق بن ابراهيم المصعبي ( الخزاعي )	٤	وزير المعتصم
عبد الحميد بن غالب الصغدني	٤	نائب بغداد
محمد بن حسان ( الضبي )	٤	
آل سهل	٤	الوزراء والكتاب وهم من الفرس
الافشين	٢	القائد التركي الكبير
علي بن مر	٢	من كبار طي

## شخصيته في شعره

لا ياتي تمام مزيتان بارزتان، صبره على المشاق لبوغم المنى وشدة عنقوانه واعجابه بنفسه .  
يضاف الى ذلك ميله الى الاسراف في المال والقوى . فاذا قرأت ديوانه رأيت مفعماً بما يدل  
على انه نشأ مغامراً في سبيل الجاه والمال . وقد زادت كثره اسفاره عزماً ومضاء ، فليس  
اذن من الغريب ان تسمعه يقول

— ذريني على اخلاقي الصمّ لتي هي الوفر او سرب ترن نوادبه

اي دعيني — على ما في من خلق شديد — اخوض غمرات الحياة فاما الغنى او الموت .

وقوله من قصيدة اخرى

ولكنني لم احو وفرأ مجعاً ففزت به الا بشمل مبدد

ترعة في نفس الشاعر تعتبر لنا عمماً يخلج في نفوس البسلاء المغامرين الذين يابون حياة

الترحال ، فيقتحمون الاحوال ويخوضون الغمار طلباً للعلى والمجد . ومنها

ليس باكناف الجريز وفارس وقيم واصطخر قرار لروء

بلى ان ارض الله فيها ندوحة ومضطرب للقاتك المتجرد

تلك روح قلقة كثيرة المطامع ، وهي التي حملت شاعرنا على ترك قومه في الشام ، ثم  
على ترك مصر والضرب في اجواز الارض . وقد صدق في وصف حاله اذ قال  
ذات الشنايا الغر لا تتعرضي عند الفراق بمقتلين وجيد  
ما ابيض وجه المرء في طلب العلى حتى يسود وجهه في البيد  
وانك لتكاد تلمس صلابه نفسه في ابياته التالية -

لا أفتقر الطرب القلاص ولا أرى مع زير نسوان اشد قيودي  
شوق ضرحت قذاته عن مشربي وهوى اطرت لحائه عن عودي  
عامي وعام العيس بين وديقة مسجورة وتنفوة صيخود  
حتى اغادر كل يوم بالفلا للطير عيداً من بنات العيد

وما حُص هذه الابيات : انني لست من الذين يركبون العيس توصلاً الى طرب او  
للمهي غرامي ، ولكنني رجل اسفار متمرس بقطع الفلوات المحرقة ، ولم تترك لطيورها  
نصيماً وافرأ من نياقي . يشير بذلك الى صلابته واحتماله وشوقه الى العظام . والكثير في  
شعره ينضح بهذه الروح الغامرة ، حتى شعره في مصر - وهو في اول عهده وقد قيده  
الدهر بقيود الفقر - زاه برغم ذلك يتم على نفس مرة طاعة . ومن قوله في ذلك

وطال قطوني ارض مصر حاجة يقال لها اقمح بهاتي وأمّج  
اقلب في اقطارها الطرف كي ارى ولست براه ذاك عصمة ملتجي  
فقنعتني بأسي واعلم انني مقود بجبل للمقادير مدمج

اما عنفوانه فظاهر مما رووه عنه يوم قصد عبدالله بن طاهر امير خراسان . قالوا لما فرغ  
من انشاده بائته التي مطلعها «اهن عواذي يوسف وصواجه» نثر عليه الف درهم ، فاستقلها  
الشاعر ولم يس منها شيئاً ، بل تركها للفيلان يلتقطونها . فوجد عليه الامير وقال يترفع عن  
بري ، ويتهاون بنا اكرمه . فلم يبلغ ما اراده من بعد ذلك . واي عنفوان اشد من ان  
يقصد شاعر اميراً جليلاً كابن طاهر فيمدحه ، ثم هو يرى هبة الامير اقل من قدره ،  
فيترفع عن ان يسها بيده . وهذه الظاهرة الخلقية في شاعرنا تتجلى لنا ايضاً في خلق ابى  
الطيب المتنبي كما سنرى عند درسنا هذا الشاعر . وهي قد تهيب بالشاعر الى وزن نفسه  
ببيران ممدوحيه ، او الى التفاخر والتعاضم على زملائه ومناوئيه . خذ قصيدة ابى تمام التي  
قالها يدح قاضي الدولة العباسية احمد ابن ابى دؤاد ويعتذر اليه عن اساءة ، واولها

ارابت اي سوائف و حدود عنت لنا بين اللوى فزرو  
 وفيها يذكر فضل الممدوح و فضل قومه (اياد) و يقرون ذلك بمدح طي (قبيلة الشاعر) و  
 ويجعل ايداً و طياً متساويين في المحامد فيقول  
 كعب و حاتم الذان تقاسما خطط العلى من طارف و تليد  
 هذا الذي خلف السحاب و مات ذا في الحمد ميتة خضرم صنديد

ثم يتقدم الى الاعتذار بابيات تدل على شدة نفسه ومنها  
 فاسمع مقالة زائر لم تشبهه آراؤه عند اشتباه البيد  
 اسرى طريداً للحيا من التي زعموا وليس لهبة بطريد  
 كنت الربيع امامه ، ووراه قر القبائل خالد بن يزيد  
 ما خالد لي دون ايوب ولا عبد العزيز و لست دون يزيد

و المتأمل في هذه الابيات يعجب من هذه العواطف التي تقلي عليه ان يقول لممدوح عظيم  
 يعتذر اليه : لم آتك رهبة منك بل خجلاً مما اتهمت به ، وان مثلي في الاعتذار اليك مثل  
 يزيد بن المهلب لما استجار من الوليد بايوب بن سليمان بن عبد الملك ، وبعبد العزيز بن الوليد  
 فشفعا له . و ما خالد الذي يشفع لي باقل منهما ، ولا انا باقل من يزيد بن المهلب

و مثل ذلك قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف -

و كنت اذا ما زرت يوماً مسوداً سرحت رجائي في مسارح سودد  
 فان يجزل النعمى ثبته قصائدي وان ياب لم اقنع باصوات مبعد  
 اليس باكناف الجريز و فارس و تم واصطخر قرار لروء  
 فكأنه يقول اني شاعر كبير النفس اقصد الامير العظيم فان كافاني بما يستحق مقالتي  
 كافاته بما يستحقه من القصائد ، و الا فاني التحول عنه الى الضرب في آفاق الارض

اما تعاضله بشعره فهو كثير في شعره كقوله يصف قصائده

— و سياره في الارض ليس بتنازح على و خدها حزنٌ سحيقٌ ولا سهبٌ  
 تذر ذرور الشمس في كل بلدة و تمضي جموحاً ما يرد لها غربٌ  
 اذا أنشدت في القوم ظلت كأنها مسرةٌ كبرٍ او تداخلها عجبٌ  
 — مفصلة بالولوء المنتقى لها من الشعر الا انه اللؤلؤ الرطب



وقوله -

خذها مغرّبة في الارض آنسة بكل فهم غريب حين تغترب  
لا يستقى من حفير الكتب رونقها ولم تزل تستقي من بجرها الكتب  
حسيلة من المدح منصبها اذ اكثر الشعر ملقى ما له حسب  
وقس على ذلك ما لا يسعه هذا المقام

على ان ابا تمام كان - على صلابه نفسه - موصوفاً بكرم النفس وحسن الاخلاق<sup>(١)</sup>. وكان مجباً للشرب والغناء ، لا يكاد يحصل على المال حتى ينفقه في سبيل المسرات . فهو في ذلك كما اكثر شعراء عصره . وبرغم ما تجده في شعره من الشدة الدينية ( ولا سيما عند ذكره للروم ) لا تجد في سيرته او في شعره تمسكاً شديداً بفروض الدين . قال المسعودي كان ابو تمام ماجناً خليعاً ، وربما اذاه ذلك الى ترك زوجيات فرضه تاجناً لا اعتقاداً<sup>(٢)</sup>. وبكلمة اخرى كان مستهتراً قليل المبالاة بما يتطلبه حسن الاعتقاد

### خصائصه الفنية

قال ابن رشيح القيرواني لا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه كابي نواس في الحمرة ، وابي تمام في التصنيع ، والبحري في الطيف الخ<sup>(٣)</sup>. وقال الجرجاني في الوساطة كانت الشعراء تجري على نهج من الاستعارة قريب من الاقتصاد حتى استرسل فيه ابو تمام ومال الى الرخصة ، فاخرجه الى التعدي وتبعه اكثر المحدثين<sup>(٤)</sup>. وقال ابو الفرج الاصفهاني « وله مذهب في المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه ، فان له فضل الاكثار والساووك في جميع طرقه<sup>(٥)</sup> ». ووصفه الامدي بقوله « وشعره لا يشبه اشعار الاوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات والمعاني المولدة » ، ثم يقول « فان كنت تميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغرض والفكرة ولا تلاوي على غير ذلك فابو تمام اشعر<sup>(٦)</sup> »

هذا هو رأي جمهور العلماء النقادين في شعر ابي تمام . والذي يطالع ديوانه ويدقق في تفهيم معانيه يرى فيه ثلاث مزايا بارزة وهي -

(١) تركة الالباء للباري ٣١٤ وابن عساكر ١٨-٤ الى ٢٦ (٢) مروج الذهب ٧-١٥١

(٣) العمدة ١-١٩٤ (٤) الوساطة ٣٢٠

(٥) الاغانى ١٥-١٠٣ (٦) الموازنة ٣

١ - تأنقه البديعي (واكثر ما يظهر ذلك في الاستعارة والطباق والجناس)

٢ - تفننه المعنوي وهو ما يسميه البعض بالاختراع

٣ - شغفه بالاغراب - او الفروض على ما يستصعب من الالفاظ والمعاني

ولنسط لك هذه المزايا واحدة واحدة

### التأنق البديعي

لم يخل الشعر العربي في عصر من العصور من الاخذ باسباب البديع او الصناعة اللفظية والمعنوية . كان ذلك منذ ايام الجاهلية ، فقد عرف امرؤ القيس بسبقه الى الكثير من لطائف الوصف والتشبيه ، وعرف زهير بتثقيف قصائده وتكرير النظر فيها وتنقيحها « وربما رصد اوقات نشاطه فتباطأ عمله » . ولذلك سميت الحوليات مبالغة في تأنقه وتصنعه ، ومثله الخطيئة

وإذا راجعت شعر (النابغة) والاعشى) وجرير) والاختل) والفرزدق) و(ابي نواس) و(بشار) ومروان) ومسلم) وسواهم من امراء الشعر الذين تقدموا ابا تمام ، نجد في جميعهم اثر الميل الى الصناعة يتفاوت فيهم بالنسبة الى الشاعر واحواله . قال ابن رشيق عن صناع الشعر القدماء « واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت او البيتين في القصيدة بين القصائد ، يستدل بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسه وصفاء خاطره . فاما اذا كثرت ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع وايتار الكلفة . وليس يتجه البتة ان يتأتى من الشاعر قصيدة كلها او اكثرها متصنع من غير قصد ، كالذي يأتي من اشعار حبيب والبحرتي وغيرهما ، وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها »<sup>(١)</sup>

وقد كادوا يجمعون على ان مسلم بن الوليد هو اول من توسع في البديع ، وتبعه فيه جماعة منهم ابو تمام : روى ذلك الاصفهاني في سيرة مسلم بن الوليد وقال ان ابا تمام جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه . ونقل عن محمد بن يزيد قوله كان مسلم اول من عقد هذه المعاني الظريفة واستخرجها . وعن القاسم بن مهرويه اول من افسد الشعر مسام بن الوليد ، جاء بهذا الفن الذي سماه الناس البديع ، ثم جاء الطائي بعده ففتن فيه<sup>(٢)</sup>

والحقيقة ما ذكرنا من ان انواع البديع منشورة متفرقة في اشعار المتقدمين ولكن مسلماً اكثر منها ، وكان يمتدني حذو العتاني ، وكان هذا يمتدني حذو بشار<sup>(١)</sup> ، ثم قام ابو تمام فزاد على مسلم . وكان العصر الذي نشأ فيه شاعرنا ( اعني صدر الدولة العباسية ) عصر انتقال في الادب من الطريقة البدوية القديمة التي عرف بها صدر الاسلام الى الطريقة الحضورية المولدة طريقة التبسط والتأنق . والظاهر ان ابا تمام كان من الشعراء الذين تأثروا بهذه الطريقة لجرى فيها شوطاً بعيداً وصار على ما يرى بعضهم امام هذه الصناعة . وفي شعره من الشواهد على ذلك ما لا يحتمل المقام الاسهاب به فنكتفي هنا بالقليل منها - قال من قصيدة

تلومين ان لم اطو منشور همة	طوت عن لساني مدح كل مزبد <sup>(٢)</sup>
لبزتك اثواب البصائر عزوة	كستك ثياب الزجر من كل مرشد
— كأنك لا تدرين طعم معيشة	تمجّ دماً من طعم ذل التعبد
— فصوني قناع الصبر اني لراحل	الى بحر جود غامر الفضل مزبد
امات حياة الوعد منه نوافل	من الجود اضحت للعفاة برصد

وقال مادحاً احمد ابن ابي دؤاد

مازلت ارقب تحت افياء المنى	يوماً بوجه مثل وجهك ابضا
لولاك عزاً لقاؤه <sup>(٣)</sup> فيا بقي	اضعاف ما قد عزني فيا مضى
اوردتني العبد الخسيف وقد ارى	اتبرّض الشمد البكي تبرّضاً <sup>(٤)</sup>
اما القريض فقد جذبت بضعه	جذب الرشاه مصرحاً ومعرضاً
— احببته اذ كان فيك محبباً	وازدددت حباً حين صار مبعوضاً
قد كانت الحال اشتكت فاسوتها	اسوأ ابي امراره ان ينقضاً
ما عذرها آلا تفتيق ولم تزل	لمريضها بالمكرمات ممرضاً

وله متفرلاً

— لا انت انت ولا الديار ديار خفّ الهوى وتوت الاوطار

(١) البيان والتبيين ١ - ٢٤ (٢) المزيد اللثيم (٣) الضمير يرجع الى الخليفة  
 (٤) العبد الخسيف اي النبع الوافر الماء . اتبرّض الشمد البكي اي اطاب الماء القليل هنا وهناك

كانت مجاورة الطلول واهلها  
 ايام تدمي عينه تلك الدمي  
 اذ لا صدوف ولا كنود اسمهما  
 بيض فهن اذا رمقن سوافراً  
 زمناً عذاب الورد فهي بحار  
 فيها وتقمير لبه الاقبار  
 كالمعنين ولا نوار نوار<sup>(١)</sup>  
 صور، وهن اذا رمقن صوار

وقال من قصيدة في ابي دلف العجلي

تكداد مغانيه تهش عراضها  
 اذا ما غدا اغدى كريمة ماله  
 يرى اقبح الاشياء اوبة آمل  
 واحسن من نور تفتح الصبا  
 اذا اجلت يوماً لجيم وحوها  
 فان المتايا والصوارم والقنا  
 جحافل لا يتركن ذا جبرية  
 يمدون من ايدي عواصم  
 فتركب من شوق الى كل راكب  
 هدياً ولو زقت لالأم خاطب  
 كسته يد المأمول حلة خائب  
 بياض العطايا في سواد المطالب  
 بنو الحصن نجل المحصنات النجائب  
 اقاربهم في الروع دون الاقارب  
 سليماً ولا يجربن من لم يجارب  
 تصول باسياف قواض قواضب

وامثال ذلك كثيرة في شعره بل هي مذهبه العام. وقد قاده شغفه بذلك الى الاسراف والخروج عن جادة المعقول، حتى رماه الكثيرون باسمه النقد الحادة. قال الجرجاني ان ابا تمام اسلم نفسه للتكلف، يرى انه ان مر على اسم موضع يحتاج الى ذكره او يتصل بقصة يذكرها في شعره من دون ان يشتق منه تجنيساً او يعمل فيه بديعاً، فقد باء باشم واخلف بغرض حتم<sup>(٢)</sup>. وقال الامدي في الموازنة بعد ان ذكر آراء المنحرفين عن ابي تمام «كانهم يريدون اسرافه في طلب الطباق والتجنيس والاستعارات واسرافه في التماس هذه الابواب وتوشيح شعره بها، حتى صار كثير مما اتى من المعاني لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها الامع الكد والفكر وطول التأمل، ومنه ما لا يعرف معناه الا بالظن. ولو كان اخذ عفو هذه الاشياء. ولم يوغل فيها ولم يجاذب الالفاظ والمعاني مجاذبة ويقتصرها مكارهة، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجهامه غير متعب ولا مكدود، واورد من الاستعارات ما قرب في حسن ولم يفحش، واقتصر من القول على ما كان محذواً حذو الشعراء المحسنين

ليسلم من هذه الاشياء التي تهجن الشعر وتذهب مائه ورونقه - ولعل ذلك ان يكون ثلث شعره او اكثر - لظننته كان يتقدم عند اهل العلم بالشعر اكثر الشعراء المتأخرين<sup>(١)</sup> وقال الباقلاني بعد ان ذكر بضعة امثال على تصنع ابي تمام « فهذا وما اشبه انما يحدث من غلو في الصنعة حتى يعميه عن وجه الصواب ، وربما اسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها حتى استنقل نظمه واستوخم رصفه ، وكان التكلف بارداً والتصرف جامداً<sup>(٢)</sup> » .

والذي يطالع ديوانه تحرياً لهذه التهم يتضح له ان اكثر ما ذكره حق وان ابا تمام كثيراً ما يأتي بالاستعارة او الكناية دون ان يراعي التناسب بين الحقيقة والمجاز كقوله -  
 — وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقصدها كف قاطب  
 يقصد بذلك ان المسافرين يشاركون ركائبهم في السير الشديد الذي لا اين فيه ولا تؤدة . فاستعار للسير الشديد الحجر التي لم تمزج بنا . وجعل اشارك الركب والركائب فيه عبارة عن تساقبهم تلك الحجر الصرف . وازت لا تحتاج الى تأمل كثير لترى شدة التعسف في هذه الاستعارة

ومثل ذلك بقوله -

— ضاحي المحيا للهجير وللقنا تحت العجاج تخاله محراثا

فالشطر الاول جميل ، جعل المدح من ذوي الاقدام والتعرض للمشاق ، ولكنه الخش في الشطر الثاني اذ جعله محراثاً يشق غبار الحرب وافسد جمال البيت  
 وقوله -

آرتني اذ جعلته سندا كل امرئ لاجي الى سنده  
 ايثار شزر القوي رأى جسد المعروف اولى بالطب من جسده

والشاهد في البيت الثاني وهو يريد ان يقول آرتني ايثار القوي وقد غار للمعروف وقام يناصره . فتأمل استعارته الجسد للمعروف ، وايثار القوي له بالتطبيب !  
 لعمرى لقد حررت يوم لقيته لو ان القضاء وحده لم يبرء

وانك لتشعر بقشعريرة البرد في هذا البيت . وهو يقصد ان يقول ان حميتك قد تارت  
يوم لقيت العدو وكدت تفتك به لولا ان القضاء حال دون ذلك : فكذب نفسه حتى جاء  
بالطباقي ، ولكنه جاء غثاً بارداً

وانظر الى تعسفه اذ يقول

نوى كالتقاض النجم كانت نتيجة من الهزل يوماً ان هزل النوى جد  
اي ان النوى فاجأته مفاجأة فلم يصدق اولاً ، ولكن ألم وقوعها اراه الحقيقة وعلمه ان  
هزل الجيب جد

وقوله -

فكان افئدة النوى مصدوعة حتى تصدع بالفراق فؤادي  
فاذا فضضت من الليالي فرجة خالفنها فسددتها ببعاد  
ومعناها ان فؤاد النوى بقي مصدوعاً حتى صدع بفراق الاحبة فكلمها فتحت لنفسه  
منفرجاً خالفته الايام ، فسددت ذلك المنفرج بالبعاد . فانظر كيف تكلف تصديع افئدة  
النوى ، وكيف استعمل البعاد كحجر يسد به ثغرة الفرج

وقوله -

اهيس ايس جأه الى همم تفرق الاسد في آذيها اللبسا  
انظر الى هذه الهمم التي ترى الاسود غرقى في غمارها . وكل ما يريد ان يقوله ان  
المدوح شجاع همته تفوق همه الاسود الشديدة

وقوله -

هدأت على تأميل احمد همتي واطاف تقليدي به وقياسي  
معناه رايت الناس يسعون الى المدوح فقلدتهم ووجدته بالقياس افضلهم ، فهدأت  
همتي المضطربة عنده . قابل هذا المعنى بما استعاره له من هدوء الهمم واطواف التقليد  
والقياس فترى شدة اسرافه في الصناعة

ومثل ذلك قوله -

لو لم تفت ميسن المجد منذ زمن بالجوذ والبأس كان المجد قد خرفا  
ومعناه ان المجد قد هرم ، ولولا ان ارجعت اليه فتوته بجودك وبأسك لكان قد  
ادركه الخرف .

ومن الاسراف المقوت قوله

فلويت بالمعروف اعناق الوري وحطمت بالانجاز ظهر الموعد

وقوله -

قرت بقرآن عين الدين وانشتت بالأشترين عيون الشرك فاصطأها

والاشتران قائدان للروم

قال العسكري وهذا مع غثائه لفظه وسوء التجنيس فيه يشتمل على عيب آخر وهو

ان انتشار العين لا يوجب الاصطلام

واليك هذه الابيات يصف سفينة حملته الى المدوح، وانظر كيف يتعسف في تشبيهها

بالجمال وكيف يخرج به التكلف عن حدود الجمال

حملت رجاي اليك بنت حديقة غلباء لم تلقح لفحل مقرف

فنجت وقد حوت الهنيدة وابنت في شطرها وتبوعت في النيف

في البيت الاول يريد بابنة الحديقة الغلباء السفينة لانها تصنع من خشب الحديقة،

وشبه الغلباء بالفحل، ولم يلقحها اي لم يصبها بطنر . فتأمل هذه الساجدة الصناعية . وفي

البيت الثاني - اسرعت هذه السفينة وهي بنت مئة ولكنها في نشاط الحمسين، وسارت

غايتها في بحر كالصحراء

الى ان يقول -

فاعتامها ذو خبرة بفجوها ندس بجيلة خلقها متلطف

اي فاختارها من خول الشجر خبير حاذق بيناتها

ثم اجتت شلوي فصرت جنينها متمكناً بقرار بطن مسدف

اي ثم حملتني فكنت في بطنها كما يكون الجنين في بطن امه

واني ارجع القاري الى هذه القصيدة ليراجعها ويحكم بنفسه على هذه المجازات . وامثال

ذلك كثير في شعر ابني تمام، فانك لا تكاد تقرأ له قصيدة حتى تمر ببيت او بضعة ابيات

من هذا الشعر المكثود الذي ينفر منه الذوق السليم . لما فيه من تكلف الصناعة والاهتمام

بالقشور دون اللباب

نقص المعنوي

على ان لا يي تمام مع كل اسرافه في الشعر الصناعي مكانة عالية في الشعر العربي . وما

ذلك ألا لدقة تصويره وحسن اختراعه . ففي شعره كثير من الصور البليغة التي تشهد له  
بجودة الخيال وبعد مرامي النظر . والذي يراجع ديوانه بروية ويصبر على تحليل معانيه ،  
يجد من بدائعه الشعرية ما يشغفه . ويراد بالبدائع الشعرية ما لطف من وصف او مجاز او  
حكمة او لبس لباساً قشياً من البلاغة . واليك امثلة ذلك من شعره

\_\_\_\_\_ وإذا اراد الله نشر فضيلة طوبت اتاح لها لسان حسود  
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيبٌ عُرف العود

وجودة البيتين في جمال الصورة التي نرى فيها الحسود ناشراً أفضل المحسود، وفي التمثيل  
على ذلك من العالم الطبيعي تمثيلاً يوضحها ويقررها في الذهن . وقد قرن كل ذلك بركة  
العبارة وجودة الالفاظ . ومثل ذلك قوله متقرباً من امير اقام الحجاب على بابه وهو في غاية  
البلاغة

\_\_\_\_\_ ليس الحجاب بمقصر عنك لي املاً ان السماء ترجى حين تحجب

وقوله يصف عدم اجتماع المال والكرم في شخصه

لا تنكري عطل الكرم من الغنى فالسيل حربٌ للمكان العالي

ومن اجمل صورته الشعرية قوله يرثي ولدين صغيرين لاحد الامراء والبلاغة ناطقة فيه

\_\_\_\_\_ لمني على تلك الشواهد منها لو امهت حتى تكون شاملاً

لعدا سكوتها حجباً وصباحها حلماً وتلك الاريجية نائلاً

\_\_\_\_\_ ان الهلال اذا رأيت غمّهُ ايقنت ان سيصير بدراً كاملاً

وهذا البيت الاخير الذي اتى به تمثيلاً لما كان يرجي من ذينك الولدين هو من ابداع  
الامثال وابلغها . ومثله بلاغة وجمالاً قوله المشهور يصف بلوغ الاربع عن سبيل المشقات .

\_\_\_\_\_ ولكنني لم احور وفرأ مجمماً ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعطني الايام نوماً مسكناً الذُّ به الا بنوم مشرد

\_\_\_\_\_ وطول مقام المروء في الحي مخلق لدياجتيه فاغترب تتجدد

\_\_\_\_\_ فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

وقد اجاد في هذه الابيات كل الاجادة ، وبرز هذه المعاني البديعة بقالب يأخذ بمجامع

القلوب . ومن حسن اختراعه قوله يصف مشييه الباكر



ستٌ وعشرون تدعوني فاتبعها الى المشيب فلم تظلم ولم تحب  
فأصغري ان شيئاً لاح بي حدثاً واكبري انني في المهدي لم اشب

يعذر المشيب ويقول ليس الغريب انني شبت في السادسة والعشرين ، ولكن الغريب  
انني لم اشب وانا طفل : يشير بذلك الى ما في نفسه من عزم وهمة ، والى ما اصابه منذ  
طفولته من مقارعة الاهوال والخطوب

وقال يصف كرم المدوح وازدحام الشعراء على بابه  
ولو كان يفنى الشعر افناه ما قرت حياضك منه في العصور الذواهب  
ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحائب منه اعقت بسحائب  
والصور الشعرية في البيت الثاني خلابة ، لاحكام التشبيه فيها وجمال التركيب

ومن هذه الصور الخلابة قوله من مراثيه المشهورة  
وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه اليه الحفاظ المرث والخلق الوعر  
ونفس تخاف العار حتى كائنا هو الكفر يوم الروع او دونه الكفر  
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر

وقوله له يصف اميراً انعم الله عليه بنعم عظيمة، ولكن كفرها ونقض عهد الولاة والوفاء  
كم نعمت الله كانت عنده فكانها في غربة واسار  
كسيت سبائب لومه فتضائلت كتضائل الحسناء في الاطهار

وقد شهد البلغاء لابي تمام بالتقدم في ذلك . قال ابن الاثير في كلامه عن المعاني التي  
تستخرج من غير شاهد الحال « ان لابتكارها سرّاً لا يهجم على مكانته الا جنان الشهم ،  
ولا يفوز بحاسنه الا من دق فهمه حتى جل عن دقة الفهم » . ثم يقول « قد قيل ان ابا تمام  
اكثر الشعراء المتأخرين ابتداءً للمعاني ، وقد عددت معانيه المبتدعة (اي التي لم يسبق اليها)  
فوجدت ما يزيد عن عشرين معنى . واهل هذه الصناعة يكبرون ذلك ، وما هذا من مثل  
ابي تمام بكبير<sup>(١)</sup> »

وقد اصاب الاستاذ ضومط اذ قال - « الحق يقال ان ابا تمام هو كما قال فيه واصفوه

شاعر واسع الخيال دقيق التصور بعيد مرامي النظر ، واقدر انه لو عاش فوق الاربعين ، ولم يمنعه الانهالك في الشهوات من ترتيب محفوظاته ومدركاته ، بل عاد عليها بالتهذيب والتشذيب ، فأطرح منها ما حقه ان يطرح وابقى منها ما هو جدير بالبقاء ، ثم جمع الاشباه والنظائر - لو عاش حتى فعل كل ذلك - لكان شعره بعدها لا يتعلق به متعلق ، ولبرز على الارجح الشعراء قاطبة حتى ابا الطيب المتنبي في كثير من حكمه وامثاله وبعد مطارح نظره (١) «

وكما اننا ننمى على ابي تمام ميله الى تكلف البديع نمدحه لما نجد في شعره من نفس عال في النظم يؤثر في النفس فيحملها الى الطبقات العليا . اقرأ اياً شئت من عيون قصائده ، وانظر الى تلك الهزة التي تعتريك لقراءتها . فاذا حالتها وجدتها مزيجاً من جمال النظم ومثانة التركيب وسمو الفكر . ونجدي . هنا بثلين او ثلاثة من ذلك -

راجع قصيدته المشهورة في فتح عمورية وتأمل مقدمتها - تلك الوقفة الشعرية العالية التي يريتنا فيها الشاعر « المذنب العربي » ويسمعنا احاديث الجمهور عنه ، ثم يستخلص من كل ذلك تمهيداً ساحراً للتوصل الى الممدوح ، ووصف الواقعة العظيمة التي فتح فيها حصون الاعداء . كل ذلك بأسلوب شديد الأسر بديع الخيال ، يملأ الاسماع ويحرك اوتار القلوب . واذا استئنيت بعض ما ذكرناه من تصنعه فان معظم القصيدة من هذا النمط العالي ، كقوله يصف فشل قائد الروم ومحاولته اغراء المنتصرين بالمال وترفع الخليفة عن ذلك -

لما رأى الحرب راى العين توفلس والحرب مشتقة المعنى من الحرب  
غدا يصرف بالاموال جريتها فعزه البحر ذو التيار والحذب  
هيئات زعزعت الارض الوقور به عن غزو محتسب لا غزو مكتسب  
لم ينفق الذهب الرربي بكثرتة على الحضا وبه فقر الى الذهب  
ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب  
ومن هذا النمط العالي قوله

ستصبح العيس في ذا الليل عند فتى كثير ذكر الرضى في ساعة الغضب  
صدفت عنه فلم تصدف مودته عني وعاولده ظني ولم يخب  
كالغيث ان جنته وافاك ريقه وان ترحلت عنه لج في الطلب

كانفا هو في اخلاقه ابدا وان ثوى وحده في جعفل لجب  
وقوله -

ويوم امام الموت دحض وقفته ولو خراً فيه الدين لانها لكانته  
جلوت به وجه الخليفة والقنا قد اتعت بين الضلوع مذاهبه  
فلو نطقت حرب لقات محمّة الا هكذا فليكسب المجد كاسبه

فانت ترى في كل ذلك زعمته الفئنة الشديدة ، ولو قلبت ديوانه لوجدتها في اكثر  
شعره . وهذه النزعة وما فيها من عنف وشدة اسر هي التي حدثت بمريديه الى التغالي  
بمدحه وعدّه امام هذه الصناعة ، حتى قال ابو الفرج الاصفهاني « وفي عصرنا هذا ( القرن  
الرابع الهجري ) من تعصّب له فيفرط حتى يفضله على كل سائف وخالف »<sup>(١)</sup> . بل هي  
التي دفعت ابا دلف العجلي ان يصيح وقد انشده ابو تمام قصيدته التي مطلعها

على مثلها من اربع وملاعب اذيلت مصونات الدموع السواكب

يا معشر ربيعة اما مدحتم قط بثل هذا الشعر ، فاعندكم لقائله ؟ فبادروه بطارفهم  
يرمون بها اليه . فقال ابو دلف قد قبلها منكم واعاركم لبسها ، وسانوب عنكم في ثوابه .  
ثم امر له بخمسين الف درهم وقال والله ما هي بازاء استحقاقك وقدرك فاعذرنا<sup>(٢)</sup> . ولم  
يكن ذلك مجرد اهتزاز للمديح ، ولكن الرجل تأثر بنفس الشاعر وجلال اسلوبه  
ونلحظ ذلك في مجلس عبدالله بن طاهر امير خراسان ، فانه لما قصده وانشده قصيدته  
« اهنّ عوادي يوسف وصواحيه » لم يتالك الشعراء الحاضرون من ان يصيحوا ما يستحق  
هذا الشعر غير الامير حفظه الله . وبلغ التأثر باحدهم ان قال : لي عند الامير اعزّه الله جائزة  
وعدني بها ، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء على قوله للامير<sup>(٣)</sup> . ومثل ذلك ما جاء في الاعاني  
عن محمد بن سعد كاتب الحسن بن رجاء ان ابا تمام مدح الحسن بلاميته التي يقول فيها

انا من عرفت فان عرتك جهالة فانا المقيم قيامة العذال

فلما وصل الى قوله

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالمي  
وتنظري حيث الركاب ينصّها محيي القريض الى ميمت المال

صاح المدوح متأثراً . والله لا اتمتها ألا وانا قائم . فلما انتهى من انشادها عانقه .  
قال محمد بن سعد « واخذ منه على يدي عشرة آلاف درهم واخذ غير ذلك مما لم اعلم به  
على مجل كان في الحسن بن رجاء <sup>(١)</sup> »

ولا شك ان في شعر شاعرنا روعة خاصة ، فهو يجمع بين الفخامة اللفظية وجزالة المعنى  
جمعاً يهزُّ النفس ، ويفعل بها ما فعل بمعاصره ومناوئه دعبل يوم سمع بعضهم ينشد بيتي ابي تمام

شهدتُ لقد اقوت معانيكمُ بعدي ومجّت كما مجّت وشانع من برد  
وانجدتم من بعد اتهام دارمُ فيا دمعُ انجدني على ساكني نجد

فتأثر دعبل على كرهه لابي تمام وصاح احسن والله وجعل يردّد « فيا دمع انجدني على  
ساكني نجد <sup>(٢)</sup> »

ولولا كثرة تصنعه وما سذكروه له من التعقيد والاغراب لاحلته هذه الروعة الفنية  
اعلى محل في الشعر العربي

### سُفهُ بالاغراب

« يذهب الى جزونة اللفظ وما يملأ الاسماع منه مع التصنيع المحكم طوعاً وكرهاً .  
يأتي للاشياء من بعد ويطلبها بكلفة وياخذها بقوة <sup>(٣)</sup> » . ذلك رأي ابن رشيق القيرواني فيه ،  
وقد اصاب كل الاصابة ولا سيما في قوله « ياتي للاشياء من بعد » ويراد بذلك هيامه  
بالغريب من المعاني التي يحتاج في تفههما الى تأمل ومشقة .

وممّن سبقه الى هذا النقد ابو الحسن الجرجاني اذ قال بعد ان ذكر اغرابه اللفظي  
وتطلبه البديع <sup>(٤)</sup> « ولم يرض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة ، وقصد الاغراض  
الخفية ، فاحتمل فيها كل غث ثقل ، وارصد لها الافكار بكل سبيل ، فصار هذا الجنس  
من شعره اذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر وكد الخاطر والحمل  
على القرينة » . فهو كما قال ، يعطي مقاصده بشي . من الابهام . ومن هنا هذه الصعوبة التي

(١) الاغاني ١٥-١٠٦

(٢) « ١٠٧-«

(٣) العمدة ١-٨٥

(٤) الوساطة ٢٢

معانيها من يطالع ديوانه اذ يقف حائراً امام طلائمه وغوض معانيه ، ولكن اذا  
راضت له بالدرس والتفكر رأى فيها ما يلذّه من صور جميلة ومعانٍ رشيقة . وقد وصف  
الشاعر قصائده بقوله -

فكأننا هي في السّاع جنادل وكأننا هي في القلوب كواكب  
وغرائب تأتيك إلا انها لصنيعك الحسن الجميل اقارب

تقبل على شعره فتصدمك وعورته، فتحاول التغلب عليها ، وتكدّ نفسك في تذليل  
عقباتها ، ولكنك لا تلبث ان تشعر بتعب قد يحملك على النكوص . على انك اذا صبرت  
وتابعت الشاعر في اساليبه وغرائبه، واخذت تجلو لنفسك معانيه ، حمدت عاقبة هذا العمل ،  
وشعرت بما يستهويك من بديع تخيلاتهِ وجزالة الفاظه . ولنضرب لك بعض الامثلة على  
ذلك . قال من مطلع قصيدة يمدح عبدالله بن طاهر

اهنّ عوادي يوسف وصواجه فعزماً فقيماً ادرك السؤل طالبه  
اعاذلتي ما اخشن الليل مركبا واخشن منه في المات راكبه  
دعيني على اخلاقي الصمّ للتي هي الوفرا او سرب ترن نوادبه  
فان الحسام الهندواني انما خشونته ما لم تقلل مضاربه

ذكروا انه لما بدأ في انشاد هذه القصيدة في مجلس الامير قيل له لم تقول ما لا يفهم ؟  
فاجاب السائل لم لا تفهم ما يقال ؟ نكتة جميلة تبين ما نقصد اليه . ومعنى هذه  
الابيات عموماً : هل تريد الغواني ان تشغلني وتشتي عزيقتي عن السفر ، وان تحذعني كما  
حاولت ان تحذع يوسف بن يعقوب ! فلا تذرعي بالعزم ، لا بد لكل طالب مواظب من  
ادراك طلبه . ويا ايها العاذلة ان الليل مركب خشن ، ولكن الذي يركبه اشد منه  
واخشن . فاتركيني على اخلاقي الشديدة اسمع في طلب العلى ، فاما ان اتاهلها او اموت  
وتندبني النوادب . فان الحسام الهندواني القاطع انما خشونته ( عدم مضائه ) ما لم يستعمل  
( اي انما مضاه الرجل بالعمل والاقدام ) .

وقوله يصف امامي الروم واعادهم على مناعة حصونهم -

وقال ذو امرهم لا مرتع صدد للسارحين وليس الورد من كذب  
ان الحلمين من بيض ومن صحر دلوا الحياتين من ماء ومن عشب

اي قال قادتهم لانفسهم لا مرتع قريب للاعداء ( اذا راموا الحصار ) ولا ماء فلا

يكنهم البقاء طويلاً . على ان امانهم هذه قد فشلت لان السيوف والرماح (الحمامين) هي ،  
سيلنا الى الماء وللعشب .

وقوله يصف - كيد المدوح للاعداء وحسن رأيه -

قد رأوه وهو القريب بعيدا ورأوه وهو البعيد قريبا  
سكن الكيد فيهم ان من اعظم ارب ان لا تكون اريبا  
مكرهم عنده فصيح وان هم خاطبوا مكره رأوه جليبا  
لقد انصمت والشتاء له وجه يراه الرجال جهما قطوبا  
طاعناً منجر الشمال متيحاً لبلاد العدو موتاً جنوبا  
فضربت الشتاء في اخدعيه ضربة غادرته قوداً ركوبا

اي ان الاعداء رأوا المدوح على قربه منهم بعيداً بمناعته ، ورأوه على بعده قريباً ،  
منهم لعزمه وهجومه الشديد . وقد خفيت سياسته عليهم - وان من اعظم فنون  
السياسة ان لا يظهر الدهاء للاعداء - فلم يدركوا خططه مع ان خططهم كانت لديه  
واضحة . ولقد عدت اليهم والشتاء في ابانه فطعنتم منجر الشمال ( يكتفي بذلك عن العدو  
لانه من جهة الشمال ) حاملاً اليهم الموت من الجنوب ، وضربت الشتاء فاذلته ، حتى اصبح  
لديك كالجلل الركوب

ومن هذا القبيل -

يقولون ان الليث ليثٌ خفيّةٌ نواجذه مطرورةٌ ومخالبه  
وما الليث كل الليث الا ابن عثر يعيش فواق ناقة وهو راهبة

ويحل هذا الظلم بقولنا : ليس الاسد سبع الغاب ولكن الاسد الحقيقي هو الذي يجتمل  
بأس المدوح ولو قليلاً ( فواق ناقة )

وقوله للعاذل الخي وهو بين الطاول

وما صار في ذا اليوم عدلك كله عدوتي حتى صار جهلك صاحبي  
وما بك اركابي من الرشد مركبا الا انما حاولت رشد الركائب

لم يصر عدلك عدواً لي ، حتى صار جهلك صاحبي : اي كرهتك لعذلك ايبي ولكنني  
ما لبثت ان رضيت عنك لجهلك لوعة الحب ، اذ انت بجهلك تستطيع مساعدتي فتمنعني مثلاً

من شدة الوجد وكثرة البكاء. ولكن ما لك تحملني على اتباع سبل الرشاد وترك الوقوف  
بين الطلول - ليس ذلك رشادي بل رشاد ركائبي التي ترغب في متابعة السير

...

ومن اسباب اغرابه وغوضه شغفه الزائد بالطباق والجناس كقوله  
فالشمس طالعة من ذا وقد افلت والشمس واجبة في ذا ولم تجب

...

فهو مدنر للوجود وهو بغيض وهو مقص للهلك وهو جيب  
فانت لديه حاضر غير حاضر بذكر وعنه غائب غير غائب

...

غربت خلائقه واغرب شاعر فيه فاحسن مغرب في مغرب  
ومن طالعه في ذلك قوله -

وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كف قاطب  
فقد اكلوا منها الغوارب بالسرى وصارت لها اشباحهم كالغوارب  
بصرف سراها جذيل مشارق اذا آبه هم عذيق مغارب  
يرى بالكعب الرود طلعة ناز وبالعرس الوجناء غرة آيب

ومعناها - ورب ركب شاركوا نياقهم بالسير الشديد حتى اذاوا استمتها وكواهلها ،  
ويقود هؤلاء الركب رجل خير بالاسفار شرقاً وغرباً ، شغوف بالسفر على النياق حتى انه  
اليرى في وجه الناقة جمالاً ، ويكره المكوث في المنازل فلا يرى في وجوه الحسان ما يغريه  
على ذلك

ومن دواعي غوضه اغراقه في استعمال الغريب من الالفاظ . جاء في كتاب الصناعتين -  
« كان ابو تمام يتتبع وحشي الكلام ويتعمد ادخاله في شعره <sup>(١)</sup> . ولعل ذلك راجع بالاكثر  
الى كثرة محفوظه ودرسه لاشعار الاقدمين . قال الامدي « كان ابو تمام مشغولاً بالشعر  
مشغولاً مدة عمره بتخميره ودراسته ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة - منها الاختيار

القبايلي الاكبر ، وقد مر على يدي هذا الاختيار . ومنها اختيار آخر ترجمته القبايلي ، ومنها الاختيار الذي تَلَقَّطَ فيه محاسن شعر الجاهلية والاسلام واخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى الى ابراهيم بن هرمة ، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول . ومنها اختيار تَلَقَّطَ فيه اشياء من الشعراء المقلين والشعراء المعمرين ويلقب بالحماسة ، وهو اشهر اختياراته . ومنها اختيارات المقطعات يذكر فيه اشعار المشهورين وغيرهم والمتقدمين والمتأخرين . وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وانه اشتغل به وجعله وكده ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه : فانه ما من شيء كبير من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه واطلع عليه<sup>(٢)</sup> . وقيل انه كان يحفظ اربع عشرة الف ارجوزة غير القصائد والمقاطع ، وقال هو عن نفسه لم انظم الشعر حتى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصة ، دون الرجال<sup>(٣)</sup> .

ولا ريب ان للحفظ تأثيراً على اسلوب الشاعر او الناثر ، ولا سيما في آبان قوة الحافظة . ويظهر ذلك في ميل شاعرنا الى استعمال غير المؤلف من الاوصاف والعبارات . انظر الى هذا البيت وقد ذكر قبلاً

اهيس اليس لجانا الى همم تفرق الاسد في آذيها اللبسا  
اي شجاع تفرق بجور همته الاسود الجريئة

وقوله

الواردين حياض الموت متافقة ثبأ ثبأ وكراديسا كراديسا  
ويريد بتأفة مترعة . وثبأ وثبأ اي جماعات جماعات

وقوله وهو مطلع قصيدة

اما انه لولا الهوى ومعاهده مواعيسه قد اقفرت واجالده  
لاعطيت هذا الصبر مني طاعة ليعلم دهري اي قرن يسكايده  
اي لولا ان نأى الاحباب عن الديار قد افقدني صبري لعلمت الدهر بثباتي على مصائبه

اي رجل انا

وقوله

غل المروراة الصحاح عزمه باليس ان قصدت وان لم تقصد

(١) الموازنة ٢٣ (بصرف)

(٢) ابن خلكان ١-١٧٠



اي طوى السهول والقنار عزمه

وقوله

سهاد يرجحنّ الطرف منه ويولع كلّ طيفر بالصدود  
اي سهاد تثقل فيه الجفون

وقوله

تقلقل بي أدم المهارى وشؤمها على كل نشز متلئب وفدود  
اي تضطرب بي النياق الرمادية والسوداء على كل فلاة سوداء الحجارة  
وفي قوله

صَهَلْتُ فِي الصَّهِيلِ تَحْسِبُهُ أُشْرَجَ حَلْقُومُهُ عَلَى جَرَسٍ  
يَصِفُ حِصَانَهُ بِشِدَّةِ الصَّوْتِ حَتَّى كَأَنَّهَا حَلْقُومُهُ شَدَّ إِلَى جَرَسٍ  
ومن هذا القبيل -

عططت على رغم العدى عزم بابك بعزمك عطّ الاتحمي المرعبل  
الكلام استعارة معناه : شققت عزم « بابك » بعزمك كما تشق الثوب المخطط  
وقوله

كأن بابك بالبذّين بعدهم نؤي اقام خلاف الحيّ او وتد  
بكل منعرج من فارس بطل جناجن فلق فيها قنا قصد  
والمعنى كأن بابك ، وقد فني جيشه ، اثر نؤي او وتد باق في الحيّ - فانت لا ترى  
الا اشلاء جيشه مبعثرة ، وفي كل ناحية ومنعطف اثار الرماح المتكسرة  
وقال -

مقابل في الجديل صلب القرا لو حكّ من عجبته الى كتده  
اي كريم النسب قوي الظهر لو امتحن من عجزه الى كتفه لوجد كذلك

واراد مرة ان يطلب فرواً من ممدوحه فوصفه بهذه الايات الغريبة  
ولا بد من فرو اذا اجتابه امروء غدا وهو سامر في الصنابر اغلب  
اثبت اذا استعبت مصقعة به ثلاث علماً انها سوف تعتب  
يراه الشفيف المرتعن فينثني حسيراً فتعشاه الصبا فتسكب  
اي اذا لبسه الانسان تغلب فيه على البرد . وهو كثيف الشعر اذا استرضيت البرد به

رضي واذا راه المطر البارد المشهور انثى عنه كايلا ومالت عنه ربيع الصبا  
واختم هذه الامثلة على ميله لاستعمال المتوعر من الالفاظ بيتين من هزيبته المعروفة -

قال في مطلعها

قدك ائتب اريت في الغلواء كم تعذلون وانتم سجراتي  
اي استحيي بالانمي بكفيك غلواً في تعينبي . وكيف تلومونني وانتم مثلي مصابون  
بالغرام

ومنها يصف البيد والنياق

بيد لنسل الصيد في امليدها ما ارتيد من هيد ومن عدواه  
اي قفار قطعتهما على ناقة ذلول ، فيها كل ما يتطلبه الراكب من عزم ومضاء . ومن  
فرج للهموم

وامثال هذه الالفاظ في شعر ابي تمام كثيرة فاشية . وقد انكر المنتقدون الاقدمون  
ذلك عليه ، وقالوا اذا جاز للاعرابي القبح فهو مستهجن من المحدث الذي ليس هو لغته ،  
ولا من كلامه الذي تجري عاداته به <sup>(١)</sup> . ولقد ذكرنا ان اكثر ذلك راجع الى شفقه بالقديم  
وكثرة محفوظه منه . على ان هناك سبباً آخر وهو شدة اعجابه بشعره ، حتى لم يكن يرضى  
ان يسه بادنئ تهذيب . قال ابو هلال العسكري كان ابو تمام يرضى باول خاطر فنعى عليه  
عيب كثير . وعن الاغاني - روي عن بعض الشعراء ان ابا تمام انشده قصيدة له احسن في  
جميعها الا في بيت واحد ، فقال له يا ابا تمام لو القيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب .  
فقال له انا والله اعلم منه مثل ما تعلم ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده ، فيهم  
الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلهم حلوا في نفسه <sup>(٢)</sup> . فكان شاعرنا كما وصفه الامدي  
شرها الى ايراد كل ما جاش به خاطره ، وجلجلة فكره ، غلظت الجيد بالردى ، والعين  
النادر بالزلل الساقط ، والصواب بالخطا <sup>(٣)</sup> . على ان لشعره طابعاً من الجزالة او الفخامة  
عرف فيه . وعليه قال ابن الاثير يصف الفاظه -

« كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأوا سلاحهم وتأهبوا للطراد <sup>(٤)</sup> »

(٣) الموازنة ٥٦

(٢) الاغاني ١٥ - ١٠٠

(٤) المثل السائر ١٠٦

## المختار من شعر ابي تمام

وادر بعيد الغور كثير الجنادل يرده الناهل فلا يبلغه الا بعد ان تكل قدماه وينقطع  
نفسه، على انه اذا وصل وجد فيه ما ينسيه احوال الطريق ومتاعب الرحيل . ذلك هو ابو تمام  
في شعره - هدار كثير التائق ولوع بسلك اغرب السبل الى المعالي

فتح عمورية<sup>(١)</sup>

قيمت في المعتم سنة ٥٢٢٣ هـ وكان الشاعر قد صحبه في هذه المعركة فشهد بنفسه وقائه<sup>(٢)</sup>

السيف اصدق انباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في	متوهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة	بين الحمسين <sup>(٣)</sup> لا في السبعة الشهب
اين الرواية بل اين النجوم وما	صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تحرصاً واحاديثاً مائقة	ليست بنبع اذا عدت ولا غرب <sup>(٤)</sup>
عجائباً زعموا الايام مجفلة	عنهن في صفر الاصفار او رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة	اذا بدا الكوكب العربي ذو الذنب <sup>(٥)</sup>
وصيروا الابرج العليسا مرتبة	ما كان منقلباً او غير منقلب
يقضون بالامر عنها وهي غافلة	ما دار في فلك منها وفي قطب
لو بيئت قطاً امراً قبل موقعه	لم يخف ما حل بالاوثنان والصلب <sup>(٦)</sup>

...

(١) عمورية بلدة حصينة في الاناضول كانت بيد الروم (٢) الفخري ١٧١  
(٣) الحمسين اي الجيشين (٤) النبع شجر صلب تعمل منه الفسي . والغرب شجر  
هش . والمعنى ان اقوالهم ليست من الحقيقة بشيء .  
(٥) اشارة الى مذهب ظهر في تلك الايام ولعله مذهب « هالي » راجع المتطوف مج ٣٥ ج ٦  
(٦) كنى بالاوثنان والصلب عن الروم . ويريد بهذا البيت انه لو كان التنجيم فيد لعرف الروم  
ما سيحل بهم فانفوه

فتحُ الفتحِ تعالى ان يحيطَ به  
 فتحُ تفتحُ ابواب السماء له  
 يا يومَ وقمةِ عمورية أنصرفت  
 أبقيت جدَّ بني الاسلام في صُعد  
 أم لهم لو رجوا ان تقتدى جعلوا  
 وبرزة الوجه قد اعيت رياضتها  
 من عهد إسكندر او قبل ذلك قد  
 حتى اذا مخض الله السنين لها

أنتهم الكربة السوداء سادرة  
 كم بين حيطانها من فارس بطل  
 بسنة السيف وأخطي من دمه  
 لقد تركت امير المؤمنين بها  
 غادرت فيها بهم الليل وهو ضحي  
 حتى كأن جلايب الدجى رغبت  
 ضوء من النار والظلماء عاكفة  
 فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت  
 تصرح الدهر تصریح الغمام لها  
 لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على

نظم من الشعر او نثر من الخطب  
 وتبرز الارض في اثوابها التثب  
 منك المنى حقلًا معسولة الحلب<sup>(١)</sup>  
 والمشركين ودار الشرك في صب  
 فدائها كل ام برق وأب<sup>(٢)</sup>  
 كسرى وصدت صدوداً عن ابي كرب<sup>(٣)</sup>  
 شابت نواصي الليالي وهي لم تشب  
 مخض البخيلة كانت زبدة الحقب<sup>(٤)</sup>

٧ بيوتها

منها وكان اسمها فرجة الكرب<sup>(٥)</sup>  
 قاني الذواب من آني دم سرب  
 لا سنة الدين والاسلام محتضب<sup>(٦)</sup>  
 للنار يوماً ذليل الصخر والخشب  
 يشله وسطها صبح من اللهب  
 عن لونها او كأن الشمس لم تغب  
 وظلمة من دخان في ضحي شجب  
 والشمس واجبة في ذا ولم تجب<sup>(٧)</sup>  
 عن يوم هيجاء منها طاهر جنب<sup>(٨)</sup>  
 بانر بأهل<sup>(٩)</sup> ولم تغرب على عزب

(١) شبه بلوغ الاماني بحلب الضرع الملان بالحليب اللذيذ

(٢) شبه المدينة بامرأة بارزة المحاسن رامها الملوك الفاتحون فامتعت عليهم

(٣) اي كما ان الامراة الحريصة تخض الحليب لتستخرج زبدته هكذا مخضت الايام فكانت عمورية افضل ما خرج منها

(٤) انتهم المصيبة من المدينة وكانوا لمناعتها يتوقعون الفرج منها

(٥) اي كم من فارس قتل فيها فسال دمه قانياً حتى خضب شعره ولكن تحضب السيف لا

التخضب الذي تغضيه السنة الاسلامية

(٦) في هذا البيت والايات الاربعة السابقة بذكر حريق المدينة وبتفنن في وصف الدخان والليهب

(٧) جنب نجس اي طاهر لنا نجس لاعدائنا او طاهر بالجهاد نجس باستباحة الاعراض

(٨) بانر بأهل اي متزوج

ما ربع مية معموراً يُظيف به  
ولا الحدود وقد أدمن من خجله  
سماجة غنيت منا العيون بها  
وحسن منقلب تبدو عواقبه  
غيلان ابهى ربي من ربها الحرب (١)  
اشهى الى ناظري من خدتها الترب  
عن كل حسن بدا او منظر عجب  
جاءت بشاشته من سوء منقلب

لو يعلم الكفر كم من اعصر كنت  
تدبير معتصم بالله منتقم  
ومطعم النصر لم تكهم أسننه  
لم يفرز قوماً ولم ينهد (٢) الى بلدر  
لو لم يقدر جفلاً يوم الوغى لغدا  
رمى بك الله برجيها فهدمها  
من بعد ما أشبوها واتقين بها  
وقال ذو امرهم لا مرتع صدق  
امانياً سلبتهم نوح هاجبها  
إن الإلمين من بيض ومن سدر  
له المية بين السمر والقضب  
لله مرتقب في الله مرتقب (٣)  
يوماً ولا حجت عن روح محتجب (٤)  
الا تقدمه جيش من الرعب  
من نفسه وحدها في جفعل لب  
ولو رمى بك غير الله لم تصب  
والله فتاح باب المعقل الأشب  
للسارحين وليس الورد من كتب (٥)  
ظبي السيوف واطراف القنا السلب  
دلوا الحياتين من ماء ومن عشب

لما رأى الحرب رأي العين توفلس  
غدا يصرف بالاموال جريتها  
هيئات زعزت الارض الوقر به  
والحرب مشتتة المعنى من الحرب  
فعره البحر ذو التيار والحدب  
عن غزو محتسب لا غزور مكتسب (٦)

(١) غيلان هو الشاعر ذو الرمة ومية فئاته . وفي هذا البيت وما بعده يقول ان النصر اجمل لدينا من كل الجمال وان خراب المدينة الدالة على ظفرنا ابهى من كل منظر حسن  
(٢) وفي رواية مرتب (٣) الضمير راجع الى الخليفة المعتصم . وتكهم الاسنة اي تكل عن القطع (٤) ضد بمعنى خض او ارتفع  
(٥) في هذا البيت والبيتين التاليين يذكر ان الروم لما حصنوا المدينة وتحمأوا للحصار قال اولو الامر منهم لن يستطيع المسلمون حصرنا اذ ليس لهم خارجها مراتع ولا مياه . ولكن تلك الاماني كذبتها سيوفنا ورماحنا فكانا ( اي السيوف والرماح ) الوسيطين للوصول الى الماء والعشب  
(٦) يريد جذا البيت وما سبقه ان قائد الروم « تيوفيلوس » لما رأى شدة الحرب عليه اراد ان يحول مجراها عنه بارشاء الخليفة بالمال ولكن هيئات ذلك والخليفة انما يجارب حباً بالجهاد لا حباً بالمال

على الحصى وبه فقر الى الذهب  
يوم الكربة في الماوب لا السلب  
بسكتة خلفها الاحشاء في صحب  
من خفة الخوف لا من خفة الطرب  
اعمارهم قبل نضج التين والعنب<sup>(١)</sup>  
طابت ولو ضمخت بالمسك لم تطب  
حبي الرضى من رداهم ميت الغضب  
تجثوا الكفاة به صعراً على الركب  
وتحت عارضها من عارض شنب<sup>(٢)</sup>  
الى المخدرة العذراء من سب  
تهت من قضب تهت في كنب<sup>(٣)</sup>  
أحق بالبيض ابداناً من الحجب<sup>(٤)</sup>

لم ينفق الذهب المرني بكثرة  
ان الاسود اسود الغاب همتها  
ولى وقد ألجم الخطي منطقة  
موكلاً ييفاع الارض يشرفه  
تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت  
يا رباً حوباً<sup>(٥)</sup> لما اجتث دابرهم  
ومغضب رجعت بيض السوف به  
والحرب قائمة في مأزق لحج  
كم نيل تحت سناها من سنى قر  
كم كان في قطع اسباب الرقاب بها  
كم احزرت قضب الهندي مصلته  
بيض اذا انتضيت من حجبها رجعت

جرثومة الدين والاسلام والحسب  
تنال الاعلى جسر من التعب  
موصولة او ذمام غير منقضب  
وبين ايام بدر اقرب النسب<sup>(٦)</sup>  
صفر الوجوه وجلت أوجه العرب<sup>(٧)</sup>

خليفة الله جازى الله سعيك عن  
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها  
إن كان بين صروف الدهر من رحم  
فبين ايامك اللاتي نصرت بها  
أبقت بني الاصفر المراض كاسهم

- (١) يقصد جيش الروم وفيه اشارة الى ان منجمي الروم كانوا قد قالوا ان المدينة لا تؤخذ قبل الصيف ولكن المسلمين كذبوهم واخذوها قبل ذلك
- (٢) الحوباء النفس ، اي كم من نفس لم تكن تطيب بالمسك طابت الآن بفناء الاعداء
- (٣) يكتفى بسنى قر وبالعارض الشنب عن الحسان اللواتي سيومن . وبالغضب التي تحت في الكنب عن قامات اوائلك الحسان
- (٤) اي سيوف اذا سلئت من انماها كانت احق بان تحتفظ بالحسان من خدورهن
- (٥) اي اذا كان من قرابة بين الايام فيومك هذا اشدها قرابة بيوم بدر الذي انتصر فيه النبي على المشركين
- (٦) بنو الاصفر اي الروم

## وقال في ابي سعيد محمد بن يوسف الثوري

يذكر بعض وقائمه في الشمال

من سجايا الطلول ألا تجيبا فصواب من مقلتي أن تصوبا  
 فاسأئنها واجعل بكائك جواباً تجد الشوق سائلاً ومجيباً  
 قد عهدنا الرسوم وهي عكاظاً للصابا تردهيك حسناً وطيباً<sup>(١)</sup>  
 أكثر الارض زائراً ومزوراً وصعوداً من الهوى وصوبوا  
 وكعاباً كأنما ألبستها غفلات الشباب برداً قشياً  
 بين البين فقدها قلماً تع رف فقداً للشمس حتى تغيبا  
 لب الشيب بالمفارق بل جد فابكي تماضراً ولعوباً<sup>(٢)</sup>  
 خضبت خدّها الى لؤلؤ العقه دماً أن رأيت شواتي خضياً<sup>(٣)</sup>  
 كل داه يرجي الدواء له إلا الفظيعين ميتة ومشياً  
 يا نسيب الثغام ذنبك أبقى حسناتي عند الغواني ذنوباً<sup>(٤)</sup>  
 ولئن عين ما رأين لقد أنكرن مستنكراً وعين معيبا  
 او تصدعن عن قلبي لكفى بالشيب بيني وبينهن حسيبا  
 لو رأى الله ان للشيب خيراً جاورته الابرار في الخلد شيبا  
 كل يوم تبدي صروف الليالي خلقت من ابي سعيد عجبيا  
 طاب فيه المديح والتذ حتى فاق وصف الديار والتشيبيا  
 غربته العلى على كثرة الاهل فاضحي في الاقربين جنبيا  
 فليطل عمره فلو مات بزور مقيماً بها مات غريباً<sup>(٥)</sup>  
 سبق الدهر بالبلاد ولم يذ تظنر النابسات حتى تنوبا

(١) يريد جذاً البيت وما بعده ان هذه الرسوم قد كانت قبلاً سوق الصبا يرتادها العشاق من

كل جانب (٢) تماضر ولعوب فتاتان

(٣) اي بكت دماً اذ رأيت شعري خضباً لظهور الشيب فيه

(٤) الثغام نبات يبيض اذا يبس. ويريد بنسيب الثغام الشيب

(٥) مرو حاضرة خراسان وهي بلدة الممدوح (٦) اي سبق نوابه الدهر بكارمه

واذا ما الخطوب أعفته كانت راحتاهُ حوادثاً وخطوباً  
 وعِرُّ الدين بالجلالِ وليكنَّ وعور العدو صارت سهوباً  
 فدروب الاشرار تدعى فضاءً <sup>وهو الهمزة</sup> وفضاء الاسلام يدعى دروباً  
 قد رأوه وهو القريب بعيداً ورأوه وهو البعيد قريباً  
 سكن الكيد فيهم إن من أعظم إرب أن لا تسمى اربياً <sup>(١)</sup>  
 مكرهم عنده فصيح وان هم خاطبوا مكره رأوه جليلاً <sup>(٢)</sup>  
 ولهم القنسا الشوارع تمري من تلاع الطلي نجيعاً صيباً  
 في مكره للروع كنت اكيلاً للمنايا في ظله وشريباً  
 لقد انصت والشتاء له وجهه يراه الرجال جهماً قطوباً  
 طاعناً منحراً الشمال متيحاً لبلاد العدو موتاً جنوباً <sup>(٣)</sup>  
 في ليال تكاد تبقي بجد الشمس من ريحها البليل شحوباً  
 فقضرت الشتاء في اخذعيه ضربة غادرته قوداً ركوباً <sup>(٤)</sup>  
 لو اصخنا من بعدها لسمعنا لقلوب الايام منك وجيباً  
 غزوة متبع ولو كان رأي لم تفرّد به لكانت سلوباً <sup>(٥)</sup>  
 يوم فتح سقى سواد الضواحي كسب الموت رائباً وحليلاً  
 فاذا ما الايام اصبحن خرساً كظاً في الفخار قام خطيباً  
 كان داء الاشرار سيفك واشتدت شكاة الهدى فكنت طيباً  
 أنضرت أيكتي عطاياك حتى صار ساقاً عودي وكان قضياً  
 مطراً لي بالجاه والمال ما ألك إلا مستوهباً او وهوباً  
 باسأطاً بالندى سحائب كغف بندها أسمى جيب جيباً <sup>(٦)</sup>

الخربة  
 لغة الحمى  
 لصور حنقته

سلك لغة الخراب  
 وهي الهبة

- (١) ان كيد لم يظهر لهم . واعظم الدماء ان لا يعرف صاحبه به
- (٢) الجيب الغريب . ويريد بالبيت ان مكرهم ظاهر اما مكره فغير مفهوم لشدة دهائه . فشيء مكرهم بقصيح المنطق ومكره بمن لا يفهم كلامه
- (٣) اشارة انه غزا العدو ( في الشمال ) بجيش من الجنوب
- (٤) هنا جعل الشتاء كالجمل وقال ضربته فانقاد لك
- (٥) الغزوة المتبع التي تبها سواها والسلوب عكس ذلك
- (٦) حيب الاولى اسم الشاعر . اي صرت محبوباً محترماً



## وقال بمدح الفاسم ابا دلف العجمي

واصفاً جوده وحسن رايه في الحرب

على مثلها من اربع وملاعب  
اقول لقرحان من البين لم يضيف  
اعتني افرق شمل دمعي فاني  
وما صار يوم الدار عدلك كله  
وما بك اركابي من الرشد مركبا  
فكلني الى شوقي وسر يسر الهوى

أذبلت مصونات الدموع السواكب<sup>(١)</sup>  
رسيس الهوى بين الحشا والترائب<sup>(٢)</sup>  
ارى الشمل منهم ليس بالمتقارب  
عدوي حتى صار جهلك صاحبي<sup>(٣)</sup>  
الا انما حاولت رشد الركائب  
الى حرقاتي بالدموع السوارب

أميدان لهوي من اتاح لك اللي  
اصابتك ابكار الخطوب فشئت  
اذا العيس لاقت بي ابا دلف فقد  
هنالك تلقى المجد حيث تقطعت  
تكداد عطاياه يبحن جنونها  
اذا حرركته هزة المجد غيرت  
تكداد مغانيه تهش عراضها  
اذا ما غدا اغدى كريمة ماله  
يرى اقبح الاشياء اوبة آمل  
واحسن من نوره تفتحه الصبا

فاصبحت ميدان الصبا والجنائب  
هواي بابكار الظباء الكواعب  
تقطع ما بيني وبين النوايب  
تامة والجود مرخي الذوايب<sup>(٤)</sup>  
اذا لم يعوذها بنعمة طالب  
عطاياه اسماء الاماني الكواذب  
فتركب من شوق الى كل راكب  
هدياً ولو زفت لألام خاطب  
كسته يد المأمول حلة خائب  
بياض العطايا في سواد المطالب

(١) اي على مثل هذه الربوع فان الدموع فتسكب من المآقي

(٢) اقول لمن خلا قلبه من ألم البعد وحرقة الهوى في الصدر

في ذا اليوم . وقد مر تفسير هذا البيت والذي بعده في الكلام عن الشاعر راجع ص ١٦٢

(٣) يريد بتقطيع التأمم وارخاء الذوايب ان الجود والمجد قد نشأ وبلغا اشدما عنده

اذا أُلجئت يوماً لُجيمٌ وحوهيا  
 فان المنايا والصوارم والقنبا  
 جحافل لا يتركن ذا جبرية  
 يدئون من أيدٍ عواصم عواصم  
 اذا الخيلُ جابت قسطل الحرب صدعوا  
 اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها  
 فانتم بذني قارامات سيوفكم  
 محاسن من مجد متى تقرنوا بها  
 معال تمادت في العلو كائنا

وقد علم الافشين وهر الذي به  
 بانك لما استخذل النصر واكتسى  
 تجلته بالرأي حتى اريتُه  
 بأرشق اذ سالت عليهم غمامة  
 سالت لهم سيفين رأياً ومُنصلاً  
 وكنت متى تهنز خطب تغه  
 فذكرك في قلب الخليفة بعدها  
 فان تنس يذكرك، او يقل فيك حاسد  
 فانت لديه حاضر غير حاضر

يصان رداء الملك عن كل جاذب<sup>(١)</sup>  
 أهائي تسني في وجوه التجارب<sup>(٢)</sup>  
 به ملء عينيه مكان العواقب  
 جرت بالعوالي والعقاق الشواذب<sup>(٣)</sup>  
 وكل كنجم في الدُّجنته ناقب  
 ضرائب امضى من رفاق المضارب  
 خليفتك المقتنى باعلى المراتب  
 يُقل قوله او، تنأ دار يصاقب<sup>(٤)</sup>  
 بذكر وعنه غائب غير غائب

(١) في هذا البيت وما بعده يقول اذا ركبت قوم الممدوح (لجيم وبنو الحصن) لعل عظيم

فان المنايا والسيوف هي اثارهم التي تجارب حرجم

(٢) اشارة الى قوس حاجب بن زرارمة التي استرهنها ملك الفرس والى وفاء حاجب وما ناله من

الفخر بذلك. يقول اذا افتخرت تميم بجاجب فان سيوفكم في يوم ذي قار قد غلبت الفرس الذين

استرهنوا قوس حاجب

(٣) الافشين قائد تركي كبير كان المعتصم قد عقد له لواء الحرب ضد بابك

(٤) لما اخذ النصر واكتسى بما افسد عليه التجارب اي اظلمت في وجهه الامور

(٥) ارشق اسم مكان. وقوله سالت عليهم غمامة الخ معناه نحرهم الحرب بالرمح والخيول الكريمة

(٦) فبعملك هذا انت مذكور دائماً عند الخليفة، وبه تقرب منه ما ابتعدت وبجلك قول حسادك

اليك ارحنا عازب الشعر بعد ما  
غرائب لاقت في فنائك أنسها  
ولو كان يفنى الشعر افناه ما قرت  
ولكنه صوب العقول اذا أنجحت  
أقول لاصحابي هو القاسم الذي  
واني لارجو عاجلاً ان تردني  
تمهل في روض المعاني العجائب  
من المحمد فهي الان غير غرائب  
حياضك منه في العصور الذواهب  
سحائب منه أعقت بسحائب  
به شرح الجود التباس المذاهب  
مواهبه بجراً ترجى مواهبه

### وقال محمد عبد الله به طاهر

وكان قد قصده الى خراسان

أهن عوادي يوسف وصواجه  
اذا المرء لم تستخلص الحزم نفسه  
أعاذني ما اخشن الليل مركباً  
قربني واهوال الزمان أفانها  
لم تعلمي ان الزمام على السرى  
دعيني على اخلاقي الصم التي  
فان الحسام الهندواني إنما  
فعزماً فقدماً ادرك السؤل طابيه (١)  
فذرؤته للحادثات وغاربه  
واخشن منه في الملمات راكمه (٢)  
فاهواله العظمى تليها رغائبه  
اخو النجح عند الحادثات وصاحبه  
هي الوفور اوسرب ترن نواديه (٣)  
خشونته ما لم تقلل مضاربه (٤)

وقلقل ناس من خراسان جاشها  
وركب كاطراف الاسنة عرسوا  
لامر عليهم ان تم صدوره  
الى ملك لم يلق كلكل بأسه  
الى سالب الجبار بيضة ملكه  
سما لالمى من جانبيها كليهما  
فقلت اطمئني انضرو الروض عازبه  
على مثلها والليل تسطو غياجه (٥)  
وليس عليهم ان تم عواقبه  
على ملك الا وللذل جانبه  
وأمله غادر عليه فسالبه  
سمو عباب الماء جاشت غواربه

(١) و٣٠٣ و٣٠٤) راجع تفسير هذه الايات ص ١٦١

(٥) وركب كاطراف الرماح مضاء اقاموا ليلهم على نياق مثلها مضاء وعزماً

فنول حتى لم يجد من ينيله  
 وذو يقظات مستمر مريرها  
 فوائه لو لم يلبس الدهر فعلة  
 فيا ايها الساري أسر غير محاذر  
 فقد بث عباده خوف انتقامه  
 ويوم امام الموت دحض وقفته  
 جلت به وجه الخليفة والقنا  
 سقيت صداه والصفوح من الطلي  
 فلو نطقت حرب لقات محنة  
 ويا ايها الساعي ليدرك شأوه  
 فحسبك من نيل المراتب ان ترى  
 اذا ما امرو القى بربعك رحله \*  
 وحارب حتى لم يجد من يجاربه  
 اذا الخطب لاقاه اضمحلت نوابه<sup>(١)</sup>  
 لافسد الماء القراح معائبه  
 جنان ظلام او ردى انت هائبه  
 على الليل حتى ما تدب عقاربه  
 ولو خر فيه الدين لانها كائبه  
 قد اتست بين الضلوع مذاهبه  
 رواة نواحيه عذاب مشاربه<sup>(٢)</sup>  
 ألا هكذا فليكسب الحمد كاسبه  
 ترزح قصياً اسوء الظن كاذبه  
 علياً بان ليست تنال مناقبه  
 فقد طالبت بالنجاح مطالبه

### وقال بحدح محمد بن عبد الملك الزيات

ديمة سمحة القيادة سكوب مستغيث بها الثرى المكروب  
 لو سعت بقعة لإعظام نعمى لسمى نحوها المكان الجديب  
 لذ شؤبها وطاب فلو تستطيع قامت فعانقتها القلوب  
 فهي ماء يجري وماء يليه وعزالي تنشا واخرى تدوب<sup>(٣)</sup>  
 كشف الروض رأسه واستمر المحل منها كما استمر المريب<sup>(٤)</sup>  
 فاذا الرئي بعد محل وجرجا ن لديها يبرين او ملحوب<sup>(٥)</sup>

(١) مستمر مريرها اي مستمرة شدتها

(٢) اي سقيت القنا فاطقات عطشه والسيف من الرقاب قد عذبت مشاربه وسالت نواحيه .

(٣) وبرى والصفوح من الطلي رواة نواحيه

(٤) اي كان من جراء هذه الغامة الماطرة ان سالت المياه مجرى بعد مجرى . والعزالي مصاب مياه

المطر (٥) استمر اختفى . اي اختفى المحل كما يجتعب صاحب التهمة عن اعين النظر

(٥) اصبحت جرجان وهي في الخصب كانها كبيرين او ملحوب - وما محلان في بلاد العرب

مروفان بوفرة مياهها وشجرها

ايها الغيثُ حيّ اهلاً بقداءك وعند السرى وحين تؤوب<sup>(١)</sup>  
 لابي جعفر خلّاتك تحكيهنّ قد يشبه النجيب النجيب  
 انت فينا في ذا الاوان غريب وهو فينا في كل وقت غريب  
 ضاحك في نواب الدهر طلق وملوك يبكون حين تنوب  
 فاذا الخطب طال نال الندى والبذل منه ما لا تنال الخطوب  
 خلّاتك مشرق ورأي حسام ووداد عذب وريح جنوب  
 كل يوم له وكلّ اوان خلّاتك ضاحك ومال كتيب  
 ان تقاربهُ او تباعدهُ ما لم تأت خشاء فهو منك قريب  
 ما التقى وفرهُ ونائلهُ منذ كان الا ووفرهُ المغلوب  
 فهو مدن للجود وهو بغيض وهو مقص للمال وهو جيب<sup>(٢)</sup>  
 يأخذ المعتفين قسراً ولو كف دعاهم اليه وادب خصيب  
 غير أنّ الرامي المسدد يخطأ مع العلم انه سيصيب<sup>(٣)</sup>

### وقال في ابي سعيد محمد به يوسف

ذاكراً بعض وقائعه في حروب بابك

غدت تستجيرُ الدمع خوف نوى غد وعاد قتاداً عندها كل مرقد  
 وانقذها من غمرة الموت أنه صدود فراق لا صدود تعمد  
 فاجرى لها الاشفاق دمعاً مورداً من الدم يجري فوق خد مورداً  
 هي البدرُ يغميها تودد وجهها الى كل من لاقته وان لم تودد  
 ولكنني لم أحو وفرّاً مجتمعاً ففزت به إلا بشمل مبدد  
 ولم تعطني الايام يوماً مسكناً أذ به إلا بنوم مشرد

(١) ويروي حينها وهي بمنى اهلاً وسهلاً

(٢) يصف شدة كرمه ويقول فهو مدن للجود والجود بفيض من اصحاب المال وهو مقص

للمال والمال محبوب من الجميع

(٣) يجر المعتفين الى نواله مع علمه بانهم سيقصدونه يفعل ذلك احتياطاً كما يخطأ الرامي مع

علمه انه سيصيب

وطولُ مقامِ المرءِ في الحَيِّ مَخْلُقٌ  
فإني رأيتُ الشمسَ زِيدتْ مَحَبَّةً  
لديباجتِيهِ فاغْتَرِبَ تَتَجَدَّدُ  
إلى الناسِ أنْ لَيْستْ عليهم بِسَرْمِدِ

...

حلفتُ بربِّ البيضِ تدمي متونها  
لقد كَفَّ سيفُ الصامتيِّ مُحَمَّدٌ  
رمي اللهُ منه بابِكاً وولانهُ  
باصبَحٍ من صوبِ الغمامِ سَمَاحَةً  
وفي ارشِقِ الهيجاءِ والخيلُ تَرْتَمِي  
عططتْ على رِغَمِ العدى عزمِ بابِكِ  
فإن لم يكنْ وُلِّيَ بِشَاوِرٍ مَقْدَرٌ  
وقد كانتِ الأرماحُ أَبْصَرْنَ قلبه  
وموقانِ كانتِ دارُ هِجْرَتِهِ فَقَدِ  
حططتْ بِهَا يومَ العروبةِ عِزَّهُ  
رَأَىكَ سديدَ الرأْيِ والرْمَحِ في الوغَى  
وليسِ يَجْلِي الكَرْبِ رَمَحٌ مَسْدَدٌ  
فمرّاً مطيعاً للعواليِ مَعوِداً  
وكانَ هوَ الجَلَدُ القوي فسلبتهُ  
أفادتكَ فيها المرفهاتُ مكارماً

وليلةٌ أبليتِ النِّياتَ بلاءهُ  
فيا جولةً لا تَجِدِيهِ وقارهُ  
ويا ليلُ لو أُنِي مَكَانَكَ بعدها  
من الصبرِ في وقتِ من الصبرِ مُحَمَّدٌ<sup>(١)</sup>  
ويا سيفُ لا تكفُرْ ويا ظلمةُ أشهدي  
لما بُتُ في الدنيا بيومٍ مَسْهُدِ

...

(١) حلفت برب السيوف الدامية والغنا المتلوي او التكرس

(٢) اي لقد ثار محمد (المدوح) لمحمد بن حميد الطوسي الذي قتل قبلاً والصامتي لقب

(٣) شققت عزم بابك كما يشق الثوب المخطط

(٤) موقان اسم مكان كانت حصنه الحصين حتى دخلتها بالخيل

(٥) يوم العروبة اي يوم الجمعة. يقول انزلت عزه ذلك اليوم وكان بين هذين النجمين سمواً

(٦) مجد (ويروي خطأ مجحد) اي قليل الخير

وقائعُ أصلُ النصر فيها وفرعُه  
فمهما تكن من وقعت بعد لا تكن  
محاسن اصناف المعين جمة  
جلوت الدجى عن اذريجان بعدما  
وكانت وليس الصبح فيها بابيض  
رأى بابك منك التي طلعت له  
هزرت له سيفاً من الكيد انما  
يسر الذي يسطو به وهو مغمد  
تلافي جدك المجدين فاصبحوا  
اذا مارحى دارت ادرت سماحة  
اتيتك لم أفزع الى غير مفرع  
ومن يرج معروف البعيد فانما

اذا عدد الاحسان او لم يعدد  
سوى حسن مما فعلت مردد  
وما قصبات سبق الالمعد (١)  
تردت بلون كالغرامة اريد (٢)  
فامست وليس الليل فيها باسود  
بنحس ولدين الخفيف باسعد  
تجدد به الاعناق ما لم تجرد (٣)  
ويفضح من يسطو به غير مغمد  
ولم يبق مذخور ولم يبق مجتد  
رحى كل انجاز على كل موعد (٤)  
ولم أنشد الحاجات في غير منشد  
يدي عوت في الثابت على يدي

### وقال في المعصرم وبطشه بالافشين

وكان الافشين اولاً قائد جيشه ثم خرج عليه

الحق ابلج والسيوف عوار  
ملك غدا جار الخلافة منكم  
يا رب فتنه أمة قد بزها  
جالت بجيدر جولة المقدار  
كم نعمة لله كانت عنده  
كسيت سباب لومه فتضات  
موتورة طلب الاله بثأرها

خذار من اسد العرين حذار  
والله قد اوصى بحفظ الجار  
جبارها في طاعة الجبار  
فاحلة الطغيان دار يوار (٥)  
فكانها في غربة وإسار  
كتضاؤل الحسناء في الاطوار (٦)  
وكنى برب الثار مدرك ثار

(١) معبد اسم مغن مشهور

(٢) اذريجان مقاطعة في بلاد فارس

(٣) اي هزرت سيفاً من المكر. والمكر انما ينفع اذا لم يفتضح - يشير الى درايته وحسن سياسته

(٤) سماحة مفعول لاجله. اي اذا راحى الشدائد دارت ادرت من سماحتك رحى الوفاء والكرم

(٥) حيدر بن كاوس هو الافشين (٦) سباب اللوم اي اتوا به. والاطوار اكسية بالية

صادي امير المؤمنين بزبرج  
مكراً بني ركنيه إلا أنه  
حتى اذا ما الله شق ضميره  
وشحا لهذا الدين شفرته انثني  
ما كان لولا لخش غدره حيدر  
ما زال سر الكفر بين ضلوعه  
ناراً يساور جسمه من حرها  
طارت لها شعل يهدم لفتحها  
له من نار رأيت ضياها  
مشبوبة رفعت لاعظم مشرك  
صلى لها حياً وكان وقودها  
وكذاك اهل النار في الدنيا هم  
يا مشهداً صدرت بفرحته الى  
رمقوا أعالي جذعه فكأننا  
واستنشقوا منه قناراً نشره  
قد كان بوأه الخليفة جانباً  
فسقاه ماء الخفض غير مصرث  
فاذا ابن كافرة يسر بسرهم  
واذا تذكّره بكاه كما بكى  
دأت زخارفه الخليفة أنه

في طيه حمة الشجاع الضاري<sup>(١)</sup>  
وطد الاساس على شفير هار  
عن مستكن الكفر والاصرار  
والحق منه قاني الاظفار<sup>(٢)</sup>  
ليكون في الاسلام عام بخار<sup>(٣)</sup>  
حتى اصطلى سر الزناد الواري  
هب كما عصفرت شق إزار<sup>(٤)</sup>  
اركانه هدماً بغير غبار  
ضاق الفضاء به على النظار  
ما كان يرفع ضوءها للساير  
ميتاً ويدخلها مع الفجار<sup>(٥)</sup>  
يوم القيامة جل اهل النار  
امصارها القصى بنو الامصار  
وجدوا الهلال عشيّة الإفطار  
من عنبر ذفر ومسك داري<sup>(٦)</sup>  
من قلبه حرماً على الاقدار  
وانامه في الأمن غير غرار  
وجدأ كوجد فرزدق بنوار<sup>(٧)</sup>  
كعب زمان رثى أبا المنوار<sup>(٨)</sup>  
ما كل عود ناضر بنضار

(١) تظاهر بطاعة تحتها سم الحبة القتال

(٢) اي بعد ان اعد شفرة العذر للدين عاد الدين ففتك به

(٣) فجار من حروب الجاهلية سميت كذلك لانها كانت في الاشهر الحرم

(٤) هذا البيت وما قبله اشارة الى احراق الافشين وهو مصلوب

(٥) يشير الى ان الافشين كان مجوسياً يبعد النار

(٦) نسبة الى دارين بلدة في الشام معروفة بمطرها

(٧) الضمير في بسرهم يرجع الى المجوس ونوار امرأة الفرزدق طلقها ثم ندم ووجد لذلك

(٨) كعب القنوي شاعر قدم . يرثي اخاه ابا المنوار



يا قابضاً يد آل كاوس عادلاً  
 ألتق جيناً دامياً رملته  
 وأعلم بانك إنما تلقيهم  
 كادوا النبوة والهدى فتقطعت  
 جهلوا فلم يستكثروا من طاعة  
 فاشدُّ بهارون الخلافة إنه  
 بفتى بني العباس والقمر الذي  
 كرم الخوذة والعمومة مجّه  
 هو نوه يمن فيهم وسعادة  
 فاقع شياطين التفاق بهتدي  
 ليسير في الافاق سيرة رافعة  
 فالصين منظوم باندلس الى  
 واقد علمت بان ذلك معصم  
 فالارض دار افقرت ما لم يكن  
 سور القرآن الغر فيكم أنزلت

أتبع يميناً منهم يسار  
 بقفاً وصدرأ خائناً بضدار<sup>(١)</sup>  
 في بعض ما حفروا من الآبار  
 اعناقهم في ذلك المضار  
 معروفة بعبارة الاعمار  
 سكن لوحشتها ودار قرار<sup>(٢)</sup>  
 حفته انجم يعرب وتزار  
 سلفا قريش فيه والانصار  
 وسراج ليل فيهم ونهار  
 ترضى البرية هديه والباري  
 ويسوسها بسكينة ووقار  
 حيطان رومية فلك ذمار<sup>(٣)</sup>  
 ما كنت تتركه بغير سوار  
 من هاشم رب لتلك الدار  
 ولكم تصاغ محاسن الاشعار

## ومن مدائحه في المعتصم

أجل ايها الربع الذي خف آهله  
 وقفت واحشائي منازل للأسى  
 اسائلكم ما باله حكم البلي  
 دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة  
 بيوم يريك الموت في صورة النوى

لقد ادركت فيك النوى ما تحاوله  
 به وهو فقر قد تفت منازله  
 عليه والّا فاتركوني اسائله  
 فلبأه طل الدمع يجري ووابله  
 واخره من حمره واوائله

(١) في هذا البيت وما قبله يقول ايما الخليفة قد قبضت على ايدي آل كاوس بقتله فاقتل من

بقي منهم (٢) هارون هو الواثق بن المعتصم

(٣) يقصد بدمار اليمن . ويريد بما مر من الايات ان الواثق خير ولي للهدى فهو قد جمع  
 عرف الخوذة والعمومة وقرن في نفسه الهداية وحسن الراي

الى ان يقول

الى قطب الدنيا الذي لو بفضله  
 من البأس والمعروف والدين والتقوى  
 جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة  
 ولاذت بحقوقه الخلافة فالتقت  
 بعتصم بالله قد عصمت به  
 رعى الله فيه للرعية رافة  
 وقام فقام العدل في كل بلدة  
 ييمن ابي اسحق طالت يد الهدى  
 هو البحر من اي النواحي اتيته  
 تعود بسط الكف حتى لو أنه  
 ولو لم يكن في كفه غير روحه  
 إمام الهدى وابن الهدى اي فرحة  
 رجاؤك للباغي الغني عاجل الغني

مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله  
 عيال عليه رزقهن شمائله  
 اضاء لها من كوكب الحق آفله  
 على خدرها ارماحه ومناصله  
 عرى الدين والتفت عليه وسائله  
 ورحمته فيهم تفيض ونائله  
 خطيباً واضحى الملك قدسقى بازله<sup>(١)</sup>  
 وقامت قناة الملك واشتد كاهله<sup>(٢)</sup>  
 فلجته المعروف والجود ساحله  
 ثناها لقبض لم تطعه انامله  
 لجاد بها فليتنق الله سائله  
 تعجلها منك القريض وقائله  
 واول يوم من لقائك آجله

### مرثاة في محمد بن عبد الطوسي

وكان المرثي من كبار القادة وقد قتل في حرب بابك ٢١٤ هـ

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر  
 توقيت الآمال بعد محمد  
 وما كان إلا مال من قل ماله  
 وما كان يدري مجتدي جود كفه  
 ألا في سبيل الله من عطلت له  
 فليس لعين لم يفيض ماؤها عذر  
 واصبح في شغل عن السفر السفر  
 وذخراً لمن امسى وليس له ذخـر  
 اذا ما استهلته أنه خلق العصر  
 فحجاج سبيل الله وانثعر الثغر

(١) شق بازله اي طلع ناب جملة والكلام مجاز يراد به قد اكتمل

(٢) ابو اسحق كنية المعتصم . اشتد كاهله اي امتنع جانبه

فتى كلما فاضت عيون قبيلة  
فتى دهره شطران فيما ينوبه  
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة  
وما مات حتى مات مضرب سيفه  
وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه  
ونفس تعاف العار حتى كأنما  
فأثبت في مستنقع الموت رجله  
غدا غدوةً والحمد نسج رداه  
— تردى ثياب الموت حمراً فما دجى  
— كأن بني نبهان يوم وفاته  
— يعزّون عن ثاو تعزّى به العلى  
وأتى لهم صبر عليه وقد مضى  
فتى كان عذب الروح لا من غضاضة  
فتى سلبته الخيل هو حمى لها  
وقد كانت البيض المآثر في الوغى  
— أمن بعد طي الحادثات محمداً  
إذا شجرات العرف جذت أصولها  
— لأن أبغض الدهر الخؤون لفقده  
لئن غدرت في الروع أيامه به  
كذلك ما ننفك نفقده هالكاً  
سقى العيث غيثاً وارت الأرض شخصه

دما ضحكت عنه الاحاديث والذكر  
فني باسه شطر وفي جوده شطر  
تقوم مقام النصر ان فاته النصر  
من الضرب واعتلت عليه القنا السمير  
اليه الحفظ المر والحلق الوعر  
هو الكفر يوم الروع اودونه الكفر  
وقال لها من تحت أخمصك الحشر  
فلم ينصرف الا واكفانه الاجر  
ها الليل الا وهي من سندس خضر<sup>(١)</sup>  
نجوم سما خراً من بينها البدر  
ويبكي عليه البأس والجود والشعر  
الى الموت حتى استشهدا هو والصبر  
ولكن كبراً أن يقال به كبر  
وبزّته نار الحرب وهو لها جمر  
بوتر فهي الان من بعده بوتر<sup>(٢)</sup>  
يكون لاثواب الندى ابدأ نشر  
ففي اي فرع يوجد الورق النصر  
لهدي به بمن يحب له الدهر<sup>(٣)</sup>  
فما زالت الايام شيمتها الغدر  
يشار كنا في فقده البدو والحضر  
وان لم يكن فيه سحاب ولا قطر

(١) اي قتل في ساحة الجهاد فلبس بعد الموت الثياب الخضراء التي هي لباس اهل الجنة  
(٢) في هذا البيت وما قبله يقول قتل في الحرب وقد كان هو الذي يثيرها فاصبحت السيوف  
الفاطمة بعده مبتورة لا خير فيها  
(٣) اذا ابغض الدهر اليوم لفقده فقد كان يحمد سابقاً لكرمه وماثره

وكيف احتمالي للغيوث ضئمة  
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة  
ثوى في الثرى من كان يجابه الثرى  
عليك سلام الله وقفاً فاني  
باسقانها قبراً وفي لحده البحر<sup>(١)</sup>  
غداة ثوى الا اشتهدت انها قبر  
ويغمر صرف الدهر نائله الغمر  
رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال يرثي ادريس بن بدر السامي من ولد سامة بن لؤي

دموع اجابت داعي الحزن هَمَّعُ  
عفاه على الدنيا طويل فانها  
— تبدلت الأشياء حتى خلقتها  
— لها صيحة في كل روح ومهجة  
— أادريس ضاع المجد بعدك كله  
واصبحت الأحزان لا لمبرقة  
— وضل بك المرتاد من حيث يهتدي  
واضحت قريحات القلوب من الجوى  
عيون حفظن الليل فيك محرماً  
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً  
وقالت عزاء ليس للموت مدفع  
لادريس يوم ما تزال لذكره  
ولما نضى ثوب الحياة واوقعت  
غدا ليس يدري كيف يصنع معدم  
وماتت نفوس الغالبيين كلهم  
توصل منا عن قلوب تقطع  
تفرق من حيث ابتدئت تتجمع  
ستتني غروب الشمس من حيث تطلع  
ولست بشيء ما خلا القلب تسمع  
ورأي الذي يرجوه بعدك اضيع  
تسلم شزراً والمعاني تودع  
وضرت بك الأيام من حيث تنفع  
تقاظ ولكن المدامع تربع<sup>(٢)</sup>  
واعطينك الدمع الذي كان يمنع  
فاصبح يدعى حازماً حين يجزع  
فقلت ولا للحزن إذ بات مدفع  
دموعي وان سكنتها تتفرغ  
به نائبات الدهر ما يتوقع  
ذرى دمه من وجده كيف يصنع  
والأ فصبر الغالبيين اجمع<sup>(٣)</sup>

(١) يطلب من النيث (المطر) ان يسقي غيث الجود (المرثي) ثم يقول وكيف اطاب من المطر

ان يسقي قبراً فيه بحر الجود والعلی

(٢) تقاظ يشتد حرها وترجع الدموع تسيل كما نشاء

(٣) يريد بالغالبيين عشيرته اي ماتوا بموته او مات صبرهم اجمع

غدوا في زوايا نعمة وكاننا  
 ولم انس سعي الجود خلف سريره  
 وتكبيره خمساً عليه معالناً  
 وما كنت ادري يعلم الله قبلها  
 الم تك ترعانا من الدهر ان سطا  
 وتلبس اخلاقاً كراماً كأنها  
 وتبسط كفاً في الحقوق كأننا  
 وتربط جاشاً والكهامة قلوبها  
 الا إن في ظفر المنيّة مهجة  
 هي النفس ان تبك المكارم فقدّها  
 قريش قريش يوم مات مجبّع  
 باكسف بال يستقيم ويطلع  
 وان كان تكبير المصلين اربع  
 بأن الندى في اهله يتشع<sup>(١)</sup>  
 وتحفظ من اموالنا ما يضيع  
 على العرض من فرط الحصانة ادرع  
 اناملها في البأس والجود اذرع  
 ترزع خوفاً من قنا ترزع  
 تطل لها عين العلى وهي تدمع  
 فن بين احشاء المكارم ترزع



(١) في هذا البيت وما قبله يقول ان الجود سار خلف نشة كاسف الببال وكبّر عليه من شدة  
 وجده خمساً لا اربعاً كما يفعل المصلون . وما كنت ادري قبل ذلك ان الجود يتحزب لفريق من  
 اهله دون فريق



# البحثري

ابو عبادة الوليد بن عبيد الله

٥٢٠٥ - ٥٢٨٤ هـ

٨٢٢ - ٨٩٨ م

مصادر دراسته - توطئة تاريخية - نظرة في ديوانه

مزيمته الفنية - شعره الغزلي

## مصادر دراسة

بالتصنيف

الآغاني ج ١٨ ص ١٦٧ - ١٧٥

الموازنة بين أبي تمام والبحتري ( للآمدي )

الموشح للمرزباني ص ٣٣٠ - ٣٤٣

الفهرست ص ١٦٥

معجم الادباء لياقوت ج ٧ ص ٢٢٦ - ٢٣٢

وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٥٩ - ٢٦٥ ( تحت اسم الوليد )

مفتاح السعادة ص ج ١ - ١٩٣

ومتفرقات في مروج الذهب وتاريخ ابن عساكر والعمدة وغيرها .

وتجد سيرته في كل الكتب الحديثة التي تتناول الآداب العربية وتاريخها فذكر منها

دائرة المعارف الإسلامية

مجلة الضياء المجلد السادس ( ج ١ - ج ١٥ ) سلسلة مقالات ( لامين حداد )

شعراء الشام لمردم

اعلام النبلاء للطباخ ج ٤ ص ٦ - ١٤



## توطئة تاريخية

يؤخذ من دراسة المصادر التاريخية ان البحتري ولد في منبج بجوار حلب ، (وعلى رأي احدهم في قرية قريبة منها تدعى زردفنه) وهناك نشأ وقال الشعر . وتقع حياته الشعرية في ثلاثة اطوار -

( الاول ) طور نشأته الادبية ومعظمه كان في منبج ، على انه زار بعض المدن السورية كحلب وحمص والمعرّة . وفي حمص على ما يقال لقي ابا تمام واخذ عنه

( الثاني ) طور العراق - وهو طور شهرته وفيه اتصل بالخلفاء و كبار رجال الخلافة فمدحهم ونال جوائزهم . وهذا الطور عهدان عهد المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ثم عهد من تبعه من الخلفاء . وبين العهدين فترة اقام فيها في منبج

( الثالث ) طور الرجوع الى الوطن والاقامة فيه

فالبحتري نشأ في جوار حلب ، حتى اذا ادرك وخذق صناعة الشعر قصد العراق واتصل ببيلاط المتوكل ولازمة . ولما حدثت الفتنة التي قتل فيها المتوكل ووزيره الفتح وذلك ٢٤٧ هـ كره البقاء فعاد الى وطنه . ولكنه على ما يظهر لم يقيم هناك طويلاً ، نستنتج ذلك من قائمة ممدوحيه ومن قصائده فيهم . فعاد الى العراق والى سالف عهده من مدح الخلفاء والامراء هناك - ولاسيا المعتز - وبقي الى آخر حكم المعتد<sup>(١)</sup> ، ثم رجع الى سوريا واستقر في منبج حيث ادركته الوفاة وهو يناهز الثمانين

اتصل شاعرنا بسبعة من الخلفاء العباسيين وبعده وافر من رؤساء القوم فبلغ منزلة عالية ، ولم يكن مسرفاً فجمع مالا وفيراً . قال ابن رشيق « وكان البحتري ملياً فاض كسبه من الشعر وكان يركب في موكب من عبيده<sup>(٢)</sup> » . وفي شعره ما يشير الى انه كان ذا عقار واسع ، كقوله لاحد الرؤساء في امر ضيعة له - والظاهر ان بعضهم اعتدى عليها واعتصب غلتها فقال مستجيراً به -

(١) ومن مرثاته في غلامه قيصر يظهر انه كان لا يزال بعيداً عن وطنه وهو ابن ٦٦

(٢) العمدة ٢-١٥٠ - وفي ٦-١ يذكر انه كان له قهارة وكتاب

وقد غدت ضيعتي منوطة بحيث نيطت للناظر الزُّهره  
 اروم بالشعر ان تعود فما اقطع فيما ارومه سُعره  
 وفي بعض قصائده للمعتر يستأذنه في الذهاب الى الشام لينظر في املاكه قال  
 هل اطلعن على الشام مبعجلا في عزّ دولتك الجديد الموفق  
 فارمّ خلة ضيعة تصف اسمها والم ثم بصيبة لي دردق  
 شهران ان يسرت اذني فيها كفلا بالفة شملي المتفرق  
 ويذكر ابن خلكان انه كان يحتاج للترداد الى الوالي بسبب مصالح املاكه<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وفي ايام البحثري كانت الخلافة العباسية في حال انتقال من طور القوة الى طور الضعف،  
 وكان المتوكل حلقة الاتصال بين هذين الطورين . وقد شهد الشاعر ايام عزه وبأسه كما  
 شهد الفتنة عليه وما كان من مقتله واستبداد امراء الجند التركي بالذين جاءوا بعده  
 ومن الظواهر التاريخية التي تتجلى في شعره وشعر معاصريه ( كما سنرى في كلامنا عن  
 ابن الرومي ) اعتلاء العناصر الاعجمية في الدولة على العنصر العربي، حتى كان الشاعر ينوّم  
 بقضل الموالي كما قال البحثري من قصيدة للمعتر

يا من له اول العليا وآخرها ومن يجود يديه يُضرب المثل  
 اما الموالي جُند الله حملهم ان ينصروك فقد قاموا باحتملوا  
 بقاؤهم عصمة الدنيا وعزّهم ستر على بيضة الاسلام منسدل

ومن قوله في ذلك يصف ما قام به قادة المعتر من قهر الاعداء والقائمين عليه  
 سراة رجال من مواليك اكدوا عرى الدين احيانا وبشوا قوى الكفر  
 اذا فتحوا ارضا اعدوا لمثلها كئائب تفري في اعاديك ما تفري  
 فني الشرق إفلاح موسى ومفلح وفي العرب نصر يرتجي لابي نصر<sup>(٢)</sup>  
 واذا قابلت مدحويه ( من غير الخلفاء ) بمدحوي ابي تمام مثلا ترى ان الاخير كانت  
 مدائح في العرب تفوق مدائح في سواهم ، اما البحثري فعلى خلاف ذلك . وانك لتتثبت

(١) وفيات الاعيان ٢-٢٦٤

(٢) موسى ومفلح وابو نصر من قادة الاتراك

ذلك من مراجعة القائمة التالية ودرس رجالها واحداً واحداً . وقد اغفلنا فيها ذكر من لم تبلغ مدائحه القصيدتين، وجمعنا افراد الاسرة الواحدة تحت اسم واحد كآل سهل وآل المدبر وسواهم . ومع ذكرنا للخلفاء لم ندخلهم في هذه الموازنة العنصرية

## الخلفاء

المتوكل	٣٥	قصيدة
المعتز	٣٠	="
المعتمد	٥	قوائد
المهتدي	٤	="
المستعين	٤	="
	<hr/>	
	٧٨	

## من كبار العرب

ابو سعيد محمد بن يوسف الثغري وآله	٢٣	(طي)	من كبار القادة
آل حميد الطوسي	١٨	نبهان (طي)	" " "
احمد بن محمد الطائي	٧	طي	
ابو صالح بن عمار	٥		
محمد بن القمي	٥	طلحة	
الحضر بن احمد	٥		
ابو نوح عيسى بن ابراهيم	٤		
ابو الحسن الهاشمي	٤	هاشم	
علي بن مر	٤	طي	
مالك بن طوق	٢	تغلب امير عرب الشام	
محمد بن بدر	٢	من بني سعد على ان اخواله	
		من الموالي	

ومن كبار المدوحين الذي لم نثبتهم في احدى القائمتين اسماعيل بن بلبل ٢٠ قصيدة . ونسبه في شيبان ولكن صاحب الفخري (١٨٧) يقول ان في نسبه ريباً . واسحق بن ابراهيم المصعبي ٢ نائب بغداد وابن عم طاهر بن الحسين

## من كبار الموالى

( من الاتراك )	وزير المتوكل	٢٦	الفتح بن خاقان وآله
( من الفرس ) <sup>(١)</sup>	وزير المعتمد	٢٦	الحسن بن مخلد وآله
( من الفرس ) <sup>(٢)</sup>	من رجال الدولة اديباً وادارةً	١٥	ابراهيم بن المدبر
◊	وزراء	١٢	آل سهل
( من الاتراك )	من وزراء المتوكل	٩	علي وعبدالله بن يحيى بن خاقان
( من الفرس )	وزير المستعين	٨	ابو صالح بن يزداد
◊	من اعيان الامراء	٧	آل طاهر
( <sup>(٣)</sup> )	من الاعيان	٦	ابو العباس بن بسطام
◊	من امراء الفرس	٥	الشاه من ميكال
◊	من الوجهاء والرؤساء	٤	علي بن الفياض
	وزير وكاتب <sup>(٤)</sup>	٤	احمد بن ثوابه
	من امراء الترك	٤	وصيف وآله
	من الاتراك وهو الذي رد المعتمد الى سامرا	٣	اسحق بن كنداج
	وسمي ذا السيفين <sup>(٥)</sup>		
	من اعيان القادة	٣	اسماعيل بن نوبخت
	من روساء الفرس <sup>(٦)</sup>	٣	آل دينار
		١٣٥	

\* \* \*

وكان البحتري كأكثر شعراء عصره مولعاً بالحر . وفي الابيات التالية التي كتبها الى المبرد ( اللغوي المشهور صاحب الكامل ) ما يدل على شيء من احواله ونسق معيشته .  
قال

(١) راجع ديوان البحتري (عطيه) ٥٧٩-٥٨٢ و ٣٢٥ و ٣٢٢ و ٢٧٢ و ٥٤٩ و ٣١٨

(٢) الديوان ٥٨٠ و ٥٩٥ و ٥٩٩ وفي معجم الادباء انه كان يدعي انه من ضيه

(٣) ديوان الفسطنطينية ١-١٢٨ و عطيه ٦٠٦

(٤) في معجم الادباء ان اصلهم نصارى (٥) راجع الطبري في اخبار ٢٦٩

(٦) ديوان البحتري (عطيه) ٤٠٠ و ٤٠٤

يوم سبت . وعندنا . ما كفى الحراً طعاماً والورد منا قريب  
ولنا مجلس على النهر فيأح فسيح تراح فيه القلوب  
ودوام المدام يدنيك ممن كنت تهوى وان جفاك الحبيب  
فأأتنا يا محمد بن يزيد في استناركي لا يراك الرقيب  
نطرد لهم باصطباح ثلاث مترعات تنفي بين الكروب  
ان في الزاح راحة من جوى الحب وقلبي الى الاديب طروب  
لا يرعك المشيب مني فاني ما تناني عن التصابي المشيب

وفي ديوانه مواطن كثيرة يذكر فيها ولعه بالبحر واللهو تقتصر منها على ما يلي، وفيه  
يقترّب من روح ابي نولس

كل ماضٍ انساه غير ليالٍ ماضيات لنا ببارا وبنّا<sup>(١)</sup>  
مغرم بالمدام اترع كاساً ساطعاً ضوّها وانسف دنا  
حيث لا ارب الزمان ولا التي الى العاذل المكثّر اذا  
يزعم البرّ في التشدد والاسمح اولى بان يبرّ ويُدني

...

اما مذهبه السياسي فمن الطبيعي ان يكون عباسياً . وقد توهم الاستاذ مرغوليوت  
في الابيات التالية

يا ضيعة الدنيا وضيعة اهلها والمسلمين وضيعة الاسلام  
هذا ابن يوسف في يدي اعدائه يجزى على الايام بالايام  
نامت بنو العباس عنه ولم تكن عنه امية لو رعت بنيام

ان الشاعر يتبنى رجوع بني امية<sup>(٢)</sup> . والحقيقة ان هذه الابيات قيلت وقد سلّم محمد بن  
يوسف الثغري لكاتب نصراني وأمر بتعذيبه، فشق على الشاعر ان يرى مسلماً كبيراً تحت  
يد كاتب نصراني، وقال هذه الابيات بدافع الغيرة محاولاً ان يستفز شعور القوم لتخليص  
الرجل ، وليس في هذه الابيات ادنى صبغة سياسية .

(٣) راجع مقاله في دائرة المعارف الاسلامية

(١) بارا وبنّا مكانان

## شعره في ديوانه

اجمع نقدة الشعر القدماء على وصف البحري بسلاسة العبارة وحسن الديباجة واليك  
آراء بعض من كبار الاقدمين فيه -

قال الثعالبي « يضرب به المثل لان الاجماع واقع على انه في الشعر اطبع المحدثين  
والمولدين وان كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفضاحة والسلاسة . ويقال ان شعره كتابة  
معقودة بالقوافي<sup>(١)</sup> . وقال ابن رشيق « واما البحري فكان املح صنعة ( من ابي تمام )  
واحسن مذهباً في الكلام ، يسلم فيه دماثة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ  
لا يظهر عليه كافة ولا مشقة<sup>(٢)</sup> . ووصفه ابن الاثير بقوله « فان مكانه من الشعراء لا  
يجهل . وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريباً وضوؤها بعيداً مكانها ، وكالقناة  
ليتاً مسها خشنا سنانيا . وهو على الحقيقة قبينة الشعراء في الاطراب ، وعنقاؤهم في الاغراب<sup>(٣)</sup> .  
ويصف الفاظه في موضع آخر فيقول

« وترى الفاظ البحري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات ، وقد تحآين باصناف  
الخلي<sup>(٤)</sup> »

ومن اقوال الامدي في الصفحتين الاولين من الموازنة « البحري اعراي الشعر مطبوع ،  
وعلى مذهب الاوائل ، ما فارق عمود الشعر المعروف . وكان يتجنب التعقيد ومستكره  
الالفاظ ووحشي الكلام<sup>(٥)</sup> . . الى ان يقول « فان كنت ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ،  
ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ فالبحري اشعر » . وعلى هذا يفسرون ما  
يروونه عن ابي العلاء « المتنبي وابو تمام حكيان والشاعر البحري » . ويذكره الباقلاني في  
« اعجازة » ويذكر تفضيله له بديباجة شعره على ابن الرومي وسواه ، وتقدمه بحسن عبارته  
وسلاسة كلامه وعذوبة الفاظه وقلة تعقّد قوله<sup>(٥)</sup>

ولا نكير ان الذي يرجع الى ديوانه فيدرسه يجد هذه الصفات العامة فيه . على انه  
لا يمتاز في ذلك عن بعض كبار الشعراء في العصر العباسي ، كابي نواس وابي العتاهية ومسلم  
وعباس بن الاحنف واضرايهم ، ممن اطاعتهم الالفاظ وسلسل لهم المعاني . والذي ترجحه

(٢) العمدة ١ - ٨٥

(١) ثمار القلوب ١٧٩

(٥) المثل السائر ١٠٦

(٣) المثل السائر ٤٢٠

(٥) اعجاز القرآن ١١٣

ان البحتري لم يوصف بما ذكرناه له الا لمقابلته بالشاعرين الكبيرين ابي تمام والمنتبي . وذلك  
 بلا في شعره عموماً بالنسبة اليهما من السهولة والدمائة . فبينما هما يفوقانه بالغوص على المعاني  
 وسداد الحكمة تراه يفوقهما في صوغ الالفاظ وطلاوة السبك . واذا لم تجد في شعره ذلك  
 الاغراب الذي في شعر ابي تمام او تلك الفخامة التي عرف بها المنتبي ، تجد فيه رشاقة وصف  
 ودمائة اسلوب لا تجدهما عادة في شعريهما

اما ديوانه فلا يختلف من حيث مواضعه عن اكثر الدواوين الشعرية في زمانه . فهو  
 كسواه من الشعراء ، قد صرف ادبه في الترف الى رجال الدولة العباسية ، ولذلك كان جل  
 شعره المديح . وليست طريقته غير الطريقة التي درج عليها الجمهور من مطلع غزلي يتخلص  
 منه الشاعر الى الممدوح ، فيصف اعماله ويمدح اخلاقه ومكارمه ويفتن في ذلك ما شاء . فنه  
 وادبه . وسنرى ذلك في مختاراته

وليس البحتري من المشهورين في الرثاء وان يكن له فيه ما يستطاب كمرثاته في ظاهر  
 بن عبدالله بن الحسين التي مطلعها

عذيري من صرف الليالي القوادِر ووقع رزايا كالسيوف البواتر

ومرثاته في المتوكل يوم قتله الاتراك ، وقد وصفها ابو العباس ثعلب بقوله « ما قيلت  
 هاشمية احسن منها ، وقد صرح بها تصريح من اذهلته المصائب عن تحوف العواقب »<sup>(١)</sup> .  
 فقال فيها يصف شعوره بعد مقتل الخليفة ويشير الى ان ابنه المنتصر كان من المتأمرين عليه

صريع تقاضاه السيوف حشاشة يجود بها والموت حمر اظافره  
 حرام علي الزاح بعدك او ارى دما بدم يجري على الارض مائه  
 وهل يرتجى ان يطلب الدم طالب مدى الدهر والموتور بالدم واتره  
 فلا ملبى الباقي تراث الذي مضى ولا حملت ذاك الدعاء منابره  
 ولا وال المشكوك فيه ولا نجا من السيف ناضي السيف غدراً وشاهره

ومن مرثيه التي قد تذكر له مرثاته في سليمان بن وهب ومطلعها  
 أخيَّ نهنه دمعك المسفوكا ان الحوادث ينصرمن وشيكا  
 ما اذكرتك بترح صرف الجوى الا ثنته بفرح ينسيكا

على انها ليست من الطبقة الاولى في هذا الباب وليس للبحري فيه ما لصاحبيه ابي تمام  
 والمتنبي . ولقد تراه احيانا يسف الى درجة الغثاة كقوله لابي نهشل محمد بن حميد الطوسي .  
 يحاول ان يعزبه عن فقد ابنته، فيذكر له انها غير جديرة بالبكاء لانها فتاة ، وطالما كانت  
 الفتيات سبباً في الشقاء ، ويضرب له على ذلك الامثال السمجة ومنها

قد ولدن الاعداء قدماً وورثن البلاد الاقاصي البعداء  
 لم يند كثرهن قيس تميم غيلة بل حمية وابة  
 واستزل الشيطان آدم في الجنة لما اغرى به حواء  
 ولعمري ما العجز عندي الا ان تبيت الرجال تبكي النساء

واكثر القصيدة في هذه المعاني التي تدل على الخطاط المرأة يومئذ في نظر الرجل . ومثلهما  
 في الغثاة ابيات يعزى فيها موسى بن عبد الملك عن ابنة له . قال

ابا حسن ان حسن العزاء عند المصيات والناثبات  
 يضاعف فيه الاله الثواب للصابرين والصابرات  
 ومن نعم الله لا شك فيه حياة البنين وموت البنات

...

اما العتاب فله فيه يد طولى . ويرى ابن رشيق انه احسن الناس طريفاً في عتاب  
 الاشراف ويأتيه بشيخ الصناعة الشعرية وسيد الجماعة<sup>(١)</sup> . وقد اصاب ابن رشيق في عتابه  
 نعومة حريرية قلما تجدها في سواه . ومن امثلة ذلك قصيدة يعتذر فيها الى يعقوب بن احمد  
 بن صالح . وهي تبدأ كالعادة بالغزل ، ثم ينتقل من ذلك الى نفسه وذكر اخلاقه ومن هنا  
 يتقدم الى المعتذر اليه فيقول بنعمة مغربة

ندمت على امر مضى لم يُشر به نصيح ولم يجمع قواه نظام  
 وقد خبروا ان الندامة توبة يصلى لها ان تقتنى ويصام



وان جحودي سوء ظن بمنعم وعدي معاذيري عليه خصام  
 يجرح اقوال الوشاة فريصتي واكثر اقوال الوشاة سهام  
 ولما نبت بي الارض عدت اليكم امتُ بجبل الودّ وهو رمام  
 وما كل ما بلّغتم صدق قائل وفي البعض ازراءه عليّ وذام  
 ولا عذر الا ان بدء اساءة له من زيادات الوشاة تمام

وهذه النعموة لا تفارقه حتى عند معاتبته من اساء اليه ، كالايات التالية من قصيدة  
 يخاطب فيها ابا عبدالله بن حمدون ويعاتبه على محاولته ان يثير كراهة الخليفة له -

هل ابن حمدون مردود الى كرم عهده مرة عند ابن حمدون  
 اخ شكرت له نعمي اخي ثقة زكت لدي ومثاً غير ممنون  
 طاف الوشاة به بعدي وغيره معاشر كلهم بالسوء يعنيني  
 اصبحت ارفعه حمداً ويخفضني ذمّاً وامدحه طوراً ويهجوني  
 تدعو الامام الى شتمى ومنقصتي بنس الجباء على مدحيك تجبوني  
 اين الوداد الذي قد كنت تمنحني او الصفاء الذي قد كنت تصفوني  
 ان كان ذنب فاهل الصفع انت وان لم آت ذنبا فقيم اللوم يعروني

ومن بديع العتاب قوله للحسن بن وهب من قصيدة وقد جفاه الحسن واعرض عنه .

هل تصفين لآخ يقول بحاله مستعبا اذ لم يقل بلسانه  
 ما كان غرواً ان يضيع ذمامه لو لم تكن في عصره وزمانه  
 هذا وانت الحجّة العليا في اكرامه من وافد وهوانه  
 ومتى رآك الناس تحرمه اقتدوا بك غير مرتابين في حرمانه  
 فتكون اول مانع من نفسه ما أمل العافي ومن جيرانه  
 والارض تبذل في الربيع نباتها وكذلك بذل الحرّ في سلطانه  
 واعلم بان الغيث ليس بنافع للناس ما لم يأت في ابّانه

وفي ديوانه كثير من هذه الطرائف العتائية .

وله في الفخر بضاعة جيدة . على ان اهم فخره هو في مكارم قومه يعدد مناقبهم

ويذكر شرف اليمن وعزّها مقابلاً ذلك بخشونة عرب الشمال وسوء حالهم . وافضل ما له في ذلك دالية مطلقها

انا العيُّ ان يكون رشيدا فانقصا من كلامه او فزيديا

وهي طويلة تجد اكثرها في باب المختار من شعره . ومن قوله فيها

معشر امسكت حلومهم الارض وكادت من عزها ان تميدا

تزلوا كاهل الحجاز فاضحي لهم ساكنوه طراً عبيدا

ملكوا الارض قبل ان تملك الارض وقادوا في جانتها الجنودا

فهم قوم تبع خير قوم لهم الله بالفخار شهيدا

ومن بين ابياتها يلمح الى ما كان في الصدر من كرامن العصبية التي جعلت اليمنية والمضرية حزبين متعاديين ، والتي كان لها في تاريخ العرب تأثير شديد .

ومن امثلة خفره قوله في معاتبة قوم من اهل بلده

ومعيري بالدهر يعلم في غدر ان الحصاد وراء كل نبات

ابني اني قد نضوت بطالتي فتجسرت وصحوت من سكراتي

نظرت الي الاربعون فاصرخت شيبى وهزت للحنو قناتي

ومن الاقارب من يسر بييتي سفهاً وعز حياتهم بجياتي

ان ابق او اهلك فقد نلت التي ملأت صدور اقاربي وعداتي

ثم يذكر فضله وسودد آبائه واجداده وما أثرهم في منبج وتقديمهم هناك على سائر الناس .

واقبل بضاعة البحرّي في ديوانه الهجاء . وهنا يختلف صاحب الاغاني عن المرزباني . فالاول يقص علينا سبباً لذلك القصة التالية<sup>(١)</sup> نقلاً عن الاخفش عن ابي العوث (ابن البحرّي) : ان الشاعر لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال له اجمع كل شي . قلته في الهجاء . ففعل . فامرته باحراقه ثم قال له يا بني هذا شي . قلته في وقت فشفيت به غيظي ، وكافأت به قبيحاً فعل بي . وقد انقضى اربي في ذلك ، وان بقي روي . وللناس اعقاب يورثونهم العداوة والمودة واخشى ان يعود عليك من هذا شي . في نفسك او معاشك لا فائدة لك فيه . قال فعلت

انه نصحني واشفق علي فأحرقته . ويعتَب علي ذلك الاصفهاني بان « اكثر هجائه ساقط  
وركبك لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه ، ولا يعرف له هجاء جيد الا قصيدتين احدهما في  
ابن ابي قاس والثانية في يعقوب بن الفرج » .

ولا نعلم مبلغ هذه القصة من الصحة ، ولكن الذي نعلمه ان الشاعر ترك لنا شيئاً  
من هجائه وما تركه يجوز لنا القول انه لم يكن فيه ميل ابن الرومي ودعبل واضرابهما  
الى الهجاء ، بل كان على ما يظهر يتجنبه ما امكن . وانك لتلمح ذلك مما رواه ابن رشيق  
قال « هجا ابن الرومي البحتري - وابن الرومي من علمت - فاهدى اليه ( البحتري )  
تحت متاع وكيس دراهم ، وكتب اليه بيتين ليريه ان الهدية ليست تقية ولكن رافة عليه  
وانه لم يحمله على ما فعل الآالفقر والحسد المفرط<sup>(١)</sup> .

واما المرزباني فينسب الى البحتري سوء العهد وخبث الطريقة في الهجاء . قال<sup>(٢)</sup>  
« وكثير من اهل الادب ينكر خبث لسان علي بن العباس الرومي ويضربون عن اضافة  
البحتري اليه والحاقه به ، مع احسان ابن الرومي في اساءته ، وقصور البحتري عن مداه  
فيه ، وانه لم يبلغ في دقة معانيه وجودة الفاظه وبدائع اختراعاته ، اعني الهجاء خاصة »  
ثم يذكر قلة وفائه لانه هجا نحواً من اربعين رئيساً ممن مدحهم ، منهم خليفتان  
ومهما قلنا في مذهبه الهجائي فهو ولا شك ضئيل في ديوانه . ولا يتنع ذلك ان يكون  
الشاعر قد استعمل الهجاء لبعض ماآربه من مقارعة شاعر او الانتقام من كبير ، ولكن هذا  
الضرب من الشعر لم يشتهر به ، والذي وصل الينا منه لا يدل على علو كعب الشاعر فيه .

### مزرية الفيه

على ان الناظر في شعر البحتري المدقق في فهم شاعريته يرى له مزية جدية بالذكر ،  
هي رشاقة الوصف الذي طبع بها شعره فعرف بها وجعلت له بين الشعراء مقاماً عالياً . وقبل  
النظر في فن شاعرنا الوصفي نقول ان الوصف نوعان ، حسي وخيالي . ولتوضح الفرق بينهما  
بعض الامثلة -

تقف الى نهر في واد كبير وترى تدفق المياه بين تلك الشواهد العظيمة فتأخذك روعة

ذلك المنظر ، وتستفزُّ فيك الميل ان كنت شاعراً الى وصف ما تراه من جمال وجلال .  
 فاذا انت تصف أسناد الوادي وما عليها من الاشجار والكروم ، وتصف تلك الصخور  
 القائمة وانقضاء المياه من بينها ، وقد ترسم ما يتراى لك في ذلك الوادي من الوان تلقيا  
 عليه ظلال المساء او اشعة الفجر ، وربما تعديت ذلك الى ما تراه من حيوان هناك - بقرأً  
 وابضاً تحت الشجر ، او غناً يرعى في المروج ، او ماعزاً منتشراً فوق المنحدرات . ولعلك  
 ترى الفلاح يحرث الحقل ، او تنظر الى السماء من اعماق الوادي فتري « قطعان الغيم يسوقها  
 راعي الريح » ، او قوافل الضباب تنيخ فوق قمم الهضاب . يؤثر كل ذلك فيك ، فترسمه  
 باشكال خلابة تستفز في القارى . عواطف الطرب ، وتحبب اليه رؤية ذلك الجمال - كما  
 فعل المنازي في وصف واد ظليل اذ قال

زلنا دوحة خفا علينا حنو المرضعات على العظيم  
 وارشفنا على ظلاً زلالاً الذئ من المدامة للنديم  
 تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

هذا هو الوصف الحسي الذي يتناول المحسوسات فيصورها بصور رائعة ، وهو عين ما  
 يفعله الرسام الماهر الذي يقتنص بريشته جمال الطبيعة ويجسمها بالالوان على الورق ، فتبدو  
 فتانة تميل اليها النفوس الحساسة ، ويتفانى في اقتنائها اهل الذوق والخبرة

...

وكذلك انت تفعل اذا وقفت مثلاً امام البحر العظيم ورأيت امواجه المتلاطمة وهي  
 تتكسر مزبدة فوق الصخور ، او رأيت في يوم رائق وهو رهو مستنيم وقد انتشرت فوقه  
 قوارب الصيادين والقت ظلالها فوق سطح الماء ، وخرج الناس مساءً يتزهون على رمال  
 الشاطئ . وفي وسط البحر باخرة عظيمة تشق الماء بجيئزومها ويعقد البخار سرادقاً فوق  
 مداخنها ، فتمر امامك محاذية للتلال المنحدرة نحو البحر ، وترى من ورائها القرى الجبلية  
 تتغامز عيونها عند غروب الشمس .

ولو وقفت اليوم تنظر الى معركة التحمت فيها الابطال بالابطال ، وقد برقت الاسنة  
 والسيوف ، وسالت الدماء من بين الصفوف ، او الى حرب بين الخنادق وقد قصفت المدافع  
 فتساقطت قذائفها على الصعيد تنسف التراب والضخور ، وتطارت شظاياها تفتك بالملات  
 والالوف ، ثم ظهرت سحائب الغاز القتال تتقدم نحو مكامن العدو ، وتبع ذلك هجوم

عام. والطيّارات تحوم فتترشق العدوّ بالمتفجرات الجهنمية ، ثم لا تلبث ان ترى سرباً معادياً فتتهزم امامه او تصمد له في لوح الجوّ، وهناك الهول الكبير . مناظر هائلة يأخذها الشاعر فيرسمها كما يراها فتتحرك النفوس وتلعب بالعواطف . وقس على ما ذكرنا من الاوصاف وصف المدن والآثار والقصور والجنائن والصيد والحيوان والانسان وغير ذلك مما يقع تحت حسيك ويؤثر في نفسك ، فتبرزه في حلة قشبية تحرك في سواك اوتار الطرب . وقد اجاد العرب في هذا الفن من الوصف الحسي فانصرف الاقدمون منهم الى ما له علاقة بجياتهم البدوية كالجمل والصحراء والسيف وآثار الجليب الراحل وشكله وما الى ذلك ، وبالغوا في بعضها مبالغة عظيمة كما فعل طرفة في وصف ناقته . وامثال طرفة كثيرون بين الشعراء الاقدمين . وجاء العصر العباسي فتحول الوصف الى الرياض والقصور ومجالس اللهو والسرور، والهولكين في ذلك بدائع لا يتسع المقام لذكرها هنا .

...

اما الوصف الخيالي فنظر فني الى ما وراء المحسوسات . فاذا كان الشاعر واسع الخيال لا يقف عند ما يراه ، بل يتعداه الى مناطق يفتحتها امامه الخيال الواسع ، فيجعل المرئيات اساساً لغير المرئيات ، ويؤكد من المحسوسات صوراً مجردة يرسمها للبشر تأملات وذكريات : يقف في قلب الوادي مثلاً فيسمع فيه نبضات الحياة ، وتقر امامه على صفحات الماء . حوادث الايام ، فيذكر الامم الغابرة والوقائع الماضية . وقد يحمله ذلك الى النظر في الحياة والانسان ، وكل تنوع الحياة والانسان لخواطر يشعر بها لرؤيته بعض المشاهد الطبيعية . فالوصف الخيالي هو وصف تترك من النظر الحسي وما يثيره فيك من وحي داخلي . قف امام البحر تتجسم لك عظمة الكون وجلال الطبيعة ، وقد يملك المنظر الى ذكر الاسفار والهجرة في طلب العلي . ولعلك تذكر الامم التي كانت على شواطئ هذا البحر ، وكيف عظمت ثم سقطت ، وعلاقة ذلك بالبلاد التي انت فيها .

وفي الحرب مجال واسع للخيال ، هناك علاقة الانسان بالانسان وما يتفرّع عنها من عوامل اساسية في بناء العمران . ومثله اذا وقفت امام الآثار كعبلبك وتدمر ، او امام الانهار التاريخية كالدجلة والفرات والنيل ، او امام تماثيل العظام . ومآثر العلماء . فانت في كل ذلك تستخدم الحس توصلًا الى صور الخيال البعيدة ، وهذا هو الوصف الخيالي العالي الذي تلتكأ الشعر العربي قديماً عن الاهتمام به ، فلم يترك لنا السلف من آثارهم فيه الا النثر اليسير

وشاعرنا البحتري وَصَافٍ مَاهِرٍ . وهو كسواه من شعراء العرب اميل الى الوصف  
الْحَسِيِّ : يتناول المحسوسات فيصدق في رسمها ، كقوله في دمشق يوم انتقل اليها المتوكل -

اما دمشق فقد ابدت محاسنها      وقد وفي مطربها بما وعدا  
اذا اردت ملاء العين من بلد      مستحسن وزمان يشبه البلدا  
يمسي السحاب على اجبالها فرقاً      ويصبح الثبت في صحرائها بددا  
فليس تبصر الا واكفاً خضلاً      او يانعاً خضراً او طائراً غردا  
كأنما القيط ولى بعد جبينه      او الربيع دنا من بعد ما بعدا

على ان له احياناً ما يقرب ان يكون نظراً خيالياً . اهـه وقفته امام ايوان كسرى  
ففيها يقف الشاعر لدى قصور الفرس الدارسة يصفها وصفاً حسياً رائعاً ، ثم يحاول الانتقال الى  
المعنويات - الى تاريخهم وعظمتهم ، ولكنه لا يكاد يفعل ذلك الا اماماً . وهذه القصيدة  
من عيون الشعر العربي تقع في ٥٦ بيتاً ، عشرة منها في ذكر حاله وشكوى دهره ، وستة  
في السبب التاريخي لهذه الوقفة ، ثم خمسة او ستة في ذكر عظمة الفرس ، وستة في احوال  
خاصة . وما بقي فوصف للايوان وقد تغنن فيه الشاعر ما شاء . واليك شيئاً منها : قال في  
صورة معركة رسمت على احد جدران القصر

لو تراه علمت ان الليالي      جعلت فيه مائتاً بعد عرس  
وهو ينيبك عن عجائب قوم      لا يشاب البيان فيهم بلبس  
فاذا ما رايت صورة انطاكية ارتعت      بين روم وفرس  
والمنايا موائل وانوشروان يزجي      الصفوف تحت الدرفس  
في اخضرار من اللباس على اصفر      يختال في صبية ورس  
وعراك الرجال بين يديه      في خفوت منهم وانماض جرس  
من مشيح يهوي بعامل رمح      ومليح من السنان بترس

ثم يلتفت الى القصر ويرى ما اصابه من الزمان فيقول

يتظننى من الكآبة ان يسدو      لعيني مصبح او ممحي  
عكست حظه الليالي وبات      المشتري فيه وهو كوكب نحس  
فهو يسدي تجلداً وعليه      كلكل من كلاكل الدهر مرسي

فانظر الى هذا النمط النفيس الذي يشهد للبحثري بالبراعة الفائقة في تصوير المراتب وعرضها بالالوان الخلابه ، ولاسيا وصفه لمعركة انطاكية وصورة كسرى يدفع صفوفه تحت العلم الكبير ، والرجال يتطاحنون امامه من مهاجم يهوي بسيفه على العدو ومدافع يتقي الضربات بترسه . وتأمل هذا التصور الدقيق اذ يقول

تصف العين انهم جدّ احياء لهم بينهم اشارة خرس  
يعتلي فيهم ارتيايي حتى تتقرأهم يداي بلس

\*\*\*

ومن قضائه البديعة التي يقرون فيها الحس بالخيال قرناً جميلاً قصيدته الفخرية في وصف ذئب لقيه في القفر . وايست هذه القصيده عند التحقيق الا وصف نفسه في سورة من سورات العزيمه : فقد ذكر فيها اعداءه وحرصهم على هلاكه ، فوقف امامهم وقفة الباسل يصور نفسه لهم تصويراً تكاد تلمس الشعور المتدفق فيه . ومن قوله

فقل لبني الضحّاك مهلاً فاني انا الافعوان الصلّ والضيغم الرود  
متى هجتموه لا تهيجوا سوى الردي وان كان خرقا ما يجل له عقد  
مهيبا كتصل السيف لو ضربت به ذرى أجراً ظلت واعلامها وهد<sup>(١)</sup>  
يود رجال اني كنت بعض من طوته الليالي لا اروح ولا اغدو  
ولولا احتالي ثقل كل ملمة تسوء الاعادي لم يودوا الذي ودوا

ثم ياخذ في وصف صرامته وسيفه ، ويتقدم من ذلك الى وصف الذئب وكيف هاجمه ، ثم يعود الى نفسه وجور الدهر عليه وان عزمه يدفعه الى ركوب المشاق في طلب الغنى . ويختم ذلك بقوله -

ساحل نفسي عند كل ملمة على مثل حد السيف اخلصه الهند  
فان عشت محموداً فتلي بنى الغنى ليكسب مالا او يُنث له حمد  
وان مت لم اظفر فليس على امرى غدا طالبا الا تقصيه والجهد

...

وما يذكر للبحثري في دقة الرسم واناقة العبارة قصيدته التي يصف بها موكب المتوكل

(١) اجأ اسم جبل

وقد خرج في عيد الفطر الى المسجد ، وهي من افضل الامثلة على اسلوب البحثري الرشيق  
قال منها -

اظهرت عز الملك فيه بجحفل      جب يحاط الدين فيه وينصر  
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت      عددًا يسير بها العديد الاكثر  
فالحيل تصهل والفوارس تدعي      والبيض تلمع والاسنة ترهر  
والارض خاشعة تميد بثقلها      والجو معتكر الجوانب اغبر  
والشمس مائعة توقد بالضحى      طوراً ويطفئها العجاج الاكدر  
حتى انتهيت الى المصلى لابسا      نور الهدى يبدو عليك ويظهر  
ومشيت مشية خاشع متواضع      لله لا يزهى ولا يتكبر  
فلو ان مشتاقاً تكلف غير ما      في وسعه اسعى اليك المنبر

• • •

ومثل ذلك وصف القصر المعروف بالكامل : بناه الخليفة المعتز بالله ابن المتوكل .  
فقال البحثري من قصيدة يمدح بها المعتز ويذكر بناءه للقصر

ذُعر الحمام وقد ترنم فوقه      من منظر خطر المزلّة هائل  
رُفعت لمخترق الرياح سموكه      وزهت عجائب حسنه المتخايل  
وكان حيطان الزجاج بجوه      لحيح يمجن على جنوب سواحل  
وكان تفويف الرخام اذا التقى      تأليفه بالمنظر المتقابل  
حُبك الغمام رصفن بين منتر      ومسير ومقارب ومشاكل  
لبست من الذهب الصقيل سقوفه      نوراً يضيء على الظلام الخافل  
فترى العيون يجلن في ذي رونق      متلهب العالي انيق السافل  
وكأنما نشرت على بستانه      سيراء وشي اليمنة المتواصل  
اغتنه دجلة اذ تلاحق فيضها      عن صوب منسجم الرباب الهاطل  
وتنفست فيه الصبا فتعطف      اشجاره من حويل وحوامل  
مشي العذارى العيد رحن عشيّة      من بين حالية اليدين وعاطل

• • •

وكذلك وصفه الفرس من قصيدة في محمد بن علي القمي الكاتب ، والوصف يقع في



نحو عشرين بيتاً نذكر منها هنا

واغرّ في الزمن البهيم محجّل  
 كلفيكل المبني الا انه  
 يهوي كما تهوى العقاب وقد رأت  
 جدلان ينفض عذرة في غرة  
 كالأرائح النشوان اكثر مشيه  
 هزج الصهيل كأن في نغاته  
 ملك العيون فان بدا اعطينه  
 قد رحمت منه على اغرّ محجّل<sup>(١)</sup>  
 في الحسن جاء كصورة في هيكل  
 صيداً وينتصب انتصاب الاجدل  
 يقتر تسيل حجولها في جندل  
 عرضاً على السنّ البعيد الاطول  
 نبرات معبد في الثقل الاول<sup>(٢)</sup>  
 نظر المحب الى الحبيب الاول

الى غير ذلك من الوشي الجميل الذي عرف به البحتري . وسنرى في باب المختار له كثيراً من ذلك

### غزل البحتري

إذا قلنا غزل البحتري فقولنا هذا يصدق على كل شاعر من مدّاحي العصر العباسي وهو على الغالب نوع من الفن الكلامي يصدرون به قاصدهم تمهيداً لما يقصدون . ومع ما قد تجده فيه من رساق لا ينظم عادة بتأ لوجد متقد او تصويراً لخوارج شخصية صادقة ، على ان الشعراء يتفاوتون في ذلك . وفي غزل شاعرنا البحتري حلاوة ولطف يجيبانه الى النفوس . كان الاقدمون يجاملون لقصائدهم مقدمات من الوقوف على ديار الحبيب والبكاء على آثارها ، ثم الرحيل عنها الى حيث يقصدون ، فحوّل الموائد ذلك الى مقدمات غزلية يصفون بها الحبيب ويذكرون اشواقهم ، ثم يتخلصون الى المدح او سواه . وقد لا يكون بين المقدمة الغزلية وسائر القصيدة من رابطة فكرية او حسن تخلص . وعلى هذا كثير من شعر البحتري ، وفيه يقول ابن الاثير « انه لم يوفق في التخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضاباً ، ولقد حفظت شعره فلم اجد له من ذلك شيئاً مرضياً الا اليسير<sup>(٣)</sup> . وقد سبقه الى هذا النقد ابو بكر الباقلاني فقال<sup>(٤)</sup> - « الا ترى ان كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره ، والخروج من باب الى سواه ، حتى ان

(١) اي وكريم اغرّ ركبت من فضله جواد اغرّ محجّل

(٢) معبد اسم مفرّ مشهور

(٣) المثل السائر ٢٢٠

(٤) اعجاز القرآن ص ٢١

اهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحثري ، مع جودة نظمه وحسن وصفه ، في الخروج  
من النسب الى المديح ، واطبقوا على انه لا يحسنه ولا ياتي فيه بشي . ، وانا اتفق له في  
مواضع معدودة خروج يرتضى ، وتنتقل يستحسن .  
ومن امثلة تقصيره قوله يخاطب الحبيب من قصيدة مطلعها « كنت الى وصل سعدي  
جداً محتاج » .

اسقى ديارك والسقيا تقل لها    اغزار كل ملث الودق مجاج  
يلقي على الارض من حلي ومن حلل    ما يتبع العين من حسن واباج  
فصاغ ما صاغ من تبر ومن ورق    وحاك ما حاك من وشي وديباج  
الى علي بنى الفياض بلغني    سراي من حيث لا يسري وادلجبي  
الى فتى يتبع النعمى نظائرهما    كالبحر يتبع امواجاً بامواج

فانت ترى كيف ينتقل بفتة الى المديح مما يدل على ان الغزل لم يكن الا حاجة فنية  
متكلفة . ومثل ذلك غزله في قصيدة قالها في المتوكل واولها  
عذيري فيك من لاح اذا .

يتقدم فيها الى الحبيب فيخاطبه بابيات رقيقة ويذكر هيامه واشواقه الى ان يقول  
وقد علمت باني لم اضيع    لها عهداً ولم اخفر ذماما  
لئن اضحت محللتنا عراقاً    مشرقة وحللتها شاماً  
فلم احدث لها الا ودادا    ولم ازدد بها الا غراما  
ثم يثب وثباً الى المديح فيقول  
خلافة جعفر عدل وامن    وفضل لم يزل يسع الاناما  
وقس على ذلك كثيراً من قصائده .

ويكثر في غزل البحثري ذكر الطيف او الخيال حتى عرف به بين الشعراء . قال  
الحصري « كان البحثري اكثر الناس ابداعاً في الخيال حتى صار لاشتهاره مثلاً فيقال له  
خيال البحثري<sup>(١)</sup> . واكثر تشبيهه في فتاة حلبية اسمها علوة ، عرفها يوم كان في حلب قبل  
خروجه الى العراق<sup>(٢)</sup> .

(٢) ابن خلكان تحت سيرة البحثري ٢ - ٢٣٣

(١) زهر الآداب ٣ - ١٢٠

وكان على عادة الشعراء يتماجن في شعره ويشتب بالغلان. وكان له غلام اسمه نسيم يقول صاحب الاغاني انه جعله باباً من ابواب الحيل على الناس فاذا حصل في ملك بعض اهل المروات شَبَّب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم<sup>(١)</sup> وفي شعر البحثري حنين الى البلاد الشامية والى احبابه وبلدته منبع كقوله من قصيدة مطلعها - خيال يعتريني في المنام

سلام الله كل صباح يوم	عليك ومن يبلغ لي سلامي
لقد غادرت في قلبي سقاماً	بنا في مقلتيك من السقام
لئن قلَّ التواصل او تقادى	بنا الهجران عاماً بعد عام
فكم من نظرة لي من بعيدٍ	اليك وزورة لك اكتتام
أتخذ العراق هوى وداراً	ومن اهواه في ارض الشام

وهو يجيد في موقف الوداع والذكرى ومن ذلك قوله -

بنفسي ما ابدت لنا حين ودعت	وما كتمت في الاتحامي المسير
ولما خطونا دجلة انصرم الهوى	فلم يبق الا لفظة المتذكر
وخاطر شوق ما يزال يهيجنا	لبادين من اهل الشام وحضر

وقوله -

اراحلة ليلى وفي الصدر حاجة	اقام بها وجدٌ فما يترحل
وقفنا على دار البخيلة فانبرت	سواكبٌ قد كانت بها الامين تبخل
على دارس الآيات عافر تعاقبت	عليه صباً ما تستفيق وشمال
فلم يدر رسم الدار كيف يجيبنا	ولانحن من فرط البكا كيف نسأل
اجدك هل تنسى العهود فتنتطوي	بها الدهر او ينسى الحبيب فيذهل
ارى حباً ليلى لا يبيد فينقضى	ولا تلتوي اسبابه فتحلّل

والغريب انه كان - برغم السنين الطوال التي اقامها في العراق يحسب نفسه غريباً هناك. واكبر ظننا انه كان صادقاً في حنينه الى الوطن فانه، كما ذكرنا سابقاً، عاد بعد هجرة طويلة وقضى بقية حياته في وطنه

(١) الاغاني ١٠-١٧١

## المختار من شعر البحتري

غدير في روض يجري فلا يعترضه جنادل يشب من فوقها هدأراً الى الاعماق، ولا يتغلغل  
في منعطفات تضل في شعابها الاوهام : ينشد فيسمعك خريراً ناعماً تالفه الآذان ، ويصور  
فيريك الواناً بسيطة ترتاح اليها النواظر

## قال بمرح الفصح به فافاه وبذكر مبرزه الاسد

اجدك ما ينفك يسري لزينبا  
سرى من اعالي الشام يجلبه الكرى  
وما زارني الا ولهت صباية  
وليلتنا بالجزع بات مساعفاً  
خيال اذ آب الظلام تارياً<sup>(١)</sup>  
هبوب نسيم الروض تجلبه الصبا  
اليه والأقلت اهلاً ومرحبا  
يريني اناة الخطو ناعمة الصبا<sup>(٢)</sup>  
وقامت مقام البدر لما تغنيا  
غليلاً ولافتكت اسيراً معذباً<sup>(٣)</sup>  
جهاماً وان ابرقت ابرقت خلباً  
دلال فما ان كان الآ تجنيا  
وآمن خوآنناً وأعتب مذنباً<sup>(٤)</sup>  
اليك ان استعصى فؤادي او ابى  
سأنتي فؤادي عنك او اتبع الهوى

...

اقول لركب معتفين تدرعوا  
ردوا نائل الفتح بن خاقان انه  
على عجل قطعاً من الليل غيبها  
اعم ندى فيكم واقرب مطلبها

(١) اجدك بمعنى بمحك للقس او التأكيد. وتأوب وآب رجع

(٢) الاناة هنا المرأة الفاترة القيام دلالاً

(٣) اي لو كانت زيارتها حقيقية خلصتني من عذاب الوجد

(٤) أعتبه اي ارجع الى ما يرضيه .

هو العارض الشجاج أخضل جوده  
 اذا ما تلظى في وغي اصق العدى  
 رزين اذا ما القوم خفت حلومهم  
 حياتك أن يلقاك بالجود راضيا  
 حرون اذا عاززته في ملئة  
 فتى لم يضيع وجه حزم ولم يبت  
 اذا هم لم يقعد به العجز مقعدا  
 أعير مودآت الصدور واعطيت  
 فلم تحل من فضل ييلك التي  
 وما نغم الحساد الا أصالة  
 وقد جربوا بالامس منك عزيمة  
 غداة لقيت الليث والليث مخدر  
 يحصنه من نهر نيزك معقل  
 يرود مغاراً بالظواهر مكتبا  
 يلاعب فيه اقحواناً مفضضاً  
 اذا شاء غادى عانة او غدا على  
 يجر الى اسبالة كل شارق  
 ومن يبيع ظمأ في حريمك ينصرف  
 شهدت لقد أنصفته يوم تنبري  
 فلم ارَ ضرغامين اصدق منكما

وطارت حواشي برقه فتلها<sup>(١)</sup>  
 وان خاض في أكرومة غمر الرئي  
 وقور اذا ما حادث الدهر اجلبا<sup>(٢)</sup>  
 وموتك أن يلقاك بالباس مغضبا  
 فان جنته من جانب الذل اصجبا<sup>(٣)</sup>  
 يلاحظ اعجاز الامور تعقبا  
 وان كف لم يذهب به الخرق مذهبا  
 يدها على الاعداء نصرأ مرهبا  
 تحب ومن رأي يريك المقيبا  
 لديك وفعلاً اريجياً مهذباً  
 فضلت بها السيف الحسام المحرباً  
 يحد نابا للقاء ومخلباً<sup>(٤)</sup>  
 منيع تسمى روضه وتأسبا  
 ويحتل روضاً بالاباطح معشبا<sup>(٥)</sup>  
 يبص وحوذاناً على الماء مذهبا<sup>(٦)</sup>  
 عقائل سرب او تقتص رربا<sup>(٧)</sup>  
 عبيطاً مدمى او رميلاً مخضباً<sup>(٨)</sup>  
 الى تلف او يث خزيان أخيبا  
 له مصلتاً عضباً من البيض مقضبا<sup>(٩)</sup>  
 عراقاً اذا الهيابة الترس كذباً<sup>(١٠)</sup>

- (١) هو كالغيم الماطر . يجمع بين ماء الجود ولهب البطش (٢) اجلب توعد بالشر  
 (٣) اصحب اي اتقاد . ومعناه شديد العناد اذا عوند ولكنه سهل الاتقياد اذا جاءه الطالب متواضعاً  
 (٤) اخدر الليث اقام في غابته (٥) الظواهر اعالي الالودية . والاباطح عكسها  
 (٦) الخوذان اسم نبات . ويبص اي يلمع  
 (٧) هكذا يروج ابن الاثير . وفي الديوان ان تنقص رربا؛ ومعنى اليتين - يقتنص الحسن  
 او الظباء فيجر منها كل ذبيحة وقد تحضبت بالدماء وتلوثت بالرمال  
 (٩) العضب المقضب اي السيف الفاطم  
 (١٠) فلم ارَ اسدين اثبت منكما في موقف لا يثبت فيه الجبان

هزبر مشى يعني هزبراً واغلب من القوم يغشى باسل الوجه اغلباً  
ادل بشغب ثم هالته صولة رآك لها امضى جناناً واشغباً  
فاحجم لما لم يجد فيك مطعماً واقدم لما لم يجد عنك مهرباً  
فلم يغنه أن كرت نحوك مقبلاً ولم ينجه ان حاد عنك منجياً  
حملت عليه السيف لا عزمك انثني ولا يدك ارتدت ولا حده نبا  
وكنت متى تجمع يمينك<sup>(١)</sup> تهتك الضريبة او لا تبق لالسيف مضرباً

أنت لي الايام من بعد قسوة وعابت لي دهري المسيء فاعتبا<sup>(٢)</sup>  
والستني التعمى التي غيبت اخي علي فامسى نازح الدار اجنباً<sup>(٣)</sup>  
فلا فزت من مر الليلي براحة اذا انا لم اصبح بشكرك متعباً  
على ان افواف القوافي ضوامن لشكرك ما ابدى دجى الليل كوكباً  
ثنا تقصى الارض نجداً وغائراً وسارت به الركبان شرقاً ومغرباً

### وقال بصف حاله وبصف الذب هين انبه

سلام عليكم لا وفاة ولا عهد سلام عليكم لا وفاة ولا عهد  
أأجابنا قد انجز البين وعده وشيكاً ولم ينجز لنا منكم وعد  
بنفسي من عذبت نفسي بجهه وان لم يكن منه وصال ولا ود  
حبيب عن الاحباب شطت به النوى واي حبيب ما اتى دونه البعد  
يود رجال أنني كنت بعض من طوته الليلي لا اروح ولا اغدو<sup>(٤)</sup>  
ذريني واياهم فحسي صرامتي اذا الحرب لم يقدر لمخمدها زند  
ولي صاحب غضب المضارب صارم طويل نجاد ما يفله له حد  
وباكية تشكو الفراق بادمع يبادرنها سحاً كما انتثر العقد

(١) يمينك اي ساعدك وسيفك (٢) اعتب اي رضي

(٣) لا يقصد اخاه هنا ولكن يقصد ان نعم الممدوح عليه اوجبت حسد الناس

(٤) اي يود بعضهم اني ميت

رشادك لا يُجزئك بين ابن همة يتوق الى العلياء ليس له رند<sup>٢</sup>  
فمن كان حراً فهو للعزم والسرى ولليل من افاله والكرى عبد<sup>٣</sup>

...

وليل كان الصبح في أحياته حشاشة نصل ضم إفرنده غمد<sup>٤</sup>  
تسربلته والذئب وسنان هاجع بعين ابن ليل ما له بالكرى عهد<sup>(١)</sup>  
اثير القطا الكدرى عن جثاته وتألقي فيه الثعالب والزبد  
سما لي وبني من شدة الخوع ما به بيضاء لم تعرف بها عيشة رعد  
كلانا بها ذئب يحدث نفسه بصاحبه وأجد يتعسه أجد<sup>(٢)</sup>  
عوى ثم اقمى فارتجرت فهجته فاقبل مثل البرق يتبعه الرعد  
فاوجرت خرقاء تحسب ريشها على كوكب ينقض الليل مسود<sup>(٣)</sup>  
فما ازداد الا جرأة وصرامة وايقت ان الامر منه هو الجد<sup>(٤)</sup>  
فاتبعتها اخرى فاضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد<sup>(٥)</sup>  
خفراً وقد اوردته منهل الردى على ظن لو انه عذب الورد  
وقت حفمت الحصى فاشتويته عليه وللرمضاء من تحته وقد

...

لقد حكمت فينا الليالي بجورها وحكم بنات الدهر ليس له قصد  
أفي العدل ان يشقى الكريم بجورها وياخذ منها صفوها التعداد الوغد  
ذريني من ضرب القداح على السرى فعزمي لا يثنيه نخس ولا سعد<sup>(٥)</sup>  
سأحمل نفسي عند كل ملمة على مثل حد السيف اخلصه الهند<sup>(٦)</sup>  
ليعلم من هاب السرى خشية الردى بان قضاء الله ليس له رد<sup>٢</sup>  
فان عشت محموداً فثلي بغى الغنى ليكس مالا او ينث له حمد<sup>(٧)</sup>  
وان مت لم اظفر فليس على امرى غدا طالباً الا تقصيه والجهد

(١) ابن الليل للص

(٢) اي كل منا ذئب يحاول البطش بالآخر وذو الحظ الاوفر سينتصر

(٣) شبه نصلة السهم بكوكب ينقض (٤) اي فاتبها سماً آخر اصاب القلب

(٥) كانوا قديماً يضربون القداح قبل السفر ليستطلعوا ما سيكون

(٦) اي احسنت صنعه الهند (٧) ينث اي ينشر

## وقال بفخر بقومه

لما النبي ان يكون رشيدا فانقصا من ملامه او فزيدا  
 خلياها وجددة اللهو ما دا م رداء الشباب غضا جديدا  
 ان ايامه من البيض بيض<sup>(١)</sup> ما رأين المارق السود سودا  
 ايها الدهر حبذا انت دهرا قف حميدا ولا تول حميدا  
 كل يوم ترداد حسنا فا تبث يوما الا حسناه عيدا  
 ان في السرب لو يساعدنا السر ب شمساً يمسين مشياً وثيدا<sup>(٢)</sup>  
 يتدافن بالاكف ويعرضن علينا عوارضا وخدودا  
 يتبسن عن شئت اراه اقوانا مفضلا او فريدا<sup>(٣)</sup>  
 رحن والليل قد اقام رواقا فاقن الصباح فيه عمودا  
 بهمة مثل المهامة ابت ان تصل الوصل او تصد الصدودا<sup>(٤)</sup>  
 ذات حسن لو استزادت من الحسن اليه لما اصابت مزيدا  
 فهي الشمس بهجة والقضيب الغض لنا والريم طرفا وجيدا

...

يا ابنة العامري كيف يرى قو مك عدلا ان تبخلي واجودا  
 ان قومي قوم الشريف قديتا وحديثا ابوة وجدودا  
 لم ادع من مناقب المجد ما يقنع من هم ان يكون مجيدا  
 معشر امسكت حاوهم الارض وكادت من عزهم ان تميدا  
 متلا قارعوا عليه العاليق وعادا في عزها وثودا  
 فاذا المحل جاء جاوا سيولا واذا التقع نار ناروا اسودا  
 يحسن الذكر عنهم والاحاديث اذا حدث الحديد الحديد<sup>(٥)</sup>  
 في مقام تحر من ضنكه البيض على البيض رگما وسجودا<sup>(٦)</sup>

(١) البيض الاولى الحسان والثانية جمع ايض

(٢) كنى بالشمس عن الحسان (٣) الشئت الثمر الافلج

(٤) بهمة متعلق بما قبله اي رحن مساء فجعلن الظلام مضيا يجمال مهامة ابنت الالفراق

(٥) حدث الحديد الحديد اي عند تلاحم السيوف في الحرب . والبيض السيوف



يفرجون الوغى اذا ما اثار الضرب من مصمت الحديد صعيدا  
 بوجه تغشى السيوف ضياء وسيوف تغشى الوجوه وقودا  
 عدلوا الهضب من تهامة احلا ما ثقلا ورملا نجد عديدا<sup>(١)</sup>  
 ملكوا الارض قبل ان تملك الارض وقادوا في حافتيها الجنودا  
 وجروا قبل مولد الشيخ ابرا هيم في المكرمات شأوا بعيدا<sup>(٢)</sup>  
 فهم قوم تبع خير قوم لهم الله بالفخار شهيدا<sup>(٣)</sup>  
 بساع منظومة البستهن اللآلي قلاندا وعقودا  
 سائل الدهر مذ عرفناه هل يعرف منا الا الفعال الحميدا  
 قد لعمرى رزناه كهلا وشيخا ورأيناه ناشئا ووليدا  
 وطوبينا ايامه وليايه على المكرمات بيضا وسودا  
 لم تزل قط مذ ترعرع نكسو ه ندى لتبا وباسا شديدا  
 فهو من مجدنا يروح ويقدو في على لا تبيد حتى يبيدا  
 نحن ابناء يعرب اعرب النسا س لسانا وانضر الناس عودا

### وقال في المتوكل وموكبه الفخم في عبد الفطر

أخفي هوى لك في الضاوع وأظهر  
 وأراك خنت على التوى من لم يخن  
 وطلبت منك مودة لم اعطها  
 ان المعنى طالب لا يظفر  
 هل دين عاوة يستطاع فيقتضي  
 او ظلم عاوة يستفيق فيقتصر<sup>(٤)</sup>  
 بيضاء يعطيك القضيب قوامها  
 ويريك عينيها الغزال الاحور  
 تمشي فتحكم في القلوب بدلتها  
 وتميس في ظل الشباب وتحطر

(١) اي وازنوا الجبال بعقولهم والزمان بمددهم

(٢) يريد بالشيخ ابراهيم الخليل اشارة الى قدم مجدهم

(٣) شهيدا تعرب هنا حالا من الله

(٤) هل لعلوة مطالب يمكننا قضاؤها او هل يكف ظلمها فينتهي غنا

اني وان جانبت بعض بطالتي وتوهم الوشون اني مقصر  
ليشوقني سحر العيون المجتلى ويروقي ورد الحدود الاحمر

الله مكن للخليفة جعفر  
نعمى من الله اصطفاها بفضلهما  
فاسلم امير المؤمنين ولا تزل  
عمت فواضلك البرية فالتقى  
x بالبر صمت وانت افضل صائم  
x فانعم بيوم الفطر عيناً انه  
v اظهرت عز الملك فيه يجفّل  
x خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت  
x فاخليل تصهل والفوارس تدعى<sup>(١)</sup>  
x والارض خاشعة تمسد بثقلها  
x والشمس مائعة توقد بالضحى  
v حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت  
x وافتت فيك الناظرون فاصبع  
يجدون رؤيتك التي فازوا بها  
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا  
حتى انتهيت الى المصلى لابساً  
ومشيت مشية خاشع متواضع  
فلو ان مشتاقاً تكأنت غير ما  
أيدت من فصل الخطاب بحكمة  
ووقفت في برد النبي مذكراً  
ومواظفت شفت الصدور من الذي

ملكاً يحسنه الخليفة جعفر  
والله يرزق من يشاء وبقدر  
تعطى الزيادة في البقاء وتشكر  
فيها المقل على الغنى والمكث<sup>(٢)</sup>  
وبسنة الله الرضية تُفطر  
يوم اغر من الزمان مشهر  
لجب يحاط الدين فيه وينصر  
عدداً يسير بها العديد الاكثر  
والبيض تلمع والاسنة ترهر  
والجو معتكر الجوانب اغبر  
طوراً ويطفئها العجاج الاكدر<sup>(٣)</sup>  
تلك الدجى وانجاب ذلك العشير  
يوماً اليك بها وعين تنظر  
من انعم الله التي لا تكفر  
لما طلعت من الصغوف وكبروا  
نور الهدى يبدو عليك ويظهر  
لله لا يزهى ولا يتكبر  
في وسعه لسمى اليك المنبر  
تنبي عن الحق المبين وتخبّر  
بالله تنذر تارة وتبشّر<sup>(٤)</sup>  
يعتادها وشفاؤها متعذر

(١) فواضلك التي عمّت الناس جعلت الفقراء والاغنياء في حال واحدة من اليسار

(٢) ادعت الفوارس اي اعترتوا بانساجهم

(٣) مائة اي مرتفعة

(٤) كان الخلفاء في المواقف الرسمية يضعون على اكتافهم بردة النبي

حتى لقد علم الجهول واخلاصت  
صأوا وراك آخذين بعصمة  
فاسلم بغفرة الاله فلم يزل  
الله اعطاك المحبة في الوري  
ولأنت املاً للعيون لديهم  
نفس المروي واهتدى المتجبر<sup>(١)</sup>  
من ربهم وبذمة لا تخفر  
يهب الذنوب لمن يشاء ويفغر  
وحياك بالفضل الذي لا ينكر  
واجل قدرأ في الصدور واكبر

### وقال بمدح احمد بن دينار

ويصف مركبأ له غزا فيه بلاد الروم

لم تر تغليسَ الربيع المبكر  
وسرعان ما ولى الشتاء ولم يقف  
مررنا على بطياس وهي كأنها  
كأن سقوط القطر فيها اذا انثى  
وفي ارجوانيآ من النور احمر  
اذا ما الندى وافاه صباحاً تابت  
اذا قابلته الشمس رد ضياها  
اذا عطفته الريح قلت التفاتة  
بنفسي ما ابدت لنا حين ودعت  
ولما خطونا دجلة انصرم الهوى  
وخاطرُ شوق ما يزال يهيجنا  
وما حاك من وشي الربيع المنشر<sup>(٢)</sup>  
تسأل شخص الخائف المتذكر  
سبائب عصب او زرايئ عبقر<sup>(٣)</sup>  
اليها سقوط اللؤلؤ المتجدد  
يشاب بافرند من الروض اخضر  
اعاليه من در نثير وجوهر  
عليها صقال الاقوان المنور  
لعلوة في جاديسا المتعصر<sup>(٤)</sup>  
وما كتمت في الاتحيمي المسير<sup>(٥)</sup>  
فلم يبق الا لفته المتذكر  
لبادين من اهل الشام وحضر

- (١) بمواعظك التي شفت الصدور من امراضها تعلم الجاهل واهتدى المتجبر واخلاصت لله نفس المفكر  
(٢) لم تر ورود الربيع الباكر وما حاك من وشي الازهار الربيعية  
(٣) بطياس مكان قرب حلب . اي مررنا على هذا المكان وهو كأنه شفق برود مصبوغة او بسط عبقرية . وعبقر محل ينسبون اليه كل ما تعجبوا من حسن صنعة وقوته  
(٤) اي اذا عطفت الريح الغصن قلت تلك التفاتة علوة في ثوبنا اثر غفراني  
(٥) الاتحيمي المسير اي الثوب المخطط

باحمد أحمدا الزمانَ واسهلت  
 هو الفيث يجري من عطاء ونائل  
 ولما توكلَى البحر والوجودِ صنوه  
 اضاف الى التدبير فضل شجاعة  
 غدوت على الميمون صباحاً واننا  
 اطلّ بعطفيه ومرّاً كأننا  
 اذا زجر النوتيّ فوق علاته  
 اذا عصفت فيه الجنوب اعتمى له  
 اذا ما انكفا في هبوة الماء خلته  
 وحولك ركأبون للهول عاقروا  
 تمل المنايا حيث مالت اكفهم  
 اذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم  
 صدمت بهم صهب العنانين دونهم  
 يسوقون اسطولا كأن سفينه  
 كأن ضجيج البحر بين رماحهم  
 فامرمت حتى اجلت الحرب عن طلى  
 وكنت ابن كسرى قبل ذلك وبعده  
 جدحت له الموت الذعاف فعافه  
 مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها

لنا هضبات المطلب المتوَعَر  
 عليك خُذ من صَبّ الفيث اوذر  
 غدا البحر من اخلاقه بين البحر<sup>(١)</sup>  
 ولا عزم الا للشجاع المدبّر  
 غدا المركب الميمون تحت المظفر<sup>(٢)</sup>  
 تُشرف من هادي حصان مشهّر<sup>(٣)</sup>  
 رأيت خطيباً في ذؤابة منبر<sup>(٤)</sup>  
 جناحاً عقاب في السماء مهجّر  
 تلقّع في انشاء بُردٍ محبّر  
 كوس الردى من دارعين وحسّر  
 اذا اصلتوا حدّ الحديد المذكر  
 ليقلع الا عن سُواءٍ مقترّ<sup>(٥)</sup>  
 ضراب كابقاد اللفظي المتسعر<sup>(٦)</sup>  
 سحائبُ صيف من جهام ومطر  
 اذا اختلفت ترجيع عود مجرجر<sup>(٧)</sup>  
 مقطّعة فيهم وهام مطير<sup>(٨)</sup>  
 ملياً بان توهي صفاة ابن قيصر<sup>(٩)</sup>  
 وطار على الواح شطب مسمر<sup>(١٠)</sup>  
 عليه ومن يولّ الصنيعة يشكر

- (١) اي لما تولى البحر غدا البحر بين مجور من مكارمه  
 (٢) الميمون اسم مركب اي اطل علينا فكان مقدمه كعقن حصان مرفوع وكان النوتي  
 في اعلاه كأنه خطيب على منبر  
 (٣) المقتر الساطع الرائحة (٤) صهب العنانين اي الروم لان لحاهم شغراء  
 (٥) عود مجرجر اي جمل تردد صوته  
 (٦) ما رمت اي ما زلت . والطلبي الاعناق  
 (٧) اشارة الى اصل المسدوح الفارسي . اي كنت قادراً ان تقهر ملك الروم (ابن قيصر).  
 (٨) اي تجنب الموت فهرب على مركب

إذا الموج لم يبلغه ادراك عينه ثنى في انحدار الموج لحظة اخزر  
وكنا متى نصد بجذك ندرك المعالي ونستنصر يمينك نُنصر

## وصف ابواه كسرى

( وآثاره اليوم قرب بغداد وتعرف بطاق كسرى )

١ صنتُ نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جيس<sup>(١)</sup>  
وتماسكت حين زعزعتي الدهر التماساً منه لتعسي وزكسي  
٢ بلغ من صباة العيش عندي طففتها الايام تطفيف مجس  
وبعيد ما بين وارد رفته علل شربه ووارد خمس<sup>(٢)</sup>  
٣ وكان الزمان اصبح محمو لا هواه مع الاخر الاخر  
واشتراني العراق خطة غبن بعد بيعي الشام بيعة وكس<sup>(٣)</sup>  
٤ لا ترزني مزاولاً لاختباري عند هذي البلوى فتنكر مسي  
وقديماً عهدتني ذا هنات آيات على الدينات شمس  
٥ فلقد رابني نبو ابن عمي بعد اين من جانيه وأنس  
٦ واذا ما جفيت كنت حربياً ان أرى غير مصبح حيث امسي

١٠ حضرت رحلي الموم فوجهت الى ايض المدائن عنسي<sup>(٤)</sup>  
اتسأى عن الخطوظ وآسى لمحل من آل ساسان درس  
ذكرتنيهم الخطوب التوالي ولقد تذكر الخطوب وتنسي  
وهم خافضون في ظل عال مشرف يحسر العيون ويحسي<sup>(٥)</sup>  
١٠ حل لم تكن كاطلال سعدي في قفار من البساس ملس<sup>(٦)</sup>

(١) وترفعت عن عطية كل لثم

(٢) وارد رفته اي برد الماء كل يوم متى شاء ووارد خمس اي برد مرة كل اربعة ايام

(٣) انه حسارة عظيمة ان اترك الشام واستوطن العراق

(٤) في هذا البيت وما بعده يقول حلت الموم بساحتي فركبت جملي الى قصر المدائن الايض

لاتسلى عن حظي واسى لما درس من قصور آل ساسان (وهم ملوك الفرس) (٥) خافضون ناعمو العيش

(٦) اي هذه الآثار العظيمة ليست كاطلال البدو في القفار الخاوية

نقل الدهر عهدهنَّ عن الجُدَّة حتى غدودن انضاء رليس<sup>(١)</sup>  
فكأنَّ الجرماز من عدم الانس واحلاله بنية رمس<sup>(٢)</sup>  
لو تراه علمت ان الليالي جعلت فيه مأثماً بعد عرس  
وهو ينبيك عن عجاب قوم لا يُشاب البيان فيهم بلبس  
فاذا ما رأيت صورة انطا كية ارتعت بين روم وفرس<sup>(٣)</sup>  
والنايا موائل وانوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرّفس  
في اخضرار من اللباس على اصفر يجتال في صبيغة ورس  
وعراكُ الرجال بين يديه في خفوت منهم وانماض جرس  
من مشيح يهوي بعامل سيف ومليح من السنان بترس  
تصف العين أنهم جدُّ احياء لهم بينهم اشارة خرس  
يعتلي فيهم ارتياني حتى تتقرأهم يداي بلس  
وكان الايوان من عجب الصنعة جوب في جنب ارعن جلس<sup>(٤)</sup>  
عكست حظّه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس  
فهو بيدي تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسي  
لم يعبه أن بز من بسط الديباج واستل من ستور الدمقس<sup>(٥)</sup>  
شمخُر تعالو له سُرفات رُفعت في رؤوس رضوى وقُدس<sup>(٦)</sup>  
لابسات من البياض فما تبصر منها الا فلائل بُرس  
ليس يُدزى اصنع إنس لجن سكنوه ام صنع جن لانس  
عمرت للسرور دهرأ فصارت للتعزي رباءهم والتأسي  
فلها ان أعينها بدموع موقوفات على الصباية حلس  
ذاك عندي وليس الدار داري باقتراب منها ولا الجنس جنسي<sup>(٧)</sup>  
غير نعمى لاهلها عند اهلي غرسوا من ذكاتها خير غرس

(١) انضاء لبس اي ثياب بالية (٢) الجرماز احد النصور في الايوان

(٣) في هذا والايات الستة التابعة يصف صورة على جدار القصر تمثل معركة دارت في انطاكية

بين كسرى والروم، والوصف دقيق وقد مرّ تفسيره في كلامنا عن الشاعر

(٤) اي كأنه مقتطع من جبل عال

(٥) لم ينقص من قيمته ان الدهر سلبه بسط الديباج وستور الدمقس (٦) رضوى وقُدس جبلان

(٧) فهي جديرة ان ابكيها وان كنت غريباً لا امت لاصحاحا بنسب جنسي

أيدوا ملكنا وشدوا قواهُ بكِافة تحت السنورِ <sup>(١)</sup> حمس  
 واعانوا على كتاب أرباط بطعن على النحور ودعس <sup>(٢)</sup>  
 واراني من بعدُ اكف بالاشراف طراً من كل سينخ وإس <sup>(٣)</sup>

### وفال بمدح المتوكل وبذكر وفد الروم

قل للسحاب اذا حدثه الشمالُ وسرى بليل ركبه المتحمل  
 عرج على حلب خفي محلة مانوسة فيها لعلوة منزل  
 لغريزة ادنو وتبعد في الهوى واجود بالود المصون وتبخل  
 وعليلة الاحاظ ناعمة الصبي غري الوشاة بها وليج العذل  
 لا تكذبن فانت اطف في الحشا عهداً واحسن في الضمير واجمل  
 احنو اليك وفي فؤادي لوعة واصدُ عنك ووجه ودي مقبل  
 واعزُ ثم اذل ذلة عاشق والحب فيه تعزُز وتذل

...

ان الرعية لم تزل في سيرة الله آثر باخلافه جعفرأ  
 هي افضل الرتب التي جعلت له دون البرية وهو منها افضل  
 ملك اذا عاذ المسيء بعفوه غفر الاساءة قادراً لا يُعجل  
 وعفا كما صفح السحاب ورعه قصف وبارقه حريق مشعل  
 شرف خصت به ومجد باذخ متمكن فوق النجوم موئل  
 لا يعدنك المسلمون فانهم في ظل ملكك ادركوا ما أملوا  
 حصنت بيضتهم وحطت حريتهم وحملت من اعبائهم ما استقلوا

(١) الا اني افعل ذلك ليد كانت للفرس عند اهلي (اليمينيون) فهم ساعدوا ملكنا (سيف بن ذي  
 يزن) بابطال تحت الدرود شجعان

(٢) واعانوه على جيوش قائد الحبش (ارباط) يطعن في نخور الاعداء

(٣) ولذا صرت مولماً بمدح الاشراف واهل المروءة مها كان اصلهم

(٤) عمرية نسبة الى عمر بن الخطاب اي سيرة عدل وحزم

ورأيت وفد الروم بعد عنادهم  
 لظلوك اول لحظة فاستصغروا  
 احضرتهم حججاً لو اجتلبت بها  
 ورأوك وضّاح الجبين كما يرى  
 نظروا اليك فقدّسوا ولو أنّهم  
 حضروا السباط فكلموا رموا القرى  
 تهوي اكفهم الى افواههم  
 متحيرون فباعت متعجب  
 ويودّ قومهم الالوى بعشوا بهم  
 قد نانس الغيب الحضور على الذي  
 اعجلت ردهم فافضل نائل  
 فخاله اسأل ان تعتر صالحاً  
 عرفوا فضائلك التي لا تجهل<sup>(١)</sup>  
 من كان يعظم فيهم ويجهل  
 عصم الجبال لا قبلت تتزل  
 قر السماء السعد ليلة يكمل  
 نطقوا الفصح لكبروا ولهلوا  
 الت بايديهم عقول ذهل  
 فتجيد عن قصد السبيل وتعدل  
 مما رأى او ناظر متأمل  
 لو ضمّهم بالامس ذاك المحفل  
 شهدوا وقد حمد الرسول المرسل  
 حي الوفود به الهني المعجل  
 فدوام عمرك خير شيء يسأل

### مبلوا الى الدار من ليلي نجيبها

يصف فيها بركة بناها المتوكل

ميلوا الى الدار من ليلي نجيبها  
 يا دمنة جاذبتها الريح بهجتها  
 لا زلت في حلل للخير ضافية  
 ينيرها البرق احياناً ويسديها<sup>(٢)</sup>  
 تروح بالوابل الداني روانحها  
 على ربوعك او تقدو غواديا  
 ان النجيلة لم تُنعم لساثلها  
 يوم الكتيب ولم تسمع لداعيا  
 يا من رأى البركة الحسنة رويتها  
 والانسات اذا لاحت مغانيها<sup>(٣)</sup>

(١) اشارة الى وفد ارسله ملك الروم الى المتوكل وفي الايات التالية يصف دهشة الوفد لما راوه من عظمة الخليفة ومجده وما اعتراهم من الدهول عندما حضروا المأدبة (السباط)

(٢) اثار الخلل واسداها نسج لحمتها وسداها والكلام مجازي معناه لازالت غيوم الخير فوقك يتلأ فيها البرق

(٣) في زهر الآداب ١-٢٣٠ البركة الحسنة وروتها. وفي تحاية الارب ١-٣٧٤ والانسات التي



بحسبها انها في فضل رتبتهما  
 ما بال دجلة كالغري تنافسها  
 اما رأّت كالى. الاسلام يكلاًها  
 كان جنّ سليمان الذين ولّوا  
 فلو تمرّ بها بلبقيس عن عرض  
 تنصب فيها وفود الماء. مجلّة  
 كأننا الغضة البيضاء سائلة  
 اذا علتها الصبا ابدت لها حبكاً  
 فحجب الشمس احياناً يحكها  
 اذا النجوم تراءت في جوانبها  
 لا يبلغ السمك المحصور غايتها  
 يعمن فيها باوساط مجنّحة  
 هنّ صحن رحيب في اسفلها  
 تعنى بساتينها القصوى برؤيتها  
 كأنها حين لبّت في تدفقها  
 وزادها رتبة من بعد رتبتهما  
 محفوفة برياض لا ترال ترى  
 تعدّ واحدة والبحر ثانيها  
 في الحسن طوراً واطواراً تباهيا  
 من ان تعاب وباني المجد بينهما<sup>(١)</sup>  
 ابداعها فادقوا في معانيها  
 قالت هي الصرح تمشيلاً وآشيبها<sup>(٢)</sup>  
 كالخيل خارجة من جبل مجريها  
 من السبائك تجري في مجاريها  
 مثل الجواشن مصقولة حواشيهما<sup>(٣)</sup>  
 وريق الغيث احياناً يباكيها  
 ليلاً حسبت سماء ركبّت فيها  
 لبعدها بين قاصيها ودانيها  
 كالطير تنقض في جوف خوافيها  
 اذا انحططن وبهوا في اعاليها  
 عن السحاب منحللاً عزاليها  
 يد الخليفة لما سال واديا  
 ان اسمه يوم يدعى من اساميهما<sup>(٤)</sup>  
 ريش الطواويس تحكيه ويحكها

اذا مساعي امير المؤمنين بدت  
 ان الخلافة لما اهترّ منبرها  
 ابدى التواضع لما نالها دعة  
 اذا تجلّت له الدنيا مجليتها  
 للواصفين فلا وصف يدانيها  
 يجعفر أعطيت اقصى امانيا  
 عنها ونالته فاختالت به تياها  
 رأّت محاسنها الدنيا مساويا

(١) كالى. الاسلام اي حاميهِ ويقصد بذلك الخليفة

(٢) اشارة الى قصة النبي سليمان وبلقيس ملكة سبا وما شاهدته عنده من جلال صرحه العظيم

(٣) الجواشن الدرّوع

(٤) اسم المتوكّل جعفر ومعنى جعفر النهر اي ان البركة واسم الخليفة متشاجان في المعنى

يا ابن الاباطح من ارض اباطحها  
 ما ضيَع الله في بدو وفي حضر  
 وامةٌ كان قبج الجور يسخطها  
 بثت فيها عطاء زاد في عدد الـ  
 ما زلت مجراً لعافينا فكيف وقد  
 اعطاكها الله عن حق رآك له  
 في ذروة المجد اعلى من روايبها<sup>(١)</sup>  
 رعيةً انت بالاحسان راعيها  
 دهرأ فاصبح حسن العدل يرضيها  
 مليا ونوّهت باسم المجد تنويها<sup>(٢)</sup>  
 قابلتنا ولك الدنيا بما فيها  
 اهلاً وانت بحق الله تعطيهها

### وقال محمد بن ابا سعيد محمد بن يوسف

أفأق صبُّ من هوى فأفيا  
 إن السوا كما تقول لراحة  
 هذا العقيق وفيه مرأى مونق  
 أشقيقة العالين هل من نظرة  
 علّ البخيلة أن تجود بها النوى  
 ماذا عليك لو اقتربت لموعده  
 أم خان عهداً أم أطاع شفيقا  
 لو راح قلبي للسوا مطيقا  
 للعين لو كان العقيق عقيقا<sup>(٣)</sup>  
 فتبل قلباً للغيل شقيقا  
 والدار تجمع شائعا ومشوقا  
 ينني الجوى وسقينا ترنيقا

غدت الجزيرة في جناب محمد  
 برقت مخالبه لها وتحركت  
 صفحت له عنها السنون وواجهت  
 رفع الامير ابو سعيد ذكرها  
 يستطرون يداً يفيض نوالها  
 يقظ إذا اعتراض الخطوب برأيه  
 رياً الجناب مغاربا وشروقا  
 فيها عزالي جوده تحريقا<sup>(٤)</sup>  
 أطرافها وجه الزمان طليقا  
 واقام فيها للمكارم سوقا  
 فيغرق المحروم والمرزوقا  
 ترك الجليل من الخطوب دقيقا

(١) يا ابن اباطح فريش الذين اذا قيسوا بسواهم في الشرف فاقوهم كثير (كانت سهولهم اعلى من جبالهم) (٢) نوّه به رفع ذكره

(٣) العقيق اسم وادي في بلاد العرب يتغنى بذكره الشعراء

(٤) اي برقت سحب وعوده ففاضت سيول جوده . والمخايل هي السحب المنذرة بالخطر

هَلَّا سَأَلْتَ مُحَمَّدًا بِمُحَمَّدٍ تَجِدُ الْخَبِيرَ الصَّادِقَ الْمُدَوَّقَا <sup>(١)</sup>  
 وَوَسَلَ الشَّرَاطَةَ فَانْهَمَ اشْتَقَى بِهِ مِنْ أَهْلِ مَوْقَانَ الْأَوَائِلِ مَوْقَا <sup>(٢)</sup>  
 جَاؤَا بِرَاعِيَهُمْ لِيَتَّخِذُوا بِهِ عَمْدًا إِلَى قَطْعِ الطَّرِيقِ طَرِيقَا  
 طَرَحُوا عِبَاءَتَهُ وَالْقَوَا فَوْقَهُ ثَوْبَ الْخِلَافَةِ مَشْرَبًا رَاوُوقَا <sup>(٣)</sup>  
 عَقَدُوا عِمَامَتَهُ بِرَأْسِ قِنَاتِهِ وَرَأَوْهُ بَرًّا فَاسْتَحَالَ عَقُوقَا  
 وَأَقَامَ يَنْفِذُ فِي الْجَزِيرَةِ حَكْمَهُ وَيُظَنُّ وَعَدَّ الْكَاذِبِينَ صَدُوقَا  
 حَتَّى إِذَا مَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ انْكَفَا مِنْ أَرْزَنِ حَنْقًا يَمِجُّ حَرِيقَا <sup>(٤)</sup>  
 غَضْبَانَ يَلْقَى الشَّمْسَ مِنْهُ بِهَامَةٍ تَعْتِي الْعَيُونَ تَأَلَّقَا وَبَرِيقَا  
 أَوْفَى عَلَيْهِ فَظُلٌّ مِنْ دَهْشِ يَظُنُّ الْبَرَّ بَجْرًا وَالْفَضَاءَ مَضِيقَا  
 غَدَرَتْ أَمَانِيهِ بِهِ وَتَمَزَّقَتْ عَنْهُ غِيَابَةُ سَكْرِهِ تَمَزِيقَا  
 طَلَعَتْ جِيَادِكَ مِنْ رَبِي الْجُودِيِّ قَدْ حَمَلْنَ مِنْ دَفْعِ الْمُنُونِ وَسُوقَا <sup>(٥)</sup>  
 يَطْلُبُنَّ نَارَ اللَّهِ عِنْدَ عَصَابَةِ خَلَعُوا الْإِمَامَ وَخَالَفُوا التَّوْفِيقَا  
 يَرْمُونَ خَالِقَهُمْ بِأَقْبِحِ فَعَلَهُمْ وَيَجْرَفُونَ قُرْآنَهُ الْمُنْسُوقَا <sup>(٦)</sup>  
 فِدْعَا فَرِيقًا مِنْ سَيُوفِكَ حَقَّتْهُمْ وَشَدَّدَتْ فِي عَقْدِ الْحَدِيدِ فَرِيقَا

...

يَا تَغْلِبُ ابْنَةَ تَغْلِبٍ حَتَّى مَتَى تَرِدُونَ كَفْرًا مَوْبِقًا وَمَرْوَقَا <sup>(٧)</sup>  
 تَتَجَاوَبُونَ بِدَعْوَةٍ مَخْذُولَةٍ دَعْوَى الْحَمِيرِ إِذَا أُرْدَنْ نَهَيْقَا  
 وَلَقَدْ نَظَرْنَا فِي الْكِتَابِ فَلَمْ نَجِدْ لِقَالِكُمْ فِي آيَةٍ تَحْقِيقَا  
 أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ سَيْفَ مُحَمَّدٍ أَمْسَى عَذَابًا بِالطَّغَاةِ حَيْقَا  
 لَا تَنْتَضُوهُ بَانَ تَرَمَوْا خِطَّةَ عَسْرَاءَ تَعْيِي الطَّالِبِينَ طُوقَا  
 خَلُّوا الْخِلَافَةَ إِنَّ دُونَ لِقَائِهَا قَدْرًا بِأَخْذِ الظَّالِمِينَ خَلِيقَا

(١) سأل به اي سأل عنه

(٢) في هذا البيت وما قبله يقول هل سألت عن المدوح محمدًا (وهو قائد آخر) فينبئك بالخبر الصحيح بل أسأل الخوارج (الشراة) فقد نالهم منه أكثر مما نال أهل موقان قبلًا - والموق الخلاك

(٣) أي جعل الخوارج زعيمهم خليفة فالبسوه العباة الجيدة النسيج

(٤) أرزن اسم مكان ويراد بالحية الذكر هنا الداهية الفتاك (وهو المدوح)

(٥) الجودي اسم جبل (وهو الذي استقرت عليه سفينة نوح) (٦) القران المنسوق القرآن المنظم

(٧) يا بني تغلب حتى متى تردون الكفر المهلك بمساعدتكم للخارجين على الامام

## وقال بمدح مالك بن طوق

رحلوا فأيّةُ عبدةٍ لم تُسكبِ      أسفًا وأيُّ عزيمةٍ لم تُقلبِ  
 قد بينَ البينَ المفرقَ بيننا      عشقَ النوى لريبِ ذاك الرُّببِ  
 صدقَ الغرابُ لقد رأيتُ شمسهمُ      بالأمسِ تغربُ عن جوانبِ غربِ<sup>(١)</sup>  
 لو كنتَ شاهدنا وما صنعَ الهوى      بقلوبنا لحسدتَ من لم يُجِبِ  
 سُغَلَ الرقيبُ واسعدتنا خلوةُ      في هجرِ هجرٍ واجتنابِ تجبِ  
 فتلجلجلتُ عبراتها ثم انبرتُ      تصفُ الهوى بلسانِ دمعِ مُعربِ  
 تشكو الفراقَ الى قتيلِ صابرةٍ      شرقِ المدامعِ بالفراقِ معذبِ  
 أطيعُ فيك العاذلاتِ وكسوتي      ورقِ الشبابِ وشرقي لم تذهبِ  
 وإذا التفتُ الى سنيِّ رأيتها      كحجرِ جبلِ الخالغِ المتصعبِ<sup>(٢)</sup>  
 عشرونَ قصرها الصبي واطاها      ولعُ العتابِ بهائمٍ لم يُعتبِ  
 ما لي وللأيامِ صرفُ صرفها      حالي واصكثُ في البلادِ تقلي  
 فأكونَ طوراً مشرقاً للمشرقِ الاقصى      وطوراً مغرباً للمغربِ  
 وإذا الزمانُ كساك حلة مُعدمِ      فالبس لها حبلِ النوى وتغربِ  
 ولقد أبيتُ مع الكواكبِ راكباً      أعجازها بعزيمةٍ كالكوكبِ  
 والليل في لونِ الغرابِ كأنه      هوَ في حاوكتِهِ وان لم يُنعبِ  
 والعيس تنصلُ من دجاءِ كما انجلى      صبغُ الشبابِ عن القذالِ الاشيبِ<sup>(٣)</sup>  
 يطلبنَ مجتمعَ العلي من وائلِ      في ذلكِ الاصلِ الرُّكيِّ الاطيبِ  
 وبقيةُ العربِ الذي شهدت له      أبناءُ ادرَ بالفخارِ ويعربو<sup>(٤)</sup>  
 بالرحبةِ الخضراءِ ذاتِ المنهلِ العذبِ      المشاربِ والجنابِ المُعشبِ<sup>(٥)</sup>

(١) غرب اسم جبل

(٢) الخالغ المتصعب أي الجمل الضيف

(٣) العيس النياق البيض مخالطها شفرة وظلمة خفية. ومعنى البيت ان العيس تخرج من الليل كما

يخرج القذال الاشيب من سواد الشباب

(٤) اد ويعرب من جدود العرب المعروفين

(٥) الرحبة مكان الممدوح

عطنُ الوفودِ فنجدُ أو مُتهمٌ  
القوا بجانبها العصيَّ وعوَّوا  
ملكٌ له في كل يوم كريمةٌ  
وتراهُ في ظلم الوغي فتخاله  
يا مالكُ ابن المالكين الألى  
اني أتيتك طالباً فبسطت من  
وغدوت خيراً حياطعاً مني على  
أعطيتني حتى حسبت جزيل ما  
فشعبت من برِّك لديك ونائل  
قومٌ اذا قيل النجاء فما لهم  
يمشون تحت ظبي السيف الى الردى  
يتراكون على الأستة في الوغي  
ينسيكُ جود الفيث جودهم اذا  
حتى لو ان الجود خيراً في الوري

أو وافدٌ من مشرقٍ أو مغربٍ<sup>(١)</sup>  
فيها على ملك أعزَّ مهذب  
اقدام ليثٍ واعتام مجرب  
قرأ يشدُّ على الرجال بكوكب<sup>(٢)</sup>  
ما للمكارم عنهم من مذهب  
أملي وأطلب جودك كفك مطلي<sup>(٣)</sup>  
نفسى وأزاف بي هنالك من ابي  
أعطيتني وديعة لم توهب  
ورويت من أهل لديك ومرحب  
غير الحفاظ والردي من مهرب<sup>(٤)</sup>  
مشي العطاش الى برود المشرب  
كالصبح فاض على نجوم النيهب  
عثرت أكتهم بعام مجذب  
نسباً لأصبح ينتمي في تغلب



(١) اي هو وطن او مقصد الوافدين من شتى الامصار  
(٢) وتراه وسط غبار الحرب مشرقاً كالقمر وهو ينقض على الرجال بسيف او رمح متالق  
(٣) اطلبه اي اعطاه ما طلب كالكوكب  
(٤) يريد بذلك قوم الممدوح بني تغلب . النجاء الحرب



# ابن البروصی

ابو الحسن علی بن العباس

۵۲۲۱ - ۵۲۸۳

۸۳۷ - ۸۹۹ م

مصادر دراسته - منشأه و طرف من سیرته - ممدوحه

عقلیته و اخلاقه - فنه و مزایاه الشعریة

## مصادر دراسة

الفهرست ( المانيا ) ١٦٥

العمدة لابن رشيق ج ١ - ٤٠ و ٤٢ و ١٩٤

ج ٢ - ١٣٦ و ١٤٠ و ١٨٤ - ١٨٥ و ١٩٠

زهر الآداب للحصري ج ١ - ٢٣٢ ذكر عامته

٢٤٨ عتابه لابي الصقر

١٧١

١٧٧ } ج ٢ - تطيره وخوفه من ركوب البحر

١٧٨

ج ٢ - ٩٠ نهجه

ج ٣ - ٩٩٠ و ١٠٢٠ داره وحنينه للوطن

١٠٥ مواليه

ج ٤ - ٤١ تسليه عن الهموم

وفيات الاعيان ١ - ٤٩٩

شرح شواهد التلخيص للعباسي ص ٣٨ - ٤٢

وقد ذكر المعري في رسالة الغفران شيئاً عن تشيعه وذكره الجرجاني في الوساطة ص ٥٠  
وصفحات اخرى وفي كتاب التصحيح والتحرير للعسكري ج ١ - ٢٩ شي . عن سبب موته

ومن المراجع الحديثة غير دوائر المعارف وغير كتب التاريخ الادبي العامة

مختارات ابن الرومي ( للسكيلاني )

للبارودي

ديوان ابن الرومي ج ١ طبع محمد شريف سليم

حصاد المهشم للمازني ٢٩٩ - ٤٢٧

ابن الرومي للعقاد وهو احدث واوفى ما كتب عنه



## نشأه وطرف منه سيرته

نشأ ابن الرومي في بغداد، وليس في شعره ما يدل على انه تركها طويلاً او جاب الاقطار، كما فعل ابو تمام والمتنبي وسواهما من الشعراء. ويستدل من بعض اخباره انه سافر مرة الى سامراً وطال مقامه فيها<sup>(١)</sup>، فكان يتشوق الى ايام بغداد كقوله -

بلد صحبت به الشيبة والصبأ      ولبست ثوب العيش وهو جديد  
فاذا تمثّل في الضمير رايته      وعليه اغصان الشباب تيمد

والارجح انه قصدها - وكانت يومئذ دار الخلافة - طلباً للرزق ولكنه لم يوفق في طلبه فلها، وحمل على الغربة وطلب المال فقال

× وفيم اجتهادي في محاولة الغنى      وما للغنى عند الجواد به قدر  
× وما انا الا محرزُ المجد والعلی      وذلك كئذي لا التّجین ولا التّبر  
وان يقض لي الله الرجوع فانه      علي له ان لا افارقكم نذر  
ولا ابغني عنكم شخوصاً ورحلة      يد الدهر، الا ان يفرّقنا الدهر

فلم يكن لشاعرنا تلك الطبيعة المغامرة المجازفة في سبيل الحصول على الاماني. وقد ترك لنا في ذلك قصيدة عصماء وصف فيها احوال السفر براً وبحراً، وسنتناولها في غير هذا المقام.

وهو كما يتضح من لقبه ونسبه رومي الاصل واسم جده جريج الرومي (او جورججوس)<sup>(٢)</sup>. ولا نعلم عن امرته شيئاً يذكر، الا ان في بعض شعره تلميحاً الى ان امه فارسية الاصل كقوله

كيف اغضي على الدنيا والفرس خوولي والروم اعامي

× وكان جده، كما ذكر ابن خلكان، مولى عبید الله بن عيسى بن جعفر المنصور فنشأ والده، كما يستدل من اسمه، مسلماً وولد صاحب الترجمة كذلك، وتثقف في بيئة اسلامية محضة. ولم يتصل بنا ان والده كان يتكلم الرومية او يعرفها، او انه هو عرفها، على

(١) زهر الآداب ج ٣ - ١٠٠

(٢) معجم الادباء ج ٦ - ٢٧٤ تحت سيرة محمد بن حبيب

اننا لا نشك في انه كان يعرف نسبه الى اليونان ويفخر به احياناً ، كقوله من قصيدة في  
ابي سهل النوبختي

ونحن بتو اليونان قوم لنا حجاً ومجد وعيدان صلاب المعاجم  
وما تتراءى في المرايا وجوهنا بلى في صفاح المرهفات الصوارم

وقوله من قصيدة يذكر فيها بني العباس

انا منهم بقضاء من ختمت رُسل الاله به وهم اهلي  
مولاهم وغذي نعمتهم والروم - حين تنصني - اصلي

وقوله في رجل طعن بشعره والظاهر انه وصمه بروميته

قد تحسن الروم شعرا ما احسنته عريب  
يا منكر المجد فيهم ليس منهم صهيب

ويظهر ان شاعرنا لم يكن موقفاً في حياته العائلية فقد مات والده على الاربع وهو  
صغير ، ولم يبق له غير اخ اكبر كان يعول عليه في الشدائد . على ان هذا توفي والشاعر  
لم يتجاوز الثلاثين كثيراً . وقد فقد ابناؤه الثلاثة وزوجته فجزع عليهم جداً ، وكان  
لفقدهم تأثير عميق في نفسه . وليس من الغريب ان يكون قد تزوج ثانية وهو شيخ كما  
يرجح الاستاذ العقاد<sup>(١)</sup> ، على اننا لا نعلم شيئاً عن امر هذا الزواج

### عالمه محروجه

ولد ابن الرومي على رواية ابن خلكان سنة ٢٢١ هـ ، فلم يدرك المعتصم والواثق  
الاصلياً صغيراً . وقد ادرك سن البلوغ في زمن المتوكل ، وعاش الى خلافة المعتضد .  
ومع كل ذلك لا نرى في شعره ما يدل على تقربه من الخلفاء والحظرة عند الامراء . فاذا  
قابلناه بزميله البحري ( الذي ولد قبله بنحو ١٥ سنة ) نرى ان هذا مدح خلفاء زمانه ،  
ولاسيما المتوكل والمعتز ، بمشرات من القصائد ونال جوائزهم ، ومدح ما يقارب المئة من  
كبار الوزراء والقادة ، وحصل من ذلك مالا وجاهاً . اما ابن الرومي فليس له شيء  
يذكر في الخلفاء . ولعل السبب انه لم يدرك منهم غير المستضعفين كالمستعين والمعتز والمهتدي

على حدة  
البحري

(١) راجع ابن الرومي للعقاد ص ٩٠

والمعتد ، وكلهم قتل او خلع او حكم وليس له من الامر شي . . على اننا لا نجزم في ذلك مخالفه في ذلك حال البحري ، وان يكن هذا ادرك المتوكل والخلافة لم تزل في رونقها وقد عاش ابن الرومي اربع سنوات في خلافة المعتضد وله فيه بعض المديح . اما رجال الدولة الذين اتصل بها فجانبهم من الاعاجم ، وقد مر بنا ما كان لهم من النفوذ في الخلافة العباسية ، واليك اهم ممدوحيه -

### اسماعيل بن بلبل

كان من وزراء المعتد وجمع له السيف والقلم . وهو يرفع نسبه الى بني شيان ويفاخر بذلك على ان بعضاً غمزوه وقالوا هو دعبي<sup>(١)</sup> . وكان مادحوه كالبحتري وابن الرومي يذكرون نسبه الشيباني بالتعظيم والتعظيم ، على ان ابن الرومي انقلب عليه وصار يلقبه بالدعبي كقوله

عجت من معشر بعقوتنا باتوا نبيطاً واصبحوا عرباً  
مثل ابي الصقر إن فيه وفي دعواه شيان آية عجباً

### آل طاهر

وقد مر معنا ذكرهم في الكلام عن ابي تمام والبحري ، وهم من الفرس . كانوا من كبار رجال الدولة وقد تقلبوا منذ ايام المأمون في اعلى مراتبها . واخص ممدوحى ابن الرومي منهم عبيد الله بن عبدالله واخوه محمد بن عبدالله امير بغداد

### آل وهب

وزعيمهم في ايام الشاعر القاسم بن عبيدالله : كان على ما نقله صاحب الفخري من دهاة العالم ومن افاض الوزراء ، وكان شهياً كريماً مهيباً جباراً . وقد لزمه ابن الرومي ومدح آله ووعلى يده قتل

## آل المنجم

وهم من الفرس وقد مدح شاعرنا منهم علي بن يحيى . وكان ابوه مولى المأمون .  
وأصل بالفضل بن سهل ، وأصل علي بن يحيى بمحمد بن اسحق المصعبي ثم بالفتح بن خاقان .  
وعمل له خزانة حكمة<sup>(١)</sup> . وآل المنجم من علماء الفلك الذين كان يشار اليهم بالبنان

...

ومن ممدوحيه احمد بن ثوابة وآل المدبر والقاضي يوسف وآل مخلد وآل نوبخت وابو  
القاسم التوزي وآل شيخ والباطاني ، ومعظمهم من اصحاب النفوذ والوجاهة . على ان ابن  
الرومي لم يحظ بشعره فلم يكن ميسور الحال . وفي شعره ما يدل على ذلك ، فهو كثير  
التبرم من الزمان وسوء الحال وقلة ثواب الممدوحين كقوله -

تأمل العيب عيبٌ وليس في الحق ريبٌ  
إن يسك الناس عني سيئاً فالله سيبٌ

وقوله

ذقت الطعوم فما التذذت براحة  
اما الصديق فلا احب لقاءه  
من صعبة الاخيار والاشرار  
حذر القلي وكراهة الإعوار  
وارى العدو قذى فأكره قربه  
فهجرت هذا الخلق عن اعذار

ولكن ابن الرومي لم يهجر الدنيا ومذاتها ولم يبتعد عن الناس وعظاياهم ، بل بعكس  
ذلك كان يتهاوت على ما في الحياة مما يشمع شهوات نفسه ، ويسرف في ذلك كل الاسراف .  
وكان يرمي بنفسه على ابواب الكبراء والوجهاء طالباً رفدهم ، متمياً نفسه بالخطوة عندهم .  
ومع كل ذلك تراه في شعره محروماً ناقماً ، او ساخراً عابساً ، ليس له من منزلة توجب احترامه ،  
او صداقة تشفي اوامه . ولماذا ؟ لان في طبعه كما يستدل من شعره ما كان ينتفره من  
الناس وينفر الناس منه . - هذا الطبع هو الذي جنى عليه والزمه حالة الحاجة والحول .  
وقد اصاب في وصف نفسه اذ قال

اسخطت اخواني واخفق مطعبي فبقيت بين الدؤور والابواب

وبينا ترى زملاءه من كبار الشعراء قد فاض كسبهم تراه وهو في الخسرين من عمره .  
يشكو الزمان بقصيدة رفعها الى اسمعيل بن بلبل وفيها يقول

وبيع القوافي ما لها سفسفت      حظي كاني كنت سفسفتها  
 انحط على حظي بيراتها      شكراً لاني كنت ارهفتها  
 او كئفت دون العنى سدها      حتى كاني كنت كئفتها  
 حرمت في سني وفي ميعتي      قرأي من دنيا تضيقتها  
 فكرت في خمسين عاماً خلعت      كانت امامي ثم خلقتها  
 لا عذر لي في اسني بعدها      على العطايا - عفتها عفتها

والقصيده طويلة واكثرها على هذا النمط . ومثلها قصيدة يعاتب فيها صديقاً ومنها  
 تتبين شيئاً من حاله ونظر اخوانه اليه - قال

ايها الحاسدي على صحبتي العسر      وذمي الزمان والاخوانا  
 ليت شعري ماذا حسدت عليه      ايها الظالمي اخائي عيانا  
 اعلى انني ظممت واضحي      كل من كان صادياً ريانا  
 ام على انني امشى حسيراً      وارى الناس كلهم ركبانا  
 ام على انني شكلت شقيقي      وهدمت الثراء والاطوانا

والبيت الاخير يشير الى فقدته لاخته الاكبر الذي كان يعطف عليه ، والى دار وعقار  
 تركها والده فاضاعها<sup>(١)</sup> . ومما يدل على سوء حاله بالنسبة الى زملائه قوله لمن عاب  
 قريضه -

أبعد ما اقتطعوا الاموال واتخذوا      حدائقاً وكروماً ذات تعريش  
 يجاسدونني وبيتي بيت مسكنة      قد عَشَّش الفقر فيه اي تعشيش

وكيفما قلبت ديوانه تجد هذه النفثات الناضحة بروح التبرم والغيظ والالم . واذا رجعت  
 الى حكمه التي هي عنوان عقله المفكر رايت اساسها تأثير بيئته . فقد ترك شاعرنا  
 كثيراً من الابيات الحكمية ومعظمها يدور على ما يلي -

قباحة البخل وجمال الثواب      راجع مختارات ابن الرومي (للكيلاني) ١٠٦  
 عدم منفعة الاخوان      " " " " " ١٠٧  
 نكد الزمان      " " " " "

(١) وفي بعض قصائده اشارة الى دار له غضبت منه ، وفيها ما يشير الى سوء حاله في اواخر  
 ايامه كالتي مطلعها - لا زلت تبلغ اقصى السؤل والامل

٢٦	راجع مختارات ابن الرومي (للكيلايني)	غرور الشباب
٧١	"/ "/ "/ "	وجوب الخزم
٢٠٢	"/ "/ "/ "	نفع الشدائد
١٠٩٤٩٤	"/ "/ "/ "	الحظ
٩٦	"/ "/ "/ "	الملل من الناس
١٠٣	"/ "/ "/ "	عدم المبالاة
٣٩٧	"/ "/ "/ "	فساد الذوق
٤٠٥	"/ "/ "/ "	الوشاة
٤٤١٤٣٧٧	"/ "/ "/ "	عدم التعرب
٣١٦	"/ "/ "/ "	الصبر

الى غير ذلك من الاغراض التي تشير الى ما كان يشعر به من وطأة الزمان ، وما كان  
يحتاج في نفسه المنفعة من تأثير الحرمان

٤٨٠

### عقله وأرها في شعره

لابن الرومي مع فرط ادبه وتوقد قريحته عقلية غريبة . فهو في حال سكينته  
واطمئنانه ليب مفكر يأتيك بالحكم والاقوال الساحرة ، ولكنه عصبي المزاج شديد  
الانفعال : فاذا هاجه هائج اضاع لبه واندفع على وجهه لا يبالي ، حتى في معاتباته اكبار  
الرجال تجده مرآة اليم اللسان . ويتجلى لك مزاجه العصبي في قوله يعاتب اسمعيل بن نوبخت  
(وهو احد مدوحيه) يوازن اولاً بين نفسه وسواه من الشعراء فيصفهم بالجيف النذرة والغشاء  
الطافي على وجه اليم ، وانه احق منهم بباوغ الاماني . ثم يخاطب اسمعيل فيقول -

واجبي ان ارى جواني عتباك فلا تجعل السكوت جواني

ان في ان تعني بعض اغضابي وفي ان تهيني اغضابي

كنت تأتي الجميل ثم تنكرت فعاتبتُ مجملًا في العتاب

فالتفت توبة وراجع فعلاً ترتضيه الاسلاف للاعقاب

ومثل ذلك قصيدة يعاتب بها اسمعيل بن بلبل وقد شعر بشيء من الجفاء منه : قال فيها

فما لعطايك اضحت حمى علي واضحت لغيري نهبا

قبلت مديحي وانشدته اناساً وامسكت عني الثواب  
 فله انت وما جثته اليّ لقد جثت شيئاً عجاباً  
 اتهمتك ستري عن خلتي وتغلق دون عطايك باباً  
 حلفت لئن انت لم ترضني لتفصر فنّ القوافي غضاباً

واقول ما يقال في هذا العتاب انه تهديد ، وان صاحبه ممن اذا غضبوا لا ينظرون الى العواقب . ويجوز لنا ان نقول ان ما عرف به ابن الرومي من الهجاء هو اثر من تلك الطبيعة الشديدة الانفعال التي يخرج بها الانسان احياناً عن طور الرشاد . ومن هنا هذه الجرأة في مهاجمة الاعيان والحكام وهذا الاقذاع في الطعن بالمنائين ، مما كان - على ما يعتقد ابن رشيقي - سبباً في هلاكه<sup>(١)</sup> .

وقد غالى بعضهم في هجاء ابن الرومي وجعلوه فنناً من فنون الشعر ، وهو كذلك لو اقتصر فيه الشاعر على تصوير المساوى الشخصية او الاجتماعية ، وعرضها بقالب يثير في النفس كراهية تلك المساوى . ولكن شعرنا العربي الهجائي في كل اطواره لم يصل الى تلك الدرجة الراقية الا نادراً . فالهجاء الفني يقتضي امرين الفكاهة او الدعابة ، وحسن التصوير . الاول يرفقه عن الحشونة والاقذاع ، والثاني يضعه في صف الفنون الجميلة . وانك ترى في بعض الهجاء العربي شيئاً من ذلك ، ولكن اكثره من قبيل الطعن الشخصي الذي يراد به الحط من كرامة الشخص او كرامة اهله ، لا لقصد اصلاحه بل تشفياً او تفاخراً . هكذا كانت نقائض جرير والاحطل والفرزدق ، وعلى هذا النمط جرى اكثر الهجائن عند العرب . ولم يشذ ابن الرومي عن هذه القاعدة - قال ابن رشيقي وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به وحتى صار يقال اهجى من ابن الرومي ، وليس هجاء ابن الرومي باجود من مدحه ولا اكثر ولكن قليل الشر كثير<sup>(٢)</sup> .

ولا ينكر ان في هجاء صاحبنا شيئاً من الدعابة وحسن التصوير ، وايكن معظمه فاحش لا يرتفع الى ما نسميه فنناً ادبياً . ومن دلائل ضعفه العصبي اعتقاده بالطيرة : كان يتشامم من بعض الالفاظ او الحوادث ، وكان لهذا الطبع اثر شديد في تصرفه مما جعله سخرية في عين العقلاء . ولا نستطيع ان نعلل هذه الظاهرة العقلية التي تضعف ارادة الانسان وتحملها على ربط الحوادث بغير اسبابها

الا بقولنا ان صاحبها شاذ في عقلية وان في جهازه العصبي ضعفاً خاصاً . وقد تناول ابو  
العلاء المعري تطيّر ابن الرومي في رسالة الغفران وانتقده ، ولم يتعدّ دائرة الصواب اذ قال  
عنه « ان ادبه اكثر من عقله » \*

وقال ابن رشيق كان ابن الرومي كثير الطيرة ربما اقام المدة الطويلة لا يتصرف تطييراً  
بسوء ما يراه او يسمعه ، حتى ان بعض اخوانه من الامراء افتقده فأعلم بحاله في الطيرة ،  
فبعث اليه خادماً اسمه اقبال ليتفاهل به . فلما اخذ اهبطه للركوب قال للخادم انصرف الى  
مولاك فانت ناقص ، ومنكوس اسمك لا بقا . وابن الرومي هو القائل : الغال لسان  
الزمان والطيرة عنوان الحدثنان ، وله فيه احتجاجات وشعر كثير<sup>(١)</sup> . ومن ذلك قصيدة قالها  
وهو في السابعة والخمسين وقد رأى عجوزاً في احدى عينها نكتة وجارية حولاً ، فتطيّر من  
ذلك . واتفق بعد مدة يسيرة ان جفاه القاسم بن عبيدالله ، وسقطت ابنة لبعض اصدقائه  
من بعض السلطوح فمات ، فكتب الى صديقه قصيدة يقول فيها

لا تهاون بطيرة ايها النظّار واعلم بانها عنوان  
قف اذا طيرة تفتّك وانظر واستمع ثمّ ما يقول الزمان  
فتحك المهرجان بأحلول والعود ارانا ما اعقب المهرجان  
كان من ذلك فقد ابنتك الحرّة مصبوغة بها الاكفان  
وتجاني مؤملاً لي خليل ليج منه الجفاء والمهران

عقلية كهذه لا تستطيع ربط الاسباب بمسبباتها ، بل تميل الى الوهم والذعر لا ينتظر  
ان يكون صاحبها ذا اقدام وعزيمة صادقة . وبرغم ما تقرأه في شعر ابن الرومي من ذكر  
المجد والعلو فانه لم يتعدّ في ذلك حد الكلام . كان ذا موهبة شعرية حادة مقرونة بضعف  
عصي حاد ، وقد تولد من امتزاجهما ذلك الخوف الصياني وتلك الغيرة الشاذة التي كانت  
توهمه انه فوق العالمين ، وانه جدير بكل اكرام وتعظيم ، وان من لا يكرمه فقد نقص  
قدره وحق عليه ان يهجوّه ويحط من كرامته اياً كان ومهما كانت منزلته . واننا لنوافق  
الاستاذ العقاد في ان شاعرنا كان «حسن النية رقيق القلب لم يخلق شريراً مطويماً على الشكس  
والعداوة»<sup>(٢)</sup> ، ولكن الرجل كان على ما يظهر يجمع في نفسه نقائص من الاخلاق فهو

(١) العمدة ١ - ٤٠ - وج ٢ - ١٣٦

(٢) ابن الرومي للعقاد ٢٢٣



مسالم شديد العدا ، رقيق القلب اليم البغض ، وفي ساخر ، شجاع جبان ، الى آخر هذه الصفات الغريبة التي يقف المنتقد الاخلاقي لديها حائراً ، والتي لا يمكن لنا الا ان نعزوها الى اختلال في جهازه العصبي جعله غريب الاطوار شاذ الاخلاق ، ميالاً الى الاسراف في كل شي .

ومن ظواهر اسرافه نهمة في المآكل والمشرب ، حتى ان الحصري يعزو موته الى شدة نهمة<sup>(١)</sup> . ولا شك ان ما تجده في شعره من كثرة وصفه لاصناف الطعام والشراب راجع الى هذا الميل فيه . واليك وصفه لالذات المذات عنده .

ياسائلي عن مجمع الذوات      ساءات عنه انعت النعآت  
خذ يا مرید الماكل اللذيد      جرداقتي خبز من السميد  
لم ترَ عين ناظر مثليهما      فقشّر الحرفين عن وجهيها

ثم يصف ما يضاف الى ذلك من لحم فرّوج ولوز وجبن وبيض ونمّع وملح وكيفية تحضيرها وطبخها ويختم القصيدة بقوله

ومشّح العين به ملياً      واطبق الخبز به هنيئاً  
املا ثناياك واكدم كدما      تسرع فياقد بنيت هدماً  
لني عليها وانا الزعيم      بمعدة شيطانها رجيم

وكثيراً ما كان يدفعه نهمة الى ذم رمضان والصيام لما فيها من كبح الشهوات والمذات كقوله

اذا برکت في صوم لقوم      دعوت لهم بتطويل العذاب  
وما التبريك في شهر طويل      يطاول يومه يوم الحساب  
فليت الليل فيه كان شهراً      ومرّ نهاره مرّاً السحاب  
فلا اهلاً بانع كل خير      واهلاً بالطعام والشراب

وقوله من قصيدة -

شهر يصدّ المرء عن مشروبه      مما يحصل له وعن مأكوله  
لا استئيب على قبول صيامه      حسي تصرّمه ثواب قبوله

(١) زهر الآداب ٢-٩ . وفي كتاب التصحيف والتحريف (لابن احمد العسكري) ج ١-٢٩ (مطبعة الظاهر مصر ١٣٢٦) يمزى سبب موته الى قصيدة هجائية قالها في جلّساء القاسم بن عبد الله وكان فيهم رجل يقال له ابو فراس يكرهه فسمّه في خشكناجه فاضت نفسه فيها

وله في الخمر شيء كثير ، وكان من مدمنتها المتسلين بها عن الموموم حتى في ايام مشيئه  
كقوله

ساعرض عن اعرض الدهر دونه واشربها صرفاً وان لام لوم  
فاني رايت الكاس اكرم خلّة وفت لي وراسي بالمشيب معمم  
ومن صارم اللذات ان حان بعضها ليغهم دهرأ ساهه فهو ارغم

وقال من قصيدة بعث بها الى زميله ابن المسيب

ادرك ثقاتك انهم وقعوا في نرجس معه ابنة العنب  
فهم بجال لو بصرت بها سبحت من عجب ومن عجب  
ريحانهم ذهب على درر وشرايهم درر على ذهب

ثم يصف مجلسهم في الروضة الغناء ويطلب اليه القدوم ليم انسهم به . ومن خمرياته  
قوله يصف الخمر ويصف حسناء تشرب

ومدامة كخشاشة النفس لطفت عن الادراك باللس  
لنسيمها في قلب شاربها روح الرجاء وراحة اليأس  
وقد في امل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الامس  
ومفهم كملت محاسنه حتى تجاوز منية النفس  
ابصرته والكأس بين فم منه وبين انامل خمس  
فكانها وكان شاربها قر يقبل عارض الشمس

واليك هذه المداعبة الساخرة التي تذكرنا بشعر ابي نواس

احل العراقي التبيذ وشربه وقال «الحرمان المدامة والسكر»  
وقال الحجازي الشرابان واحد فحلّت لنا بين اختلافهما الخمر  
ساخذ من قوليهما طرفيهما واشربها لافارق الوازر الوزر

وفي ديوانه كما ذكرنا آنفاً شعر كثير في الخمر وانواع المآكل . فاذا قرنت ذلك الى  
ولعه بالشباب ، وشغفه بكل ما يقدمه من اطيب الحياة - كما سترى في قصائده التي  
يصف بها الشيب باكياً ايام الشباب ، نادياً اوقات اللهو والمذات - تعرف ما كان في نفس  
شاعرنا من نهم باللذائد الطبيعية ، وكيف كان مقتوناً بما تقدمه حواسه من نشوة جسدية  
ومن الانصاف ان نقول ان شاعرنا لم يكن فريداً بين شعراء العرب في ذلك فثله

كان أبو نؤاس واضرابه ، ومثله كثيرون من محبي الحياة الدنيا في كل عصر . على ان له على ما يظهر منزلة خاصة : فهو شغوف بالحياة لاجل الحياة - يجب ان يعيش وان يعيش قوياً ل يتمتع بجبالها واطابها ، وقد وهبته الطبيعة حساً دقيقاً فكان يرى فيها ادق الالوان واخفى الاصوات والحركات . ولعل شعوره بالحرمان وبسوء الحال كان يزيد فيه هذا الشغف وهذه الشهوة الحيوانية القوية : فنقول الشهوة الحيوانية لاننا لا نرى في شعره ما يدل على غير ذلك - لا نرى فيه ذلك الميل الى لباس الطبيعة حلة روحانية ترتفع به عن التمتع باللذة . فالمرأة والحرة والطعام والزيبع والشباب والرياض كلها في نظره ادوات للسرور ووسائل للتمتع ، وبقدر ما يستطيع الانسان ان يستخدمها يكون حظها في الحياة

## شعره وسأعربه

قال ابن خلكان « هو صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يعفص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في احسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره ولا يبق في بنية »<sup>(١)</sup> . وقد سبقه ابن رشيق فقال « وكان ابن الرومي ضيقاً بالمعاني حريصاً عليها يأخذ المعنى الواحد ويؤلده ، فلا يزال يقلبه ظهرأ لبطن ويصرفه في كل وجه والى كل ناحية ، حتى يميتته ويعلم انه لا مطعم منه لاحد »<sup>(٢)</sup> . ومع علو كعبه في الشعر لم يذكره صاحب الاغانى ولا ياقوت ولا الاثباتي ، وقد خصه ابن النديم في الفهرست بكلمة وحيدة ذكر فيها ان شعره كان على غير الحروف رواه عنه المسيبي ثم عمله الصولي على الحروف ، وجمعه ابو الطيب وراق بن عبدوس من جميع النسخ<sup>(٣)</sup> . وتابعه ابن خلكان في ذلك ولكنه جعل راويته المتنبي لا المسيبي<sup>(٤)</sup> وهو على ما يتراوى لنا خطأ نسخي فان المتنبي ولد بعد موت ابن الرومي بعشرين سنة فلا يصح ان يقال انه رواه عنه ، ولم ينتبه الى هذا الخطأ اكثر المؤرخين والمتأديبين الحديثين فنقلوا كلام ابن خلكان على علاقته .

وييل نقاد العصر الى القول بالوحدة في قصائد ابن الرومي كقولهم « فقصيدته قطعة مؤلفة تأليفاً منطقياً فنياً لا عوج فيها ولا ضعف ولا ميل الى الاستطراد »<sup>(٥)</sup> ، او كقولهم

(١) وفيات الاعيان ١-٢٩٩ (٢) العجدة ٢-١٨٥

(٣) الفهرست ١٦٥ (٤) كما في الطبعة المبرزة (٥) المجلد ١٣٨

« تخالف ابن الرومي هذه السنته (اي سنة الذين جعلوا البيت وحدة النظم) وجعل القصيدة كلاً واحداً لا يتم بغير تمام المعنى الذي اراده على النحو الذي نحاه . فقصائده موضوعات كاملة تقبل العناوين وتنحصر فيها الاغراض ، ولا تنتهي حتى ينتهي مؤداها »<sup>(١)</sup>

والذين يقولون بالوحدة يجعلون اساسها طبيعة شاعرنا اليونانية ، واختلافها في الاسترسال والتوحيد عن الطبيعة العربية . والمدقق في درس شعره يجد هذا الحكم العام صحيحاً في بعض قطع خاصة ، او بعض اجزاء من القصائد لا في القصائد عموماً ، كوصفه للشيب او للحنن او لمشقة السفر او للمهارة في لعب الشطرنج وما شاكل . وليس من الضروري ان يكون ذلك راجعاً الى « يونانية » تميزه عن سائر الشعراء ، ففي الشعر العربي قديماً وحديثاً امثلة كثيرة على اتصال الفكر في قطع تطول او تقصر بالنسبة الى الاحوال . خذ قصيدة عمر بن ابي ربيعة «امن آل نعم» ، او مرثاة ابي ذؤيب «امن المنون» ، او وصف الايوان للبحثري ، او وليمة ابن الواساني : بل خذ كثيراً من خمريات ابي نواس وما اشبهها من الكلام المتصل الفكر الذي تجده في كل العصر الادبية ، ولاسيا في عصرنا الحاضر ، نجد ان ابن الرومي لم ينفرد في ذلك ، وليس في شعره ما يدفعنا الى القول بطبيعة تخالف طابع معاصريه . واليك مثلاً قصيدته في علي بن يحيى المنجم ومطلعها

شاب رأسي ولات حين مشيب وعجيب الزمان غير عجيب

فهي ١١٧ بيتاً . منها ثلاثون في وصف المشيب والحضاب ونظر الغواني اليهما ، وبقية القصيدة في المدح يعدد فضائله من كرم ودهاء وسمو وشجاعة وما شاكل من المناقب الرفيعة . واذا درستها لا تراها تختلف عن مدائح عصره من حيث الاسلوب والتفنن في ضروب الوصف والمدح ، بل تستطيع ان تقتطع منها ما شئت من الابيات وتبقى القصيدة تامة المعنى . وما يصدق على هذه القصيدة يصدق على قصيدته في عبيد الله بن طاهر التي مطلعها

صبا من شاب مفرقه تصابي وان طلب الصبا والقلب صاب

وهي ١٢٥ بيتاً خصص منها نحو ٧٠ بيتاً للشيب وتذكرات الشباب ، وساق الباقي في مدح المدح على الطريقة المتبعة عند الشعراء . وكذلك القصيدة التي يهنئه فيها بعيد المهرجان وهي تقرب من ١٣٠ بيتاً وتختلف بين وصف يوم العيد وتمداد فضائل المدح

حواله ، وغير ذلك من سائر مطولاته كمرثاته لابي الحسين يحيى بن عمر العاوي وهي ١٠٩  
ابيات ومطلعها

امامك فانظر اي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم واعوج

وقصيدته في احمد بن ثوبان - دع اللوم ان اللوم عون النوائب - وهي ١٨٢ بيتاً ،  
ورثاؤه لاهل البصرة - زاد عن مقلتي لذيد المنام - وهو ٨٣ بيتاً ، وعتابه لابي القاسم  
التوزي - يا اخي ابن ربيع ذاك اللقاؤ - في ١٦٨ بيتاً ، وقصيدته في القاسم بن عبيدالله  
- ايها القاسم القسيم رواه - وتبلغ ٢١٦ بيتاً ، وغير ذلك من عيون قصائده . في كل هذه  
القصائد نجد بعض القطع التي تستقل بوحدة فكرية ولكنك لا تجد القصائد عموماً تختلف  
عن امثالها في دواوين الشعراء ، لا من حيث استقلال الابيات ، ولا من حيث اتساق الافكار .  
ولا نرى علمياً ما يؤيد القول بتأثير النزعة اليونانية في ادبه . وقد حاول الاستاذ العقاد ان  
يجمع بين النظريين فجعل العبقريّة اليونانية فيه ادبية لا نسبية ، او كما قال « انها كلمة مفهومة  
في لغة الاداب وان لم تكن مفهومة في لغة الانساب »<sup>(١)</sup>

### مزاياه الفنية

وانما يمتاز شعره بما يلي -

١ - طول النفس مع المحافظة على السلاسة عموماً

٢ - استيفاء المعنى وتقضي كل ما يقال فيه

٣ - دقة الاحساس بالمؤثرات الطبيعية

٤ - ميله الى تشخيص ما لا يعقل

اما طول النفس فقد اشرفنا اليه سابقاً ، ونزيد به مقدرة الشاعر علي الاشهاب في النسج  
دون تعب او تكلف ظاهر . فانك لا ترى لشاعر عربي ما تراه لابن الرومي من كثرة  
المطولات التي تتجاوز المئة والمئة والخمسين بيتاً ، واكثرها حسن السبك كثير الالوان  
المعنوية . وبديهي ان نجد في مطولات كهذه بعض الحشو والتكرار وشيئاً من السفسفة ،  
ولكنها عموماً تدل على غزارة مادته اللغوية وعلى مهارته في استخدام الالفاظ لمعانيه . فهو  
فيأض كثير الاطناب والمراجعة بعيد المدى في ميدان النظم ، ولكنه لا يصل الى آخر مداه

منهوكاً مقطوع النفس ، ولا تشعر في شعره بتكلف مضمراً او جهاد عنيف  
 على ان الاطالة لا تؤمن احياناً ، فقد تضطر صاحبها الى استعمال غرائب الصيغ والالفاظ  
 محافظة على وزن او معنى ، ولا سيما اذا كان واسع الاطلاع في اللغة كشاعرنا ابن الرومي .  
 واثباتاً لذلك نذكر هنا بعض ما اخترنا من غرائب ديوانه مع الاشارة الى مواطن كل لفظة  
 ليسهل الرجوع اليها ، وليس الذي نشبته هنا الا قليلاً من كثير مما يرد في ديوانه

١١ -	موزجره ي ديوان ابن الرومي لشريف حسن ج ١ -
٢٧ -	حظي دون الفا ( الخيس )
١١٠ -	مريغو نداه ( طالبوه )
٢٠٢ -	لاذب الجرب ( لازم العيب )
٢٣٧ -	خمر ثلب ( قديمة )
٢٩٤ -	كروب وذباذب ( اضطرابات )
٢٧٥ -	مقععل الرواجب ( متشجج الاصابع )
٣١٧ -	نعمة ترتب ( مقيمة )
٣٢١ -	مرث ( حليم )
٣٧٨ -	عسل اللصاب ( عسل الجبال )
٤١٠ -	الققد ( صفع القفا )
٤٤٥ -	السحاب ( القلادة )
٥٨ -	شميم الوجه ( كريمة ) مختارات الكيلاني
٨٥ -	يومان ارونان ( عصيان )
١٢٠ -	للدهر منجنون ( دولاب )
١٧١ -	اكف ضوايب ( نواشب )
٢٠٤ -	الزوش ( العبد )
٢٢٠ -	ارى خشله معوي ( ردينه كحسني )
٢٥١ -	البك الالب ( جمعك المحشد )
٣٩١ -	ابريق ردوم ( سائل )
٣٩٢ -	كدنتي تتخد ( سمني يهزل )
٣٩٣ -	هل من عندد ( اي بد )

ويكثر في مطولاته الروابط الكلامية، يأتي بها ليربط ما تقدم بما تأخر، ولا يستحسن ذلك في الشعر. ومن هذه الروابط ما يلي -

مع انه - لم لا - لاسيا - بل - كيا - غير ان - وظني انه - لذلك هذا - على انني - مع - واعلم - هكذا - برهان ذلك - وذلك ان - الخ<sup>(١)</sup>

...

ومع تمكن ابن الرومي من شوارد اللغة لا يأنف احياناً من استعمال بعض الالفاظ الاعجمية. وهي ان جاز استعمالها في المباحث العلمية لا تستحسن في الشعر وما اليه من الكلام الفني، كاستعماله الالفاظ التالية

آبين - في قوله « اعجمي آبينه عربي » اي عادته ودأبه

شير = « اعني سليمان الذي في رسمه قر وشير » وهي الاسد في الفارسية

زرياب<sup>(٢)</sup> = « وتهاويل من سندس ومن زرياب » اي ماء الذهب

الدوشاب<sup>(٣)</sup> = « اعني احمد من الدوشاب » اي الثنيذ الاسود

الكوش = « يا اصلم الكوش هالك ضامنة جدع انوف وصام اكواش

والكوش هي الاذن في الفارسية

وامثال ذلك من الالفاظ التي كان يتملح بها على عادة بعض الشعراء في ذلك الزمان<sup>(٤)</sup>

### استيفاء المعنى وتقصي الاعراض

« ياخذ المعنى فلا يزال يعالجه حتى لا يبقى فيه بقية » ذلك رأي ابن خلكان فيه وهو

رأي مصيب، واليك بعض الادلة على ذلك من شعره

١ - في معابته لابي القاسم الشوزي الشطرنجي يذكر هنوات ذلك الصديق، وان

الحاجة كشفت له عنهن، ويجري بينه وبينهن محاورة لطيفة يقول فيها

(١) راجع ديوان شريف ج - ١٥١ - ١٦٥ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٩ - ٢٥١ - ٢٧٥ - ٣٢٨

- ٣٣٦ - ٣٨٦ - ٤١٩ - ٤٦٢ ومختارات الكيلاني ٨٤ - ٤٧١ - ٤٨٥

(٣) ويجوز استعمال هذين اللفظين اذا اصبحا علماً كالكنياك مثلاً

(٤) البيان والتبيين ١ - ٦١ مثلاً

ليثني ما هتكت عنكن سترأ فتويتن تحت ذلك الغطاء.  
 قلن - لولا انكشافنا ما تجأت عنك ظلاما شبهة قتا،  
 قلت أعجب بكن من كسفات كاشفات غواشي الظلام.  
 قد اشدتني مع الخبر بالصاحب ان رب كاسف مستضاء  
 قلن اعجب بهتدي يتمني انه لم يزل على عياء  
 كنت في شبهة فزالت بنا عنك فاوسعتنا من الازراء  
 وتمتد ان تكون على الحيرة تحت الغاية الطخياء  
 قلت تائه ليس مثلي من ود ضلالاً وحيرة باهتداء  
 غير اني وددت ستر صديقي بدلاً باستفادة الانبأ.  
 قلن هذا هوى فرعج على الحق وخل الهوى لقلب هوا  
 ليس في الحق ان تود خل انه الدهر كامن الادواء  
 بل من الحق ان تنقر عنهن والآ فانت كالبعداء  
 ان بحث الطبيب عن داء ذي الداء لأس الشفاء قبل الشفاء  
 دونك الكشف والعتاب فقوم بها كل خلّة عوجاء

وهذه المحاوره تكشف لك عن فن ابن الرومي وميله الى البحث المستفيض وتقضي  
 كل معنى من الغرض الذي يرمي اليه وفي هذه القصيدة نفسها يدح صديقه بالمهارة في  
 الشطرنج فيذهب في الوصف كل مذهب كقوله

غلط الناس لست تلعب بالشطرنج لكن بانفس اللبأء  
 لك مكر يدب في القوم اخني من ديبب الغذاء في الاعضاء  
 او مسير القضاء في ظلم الغيب الى من يريد به بالتواء  
 وعلى هذا النحو يصف لعبه في نحو عشرين بيتاً يتفنن في معانيها ما شاء ، وكلها شاهد  
 على تدقيقه في اغراضه ومحاولته الى الغاية منها

٢ - ذكر السفر ومشاقه وما لاقاه من ذلك برأ وبجرأ في قصيدة يدح بها احمد بن  
 ثوابة وقد اجاد فيها كل الاجادة. واليك شيئاً منها مثلاً لما نحن بصدده من تدقيقه وتقضيه

قال

اذاقتني الاسفار ما كره الغني الي واغراني برفض المطالب



× ومن نكبة لاقبتها بعد نكبة رهبتُ اعتساف الارض ذات المناقب  
 × وصبري على الاقتار ايسر محملاً عليّ من التعرير بعد التجارب  
 ثم يصف ما لاقاه من احوال البر ابان الشتاء من مطر وبرد وتلج وصباً في غاية الدقة،  
 نذكر منه هنا وصف حاله وقد اضطرّ الى المبيت في خان

قلت الى خان مُرثٍ بناؤه مَميلٌ غريقِ الثوب لهفان لاغب  
 فلم الت فيهِ مستراحاً لمتب ولا نُزلاً، ايّان ذاك لساغب؟  
 فما زلت في خوف وجوع ووحشة وفي سهر يستغرق الليل واصب  
 يورقني سقف كآني تحتَه من الوكف تحت المبدجات الهواضب  
 تراه اذا ما الطين اتقل متنه تصرّ نواحيه صرير الجنادب

وبعد ان يستوفي وصف الخان وهول السفر في الشتاء يصف متاعب القِيظ في الصحراء  
 في اثني عشر بيتاً، ثم يتناول احوال البحر (يقصد دجلة) اذا هبت الريح وطفت غوارب  
 الماء، ويجوئك ذلك حوكاً دقيقاً في ستة وعشرين بيتاً نذكر منها ثلاثة يرد بها على من لا  
 يرى في دجلة ما يراه المسافر في البحر من خطر او متاعب فيقول -

لدجلة خبٌ ليس لليمّ انها ترائي بجلهم تحتَه جهل واثب  
 تطامنٌ حتى تطمئنّ قلوبنا وتغضب من مزح الرياح اللواعب  
 زلازل موج في غمار زواخر وهوات خسف في شطوط خوارب  
 ولليمّ اعذار بعرض متونه وما فيه من آذيه المتراكب  
 ولست تراه في الرياح منزلزلاً بما فيه الا في الشداد الغوالب

٣ - وصف الشيب وايام الصبا وذلك كثير في ديوانه، نجتزى. هنا بما جاء منه في  
 قصيدة تبلغ ١٧٥ بيتاً قالها في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وخصص منها نحو سبعين بيتاً في  
 هذا الغرض الخاص . من هذه السبعين ١٩ بيتاً في وصف الشيب ووجوب الترحيب به  
 لانه يبشر بلحاق الماضي كقوله

وقلت مسلماً للشيب اهلاً بهادي الخطئين الى الصواب  
 الست مبشّري في كل يوم بوشك ترّحلي اثر الشباب  
 لقد بشّرني بلحاق ماض احبّ اليّ من برد الشراب

فلست مستيماً بشراك نعيماً وان اوعدت نفمي بالذهاب  
وانت وان فتكت بحب نفسي وصاحب لذتي دون الصحاب  
فقد اعتبتي وامت حقدني بحبك خلفه عجلأ ركابي

و ١١ بيتاً في ذكر ايام الحدائثه وموقف الغايات بين امس واليوم  
و ٤٠ بيتاً يصف فيها ما يذكره بالشباب من جمال الحسان ومن جمال الطبيعة - ما فيها  
من مياه وجنان وسحاب وبروق ورياح - وصفاً لا يترك فيه زيادة لمستريد يحنثه بقوله

× فيا اسفاً ويا جزعاً عليه ويا حزناً الى يوم الحساب  
× ألنبح بالشباب ولا اعزى لقد غفل المعزى عن مصابي  
× تفرقنا على كره جميعاً ولم يك عن قلى طول اصطحاب  
× وكانت ايكتي ليد اجتناء فعادت بعده ليد احتصاب

ثم يقول

لبستك برهة لبس ابتذال على علمي بفضلك في الثياب

ومن يراجع هذه السبعين بيتاً ويتأمل توفّر الشاعر على تعصي المعاني وتدقيقه في رسم  
ظلالها، ينكشف له ما قصد اليه ابن خلكان اذ قال « لا يبقي في المعنى بقية »

ولما كان ابن الرومي بطبيعته دقيق الاحساس كان من الطبيعي ان نراه يجيد في وصف  
الالوان والاصوات ويفتقن بها ما شاءت قريحته، وله في ذلك لطائف تعد من اجل ما في  
هذا الباب في الشعر العربي

ويمتاز بالبأسه الجماد حياة ونقل غير العاقل الى مصاف العقلاء، وهو ما يستعمله بالتشخيص  
او المجاز المرسل . ومن ذلك حديثه مع هنوات صديقه ، ( وقد مر في كلامنا عن قصيدته  
«ايها القاصم القسيم رواء» ) ، ومخاطبته للعشيب والشباب والبين والكساء ، وانطاقه الطيور  
والنساخم ، ونسبته التفكير الى الشمس والندى والانصان ، مما ستري الامثلة عليه في المختار  
من شعره . ولم ينفرد ابن الرومي بذلك ، ولكن له فيه ما يلفت النظر ويجعله في مقدمة  
الوصافين . ومما يلفت النظر ايضاً في شعره حسن اختراعه ، وقد تحمس له ابن رشيق فقال  
« اما ابن الرومي فاولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه (١) » . وفي موضع

آخر يقرنه بالي تمام ويقول « انها اكثر المولدين اختراعاً فيما يقول الخنذاق »<sup>(١)</sup>  
ويراد بالاختراع كما ذكرنا في غير هذا المقام بدائع التشبيه والتشثيل والاستعارة، كقوله  
وقد رأى رجالاً يقلي الزلابية فوصفه ووصف عمله

× رايته سحراً يقلي زلابية في رقة القشر والتجويرف كالقصب  
× كأنها زينة المقلبي حين بدا كالكيميا التي قالوا ولم تصب  
× يقلي العجين جبيناً من انامله فيستحيل شباييكا من الذهب

وقال يصف قوس السحاب

وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً على الجود دكنا والحواشي على الارض  
× يطرزها قوس السحاب باخضر على احمر في اصفر اثر مبيض  
× كاذيال حود اقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض

ومن اقواله الجميلة يذكر ايام الشباب واننا لا نعرف قيمتها الا متى ولت

لسنا نراها حق رؤيتها الا زمان الشيب والمهرم  
كالشمس لا تبدو فضيلتها حتى تغشى الارض بالظلم  
ولرب شيء لا يبيته وجدانه الا مع العدم

ومثل ذلك قوله في ذم الدهر وانه يعلي الاسافل

× دهرٌ علا قدر الوضع به وترى الشريف يخطه شرفه  
× كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً وتماو فوقه جيفه

وله في الحكم باع طويلة ، فان دقة نظره لا تنحصر في الوان الطبيعة والحياة بل  
تتناول ايضاً العواطف وعلاقات الناس بعضهم ببعض . وهو يجاري في ذلك كبار الشعراء ،  
كقوله

إذا ما كساك الله سربال صحّة ولم تحل من قوت يجل ويعذب  
فلا تغبطن المترفين فانهم على حسب ما يكسوهم الدهر يسلب

وقوله -

خليلي قد علمتاني بالاسى فانعمتا لو أنني اتعامل  
× هوأ راحة المرزوء في رزء غيره يحمل عنه بعض ما يتحمل ؟

وقوله -

فلا تتكل الا على ما فعلته ولا تحسبن المجد يورث بالنسب  
فليس يسود المرء الا بنفسه وان عدّ آباء كراما ذوي حسب  
وحكمه كثيرة وهي تعكس لنا في الغالب حياته وتأثير بيئته فيه<sup>(١)</sup>

\*\*\*

اما اكثر ديوان ابن الرومي في المديح والهجاء والعتاب والوصف ، على ان له في باب  
الثناء بضع قصائد جيدة . منها مرثاة في ابنه الاوسط هي من ارق ما فاضت به عواطفه  
والد على ولد عزيز . قال في مطلعها يخاطب عينيه

بكاؤ كما يشفي وان كان لا يجدي فجودا فقد اودي نظير كما عندي  
توخي حمام الموت اوسط صييتي فله كيف اختار واسطة العقد  
طواه الردى عني فاضحي مزاره بعيداً على قرب قريباً على بعد

ثم ياخذ بوصف الداء الذي اصاب ولده ، وما كان له من التأثير فيه ، ويشرح لنا  
العواطف الابوية المتأللة شرحاً يحرك اوتار القلب : وانك لتري شدة المة ودقة تصويره في  
قوله يخاطب الفقيد

محمد ما شيء توهم ساوة لقلي الا زاد قلبي من الوجد  
ارى اخويك الباقيين كليهما يكونان للاحزان اورى من الزند  
اذا لعبا في ملعبك لذعا فؤادي بثل النار من غير ما قصد

والقصيدة كلها من هذا النمط البليغ الذي يشهد لشاعرنا بركة الشعور ودقة الفن  
وتجد معظمها في باب المختارات

\*\*\*

والخلاصة ان ابن الرومي دقيق شديد الانفعال ، عصبي المزاج الى حد الخروج عن  
جادة الرشاد . ومن هنا غرابة اطواره ، وفشله في الحصول على رغائبه ، وعدم قدر جيله  
لقننه ومواهبه .

(١) راجع منها في ديوان ابن الرومي (للكيلاني) ٣٦ و٧١ و٨٨ و١٠٦ و١٠٧ و٩٦ و١٠٩ .

## المختار من شعر ابن الرومي

طبيعة شديدة الانفعال في شعر بعيد المدى كثير الالوان : تقرأه فيرتسم لك ما في  
نفس ناظمه من وكله في الحياة ومرارة لفقد اطايها ، مقرونين باسراف في العاطفة يدفعه  
احياناً الى درجة الشذوذ

### ذكرى الشباب

من قصيدة في عميد الله بن عبد الله

كفى بالشيب من ناه مطاع	على كرهٍ ومن داع مجاب
حططت الى النهى رحلي وكأت	مطيةً باطلي بعد الهباب <sup>(١)</sup>
وقلتُ مسلماً للشيب : اهلاً	بهادي المخطئين الى الصواب
الست مبشّري في كل يوم	بوشك ترحلي اثر الشباب ؟
لقد بشرتني بلحاق ماضٍ	احبّ اليّ من برد الشراب
فلست مسماً بشراك نعيّاً	وان اوعدت نفسي بالذهاب
لك البشرى وما بشراك عندي	سوى ترقيع وهيك بالخطاب
وانت وان فتكت بحب نفسي	وصاحب لذاتي دون الصحاب
فقد اعتبتني ، وامت حقدي	بحبّك خلفه عَجلاً ركالي <sup>(٢)</sup>
اذا الحقتني بشقيق عشي	فقد وفّيتني فيه ثوابي
وحسي من ثوابي فيه أني	واياه نشوب الى مآب
لعمرك ما الحياة لكل حي	اذا فقد الشباب سوى عذاب

(١) الهباب النشاط والسرعة

(٢) وانت وان ذهبت بحبيبي او صاحبي فقد ارضيتني بانك تدفني الى اللحاق به عاجلاً

فقل لبنات دهري : فلتُصِبي  
 سقى عهدَ الشيبَةِ كلُّ غيثٍ  
 اذا ولى ، باسهما الضباب  
 اغرَّ مجلجلٍ داني الرباب<sup>(١)</sup>  
 ليالي لم اقل : سقى لهمد  
 ولم ارغب الى سقىا سحاب<sup>(٢)</sup>

...

يذكرني الشباب هوان عتي  
 يذكريني الشباب سهام حنف  
 وصد الغانيات لدى عتائي<sup>(٣)</sup>  
 يصن مقاتلي دون الإهاب  
 طلوع النبل من خلل النقب<sup>(٤)</sup>  
 رمت قلبي بهن فاقصدته  
 وراحت وهي في بالٍ رخي  
 ورحت بلوعة مثل الشهاب  
 فسبي لعمرك غير ساب  
 وكل مبارز بالشيب قرناً

...

يذكرني الشباب جنان عدن  
 تفتي، ظلها نفحات ريح  
 علي جنبات انهار عذاب  
 تهز متون اغصان رطاب<sup>(٥)</sup>  
 اذا ماست ذوائبها تداعت  
 يواكي الطير فيها بانتحاب  
 يذكريني الشباب وميض برق  
 وسجع حمامة وحنين ناب<sup>(٦)</sup>  
 فيا اسفاً ويا جزعاً عليه  
 ويا حزنناً الى يوم الحساب  
 أأفجع بالشباب ولا اعزى ؟  
 لقد غفل المعزي عن مصابي  
 تفرقتنا على كره جميعاً  
 ولم يك عن قلبي طول اصطحاب  
 وكانت ايكتي ليد اجتنا.  
 فعادت بعده ليد احتطاب<sup>(٧)</sup>

...

يا بُرد الشباب، لكنت عندي من الحسنات والتسم الرغاب

(٢٥١) سقى عهد الشيبه كل مطر كثير الرعد داني السحاب - ذلك العهد الذي لم اكن اهتم بسواه ولم اشعر فيه بمحاجة ما

(٣) يذكريني ايام الشباب عدم اهتمام الغانيات اليوم بي

(٤) طلوع النبل الخ اي حسناء تكثر رمي النبال من وراء النقب

(٥) تقي. ظلها اي تحركه

(٦) الناب النافقة

(٧) كفى عن الايكة بالحياة فغال وكانت حياتي مشمرة فاصبحت الان يابسة

بليت على الزمان، وكل برد  
وعز عليّ ان تبلى وابقى  
لبستك برهة لبس ابتذال  
ولو ملكت صونك فاعلمنه  
فبين بلى وبين يد استلاب  
ولكن الحوادث لا تحايي  
على علمي بفضلك في الثياب  
اصنتك في الحرير من العياب<sup>(١)</sup>  
ولم ألبسك الا يوم فخر  
عبيد الله قرم بني زريق  
وحسبك باسمه فصل الخطاب

الى ان يقول فيه

اظلّ سحاب عرفك كل شيء  
سواي فاذني عنه بظهير  
تشير اليّ بالمحروم ايدي  
تداول بي انتظار الوعد جداً  
ودر على البلاد بلا عصاب<sup>(٢)</sup>  
كافي خلف منقطع التراب<sup>(٣)</sup>  
كايدي الناس في يوم الحصاب<sup>(٤)</sup>  
وريب الدهر يؤذن بانشعاب

...

افكر في نصاب انت منه  
الست المرء لا عزم كهام  
فعلش في غبطة ونعيم بال  
فيغلق دون عذرك كل باب  
ولا يجمل اليه بذى انتساب  
وملك لا يخاف يد اغتصاب

ومنها

وليس لانني سدت سبيلي  
تعالت هضبي عن كل سيل  
ولا عجز اصطرافي واصطحابي  
وفاتت نبعتي نضخ الذناب<sup>(٥)</sup>

(١) العياب خزائن الثياب

(٢) بلا عصاب اي عفواً دون ان يطلب. والعرف المعروف

(٣) لم يصني غيث معروفك كافي كنت في الطرف الذي ينقطع عنده المطر

(٤) اي يشير الى الناس بايديهم ويقولون « محروم » من الحظ. وقد شبه كثرة المشيرين اليه

بايدي الناس يوم رمي الحجارة بنى ( في الحج )

(٥) اقصدك لانه قد سدت في وجهي سبل الرزق فاني كريم النفس اتعالى عن الاسافل وقد

عبر عن ذلك بقوله ( تعالت هضبي عن السيول ونبعتي عن رش الدلاء )

فليس ينالني ألا مشيل<sup>١</sup> يُطلّ عليّ اطلال السحاب  
ولو اني قطعت الارض طولاً لكان اليك من بعد انقلابي

### وقال في ذلك مادماً علي به المخيم

شباب رأسي ولات حين مشيب وعجيب الزمان غير عجيب  
قد يشيب الفتى وليس عجيباً ان يرى الثور في القضيب الرطيب  
سأها ان رأته حبيبا اليها ضاحك الرأس عن مفارق شيب  
فدعته الى الخضاب وقالت ان دفن المعيب غير معيب  
خضبت رأسه فبات بتبريح واضح فضل في تأنيب  
ليس ينفك من ملامة زار قائل بعد نظرتي مستريب  
رضة ضلة لمن وعظته غير الدهر وهو غير مشيب  
عاجز واهن القوى يتعاطى صبغة الله في قناع المشيب<sup>(١)</sup>  
رام اعجاب كل بيضاء خور بسواد الخضاب ذي التعجب  
فتضاحكن هازئات وماذا يوتق البيض من سواد جليب<sup>(٢)</sup>  
يا حليف الخضاب لا تخدع النفس فما انت للصبأ بنسب  
فاتخذه على الشباب حداً وابك فيه بعبرة ونسب

...

وفتاة رأته خضابي وقالت عز داه المشيب طب الطيب  
خاضب الشيب في بياض مبين حين يبدو وفي سواد مرعب  
ليس تنقاد عادة لهواه وهو ينقاد كانقياد الجنيب<sup>(٣)</sup>  
ظلمتني الخطوب حتى كأني ليس بيني وبينها من حسيب  
سلبتني سواد رأسي ولكن عوضتني ريش كل سلب

(١) اي ضيف يتناول الصبغة يسترجعها مشبه مظهرها اما اللون الطبيعي الذي خلقه الله

(٢) جليب اي مجلوب مصطع (٣) الجنيب ما يقاد من الركاب



عَوَّضْتَنِي إِخَا الْمَعَالِي عَلِيًّا عَوَّضٌ فِيهِ سَاوَةٌ لِلْحَرِيبِ  
 يَسْتَفِيثُ اللَّهَيْفُ مِنْهُ بِمَدْعُورٍ لَدَى كُلِّ كَرْبَةٍ مُسْتَجِيبِ  
 يَتَلَقَّى الْمَسْدُقَيْنِ عَنِ الْإِبْوَابِ بِالْبَشْرِ مِنْهُ وَالْتَرَجِيبِ  
 غَرَبَتْهُ الْخَلَائِقُ الزُّهْرُ فِي النَّاسِ وَمَا أَوْحَشْتَهُ بِالتَّغْرِيبِ  
 مَا سَعَى وَالسَّعَاءُ لِلْمَجْدِ إِلَّا سَبَقَ الْمُحْضِرِينَ بِالتَّقْرِيبِ<sup>(١)</sup>  
 مَنْ رَأَاهُ رَأَى شَوَاهِدَ تُغْنِيهِ عَنِ سَمَاعِ الثَّنَاءِ وَالتَّجْرِيبِ  
 لَوْذَعِيٌّ لَهُ فَوَادٌ ذِكْرِيٌّ مَا لَهُ فِي ذِكَاثِهِ مِنْ ضَرْبِ  
 يَقْظٍ فِي الْهَنَاتِ ذُو حَرَكَاتٍ لَسَكُونِ الْقُلُوبِ ذَاتِ الْوَجِيبِ<sup>(٢)</sup>  
 الْمَعْيَى يَرَى بِأَوَّلِ ظَنِّهِ آخِرَ الْأَمْرِ مِنْ وَرَاءِ الْمَغِيبِ  
 ثَابِتُ الْحَالِ فِي الزَّلَازِلِ مِنْهَالٍ لَسَوْأَلِهِ انْتِهَالِ الْكُثِيبِ  
 لَنْ عَطَفَهُ فَإِنْ رِيمَ مِنْهُ مَكْسَرُ الْعُودِ كَانَ جِدًّا صَلِيبِ  
 أَحْسَنَتْ وَصَفَهُ مَسَاعِيهِ حَتَّى أَحْمَتُ كُلَّ شَاعِرٍ وَخَطِيبِ  
 يَمَّمْتَهُ بِنَا الْمَطَايَا فَافْضَتْ مِنْ فِضَاءِ إِلَى فِضَاءِ رَحِيبِ  
 بِأَيِّ أَنْتِ مِنْ جَلِيلٍ مَهِيبٍ مُطْلَبُ الْعُرْفِ مِنْهُ غَيْرَ مَهِيبِ  
 أَعْجَزُ الطَّالِبِيكَ شَأْوٌ بَعِيدٌ لَكَ إِدْرَاكْتَهُ بِعُرْفٍ قَرِيبِ  
 هَاكُنَا مَدْحَةً تُغْنِيَنَّ بِهَا الرُّكْبَانُ مَا أَرَزَمْتَ رِوَاغَهُ نَيْبِ<sup>(٣)</sup>  
 نَظْمُ الْفِكْرِ دَرَاهِمًا غَيْرَ مَثْقُوبٍ إِذَا الدَّرُّ شَيْنٌ بِالتَّثْقِيبِ  
 يَطْرِبُ السَّامِعِينَ إِيسَرًا مَا فِيهَا وَإِنْ أَنْشَدْتَ بِلَا تَطْرِيبِ  
 مِنْكَ جَاءَتْ إِلَيْكَ يَجِدُو بِهَا الْوُدَّ عَلَى رَغْبَةٍ بِلَا تَرْغِيبِ

(١) أي ما سعى هو وواحد إلى المجد إلا وسبق بتقريبه جريمه السريع

(٢) أي أنه لدى الخطوب يفظ تتحرك همته بما يسكن اضطراب القلوب

(٣) أي ما حنت النيات إلى أولادها

## رماً ابنه الاوسط

ب بكاؤ كما يشفي وان كان لا يجدي  
 ✓ ألا قاتل الله المنايا ورميها  
 س توخى حمام الموت اوسط صيتي  
 س على حين شمت الحير من لحاته  
 س طواه الردي عني فاضحي مزاره  
 ✓ لقد انجزت فيه المنايا وعيدها  
 ✓ لقد قل بين المهدي واللحد ابسه  
 الح عليه الترف حتى احاله  
 وظل على الايدي تساقط نفسه  
 س فيالك من نفس تساقط انفسا<sup>(٢)</sup>

س عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له  
 ✓ وما سرني ان بعته بشوابه  
 ✓ ولا بعته طوعاً ، ولكن غضبه

س واني وان مئعت بابني بعده  
 ✓ واولادنا مثل الجوارح<sup>(٥)</sup> ، أيها  
 ✓ لكل مكان لا يسد اختلاله  
 س هل العين بعد السمع تكفي مكانه

(١) اي انه مات صغيراً

(٢) كثر عليه ترف الدم حتى احال لونه الوردي الى اصفرار الزعفران

(٣) فيالك من نفس تزدوي فتزدوي معها قوس كثيرة

(٤) التيب النياق . اي وان كان لي ياخوته سلوة فاني ساذكروه دائماً وساتوجه لذكراهم

(٥) الجوارح اعضاء الجسم

✓ لعمرى لقد حالت بي الحال بعده      فيا ليت شعري كيف حالت به بعدي  
✓ شككتُ سروري كله اذ نكلته      واصبحت في لذات عيشي أخا زهد

•••

✓ ✓ أرمانانة العينين والانف والحشا      الا ليت شعري هل تغيّرت عن عهدي؟  
✓ ✓ سأسقيك ماء العين ما اسعدت به      وان كانت السقيمان الدمع لا تجدي  
✓ ✓ لا أعينني جودا لي ، فقد جدت للثرى      بانفس مما تُسالان من الرفد<sup>(١)</sup>  
✓ ✓ ما كآني ما استمتعت منك بضعة      ولا شمتة في ملعب لك او مهد  
✓ ✓ لما ابدي عليك من الاسى      واني لأخفي منك اضعاف ما أبدي

••••

✓ ✓ محمد ما شي. توهم سلوة      لقلبي ، الا زاد قلبي من الوجد<sup>(٢)</sup>  
✓ ✓ أرى اخوبك الباقيين كليهما      يكونان للاحزان اورى من الزند  
✓ ✓ اذا لعبا في ملعب لك لذعا      فؤادي يثقل النار عن غير ما قصد  
✓ ✓ فما فيها لي سلوة بسل حرارة      يهيجانها دوني واشقى بها وحدي  
✓ ✓ وانت وان أفردت في دار وحشة      فاني بدار الانس في وحشة الفرد  
✓ ✓ عليك سلام الله مني تحية      ومن كل غيث صادق البرق والرعد

رأى ابي الحسين بمجي به عمر العلوي<sup>(٣)</sup>

امامك فانظر اي نهجيك تنهج      طريقان شتى ، مستقيم واعوج  
ألا أيهذا الناس طال ضريركم      بآل رسول الله فاختسوا او ارتجوا

(١) الرفد المعناه

(٢) في هذه الايات وما بعدها يقول يا محمد ما من شيء يحسبونه سلوة الا ويزيدني حزنا على حزن. انظر الى اخوبك الباقيين فاذكرك في كل حركة من حركاتها ويشند لذلك اضطرام الاسى في نفسي فانت وان كنت وحيدا في القبر فاني بين الناس وحيد بالامى  
(٣) وهو حفيد حفيد الامام علي وكان قد قام على العباسيين فقتلوه . وفي هذه القصيدة يظهر تشيع الشاعر لآل البيت

أكلَّ أوانَ للنبيِّ محمد قَتيلَ زكيٍّ بالدماءِ مضرَّجٌ (١)

بني المصطفى كم يأكل الناسِ شلوكم  
 اما فيهم راعٍ لحق نبيته؟  
 أبعد المكنى بالحسين شهيدكم  
 لنا وعلينا، لا عليه ولا له  
 وكنا زجيه لكشف عماية  
 لبواكم - عما قليل - مُفرَّج  
 ولا خائفٌ من ربه يتحرَّج  
 تضيء مصابيح السماء فتسرج (٢)  
 تسحج اسراب الدموع وتسج  
 بامثاله امثالها تتلجج

أيجي العلي لهفي لذكراك هفة  
 لمن تستجدُّ الارض بعدك زينة  
 سلام وريحان وروح ورحمة  
 ولا برح القاع الذي انت جاره  
 ويا أسفي ألا تردَّ تحية  
 الا انما ناح الحماهم بعدما  
 اذمُّ اليك العين أن دموعها  
 واحدها - لو كفكفت من غروبها  
 أتمنعني عيني عليك بدمة  
 عفاه على دار ظننت لغيرها  
 يباشر مكواها الفؤاد فينضج  
 فتصبح في اثوابها تبرج (٣)  
 عليك، وممدود من الظل سجسج (٤)  
 يرفُّ عليه الاقحوان المفلج (٥)  
 سوى أرح من طيب رمسك بأرج  
 ثويت، وكانت قبل ذلك تهزج  
 تداعى بنار الحزن، حين توهج  
 عليك، وختل لاعج الحزن يلعب  
 وانت لاذيال الروامس مدرج  
 فليس بها للصالحين معرج

الا ايها المستبشرون بيوميه  
 أكلكم امسى اظمان مهاده  
 اظلت عليكم غمة لا تفرج  
 بان رسول الله في القبر مزعج

(١) اشارة الى ان القتل من بيت الرسول

(٢) تسرج تحسن طلعتها

(٣) سجسج اي لا حرة فيه ولا قر

(٤) اي لا برح مدفنه يتألق عليه الاقحوان

كأني به كالليث يحمي عرينه  
كدأب علي في المواطن قبله  
كأني اراه - والرماح تنوشه  
كأني اراه اذ هوى عن جواده  
فحُبَّ به جما الى الارض اذ هوى  
تأتت لكم فيه منى السوء هينة  
تهدئون في طفيانكم وضالكم  
اجتئوا بني العباس من شئناكم  
وخلوا ولاة السوء منكم وغيبهم  
نظار لكم ان يرجع الحق راجع  
واشباله لا يزدهيه المهجج<sup>(١)</sup>  
الي حسن والنصن من حيث يخرج<sup>(٢)</sup>  
شوارع كالأشطان ندلى وتخلج<sup>(٣)</sup>  
وعقر بالترب الجين المشجج  
وحب بها روحاً الى الله تعرج  
وذلك لكم بالغي أغرى وأهيج  
ويستدرج المفرور منكم فيدرج  
وأوكوا على ما في العياب وأسرجوا<sup>(٤)</sup>  
فاحر بهم ان يفرقوا حيث ليججوا  
الى اهله يوماً فاشجوا كما شجوا

بني مصعب<sup>(٥)</sup> ا ما للنبي واهله  
واني على الاسلام منكم خائف  
وفي الخزم ان يستدرك الناس امركم  
لعل قلوباً قد أطلعت غليلها  
عدو، سواكم أفضحوا ، او فلجلجوا  
بوائق شتى ، بابها الان مرتج  
وحبلهم مستحکم العقد مدمج  
ستظفر منكم بالشفاء فتشج  
بنو مصعب من رجال العباسيين

البصرة وما حل بها يوم دخلها الزنج

وذلك ٢٥٧ هـ<sup>(٦)</sup>

ذاد عن مقلتي لذيد المنام شغلها عنه بالدموع السجام  
اي نوم من بعد ما حل بالبصرة ، ما حل من هنات عظام

(١) كأني به في ساحة الحرب كالليث لا يستخفه زجر زاجر

(٢) اي هو في شجاعته كجده الامام علي

(٣) تنوشه تطلبه والاشطان الجبال . وتدل وتخلج اي تغد وتحرك او ترسل وتجذب

(٤) استروا يا بني العباس بغضكم وشدوا على ما في داخلكم من الخقد

(٥) بنو مصعب من رجال العباسيين

(٦) نشبت هذه الثورة بزعامة علي بن محمد احد المدعين للنسب العلوي وكان قيامه في ايام

المكنتفي. فتفاقم امره واكتسح البصرة وما اليها ولم يتمكن العباسيون ان يخضموه الا بعد مشقة طويلة

اي نوم من بعد ما انتهك الزنج جهاراً محارم الاسلام  
ان هذا من الامور لامر كاد ان لا يقوم في الاوامر

...

لهف نفسي عليك ايتهما البه سره ، لهفاً كمثل لهب الصرام  
لهف نفسي عليك يا قبة الاس لام ، لهفاً يطول منه غرامي  
لهف نفسي عليك يا فريضة البل دان ، لهفاً يبقى على الاعوام  
لهف نفسي لجمعك المتفاني لهف نفسي لعزك المستضام

...

بينما اهلها باحسن حال اذ رماهم عبيدهم باصطلام  
دخلوها كأنهم قطع اللية ل اذا راح مدتهم الظلام  
اي هول رآوا بهم ، اي هول حق منه يشيب رأس الغلام  
اذ رموهم بنسارهم من بين وشمال - من خلفهم وامام  
كم اغصوا من شارب بشراب كم اغصوا من طاعم بطعام  
صبحوهم فكابد القوم منهم طول يوم كأنه الف عام  
ما تذكرت ما اتى الزنج الا أضرم القلب ايماً اضرام

...

عرجا صاحبي بالبصرة الزه راه تعريج مدنف ذي سقام  
فاسألها - ولا جواب لديها لسؤال - ومن لها بالكلام ؟  
اين ضوضاء ذلك الخلق فيها اين اسواقها ذوات الزحام ؟  
اين فلك فيها ، وفلك اليها ، منشئات في البحر كالأعلام<sup>(١)</sup> ؟  
اين تلك القصور والدور فيها اين ذاك البنيان ذو الاحكام  
بُدلت تلكم القصور تلالاً من رماذ ومن تراب ركام  
وخلت من حولها ، فهي قفر ، لا ترى العين بين تلك الاكام

(١) اشارة الى انها كانت فريضة عظيمة

غير أيّد وارجلِ بائناتٍ      بُنبت بينهنّ افلاقُ هام  
 ووجوهٍ قد رَمَلتها دماءُ      بأبي تلکم الوجوه الدوامي  
 وطُثث بالهوان والذّل قسراً      بعد طول التبجيل والاعظام  
 فتراها تَسني الرياحُ عليها      جارياتٍ بهبوةٍ وقّام  
 خاشعاتٍ ، كانها باكياتٌ      باديات الثغور ، لا لابتسام

. . .

ايّ خطب ، واي رزء جليل  
 واحيائي منهم - اذا ما التقينا  
 ايّ عذر لنا ، واي جواب  
 يا عبادي ؟ اما غضبتم لوجهي  
 اخذتم إخوانكم ، وقعدتم  
 نالنا في اولئك الاعمام  
 وهم ، عند حاكم الحكام<sup>(١)</sup>  
 حين ندعى على رؤوس الانام  
 ذي الجلال العظيم والاكرام  
 عنهم - ويحكم - قعود اللثام<sup>(٢)</sup>

. . .

بأبي تلکم العظام عظاما  
 وعليها من المليك صلاةٌ  
 انفروا ايها الكرام خفافا  
 أبرموا امرهم ، وانتم نيام ،  
 صدقوا ظنّ اخوة آملوكم  
 ادركوا تأرهم ، فذاك لديهم  
 لم تقرؤا العيون منهم بنصر  
 انقدوا سنيهم - وقلّ لهم ذا  
 عارهم لازم لكم ، ايها النا  
 ان قعدتم عن اللعين فانتم  
 وسقتها السماء صوب الغمام  
 وسلام موكّد بسلام  
 وثقلا الى العبيد الطغام  
 سوءة سوءة لنوم النيام<sup>(٣)</sup>  
 ورجوكم لنوبة الايام  
 مثل ردّ الارواح في الاجسام  
 فاقروا عيونهم بانتقام  
 ك - حفاظاً ورعيةً للذمام  
 س لان الاديان كالارحام  
 شركاء اللعين في الآثام

(١) اي يوم الحساب امام الله

(٢) هذا البيت وما قبله خطاب من الله للمسلمين ثم يعود الشاعر في كل الايات التالية يجرّسهم

على مساعدة اهل البصرة والانتقام لهم من عدوهم

(٣) قضاوا امرهم وانتم في غفلة عنهم

بادروه قبل الروية بالعزم ، وقبل الأسراج بالاجسام  
لا تطيلوا المقام عن جنة الخلد ، فانتم في غير دار مقام  
فاشتروا الباقيات بالعرض الادنى ، وبيعوا انقطاعه بالدوام

### عناء لابي القاسم النوزي الطرجمي

يا اخي اين ربيعُ ذاك اللقاء ؟ أين ما كان بيننا من صفاء ؟  
اين مصداق شاهدٍ كان يحكي أنك المخلص الصحيح الاخاء ؟  
كشفت منك حاجتي هنواتٍ غطيت برهة بحسن اللقاء .  
|| تركتني - ولم اكن ستي . الظن - أمي ؛ الظنون بالأصدقاء. ①

... .

يا أخي ! هبك لم تهب لي من سهه يك حفظاً كسائر البخلاء .  
أفلا كان منك رد جميل فيه للنفس راحة من عناء ؟  
يا أبا القاسم الذي كنت ارجو ه لدهري قطعت متن الرجاء .  
لا اجازيك من غرورك اياً ي غرورا - وقيت سوء الجزاء .  
أنت عيني وليس من حق عيني غرض أجفانها على الاقضاء .  
ما بأمثال ما أتيت من الاء ر يحمل الفتى ذرى العلياء .  
لا ، ولا يكسب المحامد في النا س ولا يشتري جميل الثناء .  
ليس من حل بالمحل الذي از ت به من سماحة ووفاء .  
بذل الوعد للأخلاء . سمحا وابى بعد ذلك بذل القناء .  
فقدنا كإخلاف<sup>(١)</sup> يورق للعي ن ويابى الإثمار كل الاباء .  
ليس يرضى الصديق منك ببشر تحت مخبونه دفين جفاء .

(١) اي ان حاجتي اليك كشفت لي فيك عن سيئات جعلتني بعدها امي . الظن بالاصدقاء .

(٢) نوع من شجر الصنصاف



يا أخى ! يا اخا الدماثة والرقة والظرف والحجا والدهاء  
ربما هالني وحير عقلي اخذك اللاعبين بالبأساء  
عن تدابيرك اللطاف اللواتي هن اخفى من مستسر الهباء  
بل من السر في ضمير محب ادبته عقوبة الافشاء  
غلط الناس لست تلعب بالشط رنج لكن بانفس الاعباء  
لك مكر يدب في القوم اخفى من ديب الغذاء في الاعضاء  
او مسير القضاء في ظلم الغي ب الى من يريده بالتواء  
او سرى الشيب تحت ليل شباب مستحير في لمة سحاء  
دب فيها لها ومنها اليها فاكتست لون رنة شطاء

...

ضلة لامرى يشتر في الجمع لعيش مشتم للفناء  
دائبا يكثر القناطير للوا رث ، والعمر دائب في انقضاء  
يحسب الحظ كاله في يديه وهو منه على مدى الجوزاء  
ليس في آجل النعيم له حظ ، وما ذاق عاجل النعماء  
ذلك الخائب الشقي ، وإن كان يرى انه من السعداء  
حسب ذي إربة ورأي جلي نظرت عينه بلا غلواء  
صحة الدين والجوارح والعرض وإحراز مسكة الحواب<sup>(١)</sup>

...

يا ابا القاسم الذي ليس يخفى عنه مكنون حطمة عوصاء  
اترى كل ما ذكرت جلياً وسواه من غامض الانحاء  
ثم يخفى عليك اني صديق ربما عز مثله بالغلاء ؟  
لا لعمر الاله لكن تعاشيت بصيراً في ليلة قراء  
بل تعاميت ، غير اعمى عن الحق نهاراً في ضحوة غراء  
ظالماً لي مع الزمان الذي ابتز حقوق الكرام للؤماء

(١) ان يحرم ما يحفظ النفس

ثقلت حاجتي عليك فاضحت وهي عبء من فادح الأعباء

...

ظلمت حاجتي فلاذت بجقويك فاسلمتها لكف القضاء<sup>(١)</sup>  
وقضاء الاله احوط للناس من الأمهات والآباء  
غير ان اليقين اضحى مريضاً مريضاً باطنا شديد الخفاء

...

كنت مستوحشا فظهرت بجنسا زادني وحشة من الخلطاء<sup>(٢)</sup>  
وعزير علي عضيك بالو م، ولكن أصبت صدري بداء  
انت أدويت صدر خلك فاعذر ه على النث ، انه كالدواء<sup>(٣)</sup>  
ان تكن لفحة اصابتك من عذ لي ، فعما قدحت في الاحشاء  
والذي اطلق اللسان فعاتبه تك عدريك أول الفهماء<sup>(٤)</sup>  
لم أخف منك غلظة حين عاتبه تك تدعو العتاب باسم الهجاء  
وانا المرء لا أسوم عتابي صاحباً غير صفوة الاصفياء  
ذا الهجا منهم وذا الحلم والعد م - وجهل ملامة الجهلاء  
ان من لام جاهلا لطيب يتعاطى علاج داء عياء  
لست بمن يظل يربع بالو م على منزل خلاه قواء

### في رعب الغيبة

وكان الشاعر يستحسنها ويستحسن غناؤها

يا خليلي ! تيممتني وحيد ففؤادي بها معني عميد  
كغادة زانها من الغصن قد ومن الظبي مقلتان وجيد

(١) ظلمت حاجتي فتعلقت بك ولكنك نبذها وتركها للقضاء

(٢) كنت انا مستوحشاً من الناس فظهرت لي من بنس حقي ما زادني فقوراً منهم

(٣) ادويت اي امرضت (٤) والذي اطلق لساني بتابك اني اعدك افهم الفهماء

وزهاها من فرعها ومن أخذ  
 فهي بردٌ بجدها وسلامٌ  
 مالمَّا تصطليه من وجنتها  
 مثل ذلك الرضاب أطفأ ذلك الـ  
 وغريرٌ بجسنها قال : صفها  
 يسهلُ القول انها احسن الاشـ  
 تتجلى للناظرين اليها  
 ظبية تسكن القلوب وترعا  
 تنغني ، كأنها لا تغني  
 لا تراها - هناك - تجحظ عينٌ  
 من هدوءٍ وليس فيه انقطاع  
 بمدٍّ في شأو صوتها نفسٌ كا  
 وارقٌ الدلالُ والغنجُ منه  
 افتراه يموت طوراً ويجيا  
 فيه وشيٌ ، وفيه حلبيٌ من النة  
 في هوى مثلها يخفُ حلبيٌ  
 ما تعاطى القلوب الا اصابت  
 وترُّ العزفِ في يديها مضاء  
 عيبها أنها - اذا غنت الاحـ  
 واستأذت قلوبهم من هواها

وحسان عرضن لي، قلت: مهلا  
 عن وحيد، حفتها التوحيد  
 حسنها في العيون حسن جديد  
 فلها في القلوب حب جديد

(١) ان مثل ذلك الرضاب يطفئ نار الوجد لولا المنع . والتصريد التقليل  
 (٢) الغرير الممرور (٣) لا تراها تنكف وتجهد نفسها حتى تجحظ عينها وتغتمل . اوردها

خلقت فتنةً ، غناءً وحسناً ما لها فيها جميعاً نديداً  
 فهي نعمى ، عييد منها كبير وهي بلوى ، يشيب منها وليداً  
 لي - حيث انصرفت منها - رفيق من هواها وحيث حلت قعيد  
 عن عيني ، وعن شمالي ، وقدأ مي ، وخلي ، فأين عنه أحيداً ؟

### بعض مفاظ الحكمة

١

#### في الناس

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب  
 فان الداء اكثر ما تراه يحول من الطعام او الشراب  
 اذا انقلب الصديق غدا عدواً مئيناً ، والامور الى انقلاب  
 ولو كان الكثير يطيب كانت مصاحبة الكثير من الصواب  
 ولكن قلماً استكثرت الا سقطت على ذئاب في ثياب  
 فدع عنك الكثير فكم كثير يعاف وكم قليل مستطاب  
 وما اللجج الملاح بمرويات وتلقى الري في النطف العذاب<sup>(١)</sup>

٢

#### في الجاه

ان السعيد لمدرك دركا واخو الشقاوة فهو في الدرک  
 والشر بين الناس مشترك واخبر فيهم غير مشترك  
 والى الحمود مال ذي لهب والى السكون بحار ذي حرك  
 وغدا الرجال - على مكانتهم - يتبادرون مطارح الشبك  
 والعين تبصر اين حبتها لكنها تعمي عن الشرك

(١) ان لجج البحر مع كثرها لا تروي وتلقى الري في الغليل من المياه المذبة

٣

## في تقع الدائم

عرفتُ مقادير الرجال بنكبة أفدتُ بها غنماً وان عدّ مغرماً  
 كفاني لعمرى ايها الناس خبرتي بكم بعد جهلي واغتراري مغناً  
 ألا طال ما حثمت قلبي ظالماً تكاليف من إعظام من ليس مُعظماً  
 فقد حطّها عني الاله بحنّة اراني بها رشدي ، وما زال منها

٤

## في فصر العمر

دهر يشيعُ سبته احدُهُ متتابعٌ ، ما ينقضي امدُهُ  
 والحال من سعد يساعدنا طوراً ، ونحس معقبه نكدُهُ  
 يوم يُيَكِيننا وآونةً يوم يسيكِيننا عليه غدُهُ  
 نبيكي على زمنه ومن زمن فبكاؤنا موصولةً مددُهُ  
 ونزى مكارهنا مخلدَةً ، والعمرُ يذهب فانياً عددُهُ  
 أفلا سبيل الى تبجحنا في سرمدٍ لا ينقضي أبده  
 سكرى شباب لا يعاقبه هَرَمٌ ، وعيش دائمٌ رَغدُهُ  
 لا خير في عيش تخوننا اوقاته وتقولنا مددُهُ  
 يُعطي الفتى الايام ينفقها وقصاصها ان يُقتوى جلدُهُ

٥

## القناعه بالصحة

اذا ما كساك الله سربال صحة ولم تخلُ من قوت يحلّ ويغرب  
 فلا تغبطن المترفين فانهم على حسب ما يكسوهم الدهر يسلب

٦

## انما المرء بقصه

وما الحسب الموروث لادرء درءه  
 اذا العود لم يشمر - وان كان شعبة  
 وانت لعمرى شعبة من ذوي العسلا  
 فلاترض ان تعتد من اوضع الشعب  
 وللمجد قوم ساوروه بانفس  
 كرام ولم يرضوا بامر ولا بأب  
 فلا تتكل الا على ما فعلته  
 ولا تحسبن المجد يورث بالنسب  
 فليس يسود المرء الا بنفسه  
 وان عد آباء كراماً ذوي حسب  
 بهجتب الا بأخر مكتسب  
 من المشمرات اعتده الناس في الخطب<sup>(١)</sup>

٧

## حب الوطن

وحبب اوطان الزجال اليهم ✓  
 اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم ✓  
 ما رب قضاها الشباب هنالك  
 عهود الصبي فيها فحنوا لذلك



(١) اذا الغصن لم يشمر عده الناس حطباً ولو كان اصله من شجرة مشمرة

# المتنبي

ابو الطيب احمد بن الحسين

٣٠٣ - ٣٥٤ هـ

٩١٦ م - ٩٦٦ م

مصادر دراسته - نشأته - في حلقة سيف الدولة - في بلاط مصر - بين العراق  
وبلاط فارس - مزاياه الخلقية - عصبته - شهرته الادبية  
شخصيته في شعره - اطواره في شعره

## مصادر دراسة

الوساطة للجرجاني

الفهرست (ليدن) ١٦٩

يتيمة الدهر للشعالي ج ١ ص ٧٨ - ١٦٤

العمدة لابن رشيقي ١ ص ٨٧ - ١٣٣ - ١٩٤ ومواضع شتى

نزهة الالباء للانباري ٣٦٦

وفيات الاعيان ١ - ٦٢ والرسالة الخاقمية فيه (في سيرة الخاقمي)

مفتاح السعادة (لطاش كبري زاده) طبع الهند ج ١ ص ١٩٢

الصبح المنبي للبديعي دمشقي على هامش شرح العكبري

خزانة الادب للبغداداي (بولاق) ١ ص ٣٨٢ - ٣٨٩

ومن الشروح شرح الواحدي والعكبري واليازجي

ومما كتب فيه حديثاً

رسالة ابراهيم اليازجي في ذيل شرحه للمتني

ابو الطيب المتني لمحمد كمال حلمي

حصاد المشيم للمازني ١٨٤ - ٢٢٧

المتني لشفيق جبري مجلة المجتمع العلمي مج ١٠ ج ١٢-٥

ذكرى ابي الطيب لعبد الوهاب عزام

مع المتني لطفه حسين

الانس المفيد ٣٣٠ - ٣٦٣

المقتطف ١٧ - ٣٦١

العدد الخاص بيوبيله الالني من مجلات المقتطف ، والهلال ، والحديث ، والعصبة

غير ما كتب في كتب التاريخ او داوثر المعارف لكتاب عرب ومستشرقين



## نشأة الاولى

لم يكده ينتصف القرن الرابع الهجري حتى كانت الدولة العباسية تتنازعها عوامل الانحلال . فكانت دار الخلافة بغداد بين مولد المتنبي ووفاته ، اي ايام المقتدر والقاهر والراضي والمتي والمستكني والمطيع تحت نفوذ بني بويه اصحاب السيادة في فارس ، وكانت حلب والموصل وما اليهما في يد بني حمدان - ومصر واكثر الشام والحجاز في يد بني طنج ، وسائر الاقطار لغيرهم من الامراء المستقلين . ولم يبق للخلافة من رونق ، وكثر الادعاء والثائرون حتى عمت الفوضى السياسية . بين هذه الاضطرابات السياسية القومية نشأ شاعرنا ، وكان مولده في مدينة الكوفة بالعراق ، وفيها نشأ نشأته الاولى . وكان يتردد بين البادية والحضر<sup>(١)</sup> ، فاكسب من الاولى صلابتها ونزعتها البدوية ومن الثانية علومها وثقافتها الادبية . ولا نعلم عن صباه كثيراً ، ولكن الثعالبي الذي ولد قبل وفاة المتنبي باربعة سنوات والذي دون في كتابه الشهير « يتيمة الدهر » اخبار شعراء عصره ومن تقدمهم قليلاً ذكر ان اياه سلمه الى المكاتب وردده في القبائل ، وانه توفي وقد ترعرع ابو الطيب وشعر وبرز<sup>(٢)</sup> . ونقل البغدادي عن ابي القاسم الاصفهاني انه كان يختلف الى كتّاب فيه اولاد اشرف الكوفة فكان يتعلم دروس العلوية لغةً وشعراً واعراباً الخ<sup>(٣)</sup> . ويذكر البديعي الدمشقي في الصبح المنبي انه تعلم القراءة والكتابة وانه اخذ اكثر علمه من ملازمة الوراقين<sup>(٤)</sup> ( باعة الكتب ) . وفي مقدمة شرح اليازجي للديوان انه لقي كثيرين من اكابر علماء الادب منهم الزجاج وابن السراج والافخش وابن دريد وابو علي الفارسي وغيرهم ، وتخرج عليهم فخرج نادرة الزمان في صناعة الشعر . فيستدل من هذا ان شاعرنا تعلم القراءة في المكاتب على عادة الصبيان ، وكان ذكياً مجباً للاستزادة فلازم الوراقين يطالع دفاترهم وحضر حلقات العلماء في زمانه

وهناك امر آخر نعلم عن صباه ، وهو تردده الى بادية السباوة واقامته زمناً بين

(١) البتيمة ج ١-٧٨

(٢) البتيمة ج ١-٧٩ (٣) خزائن الادب ١-٣٨٢

(٤) الصبح المنبي على هامش العكبري ١-٦

كحوض ليس مستقراً  
اعرابها . ويستنتج من مختلف الروايات ان تردده كان أولاً الى بادية الكوفة ، ثم انتقل وهو حوالى السابعة عشرة من عمره الى بلاد الشام . وفي هذا الطور من حياته شي . من الغموض اذ لا تراه مستقراً في مكان خاص ، فتارة في المدن ، وطوراً بين قبائل البادية ، يدح بعضاً من ذوي النفوذ ، ولكنه لا يجد في مدحهم ما يروي ظمأ نفسه التزاعة الى العلى .

وهكذا يعبس له الدهر فيشب نافعاً نائراً، ويتاح له ان يتصل في البادية بقبائل بني كلب، ويدرك نزعاتهم الى التمرد، فيتمكن ببلاغته وحماسة الشباب فيه من تحريكهم تحريكاً يلفت نظر الحكّام، فيقبض عليه بامر والي حمص ويلقى في السجن وهو في نحو التاسعة عشرة ولم تتحقق كم بقي فيه تماماً ، ولكننا نستنتج انه بقي مدة غير يسيرة ( نحو سنتين ) . وكان اول دخوله السجن يظهر الاستخفاف باهواله - ومن اقواله في ذلك الحين ابيات كتبها الى صديق له يدعى ابا دلف كان يتعهدده وهو في السجن<sup>(١)</sup>

كن ايها السجن كيف شنت فقد وطئت للموت نفس معترف  
لو كان سكتاي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

على انه لقي في السجن عذاباً شديداً ، فقد وضعوا القيود في رجليه وعنقه<sup>(٢)</sup> . ولما طال اعتقاله نفذ صبره فارسل الى والي قسيمة يستعطفه ويعتذر اليه بصغر سنه قال منها -

امالك رقي ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد  
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كجبل الوريد  
دعوتك لما براني بالبلاء واوهن رجلي ثقل الحديد  
وقد كان مشيها في النعال فقد صار مشيها في القيود  
تُعجّل في وجوب الحدود وحدي قبل وجوب السجود  
وقيل عدوت على العالمين بين ولادي وبين العقود  
فمالك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود

وهذه الابيات نفثات رجل متضايق نفذ صبره وخاف مغبة الامر . ثم راح يستثير عواطف والي ورحمته فقال

(٢) هامش العكبري ١-٣٩

(١) شرح الواحدي (برلين) ٨٠

بيدي ايها الامير الاريبُ لا ثي . ألا لاني غريب  
او لامر لها اذا ذكرتني دم قلب بدمع عين يذوب  
ان اكن قبل ان رايتك اخطأت فاني على يدك اتوب

قال ابن خلكان ثم استتابه الوالي واطلقه<sup>(١)</sup> . ولكن من اي شيء استتابه ؟ هنا تتضارب آراء المؤرخين . فان خلكان يجعل ادعاءه النبوة سبب سجنه وقد تبعه في ذلك كثيرون ، وهو قول يحتمل الشك ، فان بين معاصري ابن خلكان او من تقدمهم من يزعم غير ذلك بدليل قوله « وقيل غير ذلك<sup>(٢)</sup> » . اما الثعالبي فجعل السبب انه دعا الى بيعته قوماً من رائي نبله ولما ذكر النبوة قال : ويحكى انه تنبأ في صباه وفتن شردمة بقوة ادبه وحسن كلامه<sup>(٣)</sup> . وفي كلام الثعالبي إشعار بالشك في الحكاية ، وقد نقل تعريزاً لهذا الشك ما رواه ابن جني تلميذ المتنبي وشارح ديوانه اذ قال سمعت ابا الطيب يقول انما لُبت بالمتنبي لقولي<sup>(٤)</sup>

انا ترب الندى ورب القوافي وسام العدى وغيظ الحسود  
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وعن العمدة<sup>(٥)</sup> ، زعم ابو محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي ان ابا الطيب سمي متنبياً لفطنته

ويتناول البديعي صاحب الصبح المنبي المتوفى ١٠٧٣ هـ ، اي بعد المتنبي باكثر من سبعة قرون ، هذه المسألة وينقل لنا بعض حكايات عن نبوته لا يسع المتأمل الا ان يتردد في قبولها على علاتها ، او لا تراخي المدة بينه وبين الشاعر ، وثانياً لما فيها من الاضطراب ، وثالثاً لانه ليس في ما ذكره معاصروه ما يثبتها . والذي يصح ان نستنتج عليه من الروايات المختلفة ان المتنبي وهو في اوائل شبابه ظهر في البادية على راس فئة من الاعراب ناقة على

(١) وفيات الاعيان ١ - ٦٤

(٢) » » » »

(٣) البيتية ١ - ٨٠

(٤) البيتية ١ - ٨٠ وشرح المعكبري ٢٠١ ج ١

(٥) العمدة ١ - ٤٥

اولي الامر<sup>(١)</sup> ، وانه كان بفضيلته وفصاحته يستهويهم الى غاياته من حب الظهور والرئاسة .  
ولكن امره لم يتم فالتى القبض عليه واودع السجن ثم خرج منه ، وما عم ان لصق به لقب  
المتنبي<sup>(٢)</sup> .

بعد السجن الى اتصاله بسبب الرواة ( ٣٢٣ - ٣٣٧ )

ولما اطلق سراحه اخذ يجول في اقطار البلاد الشامية مادحاً اعيانها . بقي على هذه  
الحال بضع سنوات<sup>(٣)</sup> ، حتى اتصل سنة ٣٢٨ بالامير العربي بدر بن عمار وكان يتولى الجيش  
في طبريا ، فازمه ومدحه ، وقد رأى فيه ضالته المنشودة من كرم ورجولة ومجد قومي .  
ولكن اتصاله به لم يطل<sup>(٤)</sup> ، فقد دخلت بينهما مكاييد الحساد والمناوئين حتى اضطر الى  
تركه والرجوع الى ما كان عليه من التنقل في الاقطار . وله في هذه المدة من الشعر ما  
يكاد يبلغ نصف ديوانه واهم ممدوحيه فيها -

بدر بن عمار ٦ قصائد . آل اسحق التنوخي ٧ . ابنا يحيى البحري ٣ . عبدالله بن  
خلكان ٢ . شجاع الطائي ٢ . مساور الرومي ٢ . الميث العجلي ٢ . علي بن محمد التميمي .  
الامير محمد بن طعج وابو العشاثر الحمداني ٦ . ونحو ٢٥ ممدوحاً قصيدة قصيدة

وشعره في بعض هؤلاء من الطبقة الاولى - كقصائده التالية

في اخذ ان عزم الخليط رحيلاً

بقاتي شاء ليس هم ارتحالاً

(١) راجع الواحدى ٨٣ وتعليقه على عمره واجتماع العصاة اليه  
(٢) تلفت النظر هنا الى راي المستشرق بلاشير الذي يرى ان اولي الامر توهموا ان لقيامه في  
بني كلب علاقة بمركبة القرامطة ( راجع دائرة المعارف الاسلامية - تحت المتنبي  
وتحقيق الاستاذ محمود شاكر اخذاً برواية الانباري ٣٦٩ ان المتنبي لم يدع النبوة بل ادعى  
النسب العلوي وانه لاجل ذلك حبس ثم استتيب ( المقتطف مج ٨٨ ج ١ ص ٦٩ )  
(٣) زار في اثناها الكوفة وبقي فيها مدة بقرب جدته  
(٤) لعله لم يكن اكثر من سنتين الى ثلاث

لا افتخار الا لمن لا يضام  
افاضل الناس اغراض لذا الزمن  
لك يا منازل في القلوب منازل  
اطاعن خيالاً من فوارسها الدهر  
بابي الشمس الجانحات غواربا

وغير ذلك من القصائد العائرة التي يردّها الحاص والعام في كل مكان

على انه لم ينل في هذه السنوات ما يستحق الذكر . وما زال هذا دأبه ينتقل من مكان الى آخر حتى القته المقادير الى انطاكية ، وكان فيها ابو العشائر الحمداني والياً من قبل سيف الدولة ، فدحه المتنبي . وحسن حظه قدم انطاكية في تلك الاثناء سيف الدولة ، فقدم ابو العشائر المتنبي اليه واثني عليه ، وكان ذلك بدء اتصاله بهذا الامير الشهير ، وبدء سعادته من جاه ومال وفيه

### في هلفه سيف الدولة ( ٣٣٧ - ٣٤٦ )

كانت حلب ايام المتنبي عاصمة لامارة عربية تشمل الجزيرة وشمال سوريا ، اميرها علي بن حمدان الملقب بسيف الدولة . وقد اشتهر هذا الامير بجهاده في محاربة الروم حتى بلغت غزواته نحو اربعين<sup>(١)</sup> . وكانت ساحة جهاده منطقة الثغور - اي المدن والحصون الواقعة على حدود الروم ( الاناضول ) ، ومنها انطاكية وزبطره وملطيه والحدث وخرشنة ومرعش وغيرها ، مما يرد ذكره كثيراً في شعر المتنبي . ولم يكن سيف الدولة موفقاً في كل غزواته الرومية ، ولكنه احرز في تاريخ العرب مجد المجاهد الكبير . والذي يلفت النظر تنازع امراء المسلمين انفسهم يومئذ وتناحرهم على السيادة - فبنو حمدان في حلب ، وامراء مصر الاخشيدية ، وبنو بويه في بغداد كانوا في نزاع مستمر وعداوة مستحكمة . وقد تمكن سيف الدولة بسخائه وعطفه على الادب ، واكون امارته موئل الروح العربية في ذلك

العصر ، ان يجمع حوله حلقة من كبار الادباء والعلماء . من كان يجزل لهم العطايا ، فخلدوا اسمه في سماء الادب . ومن هؤلاء ابن عمه ابو فراس ، ومعلمه ابن خالويه ، وابو الفرج البغدادي ، وابو عبدالله الخليل ، والوأو دمشقي ، وابو بكر وابو عثمان الخالديان ، وابو الطيب اللغوي ، والسري الرقاء ، وابو علي الفارسي ، وابن نباتة ، ثم ابو الطيب المتنبي ، والصنوبري ، والفارابي ، والاصفهاني صاحب الاغاني وامثالهم .

ولما اتصل به شاعرنا نال الخطوة عنده والرعاية الخاصة : جاء في الصبح المتنبي ان سيف الدولة قرّبه واجازه الجوائز السيئة ، ومالت نفسه اليه واحبه ، فسلمه للرواض فعملوه الفروسية والطراد والمثاقفة<sup>(١)</sup> . وقد صحب المتنبي اميره في بعض غزواته واطهر من الفروسية والشجاعة ما يذكر له : رووا انه في احدى تلك الغزوات تراجع الجيش ولم يثبت غير سيف الدولة وستة رجال احدهم المتنبي<sup>(٢)</sup> . وقد يشك في هذه الرواية ولكن مما لا شك فيه ان شعره يفيض بروح الشجاعة والاقدام ، ولا نرى في حياته ما يناقض ذلك .

...

دخل المتنبي حلقة سيف الدولة ، وفيها من ذكرنا من كبار الشعراء والادباء ، فعظم على البعض منهم ان ينال ما ناله من الامير ، وزاد غيرتهم منه وكرههم له ما في نفسه من صلابة وتعاضم . وانك لتلمح في شعره ما كان يقاسيه منهم ، وقد اضطر ان يطعنهم بقوافيه كقوله -

\_\_\_\_\_ ازل حسد الحساد عني بكتبهم فانز الذي صيرتهم لي حسدا

وقوله -

\_\_\_\_\_ افي كل يوم تحت ضبني شويبر ضعيف يقاويني قصير يطاول

وقوله -

\_\_\_\_\_ باي لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عنك لا عرب ولا عجم

الى غير ذلك من سهام التحقير التي قلما تخلو منها قصيدة من قصائده في سيف الدولة -

(١) راجع الصبح المتنبي هامش العكبري ١-٥٤

(٢) » » » » » » ١-٥٥

كرة النزهة  
الاصفهاني

ولم يكن حساده ليسكتوا عنه ، فاحذوا يكيّدون له ويجاولون الايقاع به ، ولاسيما الامير ابو فراس الشاعر المشهور<sup>(١)</sup> . فن ذلك ما نقله البديعي عن ابن الدهان في المآخذ الكنتدية : « قال ابو فراس لسيف الدولة ان هذا المتنبي كثير الادلال عليك ، وانت تعطيه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن ان تفرق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره<sup>(٢)</sup> » ( وفي خزانة الادب ان ما ناله في اربع سنين ٣٥ الف دينار<sup>(٣)</sup> ) ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل به .

فسيف الدولة بعد ان خص الشاعر بالعطف ، وبعد ان نظم فيه نحو ٤٨ قصيدة عامرة ( وهي لا تقل عن ثلث ديوانه ) تولاه انحراف عنه واصغى الى اقوال خصومه فيه . ولم يجد الشاعر استعطافه وتنويهه بالرحيل عنه ، فتجرأوا عليه حتى كان ما كان من ضرب ابن خالويه له بالمفتاح في حضرة سيف الدولة . وراى المتنبي انه لا يستطيع دفاعاً وانتقاماً في حضرة امير نافر منه ، وخصوم يتربصون به ، فترك حلب بدعوى المسير الى اقطاع له<sup>(٤)</sup> ، وفي نفسه ما فيها من الغيظ ، وقصد الشام فالرملة . ثم طلبه كافور الى مصر فلتكأً اولاً ، ثم رحل اليه ونفسه آسوأ له انه سيلبغ هناك من المجد ما يغيظ الخاسدين - وقد صرح بذلك اذ قال

ابا المسك ارجو منك نصراً على العدى      وآمل عزاً ينجذب البيض بالدم  
ويوما يغيظ الخاسدين وحالة      اقيم الشقا فيها مقام التنعم  
ولكنه لم يبلغ ما كان يروم

في مصر ( ٣٤٦ - ٣٥٠ )

مر معنا ان مصر كانت في يد الاخشيدية بني طنج ، وهم امراء يرجع نسبهم الى ملوك فرغانة . ولما هبط المتنبي مصر كان اميرها الحقيقي قاصراً ، وقيم الملكة الاستاذ كافور ، وهو عبد اسود كان مولى لبني طنج ، ولكنه كان - على ما يظهر - داهية فاستبد بامور مصر واصبح هو الامر النهائي ، او كما قال شاعرنا فيه .

(١) يرى الاستاذ محمود شاكر ان المتنبي كان يجب خولة اخت سيف الدولة وان سيف الدولة وعده سرّاً بما فاتصل ذلك بعلم ابي فراس وكان سبباً في العداوة بين الرجلين المتتطف مع ٨٨ ج ١ ص ١٣٤

(١) راجع الصبح المنبي هامش المكبري ١ - ٦٥

(٢) خزانة الادب ١ - ٣٨٤

(٣) » » » »

يدبر الملك من مصر الى عدن الى العراق فارض الروم فالنوب

قال ابن خلكان وكان يدعى له على المتابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام<sup>(١)</sup>

قصد شاعرنا كافوراً تننازعه عاطقتان - الأولى ما كان يشعر به من الغيظ لما اصابه في حلب، والثانية رغبته ان يحصل بواسطة كافور على ولاية . اما غيظه من سيف الدولة فلم يصل الى حد البغض ، اذ بقيت في نفسه بقية من الحب والوفاء له . وقد صرح بذلك في بعض قصائده لكافور كقوله

فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معتم  
رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كني وقوسي واسهبي

ولذا وصف الثعالبي شعره « بجمال الرمز والاشارة كجمعه بين مدح سيف الدولة حين فارقه ومدحه لكافور<sup>(٢)</sup> » . واما رغبته في الولاية او الامارة فكان يلمح اليها تلميحاً لم يخف على احد - كقوله

وما رغبتي في عسجد استفيده ولكنها في مفخر استجده  
وقوله

وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين واليا  
وقوله

قالوا هجرت اليه الفيث قلت لهم الى غيروث يديه والشايب  
الى الذي تهب الدولات راحته ولا بين على اثار موهوب

الى غير ذلك من الابيات التي تُشعر بما كان يتطال اليه او ما كان يحدث نفسه به . وقد نقل البديعي انه طلب ان يوليه صيدا من بلاد الشام، او غيرها من بلاد الصعيد<sup>(٣)</sup> وبين هاتين العاطفتين - الغيظ والطمع - مدح كافور بعشر قصائد هن من اخر ما نظمه وسياتي ذكرها

(١) وفيات الاعيان ٢ - ١٨٨ . راجع سيرته في خطط القرظي ٢ - ٢٦

(٢) البنية ١ - ١٥٨ (٣) الصبح المتنبي شرح المكبري ١ - ١١٥



على ان اتصاله بهذا الامير لم ينله مراده . نعم نال منه كثيراً من الخلع والجوائز والاموال ، واكن الامر الذي كان يصبو اليه ، تلك الامنية التي شغلت عقله - ولا سيما بعد ان وعده كافور بان يبلغه جميع ما في نفسه<sup>(١)</sup> - لم يأنس في وجهه ومدوحه غير الاعراض عنها ، فاضطربت روحه حتى صار يستقل وجوده في مصر ويتمنى الخروج منها

ولفظ ذلك منه كافور فخاف ان هو اطلقه ان ينقلب عليه بالظعن ، وهو المستبد بحكم مصر دون مليكها الحقيقي ، فمنعه من الرحيل . وظل على هذه الحالة المزعجة سنته الاخيرة في مصر لا يلقي كافوراً الا ان يركب فيسير معه في الطريق لئلا يوحشه<sup>(٢)</sup> . وله في ذلك قصيدة غراء يصف بها حاله ويصف حوى اصابته ، مطلعها

ملومكمما يجلب عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

وهي من بدائعه وسيرد ذكرها . وكان في اثنا ذلك يعد العدة للهرب حتى تمكن منه يوم عرفة سنة ٣٥٠ هـ ، فقصد العراق ووصف مسيره بقصيدة مطلعها

الا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيدبي

وفيها يعد الاماكن التي مر بها ، ويصف شجاعته واقدامه بايات تنضح بالكبر كقوله

لتعلم مصر ومن العراق ومن بالعواصم اني الفتى  
واني وفيت واني ابيت واني عتوت على من عتا  
ومن يك قلب كقلبي له يشق الى العز قلب التوى

ثم يئتمها بهجاء كافور . وله في هجائه بضع قصائد اوحاها اليه حب التشني والفشل

### بين العراق وبلاد فارس

خاتمة حياته (٣٥٠ - ٣٥٤) . ترك مصر في اواخر ٣٥٠ هـ قاصداً الكوفة فوصلها في جمادى ٣٥١ واقام فيها<sup>(٣)</sup> ، ثم ام بغداد . ولا نعلم متى كان ذلك بالضبط ، ولكننا نعلم انه

(١) الصبح المتنبي ١ - ١١٣ وفيات الاعيان ١ - ٦٤ وفي العمدة ١٠ - ٤٥ انه وعده بولاية بعض اعماله . (٢) شرح البلازجي ٥٤٨ (٣) الصبح المتنبي ١ - ١٤٤

المتنبي  
 كاشف الهمم  
 كاشف الهمم  
 كاشف الهمم  
 كاشف الهمم

بقي في العراق نحو ثلاث سنوات - والارجح انه قضى منها سنتين في الكوفة . وكانت بغداد يومئذ بيد معز الدولة البويهى ، وكان وزيره المهلبى يأمل ان يقصده المتنبي ويُدخه اسوة بالكبراء الذين مدحهم ، ولكن الشاعر ترفع عنه ذهابا لنفسه كما قال الثعالبي عن مدح غير الملوك<sup>(١)</sup> ، او لنفوره من سخافة المهلبى واستهتاره بالهزل<sup>(٢)</sup> ، فنقم الوزير ذلك منه وحرّض عليه شعراء بغداد حتى نالوا منه وتباروا في هجائه وتماجنوا وتنادروا ، فلم يجيبهم ولم يفكر فيهم<sup>(٣)</sup> . وقيل له في ذلك ، فقال انى فرغت من اصابتهم بقولي لمن هم ارفع طبقة منهم في الشعراء -

ارى المتشاعرين غرّوا بذي  
 ومن يك ذا غم سرّ مريض  
 ومن ذا يحمّد الداء العضالا  
 يجد مرّاً به الماء الزلالا  
 وبقولي -

وإذا اتك مذمتي من ناقص  
 فهي الشهادة لي باني كامل

قال ابن رشيق ان المتنبي حين بُلي بجهاقات ابن ججاج البغدادي سكت عنه اطراحاً واحتقاراً ، ولو اجابه لما كان هو بحيث هو من الانفة والكبر ، لانه ليس من انداده ولا من طبقتة<sup>(٤)</sup>

وجرت له مع ابي علي الحاتمي حادثة ذكرها ابن خلكان في سيرة الحاتمي وذكرها البديعي في الصبح المتنبي ، وسيرد ذكرها في كلامنا عن اخلاقه  
 ولما لم يطب مقامه في بغداد فارقتها ليلاً متوجهاً الى ابي الفضل ابن العميد مراغماً للوزير المهلبى ، فورد ارجان ومدح ابن العميد باربع قصائد ، واحمد مورده عنده  
 وكان الصاحب بن عباد يطمع في زيارة المتنبي اياه في اصبهان ، واجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو اذ ذاك شاب وحاله حويّلة ، ولم يكن قد استوزر بعد ، فكتب اليه يلاطفه ، لكن المتنبي لم يقيم له وزناً ولم يجيبه عن مراده<sup>(٥)</sup> ، فكان ذلك سبب عداوة الصاحب له والطعن فيه وانشائه رسالة في مساوي شعره .

(٢) خزائن الادب ١-٣٨٦

(١) البيهقي ١-٨٥

(٣) « «

(٤) العمدة ١-٧١

(٥) البيهقي ١-٨٦

وسار شاعرنا الى شيراز قاصداً عضد الدولة فتلقاه بالترحيب . ونظم المتنبي فيه ثنائي قصائد ، فاجزل له العطاء . ثم رجع من شيراز بثروة كبيرة تبلغ مئتي الف درهم ، ما عدا الخلع والهدايا والتحف<sup>(١)</sup> . وفي طريقه الى الكوفة خرج عليه فاتك الاسدي في نحو عشرين من رجاله وكان مع المتنبي ابنه محمّد ونفر من غلمانه وجمال تحمل امواله وتحفه ، فجرت بينهم موقعة انتهت بقتل الشاعر وابنه وبعض اتباعه . هكذا قضى ابو الطيب . وعلى مقربة من سواد بغداد وفي رمضان من سنة ٣٥٤ خمدت تلك النفس التي نشأت نزاعة الى المجد ، حربصة على غرور الدنيا ، فحملت صاحبها تارة على تجشّم الاهوال والضرب في الافاق ، وطوراً على الوقوف في ابواب الملوك والامراء طمعاً ، في « مفخر يستجده » اوجاه يناله . ولكنه آب بالفشل وترك لنا بفشله من الحكم الباقية ما لا تزال السنة الزمان تردده في كل مكان .

### مرآة الخلفية

برغم ما كان يظهر في شعر المتنبي من التزلف والاستجداء . وبرغم بعض مساوئه التي قلما يخلو منها انسان ، نرى له صفة عامة تتخلل جميع صفاته وتتجلى لنا عند التأمل في ذاته ، وهي « صلابة النفس » . وقد طبعت شعره بطابع خاص يعرفه كل من درسه ، وهم ظواهرها - التعاضل والطمع بالمجد مقرونين بشي . من عدم الكياسة : واليك بيان ذلك

### تعاضلهم او اغترارهم بنفس

لم يكن المتنبي وحيداً بين الشعراء في هذه المزية ، ولكنه بلغ منها ما لم يبلغه سواه حتى ولا ابو تمام . وفي اخباره شواهد لا تترك للشك مجالاً - منها ما يلي

١ - انه لما اتصل بسيف الدولة اشترط عليه ان لا ينشده الا وهو قاعد وان لا يقبل الارض بين يديه<sup>(٢)</sup> . وقد ذكر ابن خلكان انه لما انشد قصيدته « لكل امرئ من دهره ما تعودا » قال بعض الحاضرين يريد ان يكيدده : لو انشدها قائماً لأسمع ، فقال ابو الطيب

(١) الصبح المتنبي هاشم الكعبي ١ - ٢٢١

(٢) » » » » ١ - ٤٧

اما سمعت اولها : لكل امرئ من دهره ما تعوداً<sup>(١)</sup>  
ويظهر مما نقله البديعي ان سيف الدولة كان حيناً يعتاض من تعاضمه ويجفو عليه اذا  
كله<sup>(٢)</sup>. ولعل لذلك علاقة بنجاح اعدائه في تنفير الامير منه ، كما ان لغشله في مصر علاقة بما  
كان يراه كافور من تعاليه في شعره<sup>(٣)</sup>.

٢ - سوء سياسته وعدم مداراته . فانه بعد ان كان ايام خموله يدح القريب والبعيد  
ويصطاد كما قال الثعالبي ما بين الكركي والعنديل<sup>(٤)</sup> ، اخذت نزعة الكبر تشتد فيه حتى  
صار في اَبان شهرته يترفع عن غير الملوك والامراء ، وينظر الى سواه نظر الكبر الى  
الصغير . وكان ابو علي الفارسي يستثقله لما يأخذ به نفسه من الكبر<sup>(٥)</sup> : ومن شواهد ذلك  
ما جرى له مع وزير كافور ومع الوزير المهلب والصابح بن عباد وسواهم  
ومن رسالة الخاتمي يلح ما كان يرى فيه زملاؤه من روح التشامخ . وهذه الرسالة  
كتبت في مساوى المتنبي ، وكاتبها من ادياء بغداد الذين اغرامهم المهلب به . قال صاحبها :  
لما ورد احمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفاً عن مصر ومتعرضاً للوزير ابي محمد  
المهلب التحف رداء الكبر واذال ذيول التيه ، ونأى بجناحه استكباراً ، وثنى عطفه  
جبرية وازوراراً ، فكان لا يلاقي احداً الا اعرض عنه تبها ، وزخرف القول عليه تويهاً -  
يخيّل عجباً اليه ان الادب مقصور عليه ، وان الشعر مجرد لم يرد غير مائه غيره . . . فغير جارياً  
على هذه الوتيرة مدة مديدة - الى ان يقول : وثقلت وطأته على كثير من وسم نفسه بيسم  
الادب ، وساء معز الدولة احمد بن بويه ان يرد حضرته ، وهي دار اخلافة ومستقر العز  
وبيضة الملك ، رجل صدر عن حضرة سيف الدولة بن حمدان - وكان عدواً مبايناً لعز  
الدولة - فلا يلقي احداً بمملكته يساويه في صناعته . وتخيّل الوزير المهلب رجماً بالغيب ان  
احداً لا يستطيع مساجلته ولا يرى نفسه كفواً له . . . فنهدت له متبعاً عواره ومقلماً  
اظفاره .

ثم يذكر انه قصده على بغلة سفوا في مركب رائع ، وان المتنبي لما رآه داخلأ وارى  
شخصه لكي لا يقف له . ثم يصف قوبل هو بالترحيب والتكريم ، وان المتنبي لما

(٢) الصبح المنبي - العكبري ١ - ٨٣

(٤) البيضة ١ - ٨٢

(١) وفيات الاعيان ١ - ٦٦

(٣) وفيات الاعيان ١ - ٦٤

(٥) الصبح المنبي ١ - ٣١٠

دخل جلس في صدر المكان ، واعرض عن الخاقمي وابن الا ازوراراً واستكباراً ، حتى كان ما كان بينهما من المناقشة والمساجلة . والرسالة طويلة تدخل في نحو ١٢ كراسة وقد نقل ابن خلكان قسماً منها ، وكذلك البديعي في الصبح المتنبي<sup>(١)</sup> .

وقال البديعي : كان الرجل سيء الرأي وسوء رأيه اخبره من حضرة سيف الدولة ، وشدة تعرضه لعداوة الناس<sup>(٢)</sup> .

ولا شك ان الحسد وحده لم يكن السبب في عداوة اديب حلب او بغداد له ، ولو كان المتنبي على شيء من اللطف لما وصل الى ما وصل اليه : ففي طبعه كما قال ابن رشيق غلظة<sup>(٣)</sup> ، وفي شعره ترى هذا الخلق ظاهراً في كل ادوار حياته .

### ٣ - شعوره بالتفوق

ومن رسالة الخاقمي المار ذكرها يظهر لك اثر هذا الشعور في نفوس البغداديين - قال الثعالبي كان يخاطب الملوك مخاطبة الصديق والمحبوب ، وهو مذهب تفرّد به رفعاً لنفسه عن درجة الشعراء<sup>(٤)</sup> . فمن قوله في صباه -

أط عنك تشيهي بنا وكأننا فما احدٌ فوقي ولا احدٌ مثلي

وقوله

ان اكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد

كبرياء ولدت فيه وظهرت في صباه فرافقته الى آخر حياته . وديوانه مشبع بهذه الروح - ماتت جدته فاضطرب لموتها ورتاها فلم يتالك عن ان يصيح في وجه الزمان

لئن لذّ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما  
تعرّب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً الا خالقه حكما  
يقولون لي ما انت في كل بلدة وما تبغني؟ ما ابتغي جل ان يُسمى  
كان بنينهم عالمون بانني جلوب اليهم من معاذنه اليتما  
واني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف ان تسكن اللحم والعظما

(١) وفيات الاعيان ٢-٣٣٢ وهامش شرح العكبري ١ من ١٤٤-١٧٣

(٢) هامش العكبري ١-١٢٣ (٣) العمدة ١٣٣ (٤) اليتيمة ١-١٣٩

كذا انا يا دنيا اذا شئت فاذهبي      ويانفس زيدي في كراحتها قدما  
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني      ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

ومدح ابا سهل الانطاكى فلم يلبث حتى تغلب عليه طبعه فقال

ابدو فيسجد من بالسوء يذكرني      فلا اعاتبه صفحاً واهوانا  
وهكذا كنت في اهلي وفي وطني      ان النفس غريب اينما كانا  
محمّد الفضل مكذوب على اثري      القى الكمي ويلقاني اذا حانا

وهذا الشعور بالتفوق كثيراً ما يظهر في شاعرنا بظهور الشجاعة البالغة حد التهور .  
انظر اليه في مجلس سيف الدولة - في جو مشبع بروح العدا له وحوله خصوم الداء . كابي  
فراس وابن خالويه واضرابهما ، وقد حملوا سيف الدولة على الاعراض عنه وسوء الظن به ،  
فلم ينخفض له جناح ، ولم تستول عليه رهبة ، بل عاتب الامير ثم اشار الى من حوله وقال  
بنفس تقيض كبرا

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا      بانني خير من تسعى به قدم  
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي      واسمعت كلابي من به صمم  
وجاهل مدّه في جهله ضحكي      حتى اتته يد فراسة وفهم  
اذا رأيت نيوب الليث بارزة      فلا تظنّ ان الليث يبتمم  
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم      ويكره الله ما تاتون والكرم  
ما ابعد العيب والنقصان من شرفي      انا الثريا وذان الشيب والمهرم

ومنها يلتمح بعزمه على الرحيل -

لئن تركنا ضميراً عن ميامننا      ليحدثنّ لمن ودّعته ندم

وهذه القصيدة شهيرة وفيها تتجلى نفسية هذا الرجل الغريبة

ومن ادلة شجاعته بل تهوره ما ذكره ابو نصر الجبلي للخالديين عن مقتله ، والرجل  
شاهد عيان رأى الشاعر قبيل مقتله وحادثه وقد حدّره من فاتك الاسدي ورجاله ونصح له  
ان يستصحب معه من يخفّره ، فاجابه المتنبي والله لا ارضى ان يتحدث الناس اني سرت في  
خفارة احد غير سيني - معاذ الله ان اشغل فكري بهم لحظة عين . قال فقلت له قل : ان  
شاء الله . فقال هي كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ولا تستجلب آتياً ، ثم ركب فكان آخر

العهد به . ذكر ذلك البديعي في حديث طويل<sup>(١)</sup> . وقد حاول بعضهم ان ينسب اليه الخوف .  
والحذر ولكن سيرته لا تدل على ذلك ، وقد صدق الباقلاني اذ قال « وكان المتنبي من  
اهل الشجاعة<sup>(٢)</sup> »

### طموحه الى المجد

خلق المتنبي طموحاً الى المراتب العالية طامعاً بالحصول على مجد الدنيا .

اهمُّ بشي . والليالي كأنها تطاردني عن كونه وأطارد  
وحيد من الخلان في كل بلدة اذا عظم المطلوب قلّ المساعد

صفة ظاهرة في كل حركاته واقواله - فنذ كان فتى في السابعة عشرة من عمره يحدثنا  
شاهد عيان بهذيانه في ذلك<sup>(٣)</sup> . وما الحركة التي سيجن لاجلها الأ دليل على هذه النزعة في  
نفسه . ولما فشل في اول عهده تحول نظره الى المال ، والى وجوب حشده لا بخلاً او حباً  
بالمال لنفسه ، ولكن توصلأ به الى غاياته . ولعله تذكّر حادثة جرت له في الكوفة وهو  
غلام رواها البديعي في الصبح المتبي<sup>(٤)</sup> . وخلاصتها انه اراد ان يشتري بطيخاً من بائع فلما  
ساومه على الثمن جهمه البائع واحتقره ، ثم جاء تاجر غني فرحب به البائع وباعه البطيخ  
محمولاً الى البيت بانجس مما عرض عليه المتنبي . ولما رجع كلمه المتنبي في ذلك فقال اسكت -  
هذا يملك مئة الف دينار . فوقع في نفس شاعرنا منذ ذلك الحين حب المال والحرص  
عليه ، وان الناس لا يحترمون غير صاحبه . وفي شعره ما يدل على ما كان في نفسه من  
ذلك كقوله -

واتعب خلق الله من زاد همّه      وقصّر عما تشتهي النفس وجده  
فلا ينحلل في المجد . الك كاه      فينحلل مجد كان بالمال عقده  
ودبره تدبير الذي المجد كفه      اذا حارب الاعداء والمال زنده  
فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله      ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده .

(١) الصبح المتبي على هامش المعكبري ج ١ من ٢٢٨-٢٢٩

(٢) اعجاز القرآن ١٢٤ (٣) الصبح المتبي (المعكبري) ١-٢٥

(٤) الصبح المتبي ١-٨٣

وقد ذكروا بعض حكايات عن حرصه وجشعه<sup>(١)</sup>، ولكنها عند التدقيق لا تدلُّ إلا على حزمه وحسن تقديره للمال ومعرفته بأحوال الدنيا . وعل بعضها من تليفق حساده كقصته مع سيف الدولة، رويت عن ابي الفرج الببغا وصور فيها المتنبي اولاً رجلاً ذا كبر وابه لا يدُّ يده كما فعل سائر الشعراء ، ثم تتغير الصورة بفتة فيظهر فيها ذنباً جشعاً - كل ذلك في مدة لا تتجاوز الدقائق القليلة .

كلا لم يكن المتنبي حشاداً للمال مخافة الفقر ، وقد قال

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

ولكنه كان يعرف قيمته وتأثيره في اكرام الناس له : كان شاعرنا معجباً بنفسه حريصاً ان يعجب الناس بها ايضاً ، ورأى في المال وسيلة لبلوغ ذلك فصار بعد خروجه من السجن يجوب الاقطار للحصول عليه ، ولكنه بقي حتى اتصاه بسيف الدولة لا ينال من ممدوحيه الا الشيء اليسير . ورأى سني شبابه تطوى على الفقر والغفل فغلب عليه الكدر من الناس ولاسيا اولى الامر منهم ، وكثر تشكيه من الزمان واشتداده عليه ، فظهر ذلك في شعره كما سيجي .

ولما اتصل بسيف الدولة اخذت الدنيا تبتم له ، ونال عند ممدوحه ما كان يصبو اليه من كرامة ومال ، فطابت نفسه وقصر شعره على ذلك الامير العربي يصف غزواته ويمدح اخلاقه . وباقبال الدنيا عليه لم يحمد في نفسه ذلك الكبر الذي طبع عليه فكبر حساده ومبغضوه . ولم يكن دمثاً او لين العريكة بل غلبت عليه صلابه الرأي ، مما ادى الى فتور الامير نحوه واشتداد الحساد عليه ، فاضطر كما ذكرنا الى ترك حلب وقصد مصر طامعاً بالمجد عن طريق الامارة - وقد مر بنا ما كان من امره في مصر ثم بالعراق وفارس

ولم يكن فشله في مصر كافياً للقضاء على آماله قضاء مبرماً ، ولكنه شل مطامعه الى حين ، ودفعه الى استجمام القوى في الكوفة وبغداد نحواً من ثلاث سنوات ثم تراءت له فارس ورأى الفرصة السانحة فقصد عضد الدولة ورأى في حضرته ما جدد آماله . ولا نعلم ما كان يدور في خلد يومئذ ، وقد نال الغنى الوافر واصبحت شهرته تملأ الحافقين . يحدثننا المؤرخون انه ترك بلاط عضد الدولة قاصداً الكوفة - لاي غرض ؟



لا ندري . ولكن البديعي يزوي في الصبح المنبي<sup>(١)</sup> انه استأذن عضد الدولة في المسير ليقضي حوائج في نفسه ثم يعود اليه فاذن له . فما الذي كانت تسوأل له نفسه ؟ وما كان يؤمل ان يبلغه على يد هذا الملك البويهبي الكبير ؟ ذلك ما اسدل عليه الحمام حجاباً لا سليل الى نفاذه

## عصيته ونسبه

في نفس المتنبي وفي شعره نزعة عربية شديدة ، ولا غرابة فهو عربي ينتمي الى قبيلة جعفي من جهة الاب واهمدان من جهة الام . زد على ذلك انه كان في عصر ضعف فيه شوكة العرب واصبحت اكثر البلدان الاسلامية في ايدي امراء من الفرس والترك ، فاوقد ذلك في نفوس العرب غيرة قومية زاداها اضطراراً تلك المشادّة بين الشعوبية والعربية ، وما كان يرمي اليه الفريقان من الانفراد بالذكر والفخر . ولا نعلم هل كان شاعرنا من الذين اشتبكوا في هذه المعركة الكلامية ام لا ، وايكنا نعلم انه كان متعصباً للعرب والحياة العربية . وقد قوتى هذا التعصب فيه اقامته في البادية مدة طويلة ، وتعود عاداتها ثم اتصاله بسيف الدولة زعيم العرب في عصره . ولذا يكثر في شعره الفخر باصله العربي وذم الاعاجم ، كقوله وقد جرى ذكر ما بين العرب والاكراد من الفضل ، فقال مخاطباً سيف الدولة

ان كنت عن خير الانام سائلا      بخيرهم اكثرهم فضائلا  
من كنت منهم يا همام وائلا      الطاعنين في الوغى اوائلا  
والعاذلين في الندى العواذلا      قد فضلوا بفضلك القبائلا

وفي قصائده لسيف الدولة تراه يكرر كثيراً ذكر العرب مفاخراً بهم كقوله -  
رفعت بك العرب العباد وصيرت      قمم الملوك مواقد النيران  
انساب فخرهم اليك وانما      انساب اصلهم الى عدنان  
ومثل ذلك كثير في شعره . ومن امثلة تعصبه للعرب قوله يدح علي بن ابراهيم التنوخي  
احق عاف بدمعك الهمم      احدث شي . عهدا بها التدم

وانما الناس بالملوك وما تصلح عربٌ ملوكها عجم  
لا ادبٌ عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم  
لكل ارض وطنتها امم تُرعى بعبد كانتها غمم

وتظهر نزعة البدوية في مدحه للاعرابييات ومقابلتهن بالحضرىيات، وله في ذلك ابيات مشهورة نذكر بعضها هنا وهي من قصيدته « من الجاذر في زي الاعاريب »

ما اوجه الحضر المستحسنات به كماوجه البدويات الرعايب  
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب  
ابن المعيز من الارام ناظرة وغير ناظرة في الحسن والطيب  
افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صيغ الحواجيب

وقوله -

ان الذين اقت وارتحلوا ايامهم لديارهم دول  
الحسن يرحل حيثما رحلوا معهم وينزل حيثما نزلوا  
في مقلي رشاً تديرها بدوية فتنت بها الحلل  
تشكو المطاعم طول هجرتها وصدودها ومن الذي تصل ؟  
ما اسارت في القعب من ابن تركته وهو المسك والعسل

فالمتنبي يثقل في شعره عواطف العرب وخيالاتهم ، وهو كثير التحنن الى معيشتهم تخور بنسبه اليهم ( وقد دعا نفسه في قصيدته - مغاني الشعب - « الفتى العربي » ) يرى في فوسانهم منتهى الشجاعة وفي حسانهم غاية الجمال : فتراه من هذا القبيل يخالف ابانواس وسواه من الذين عاشروا الجوارى الاعجميات وانغمسوا في اللومعهن .

وعلى ذكر الجوارى والاهو نقول انك لا تجد في حياة المتنبي او شعره ما يدل على ميل الى ترف او عبث ، فقد عاش منذ صباه جاداً رزيناً لا يهتم بما كان يهتم به اكثر الشعراء من شرب مدام او مغازلة حسان ، او انصراف الى المطربات من الاخان :

كقوله -

وغير فؤادي للغواني رميةً وغير بناني للزجاج ركاب<sup>(١)</sup>  
تركنا لاطراف القناكل شهرة فليس لنا الا بهن لعاب

(١) ويروج ابن جني للرخاخ ( من ادوات الشطرنج )

اعزُّ مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وخلصة المعنى اني غير غزل بالنساء او محب للخمر قد قصرت نفسي على الجذ في طعان  
الاعداء وتركت ما تشتهيهِ الانفس من الملاهي .

وكان جوّه مقرونًا بالصدق والصرامة . قال ابن جني ما عرفت المتنبي الا صادقاً<sup>(١)</sup>  
وهنا لا بد من القول ان بعض المؤرخين يزعمون ان اباه كان سقّاء في الكوفة<sup>(٢)</sup> .

ومما قيل فيه

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرةً وعشياً  
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء المحياً

على اننا اذا دققنا في ذلك نجد ان اهم الثقات الذين دونوا سيرة المتنبي يرون بهذا  
الرّغم مرور المشكك . فالثعالبي مثلاً ، وهو كما مرّ بنا قريب العهد بالشاعر ( بل يكاد  
يكون معاصراً له ) لم يزد على ان قال « وبلغ ابا الحسين ابن لنكك بالبصرة ما جرى على  
المتنبي من وقية شعراء بغداد فيه واستحقارهم له ، وكان حاسداً له طاعناً عليه زاعماً ان اباه  
كان سقّاء بالكوفة<sup>(٣)</sup> . وفي رواية الثعالبي ما يُشعر بشكّه في صحته . ومثل الثعالبي ابن  
خلكان فانه لما اورد هذا الخبر قال ويقال ان ابا المتنبي كان سقّاء بالكوفة ثم انتقل الى  
الشام بولده<sup>(٤)</sup> . ويقول البديعي وكان والده الحسين يعرف بعبدان السقّاء ، ثم ينقل عن ابن  
خلكان ما ذكره عن ابن لنكك وطعنه على المتنبي<sup>(٥)</sup> . وفي ايضاح المشكل للاصبهاني انه  
كان في الكوفة يختلف الى كتاب فيه اولاد الاشراف<sup>(٦)</sup> . فاذا دقت في هذه الروايات  
لم تجد فيها خبراً مجزوماً فيه ، بل لا تجد الا اقوالاً يصح ان نشكك فيها ، ويزيدنا تشكيكاً  
ان سقّاء بالكوفة لا يحظى عادةً بوضع ولده في مكاتب الاشراف ، ولا ينتقل به الى بلد  
بعيد ، فيردّه بين المدن والقبايل . ولسنا هنا بمعرض الدفاع عن والده وتزييه عن تعاطي  
مهنة كالسقّاية ، ولكننا لا نستطيع الا ان نظهر شكنا بذلك اعتماداً على الروايات التي بين ايدينا  
على ان الرجل كان على ما يظهر فقير الحال مغفور الذكر ، ومع ذلك لم يتأخر عن تسهيل  
وسائل العام لولده ، فنشأ الولد ( شاعرنا ) بين المكاتب والوراقين . ولما ترعرع ونال من

(١) الخصائص ١-٢٤٨ (٢) وفيات الاعيان ١-٦٥ والبيضة ٨٦

(٣) البيضة ١-٨٦ (٤) وفيات الاعيان ١-٦٥ (٥) الصحح النبي ١-٦٧ و١٧٨

(٦) نغلاً عن خزنة الادب ج ١-٣٨٢

الادب قسطاً ظهرت عليه بوادر الطموح الى العلى ، وراى تطاول المالميك والموالي على اسيادهم ، وكثرة القاتنين بالدعوات في المملكة العباسية والامارات المختلفة ، فحدثته نفسه ان يقوم باعراب البادية ، وملكه هذا الوهم حتى حبس وتاب . ولكن حب الرياسة والولاية بقي يدور في راسه<sup>(١)</sup> ، وهو القائل من قصيدة لكافور : -

وفؤادي من الملوك وان كان لساني يرى من الشعراء

### شهرته الشعرية

لم ينل شعر عربي من الشهرة ما ناله شعر المتنبي ، فهو بعيد الاثر في حلقات الادب شائع بين جميع الطبقات . ولم يكن حظه في عصره باقل من حظه اليوم . قال الثعالبي « فليس اليوم مجالس الدرر اعمر بشعر ابي الطيب من مجالس الانس ، ولا اقلام كتاب الرسائل اجرى به من السن الخطباء في المحافل ، ولا لحون المغنين والقوالين اشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألفت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديته ، وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والافصاح عن ابكار كلامه وعونه ، وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه ، والنضح عنه والتعصب له وعليه . وذلك اول دليل دل على وفور فضله وتقدم قدمه ، وتفرده عن اهل زمانه بملك رقاب القوافي ورق المعاني<sup>(٢)</sup> . وبعد موت المتنبي باكثر من قرن نرى الواحدى يقول في مقدمة شرحه « وان الناس منذ عصر قديم قد ولوا جميع الاشعار صفحة الاعراض مقتصرين منها على شعر ابي الطيب نائين عما يروى لسواه » .

ومن دلائل شهرته ان كبار المترسلين في زمانه وبعده كانوا يستمعونون بالفاظله ومعانيه ، ومنهم خصمه ابن عباد ، وابو بكر الخوارزمي ، وابو اسحق الصائبي ، وابي العباس ابرهيم الضبي<sup>(٣)</sup> . وقال ابن خلكان « واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه ، وقال لي احد المشايخ الذين اخذت عنهم : وقفت له على اكثر من اربعين شرحاً ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره<sup>(٤)</sup> »

(١) البيهية ١-٨١ (٢) البيهية ١: ٧٨-٧٩

(٣) راجع امثلة ذلك في البيهية ١: ٨٧-٩٣

(٤) وفيات الاعيان ١-٦٣ والصبح المنبي هامش المكبري ١: ٤٢٨-٤٤٢

ولما تناول البديعي شهرته نقل ما اوردناه من كلام الثعالبي وزاد عليه اسما شراًحه  
ونقاده (مثبتاً بذلك كلام ابن خلكان) ومنهم

ابن جني - وهو تلميذه واول من شرحه

ابو العلاء المعري - وله في ذلك اللامع العزيزي ومعجز احمد ، وكان من المعجبين

بالمتني

الواحدي - المتوفى ٤٦٨ - صاحب الشرح المشهور

ابو زكريا التبريزي - ٥٠٢ - تلميذ المعري وشارح المعلقات والحامسة

القاضي ابو الحسن الجرجاني - ٣٦٦ - صاحب الوساطة بين المتني وخصومه

العكبري - ٦١٦ - صاحب الشرح المشهور

ومنهم ابن فورجه البروجدي ، والصاحب بن عباد ، والمعري صاحب الانتصار ،  
والحاتمي ، والعميدي صاحب الابانة ، وابن الاثير صاحب الاستدراك على ابن الدهان .  
ويسوق البديعي اسماءهم الى اخر القائمة ثم يقول « سوى الشروح التي لم نسمع بذكراها . ولم  
يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الاسلام شرح مثل هذه الشروح الكثيرة ولا تدول  
في السنة الادباء من نظم ونثر اكثر من شعر المتني <sup>(١)</sup> » .

ولابن رشيق القيرواني صاحب العمدة جملة مشهورة في المتني وهي « ثم جاء المتني  
مفلأ الدنيا وشغل الناس » وطبيعي انه لم يشغل الناس على غير طائل ، وما تصدى له  
خصومه او دافع عنه مريدوه الا لعلوا مكانته ولبعد صيته ، حتى اصبح غرضاً لاقلامهم  
وغاية لتسابق اليها جيادهم .

واذا رجعت الى قائمة شرأحه ونقاده العديدين تجدهم ثلاث فرق

١ - الذين تحاملوا عليه وراموا الخط من قدره ، ومنهم الصاحب بن عباد والحاتمي  
والعميدي وابو هلال العسكري وابو الفرج الاصفهاني ، ولعل ذلك كان سبباً  
لاغفال ذكره في كتابه الاغاني

٢ - الذين لهجوا بفضله وبالغوا باكرامه ، ومنهم ابن جني وابن رشيق والواحدي والمعري  
وابن وكيع والعكبري وابن خلكان والبديعي

٣ - المعتدلون الذين راموا التوفيق بين الطرفين ومنهم الجرجاني والثعالبي وابن الاثير.

وهم الى قائمة مدأحه اميل

تناول هؤلاء العلماء شعر المتنبي واسهبوا في ذكر حسناته وسيئاته - والغالب فيهم ان يجذو المتأخر حذو المتقدم - حتى لم يتركوا زيادة لمستزيد . على انهم قصروا همهم على التقدير اللغوي والبياني ولاسبغوا على السرقات الشعرية ، ولم يهتموا في هذه الاخيرة بخطط واوهام لا طائل تحتها . وقد اجاد البديعي في التمييز بين الممدوح والمذموم من ذلك وبحث في هذه المسألة بحسب المنطقي المحقق<sup>(١)</sup> . وخلاصة ما ذكره ان المتنبي حسنات وسيئات وان حسناته تنحصر فيما يلي -

(١) دقة الاشارة (٢) حسن التخلص (٣) حسن اختراع المعاني (التشبيه والاستعارات) (٤) وصف القتال وادواته (٥) حسن ضرب المثل

ويقابلها من السيئات

(١) التعمية او الابهام في الكثير من ابياته (٢) شذوذه اللغوي<sup>(٢)</sup> (٣) تكلفه وتمسقه (٤) جمعه بين البليغ والسفاسف في القصيدة الواحدة

وامثلة الوجهين كثيره تجدها في اليتيمة والوساطة والصبح المنبي وسواها . ولليازجي رسالة وافية في ذيل شرحه (العرف الطيب) تناول فيها اقوال النقدة وعرضها عرضاً بليغاً وقد اشتهرت اقوالهم في ذلك فلتراجع في مظانها ، على انه لا بد من القول ان ما ذكره من حسنات وسيئات يصدق على كل شاعر تقريباً وقد ورد معنا امثلة ذلك في الكلام على ابي تمام والبحثري مما يعد العود اليه الان تكررراً لا فائدة منه

### شخصية الشعرية

بقي علينا ان ننظر في شعر المتنبي من حيث انه مظهر لشخصية تاريخية تتأثر بالموثرات الخارجية

(١) هامش المكبري ١ : ٢٧٤ - ٣١٩

(٢) راجع قول ابن رشيق العمدة ١ - ٨٧ . وقال العسكري في الصناعتين ١١٩ « لا اعرف احداً كان يتبع العيوب فيأبئها غير مكترث الا المتنبي

وهو عند التحقيق اربعة اطوار -

الطور الاول - يمثل عواطف الشباب ونفثات الالم من الزمان ، وقد نظم في النحاء  
مختلفة من بلاد الشام وفلسطين والعراق ، ويمتد من زمن الحداثة الى  
الرابعة والثلاثين من عمره

الطور الثاني - شعره في حلب . نظمه وهو بين الرابعة والثلاثين والثالثة والاربعين ،  
وهو يمثل (١) عواطف العظمة والجهاد القومي كما يظهران في  
سيف الدولة (٢) عواطف الفوز بالدنيا والقلق من الحساد كما  
تظهر في نفسه

الطور الثالث - شعره في مصر . نظمه بين الثالثة والاربعين والسابعة والاربعين ،  
وهو يمثل غيظه من الماضي واماله الكبيرة بالمستقبل ثم مرارته لفشله  
الطور الرابع - شعره في العراق وفارس . نظمه بين السابعة والاربعين والحادية  
والخمين ، أما في العراق فذكريات سيف الدولة ، واما في فارس  
فانتعاش امل لم يلبث ان يحمد الحام . واليك بيان ما تقدم  
والندليل عليه من شعره

### عواطف السباب ونفثات الالم من الزمان

راينا في سيرته انه ولد طموحاً متهوساً بالمجد وانه ظل بعد خروجه من السجن حتى  
الرابعة والثلاثين من عمره فقير الحال يجوب الاقطار معرضاً نفسه للاخطار والاهوال ، فلم  
يثل من الدنيا مراما . في هذا الطور يكثر في شعره ذكر المجادلة والاقدام والفخر بالرجولة  
ويقرن ذلك بدم الزمان واهله والسخط على اولي الامر من رؤساء وامراء ، حتى جعل ابن  
رشيقي اهمّ مزاياه الامثال وذم الزمان<sup>(١)</sup> . وفيه نرى الكثير من الحكم البالغة التي تهيب  
بالشباب الى طلب العلى وتحمل المشاق والبعد عن مواطن الذل والضم . فمن قوله في  
الاقدام وتحمل المشاق

ومهمه جبهته على قدمي تعجز عنه العرامس الذلل

بصارمي مرتدٍ بِخُبْرَتِي بِجَزَىءِ بِالظَّلَامِ مَشْتَمَلِ  
اِذَا صَدِيقٌ نَكَرْتَ جَانِبَهُ لَمْ يُعِينِي فِي فِرَاقِهِ الْجَيْلِ  
فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ وَفِي بِلَادٍ مِنْ اِخْتِهَا بَدَلُ

ومن هذا القبيل يذكر سيره في البوادي ويصف عزة نفسه وشجاعته ويذم الزمان

اِوَانَا فِي بِيوتِ الْبَدْوِ رَحَلِي وَآوَنَةٌ عَلَيَّ قَتَدَ الْبَعِيرِ  
اعْرَضَ لِلرَّمَاحِ الصَّمِّ نَحْرِي وَاَنْصَبَ حُرًّا وَجْهِي لِلْهَجِيرِ  
وَأَسْرِي فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَحَدِي كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَرٍّ مِنْيرِ  
فَقَلَّ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا عَلَيَّ شَعْفِي بِهَا شَرَوِي نَقِيرِ  
وَنَفْسٍ لَا تُجِيبُ إِلَى خَسِيسٍ وَعَيْنٍ لَا تَدُورُ عَلَيَّ نَظِيرِ  
وَقَلَّةٌ نَاصِرٌ - جَوَزَيْتَ عَنِي بِشَرِّ مَنْكَ يَا دَهْرَ الدَّهْوَرِ

ومثل ذلك قوله يصف جلده ومضاه عزمه

يُحَاذِرُنِي حَتَّى كَأَنِّي حَتْفُهُ وَتَنْكَزُنِي الْاَفْعَى فَيَقْتُلُهَا سَمِيَّ  
طَوَالَ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَقْصِفُهَا دَمِي وَيُبِضُ السَّرِيحِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لِحْمِي  
بِرْتَنِي السَّرِي بَرِي الْمُدَى فَرَدَدْنِي اِخْفُ عَلَيَّ الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جَرْمِي  
وَابْصُرْ مِنْ زُرْقَاءِ جَوْءٍ لِأَنِّي مَتَى نَظَرْتَ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عَلْمِي  
كَأَنِّي دَحْوَتِ الْاَرْضِ مِنْ خُبْرَتِي بِهَا كَأَنِّي بَنِي الْاِسْكَانْدَرِ السَّدِّ مِنْ عَزْمِي

وقال في اهل زمانه مستخفاً بهم وبامراتهم وهو من هذا الطور يكثر اللهج بذلك

ويقال فيه

فَوَادٍ مَا تَسَلَّهُ مَدَامَ وَعَمْرٌ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّتَامَ  
وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامَ  
أَرَانِبٌ غَيْرِ أَنَّهُمْ مَلُوكٌ مَفْتَحَةٌ عَيْوَنُهُمْ نِيَامَ  
خَلِيلِكَ أَنْتَ - لَا مِنْ قَلْتِ خَلِيَّ وَأَنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلامَ  
وَشَبَّهَ الشَّيْءَ مِنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهْنَا بَدْنِيَانَا الطَّغَامَ

وعلى هذا الوتر يضرب في قصيدته الشهيرة «باني الشموس الجانحات غواربا» فيذكر

الزمان وتعامله عليه ويقول -



كيف الرجاء من الخطوب تخلصاً من بعد ما انشبن في مخالبا  
 اوحدني ووجدن حزناً واحدا متناها فجعلته لي صاحبا  
 ونصبتني غرض الرماة تصيبي محن احد من السيوف مضاربا  
 اظمتني الدنيا فلما جنتها مستسقياً مطرت علي مصابا

وللمتنبي ثلاث قصائد تمثل خوالج نفسه في هذا الطور افضل تمثيل - الاول في علي بن  
 احمد المرّي ومطلعها - لا افتخار الا لمن لا يضام - تقتطف منها هنا الابيات التالية

ليس عزمًا ما مرض المرء فيه ليس همًا ما عاق عنه الظلام<sup>(١)</sup>  
 واحتمال الاذى ورؤية جانبه غداء تضيء به الاجسام  
 ذل من يغبط الدليل بعيش رب عيش اخف منه الحمام  
 من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بيت ايلام  
 ضاق ذرعاً بان اضيق به ذرعاً زماني واستكرمتني الكرام  
 واقفاً تحت اخصي قدر نفسي واقفاً تحت اخصي الانام  
 اقراراً الذئ فوق شرار ومراماً ابغى وظلمي يرام  
 دون ان يشرق الحجاز ونجد والعراقان بالقنسا والشام

والثانية في ابي عبدالله الحصبي قاضي انطاكية - مطلعها افاضل الناس اغراض لذا  
 الزمن - يذم فيها الناس وامراءهم ، ويصف عزمه ودهائه وصحبته للاعراب ومضاهه في  
 طلب العلى ومنها .

لا اقتري بلداً الا على غرر ولا امرئ يجلق مضطعن  
 ولا اعاشر من املاكهم ملكاً الا احق بضرب الراس من وثن  
 قد هون الصبر عندي كل نازلة وابن العزم حد المركب الحشن  
 كم مخلص وعلّي في خوض مهلكة وقتلة قرنت بالدم في الجبن  
 لا يعجبني مضيا حسن برته وهل تروق دفيناً جودة الكفن  
 لله حال ارجيها وتحلفني واقتضي كونها دهري ويمطلي  
 مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم قصائد من اناث الخيل والحصن

١٠٤  
 ١٠٥

(١) مرض اي قصر

والثالثة في علي بن احمد بن عامر الانطاكي - وفيها تتجلى خوالج الشباب باجلى ظواهرها :  
ترى نفسه تنتفض كبراوتيهما ، ويتجسم لديك ما فيها من مطامع وآمال . والقصيدة  
مشهورة نذكر منها على سبيل المثال الثانية الاولى

اطاعن خيالاً من فوارسها الدهر	✓ وحيداً وما قولي كذا ومعني الصبر
واشجع مني كل يوم سلامتي	✓ وما ثبتت الا وفي نفسها امر
تمرست بالافات حتى تركتها	✓ تقول امات الموت ام ذعر الذعر
واقدمت اقدام الأبي كأن لي	✓ سوى مهجتي او كان لي عندها وتر
ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها	✓ ففترق جاران دارهما العمر
ولا تحببن المجد زقاً وقينة	✓ فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى	✓ لك الهبوات السرد والعسكر الحجر
وتركك في الدنيا دويماً كأنما	✓ تداول سمع المرء انمله العشر

• • •

ومما يلاحظ هنا تلك المرارة التي صحبته كل ايام حياته ، وكان منشأها طعمه وما  
تكبده من المشاق على غير طائل ، ولاسيا في هذا الطور من حياته . فكان شعره  
الوجداني الحقيقي اعني الذي يعبر عن عواطف نفسه مظهراً لما في نفسه من كبرياء حوّلها  
الفشل الى نعمة وسوء ظن . كقوله

فما لي وللدنيا طلابي نجومها	ومسعاي منها في شدوق الارام
ومن عرف الايام معرفتي بها	وبالناس روى رحمة غير راحم
فليس بحرهم اذا ظفروا به	ولا في الردى الجاري عليهم بأثم

### شعره في هلب

وهو كما ذكرنا يظهر في مظهرين كبيرين - (١) الجهاد القومي والشجاعة الحربية  
(٢) شعور الشاعر بالفوز وحمله على الحساد  
تري روح الجهاد القومي والحربي في اكثر مدائح سيف الدولة ، ولا بدع فقد كان  
سيف الدولة مجاهداً شجاعاً وكانت حياته حرباً متواصلاً على الروم . وقد صجبه المتنبي

واختبر بنفسه عظام الحرب واهوال الوقائع : رأى الجيوش في ساحة الحرب وخاض غمار القتال مع المجاهدين ، فشهد الابطال تشبك بالابطال والفرسان تطارد الفرسان ، والسيوف والرماح تسيل بدماء الاعداء - هبط الوردية وصعد في النجود وذاق مرارة الهزيمة ولذة الظفر فابعد في وصف ذلك غاية الابداع . ولقد صدق ابن الاثير اذ قال في الحكم على شعره « انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها ، وقامت اقواله للسامع مقام افعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلوا . فطريقه في ذلك تضلّ بسالكه وتقوم بعذر تاركه . ولا شك انه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة بن حمدان فيصف لسانه ما ادّى عيانه »<sup>(١)</sup> . وقال ابن رشد في ترجمة كتاب الشعر لارسطو ذاكراً وصف الحروب والوقائع « المتنبي افضل من يوجد له هذا الصنف من التخيّل . وذلك كثير في اشعاره ، ولذلك يحكى عنه انه كان لا يريد ان يصف الوقائع التي لم يشهدها مع سيف الدولة »<sup>(٢)</sup>

ولقد ترك لنا من شعره الحربي كثيراً من القصائد الخالدة : يقف فيها معلناً عظمة الاسلام في شخص الممدوح ، حاملاً على اعداء الخلافة ، مثيراً للحماسة القومية ويتخلل كل ذلك من الحكم البليغة ما يناسب المقام وينفذ الى اعماق النفوس . ولولا شهرة هذه القصائد وتوفر طلاب الادب على تدارسها وحفظها لاتينا بالامثلة الكثيرة على شعر المتنبي في هذا الطور ، ولكننا نجترى . هنا بالإشارة الى القصائد التي مطلعها :

غيري باكثر هذا الناس ينخدع  
فدينناك من ربيع وان زدتنا كربا  
ليالي بعد الظاعنين شكول  
لكل امرئ . من دهره ما تعودا  
دروع للملك الروم هدي الرسائل  
على قدر اهل العزم تأتي العزائم  
الرأي قبل شجاعه الشجعان  
عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم  
ذي المعالي فليعاملون من تعالي

وكالهما مما يجب على المتأدب درسه وحفظه والتأمل في روائع معانيه

أما شعور الشاعر بالفوز والتفوق وحمله لذلك على الحساد فيظهر في مثل قوله لسيف

الدولة -

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله      إذ القول قبل القائلين مقول  
أعادى على ما يوجب الحب للفتى      واهداً والافكار في تجول  
سوى وجع الحساد داوٍ فانه      إذا حلَّ في قلب فليس يحول  
ولا تطعمن من حاسدٍ في مودّة      وإن كنت تبديها له وتنيل  
وأنا لنلقى الحادثات بانفس      كثير الرزايا عندهن قليل

وقوله -

أزل حسد الحساد عني بكبتهم      فانت الذي صيرتهم لي حسداً  
إذا شدّ زندي حسن رايك فيهم      ضربت بسيف يقطع الهام مغمداً  
وما الدهر إلا من رواة قصائدي      إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

واقواله في ذلك كثيرة ، وأشدّها قصيدته الميمية واحرّ قلباه - ولقد نشأ هذا الشعور مع المتنبي ورافقه كل أيام حياته ، ولكنه يظهر على أشده في هذا الطور ، وفيه أكثر ما تركه المتنبي من هذه النفثات الاليمية .

### شعره في مصر

وهو يمثل لنا عواطف الغيظ من الماضي والامل بالمستقبل ، وفيه تتجلى عبقرية المتنبي على اتها - من دقة في الاشارة وروعة في المعاني وجمال في التوقيع .

فبينما ترى شعره في الطور الاول يكثر فيه التعقيد اللفظي والمعنوي ، وفي حلب يتكلف احياناً استعمال الغريب للدلالة على غزارة علمه ، تراه في مصر صقيلاً خالصاً من هذه الشوائب جارياً على الطبيعة . فهو يمثل غاية ما بلغه المتنبي من البلاغة . ولقد اخطأ البديعي إذ قال « ان احسن شعره في سيف الدولة وقد تراجع شعره بعد ذلك »<sup>(١)</sup> ، فان المدقق يرى في « كافورياته » من جلال المعنى وجمال الصياغة ما يشهد انه بلغ به كمال النضج . واننا نجاري في ذلك اليازجي إذ قال « على انك اذا تفقدت تلك المعجبات من ابياته فاكثُر

ما تجدها في اوائل شعره حين لم تستحکم فيه ملكة النظم ولم تطرد له وجوه التعبير .  
وما احسب المتنبي الا كان في صدر امره يتوخى طريقة ابي تمام، فكان ينحو نحوه في الحوم  
على موارد الاغراب والتنقيب عن الوحشي من حكم الجاهلية، والتورك على الصيغ الشاذة .  
والتحذلق في اسلوب الخطاب « - الى ان يقول عن شعره في حضرة سيف الدولة « انه كان  
هناك في محفل حافل بالعلماء والشعراء والمنتقدين ، ولذلك لم يكن بدّ من حشد القرية  
في مدح سيف الدولة والاكتثار من التنطس في الفاظه ومعانيه . ثم اذا انتقلت الى شعره  
في كافور وجدته قد عاد الى السهولة والرشاقة<sup>(١)</sup> »

ويكفي للدلالة على ذلك ان تراجع القصائد التالية

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا

فراق ومن فارقت غير مذمم

من الجاذر في زي الاعارب

اودّ من الايام ما لا تودّه

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب

مضى كني ان البياض خضاب

فان هذه القصائد « الكافورية » من اسلس قصائده واملاها معنى واجملها ايقاعا .  
ومن بدائعه في هذا الطور ميميته المشهورة في وصف حاله في مصر ووصف حمى اصابته .  
نظمها وهو في الخامسة والاربعين فجاءت غاية الغايات من حسن الانسجام ودقة التعبير  
وحسن الاختراع ، وقد ادرجت في باب المختارات من شعره فلتراجع هناك .

### الطور الاخير

ويمثله شعره في العراق وفارس ، وهو عموماً احطّ من شعره في حلب وفي مصر . يشعر  
فيه المتأمل بتراخي نفسه الشعري ورجوعه احياناً الى التعسف والتكلف ، فكأنه بلغ  
اوجه الشعري في الخامسة والاربعين من عمره ثم اخذ بالانقلاب البطيء . : قد يكون  
للسن تأثيرها في ذلك ولكن مما لا شك فيه انه كان لفشله في مصر ، ثم ما لاقاه في بغداد  
اثر في خضد شوكته ، وتخفيف تلك النائرة الشعرية فيه

(١) بتصرف عن رسالته في ذيل شرحه للديوان ٦٦٦ - ٦٧١

## مخاتمة في شعره الحكمي

اجاد المتنبي في كل انواع الشعر العربي من مدح وغزل وفخر ورتاء ووصف وهجاء ، وله في الرثاء خاصة مكانة سامية تشهد له بذلك مراتبه التي تعد من افضل المراثي في الابد العربي - ومنها

نعد المشرفية والعرالي

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب

الحزن يقلق والتجمل يردع

وكالها مشهورة تجري اكثر ابياتها على السنة الادباء .

على ان المتنبي الحقيقي انما هو تلك الصورة التي ترسمها من قراءة حكمه ، وفهم علاقتها بالزمان - تلك الحقائق الادبية والاجتماعية الناصعة المعقودة في ارشق الالفاظ واسلس التعابير . نعم انها منتشرة في تضاعيف قصائده ، متفرقة بين اغراضه المختلفة ، ولكن لها علاقة حيوية بكل مقام يكون فيه الشاعر . واذا القينا اليها نظرة عامة وحاولنا ان نستخلص منها صورة لشاعرنا الكبير نجد فيها الواناً مختلفة تنعكس عن شي . واحد وهو «نزعة الفطرية» - تلك الطبيعة التي كانت تحاول التعالي والحصول على القوة ، ثم لا تلبث ان تعود وفيها شي . من المرارة والالم

كان المتنبي غرض كبير في الحياة - المجد - لاجله ظهر غروره صغيراً ، ولاجله جاب الاقطار كبيراً ، ولاجله صحب الملوك وحشد المال حتى تعالي عن طبقة الشعراء ، وساوى نفسه بمدحويه من الامراء . ولكنه فشل ، وفي سعيه وفشله عرف الحياة واختبر حقيقة المجتمع البشري ، فنظم ذلك لنا حكماً غالية ادرك الناس صحتها ، فتداولتها السن الزمان في كل مكان ، واصبحت على كرور الايام امثالا يرددها الخاص والعام .

غرّ المتنبي سراب الدنيا فسعى وراءه ، وطوى في ذلك السعي شبابه ورجوليته . فاذا الدنيا سراب واذا السعي وراء الباطل باطل . على اننا لنحمد الاقدار على هذا السراب وهذا الباطل ، فلولاهما لما كان لنا شاعر الحكمة الكبير ، ولما تحدرّ الينا منه ذلك الميراث الادي خالد .

## المختار من شعر المتنبي

نفس عزيزة شديدة المطامع تدفعها شهوة الدنيا الى طلب المجد والقوة ، فتندفع اليهما  
بعزم الفارس المقدم . ثم لا تلبث ان تصطدم بالفشل فتتردد على اعقابها دقيقة المعرفة  
بجوادث الزمان ، صائبه النظر في عواطف الانسان - تلك هي حكم المتنبي البليغة وخوارج  
نفسه الكبيرة

## رُعاتُ سُبَّاء

كم قتيلٍ كما قُتلتُ شهيدٍ لبياض الطلى وورد الخدودِ  
وعيون المهى ولا كميون فتبكت بالتيّم المعمودِ  
درّ درّ الصّبا . - أيّام تجرير ذيولي بدار اثلة عودي<sup>(١)</sup>  
عمرك الله هل رأيت بدورا طلعت في براقع وعقود  
راميات باسهم ريشها الهد ب تشقّ القلوب قبل الجلود  
يتشّفن من في رشفات هنّ فيه حلاوة التوحيد<sup>(٢)</sup>  
كل خصانة ارقّ من الحمر بقلب اقمى من الجلود<sup>(٣)</sup>  
ذات فرع كانما ضرب العنبر فيه يما ورد وعود  
حالك كالغداق جثل دجوجي اثبت جعد بلا تجعيد  
تحمل المسك عن غدازها الريح وتقتزّ عن شيب برود<sup>(٤)</sup>

(١) ايام منادى اي ايتها الايام التي كنت اجرّ فيها ذيولي مرحاً في دار اثلة عودي الي.

(٢) التوحيد نوع من الشعر

(٣) الخصانة الضامرة او النحيلة . والفرع الشعر . والغداق الغراب

(٤) شيب برود اي ثمر لطيف عذب الما .

جمعت بين جسم احمد والسقم وبين الجفون والتسهد<sup>(١)</sup>

...

هذه مهجتي لديك لخيبي فانقصي من عذابها او فزيدي  
كل شيء من الدماء حرام شربه ما خلا ابنة العنقود  
فاستقيها فدى لعينيك نفسي من غزال، وطارفي وتليدي  
شيب رأسي وذلتي ونحولي ودموعي على هواك شهودي  
اي يوم سررتني بوصول لم ترعني ثلاثة بصدود

...

١٠ - ما مقامي بارض نخلة الا كمنقام المسيح بين اليهود<sup>(٢)</sup>  
- سمرقشي صهوة الحصان ولك ن قيصي مسرودة من حديد  
اين فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد  
- ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيامي وقل عنه قعودي  
- ابدأ اقطع البلاد ونجمي في نخوس وهمتي في سعود  
- عش عزيزاً او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود  
فرؤوس الرماح اذهب للفيظ واشنى لغل صدر الحقود  
لا كما قد حيت غير حميد واذا مت مت غير فقيد  
- فاطلب العز في لظى ودع الذل ولو كان في جنان الخلود  
يقتل العاجز الجبان وقد يعجز عن قطع بخت المولود  
ويوتى الفتى المخش وقد حو ض في ماء لبة الصنديد<sup>(٣)</sup>  
- لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي خفرت لا يجوددي  
- وبهم فخر كل من نطق الصاد وعرذ الجاني وعرث الطريد  
ان اكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد

(١) احمد اسم الشاعر

(٢) ارض نخلة قرية لبني كلب

(٣) اي وبوق الشجاع المغامر وقد خاض في دماء الابطال



انا ترَبُّ الندى وربُّ القوافي وسام العدى وغيظ الحسود  
انا في امة - تداركها الله - غريبٌ كصالح في ثود<sup>(١)</sup>

### وصف الاسد

وكيف صرعه بدر بن عمار ، وذلك على ضفاف الاردن قرب طبريا

مطر ترِيد به الحدودُ مَحُولاً <sup>(٢)</sup>	في الحَدِّ أَنْ عزم الخليط رحيلاً
في حدِّ قايي ما حَيَّتُ فلولاً	يا نظرةً نَفَتْ الرقادَ وغادرتُ
اجلي تَبَثَّلُ في فؤادي سولاً <sup>(٣)</sup>	كانت من الكحلل سولي انا
والصبرَ أَلَا في نواكٍ جميلاً	اجد الجفاء على سواك مروءة
وارى قليل تدلُّ مملولاً	وارى تدلُّك الكثير محبباً
يوم الفراق صباةً وغيللاً	حدق الحسان من الغواني هجن لي
بدرُ بن عمار بن اسماعيلاً <sup>(٤)</sup>	حدق يُذمُّ من القواتل غيرها
والتارك الملك العزيز ذليلاً	الفارج الكُربَ العظام بثلها
ييدن من عشق الرقاب نحولاً	رقت مضاربه فهنَّ كأننا

...

لمن ادَّخرت الصَّارم المصقولاً	امعقِرَ اللَّيْث الهزبر بسوطه
نُضدت بها هام الرفاق تلولا	وقعت على الاردن منه بليَّةٌ
ورَدَّ الغرات زئيره والنيلاً	ورَدُّ اذا ورد البحيرة شارباً
في غيلهِ من لبدتيه غيلاً <sup>(٥)</sup>	متخَضَّبٌ بدم الفوارس لابس

(١) صالح نبي ارسل الى ثود فلم يؤمنوا به ولم يصفوا الى اقواله

(٢) لان العشاء عزموا على الرحيل هطل مطر الدموع على خدي فزاده محولاً ( بعكس مطر

السماء الذي يزيد خصب الارض )

(٣) كانت هذه النظرة كل ما اسأله ولكن ما اسأله كان السبب في هلاكه

(٤) يُذمُّ بيجر - اي ان الممدوح يهزنا من كل قاتل سوى نظرات الحسان

(٥) هذا الاسد فتك بالناس وتخضب بدماء الفرسان وكنت تراه في غابه كأننا عليه غابة من شعره

ما قوبلت عيناه الا طُنَّتَا  
 في وحدة الزهبان الا انه  
 يظاً الثرى مترقفاً من تيهه  
 ويردُّ عُفْرَتَه الى يافوخه  
 وتظنه - بما يزجر - نفسه  
 قصرت مخافته الخطى فكانا  
 القى فريسته وبربر دونها  
 فتشابه الخلقان في اقدمه  
 اسد يرى عضويه فيك كايها  
 ما زال يجمع نفسه في زوره  
 ويدقُّ بالصدر الحجار كأنه  
 وكأنه غرته عين فادنى  
 أنفُ الكرم من الدنيئة تارك  
 والعار مضاض وليس بجائف  
 سبق التقا. كهُ بوثة هاجم  
 خذشته قوته وقد كافحته  
 قبضت منيته يديه وعنقه  
 سمع ابن عمته به وبجاله  
 وامرٌ مما فر منه فراره  
 تلف الذي اتخذ الجراءة حلة

نطقت بسؤد ديك الحمام تغنياً  
 وما تجسّمها الجياد صهيلا  
 ما كلُّ من طلب المعالي نافذاً  
 فيها ولا كلُّ الرجال فحولاً

(١) وتظنه نفسه لكثرة زجرته انه مشغول عنها

(٢) من شدة الخوف اصبح الجواد غير قادر على الجري

(٣) تشابها في الاقدام وتخالفاً في انك كرم تبذل ما تصيده لسواك

(٤) يشير الى اسد آخر هرب منه بعد هذه الحادثة

## بعض مدائح في سيف الدولة

وهو يصوره في شعره بصورة البطل القومي والمجاهد الأكبر ضد الروم

قال يذكر بناءه مرعش سنة ٣٤١

فدينك من ربع وان زدتنا كرباً  
وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا  
تزلنا عن الاكوار نثني كرامة  
نذم السحاب الغر في فعلها به  
ومن صجب الدنيا طويلاً تقلبت  
وكيف التذاذي بالأصائل والضحي  
ذكرت به وصلاً كأن لم أفز به  
وفتانة العينين قتالة الهوى  
فيا شوق ما أبقى ويالي من النوى  
لقد لعب البين المشت بها وبني  
ومن تكن الأسد الضواري جدوده  
ولست أبالي بعد إدراكي العلى  
فرب غلام علم المجد نفسه  
إذا الدولة استكفت به في ملّة  
ثياب سيوف الهند وهي حدائد  
ويرهب ناب الليث والليث وحده  
ويحشى عباب البحر وهو مكانه

فانك كنت الشرق للشمس والغربا  
فواداً لعرفان الرسوم ولا لباً  
لمن بان عنه أن نلّم به ركبا  
ونعرض عنها كلما طلعت عتبا  
على عينه حتى يرى صدقها كذباً  
إذا لم يعد ذلك النسيم الذي هباً  
وعيشاً كأي كنت اقطعته وثباً  
إذا نفحت شيحاً روائحها شباً  
ويا دمع ما اجري ويا قلب ما اصبي  
وزودني في السير ما زود الضباً  
يكن ليله صباحاً ومطعمه غصبا  
أكان تراناً ما تناوت أم كسبا  
كتعليم سيف الدولة الطعن والضربا  
كفاها فكان السيف والكف والقلبا  
فكيف إذا كانت زارية عرباً<sup>(١)</sup>  
فكيف إذا كان الليوث له صجبا  
فكيف بن يغشى البلاد إذا عباً

(١) الضب حيوان معروف ويضرب به المثل في الخبرة. اي ان البين الذي فرقنا جملي حائر

(٢) فكيف لا تحاب وهي عربية كريمة الاصل (اشارة الى سيف الدولة)

هينأ لاهل الثغر رأيك فيهم  
 وأنك رعت الدهرَ فيها وريه  
 فيوماً بجيلى تطردُ الرومَ عنهم  
 سرايك قترى والدُمستقُ هارب  
 أتى مرعشاً يستقربُ البعدَ مقبلاً  
 كذا يتركُ الاعداءَ من يكره القنا  
 وهل ردَّ عنه باللُقانِ وقوفه  
 مضى بعد ما التفَّ الرماحان ساعة  
 ولكنه ولى وللاطن سورة

...

ارى كلنا يبغى الحياة لنفسه  
 فحبُّ الجبان النفسَ اوردهُ البقا  
 ويختلفُ الرزقان والفعلُ واحدُ  
 حريصاً عليها مستهماً بها صبا  
 وحبُّ الشجاع الحربَ اورده الحربا  
 الى ان ترى إحسان هذا لذا ذنبا<sup>(٥)</sup>

...

فاضحت كأنَّ السورَ من فوق بدئه  
 تصدُّ الرياحُ الموجُ عنها مخافة  
 كفى عجباً أن يعجبَ الناسُ أنه  
 وما الفرقُ ما بين الانام وبينه  
 لأمرٍ أعدته الخلافةُ للعدي  
 ولم تفترق عنه الاستةُ رحمة  
 الى الارض قد شقَّ الكواكب والترباً<sup>(٦)</sup>  
 وتفرع فيها الطير أن تلقطُ الحباً  
 بنى مرعشاً تباً لآرائهم تباً  
 اذا حذرَ المحذورَ واستصعب الصعبا  
 وسَمتهُ دونَ العالم الصارم العضا  
 ولم تتركُ الشامَ الاعادي له حياً

(١) ليهنا اهل الثغر بمن رأىك وانك يا حزب الله قد صرت حزياً لهم

(٢) الدمستق زعيم الروم

(٣) اللقان اسم مكان . والرماحان اي رماح الفريقين

(٤) في هذه الايات الحكيمية يشير الى هرب الدمستق واقدام سيف الدولة فيقول ان حب

الحياة يدفع الشجاع الى الحرب والجبان الى الهرب . غايتهما واحدة ولكن فعل الجبان ذميم وفعل الشجاع حميد (٥) اضحت اي مرعش وسورها يناطح النجوم علواً وهو راسخ في احشاء الارض

ولكن نفاها عنه غير كريمة  
وجيشُ يثني كلَّ طودٍ كأنه  
كأنَّ نجومَ الليل خافت مُغارَهُ  
فهذا الذي يرضي المكارم والربا  
كريمُ الشنا من سبِّ قطْ ولا سباً  
خريقُ رياحٍ واجهتْ عُصناً رطباً  
فمدتْ عليها من عجاجته حجياً  
فهدى الذي يرضي المكارم والربا

### وقال يذكر فوزه على الروم

في قلعة الحدث (بالناضول) وكان المتنبي قد صحبه في هذه المعركة

على قدر اهل العزم تأتي العزائمُ  
وتعظم في عين الصغير صغارها  
يكلّف سيفُ الدولة الجيشَ همّةً  
ويطلب عند الناس ما عند نفسه  
يفدي أتمَّ الطيرِ عمراً سلاحه  
وما ضرّها خلقٌ بغيرِ محالبٍ  
وتأتي على قدر الكرام المكارمُ  
وتصغرُ في عين العظيم العظامُ  
وقد عجزت عنه الجيوشُ الخضارمُ  
وذلك ما لا تدعيه الضراغمُ  
نسورُ الفلا أحداثها والقشاعمُ  
وقد خلقت أسيافه والقوائمُ<sup>(١)</sup>

...

هل الحدثُ الحمراء تعرف لونها  
سقتها الغمامُ الغرُّ قبل نزوله  
بناها فأعلى والقنا يقرعُ القنا  
وكان بها مثلُ الجنون فاصبحت  
طريدةُ دهرٍ ساقها فرددتها  
نفتتُ الليالي كلَّ شيءٍ أخذته  
وتعلمُ أيُّ الساقين الغمامُ<sup>(٢)</sup>  
فلما دنا منها سقتها الجاهمُ  
وموج المنايا حولها متلاطم  
ومن جثت القتلى عليها قائمُ<sup>(٣)</sup>  
على الدين بالخطي والدهرُ راغمُ<sup>(٤)</sup>  
وهنَّ لما يأخذن منك غوارمُ<sup>(٥)</sup>

(١) لو أن النسور بغير محالب لما ضرّها ذلك لان سيوفه تنهبها بمث القتلى

(٢) وصفها بالحمراء لما تطلخت به من دماء القتلى وكانت قد اصيبت بمطر قبل ذلك

(٣) التائم هي التعاويذ التي كانوا يتوقون بها من الجن

(٤) أي كان الدهر قد سلب الروم عليها فرددتها برماحك رغم انه

(٥) نفتت الليالي أي تكرهها على تركه . وغوارم أي ملزمة بدفع غرامته

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً  
وكيف ترجي الروم والروس هدمها  
وقد حاكموها والمنايا حواكم  
مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم  
وذا الطعنُ أساسٌ لها ودعائم  
فما ماتَ مظلومٌ ولا عاشَ ظالم

. . .

أتوكَ يجرؤون الحديدَ كأنما  
إذا برقوا لم تُعرفِ البيض<sup>(١)</sup> منهمُ  
خميس بشرق الارض والغرب زحفه  
تجمَع فيه كلُّ لسنٍ وأمةٍ  
فلهه وقتُ ذوبِ الغشِّ نارُه  
تقطعُ ما لا يقطعُ الدرعَ والقنا  
وقفتُ وما في الموتِ شكٌ لواقفِ  
تمرُّ بك الإبطال كلُّ هزيمةٍ  
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي  
ضمتُ جناحيهم على القلب ضمةً  
بضرب أتى الهامات والنصر غائبٌ  
حقرت الردينيات حتى طرحتها  
ومن طلب الفتحَ الجليل فانما  
سروا يجياد ما لهن قواهم  
ثيابهمُ من مثلها والعامم  
وفي أذنِ الجوزاء منه زمام  
فما يفهمُ الحدّاثَ إلا التراجم  
فلم يبقَ إلا صارمٌ أو ضبارم<sup>(٢)</sup>  
وفر من الفرسان من لا يصادم  
كأنك في جفن الردى وهو نائم  
ووجهك وضاحٌ وتغرّك باسم  
الى قول قومٍ أنت بالغيب عالم  
تموت الخوافي تحتها والقوادم<sup>(٣)</sup>  
وصار الى اللبّات والنصر قادم  
وحتى كأنّ السيف للريح شاتم  
مفاتيحه البيضُ الخفافُ الصوامم

. . .

نثرهمُ فوق الأحيديب كله  
قدوس بك الخيلُ الوكور على الذرى  
أفي كل يومٍ ذا الدُمستقُ مُقدمُ  
أينكرُ ريحَ الليث حتى يذوقه  
وقد فجعته بابنه وابنِ صهره  
كما نُثرت فوق العروس الدراهم  
وقد كثرت حول الوكور المطاعم  
قفاه على الاقدام للوجه لانم  
وقد عرفت ريحَ الليوث البهائم  
وبالصهر حملاتُ الامير الغواشم<sup>(٤)</sup>

(١) البيض السيوف . اي مدرعون بالحديد وعلى رؤوسهم خوذ الحرب

(٢) ضبارم شجاع (٣) اي اهلكت الجيش جميعه

(٤) اشارة الى فوز سابق للمدوح على هؤلاء

مضى يشكر الاصحاب في فوته الظبي  
ويفهم صوت المشرفية فيهم  
يسر بما اعطاك لا عن جهالة  
لكن مغنوماً نجا منك غانم

...

تسرف عدنان به لا ربيعة  
لك الحمد في الدر الذي لي لفظه  
واني لتعدو بي عطاياك في الوغى  
علي كل طيار اليها برجله  
ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً  
هنيئاً اضرب الهام والمجد والعلى  
ولم لا يقي الرحمن حدّيك ما وقى  
وتغليقه هام العدى بك دائم

## وفال محمد وبغائه

على حيف حقه منه ويظهر ما كان في نفسه من تحامل حساده عليه

واحر قلباه من قلبه شيم  
ما لي أكيتم حباً قد برى جسدي  
إن كان يجمعنا حب لغرتيه  
قد زرتة وسيوف الهند مغمدة  
فكان احسن خالق الله كلهم  
فوت العدو الذي يمتته ظفر  
قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت  
ومن يجسمي وحالي عنده سقم  
وتدعي حب سيف الدولة الامم  
فليت أنا بقدر الحب نقتم  
وقد نظرت اليه والسيوف دم  
وكان احسن ما في الاحسن الشيم  
في طيه اسف في طيه نعم  
لك المهابة ما لا تصنع بهم

(١) مضى يشكر اصحابه لاضهم شغلوا برووسهم السيوف فلم تله

(٢) ربيعة قبيلة سيف الدولة. والمواصم هي البلاد المتاخمة للروم وعاصمتها انطاكية

(٣) اشارة الى عطاياها من الحيول

(٤) شيم بارد

(٥) البهم الجيوش

أزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها أن لا يواريهن أرض ولا علم  
 أكلمها رمت جيشاً فانتني هرباً تصرفت بك في آثاره الهمة  
 أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفر تصاغت فيه بيض الهند والهم

....

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم  
 أعيدتها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم  
 وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الانوار والظلم  
 سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بانني خير من تسعى به قدم  
 أنا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلابتي من به صمم

...

وجاهل مدء في جهله ضحكي حتى اتته يد فراسة وغم  
 اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن ان الليث يبتسم  
 ومهجة مهجتي من هم صاحبها ادركتها بجوار ظهره حرم<sup>(٢)</sup>  
 ومرهف سرت بين الجحافل به حتى ضربت وموج الموت يلتطم  
 الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

....

يا من يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عنهم  
 ما كان اخلقنا منكم بتكرمة لو أن امرؤ من امرنا أمم  
 إن كان سرؤ ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم ألم  
 وبيننا لو رعيتم ذلك معرفة ان المعارف في اهل النهى ذمم  
 كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم  
 ما ابعد العيب والنقصان من شرفي انا الثريا وذان الشيب والهرم

(١) انام مله جفوني عن شوارد الاشعار لاني خلافاً لغيري ادركها بسهولة

(٢) اي ورب مهجة هم صاحبها اتلاف مهجتي ادركتها بجواردي فضيت عليها



ليت الغمام الذي عندي صواعقه  
 ارى النوى يقمضيني كلَّ مرحلة  
 لئن تركنَ ضميراً عن ميامننا  
 اذا ترحلت عن قومٍ وقد قدروا  
 شرُّ البلاد مكاناً لا صديق به  
 وشرُّ ما قنصته راحتي قنصٌ  
 باي لفظ تقول الشعرَ زعنفةً  
 هذا عتابك ألا أنه مقةً  
 يزيأهنَّ الى من عندهُ الدِّيم (١)  
 لا تستقلُّ بها الوخادة الرُّسمُ  
 ليحدثنَّ لمن ودعتهم ندم (٢)  
 أن لا تفارقهم فالراحلون هم  
 وشرُّ ما يكسبُ الانسان ما يصم  
 شهبُ البزاةِ سواه فيه والرخم (٣)  
 تجوز عندك لا عُرب ولا عجم  
 قد ضيَّنتَ الدرَّ الا أنه كلم (٤)

### بعض مدائح في طافور

قال سنة ٣٤٦ وهي اولى قصائده في مصر وكان كافور قد تلقاه بجفارة وحمل  
 اليه آلافاً من الدراهم

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا  
 تمتتها لما تمتت ان ترى  
 إذا كنت ترضى ان تعيش بذلة  
 فما ينفع الأسد الحياء من الطوى  
 حيثك قلبي قبل حبك من ناى  
 وحسبُ المنايا ان يكنَّ امانيا (٥)  
 صديقاً فأعيا او عدواً مداجيا (٦)  
 فلا تستجيدن العتاق المذاكيا (٧)  
 ولا تتعنى حتى تكون ضواريا (٨)  
 وقد كان غداراً فكن انت وافيا (٩)

- (١) يشبه سيف الدولة بالغمام وسخطه بالصواعق ، والدِّيم ببطاياها - اي ليت غضبه يكون على من عهرم ببطاياها وهم لا يستحقونها  
 (٢) ضمير جبل وهو يشير الى سفره والى ان المددوح سيندم على ذلك  
 (٣) يشير الى ان سيف الدولة سوى عنده بين المتنبي وسواه من صمالك الشعراء  
 (٤) مقة من فعل ومق ومعناها الحب  
 (٥) يخاطب الشاعر نفسه ويقول الشدة التي ما وراها شدة ان تكون في حالة تحسب الموت شاقياً لك او امنية تمنهاها  
 (٦) اعياك ذلك اي اعجزك . ومداجي اي مداري  
 (٧) العتاق المذاكي اي الخبول الكريمة  
 (٨) الطوى الجوع  
 (٩) اي اني احببتك يا قلبي قبل حبك لمن في حلب فلا تكن غير وفي في

واعلم انّ البينَ يُشكيكَ بعدهُ  
فانّ دموع العينِ عُذْرُ برّها  
إذا الجودُ لم يُرزقَ خلاصاً من الاذى  
وللنفس اخلاقٌ تدلُّ على الفتى  
إقلَبَ اشتياقاً ايها القلبُ ربّما  
سُخِلتُ ألوفاً لو رجعتُ الى الصبي  
ولكنّ بالفسطاطِ مجراً أزرتهُ  
أبا المسكِ ذا الوجهِ الذي كنتُ تلقأُ  
أبا كلِّ طيبٍ لا أبا المسكِ وحدهُ  
يُدلُّ بمعنى واحدٍ كلُّ فاخره  
إذا كسبَ الناسُ المعاليَ بالندى  
وغيرُ كثيرٍ انّ يزوركُ راجلُ  
فقد تهبُ الجيشَ الذي جاء غازياً  
وتحترقُ الدنيا احتقاراً مجربِ  
وما كنتُ ممن ادركَ الملكَ بالمنى  
مدى بلّغَ الاستاذَ اقصاهُ ربهُ  
دعتهُ فابأها الى المجدِ والعلی  
فاصبحَ فوقَ العالمينَ يرونه

فلستَ فؤادي إن رايتهُ شاكياً  
إذا كنَّ إثرَ الغادرينَ جوارياً  
فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقياً  
أكانَ سخياً ما اتى ام تساخياً  
رأيتك تُصغي الوُدَّ من ليس صافياً  
لفارقتُ شيبی مومجَع القلبِ باكياً  
حياتي ونصحي والهوى والقوافيا<sup>(١)</sup>  
اليه وذا اليوم الذي كنتُ راجياً<sup>(٢)</sup>  
وكلُّ سحابٍ لا اخصُّ الغواديا  
وقد جمعَ الرحمنُ فيك المعانیا  
فانك تعطي في نذاك المعاليا  
فيرجعُ ملكاً للعراقينَ والیا  
لسائلِك الفردِ الذي جاء عافياً<sup>(٣)</sup>  
يرى كلَّ ما فيها وحاشاك فانيا  
ولكنّ بایام اشينَ النواصیا  
ونفسٌ له لم ترضَ ألا التناهيَا  
وقد خائفَ الناسُ النفوسَ الدواعیا  
وإن كان يدنيه التكرّمُ نائياً

### وقال ايضاً بجمعه

أودُّ من الايام ما تودُّهُ واشكو اليها بيننا وهي جندُه  
يباعدنَّ حباً يجتمعنَّ ووصله فكيّف بجمبٍ يجتمعنَّ وصدّه

(١) الفسطاط مصر • ويريد بالبحر كافور

(٢) أبو المسك كنية كافور

(٣) قد تحب الجيش الغازي لسائل واحد يأتيك طالباً لعروفك

ابي خُلِقُ الدنيا حبيباً تدبُّهُ  
 واسرع مفعولٍ فعلتَ تغيراً  
 رعى الله عيساً فارقتنا وفوقها  
 بواد به ما بالقلوب كأنه  
 اذا سارت الاحداجُ فرقَ نباته  
 وحالٍ كاحداهن رمت بلوغها  
 واتعب خلق الله من زاد ههُ  
 فلا ينحلل في المجد مالك كهُ  
 ودبره تدبير الذي المجد كهُ  
 فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله  
 وفي الناس من يرضى بيسور عيشه  
 ولكن قلباً بين جنبي ماله  
 يرى جسمه يكسى شرفاً ترُّبه  
 وامضى سلاح قلْد المرء نفسه  
 هما ناصران من خازنه كل ناصر  
 انا اليوم من غلمانة في عشيرة  
 فمن ماله مال الكبير ونفسه  
 نجرُ القنا الخطي حول قبابه  
 ابو المسك لا يفنى بذنبك عفوه  
 فيا ايها المنصور بالجد سعيه  
 تولى الصبي عني فاخلفت طيبه

(١) رعى الله نياً فارقتنا وفوقها ظاهراً (حسان) تستقي خدودها من دموعها

(٢) بواد به من الشوق والجزع ما بقلوب المحبين

(٣) وحال صعبة المثال كاحدى هذه الحسان

(٤) همه اي همته ووجده ماله. اي اتعب الناس من عظمت مطامعه وقصر ماله عن ادراكها

(٥) يرى جسمه مغطى بالحرير فيفضل ان يكسوه الدرود بدل الحرير

(٦) الجد الحظ

لقد شبَّ في هذا الزمان كهوله  
 ألا ليت يوم السير يجبر حره  
 وليتك ترعاني وحيران معرض  
 واني اذا باشرت امرأ أريده  
 وما زال اهل الدهر يشبهون لي  
 يقال اذا ابصرت جيشاً وربّه  
 والقي الغم الضحك اعلم انه  
 فزارك مني من اليك اشتياقه  
 فان نلت ما آملت منك فربما  
 ووعدك فعل قبل وعدٍ لانه  
 فكن في اصطناعي محسناً كجرب  
 اذا كنت في شك من السيف فابله  
 وما الصارم الهندي الا كغيره  
 وانك للمشكور في كل حالة  
 فكل نوال كان او هو كان  
 واني لني بحر من الخير اصله  
 وما رغبتني في عسجد استفيده  
 يجود به من يفضح الجود جوده  
 فانك ما مرّ النحوس بكوكب  
 لديك وشابت عند غيرك مرده  
 فتسأله والليل يجبر برده  
 فتعلم اني من حسامك حده<sup>(١)</sup>  
 تدانت افاصيه وهان اشده  
 اليك فلما لحت لي لاح فردّه  
 امامك ربُّ ربُّ ذا الجيش عبده  
 قريب بذي الكف المقدّاة عهدّه<sup>(٢)</sup>  
 وفي الناس الا فيك وحدك زهده  
 شربت بماء يعجز الطير ورده  
 نظير فمال الصادق القول وعده  
 بين لك تقريب الجوار وشده  
 فاما تنفيه واما تعدّه  
 اذا لم يفارقه النجاد وغمده  
 ولو لم يكن الا الباشاة رفده  
 فلحظة طرف منك عندي نده  
 عطايك ارجو مدّها وهي مده  
 ولكنها في مفخر استجدّه  
 ويحمده من يفضح الحمد حمده  
 وقابلته الا ووجهك سعده

(١) حيران اسم جبل اي ليتك كنت تراني وانا اسير مقابل حيران لتعلم مضائي وعزيمي

(٢) وكما ابصرت جيشاً على الطريق كان يقال لي اترى هذا الجيش ان قائده عبد لمن انت.

تقصده، وكلا رايت فأضحكا اعلم انه قريب العهد بتقريب يدك المقدّاة

## ومن مدائح في تلك السنة

مَنْ الْجَادِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حَمْرَ الْحَلِيِّ وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ<sup>(١)</sup>  
 إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شِكَاً فِي مَعَارِفِهَا فَمِنْ بِلَاكِ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبِ  
 مَا أَوْجَهُ الْحَضْرَ الْمُسْتَحْسِنَاتُ بِهِ كَأَوْجِهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ<sup>(٢)</sup>  
 حَسَنَ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةِ فِي الْبَدَاوَةِ حَسَنٌ غَيْرٌ مَجْلُوبٌ<sup>(٣)</sup>  
 أَيْنَ الْمَعِيزُ مِنَ الْأَرَامِ نَازِرَةٌ وَغَيْرَ نَازِرَةٍ فِي الْحَسَنِ وَالطَّيِّبِ<sup>(٤)</sup>  
 أَفْذِي ظَبَاءَ فَلَاقَهُ مَا عَرَفْنَا بِهَا مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَبْغَ الْحَوَاجِبِ  
 وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مَوْهَةٌ تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيئِي غَيْرَ مَخْضُوبِ<sup>(٥)</sup>  
 وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ رَغَبْتُ عَنْ شَعْرٍ فِي الرَّاسِ مَكْذُوبِ  
 رَغَبْتُ عَنْ شَعْرٍ فِي الرَّاسِ مَكْذُوبِ

...

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعْتَنِي الَّذِي أَخَذْتُ مَنِي بِجَلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجْرِبِي<sup>(٦)</sup>  
 فَمَا حَدَاثَةٌ مِنْ جِلْمٍ بَانِعَةٍ قَدْ يَوْجِدُ الْحَلْمُ فِي الشَّبَانِ وَالشَّيْبِ  
 تَرَعَّرَعَ الْمَلِكُ الْأَسَازِدُ مَكْتَهَلًا قَبْلَ اكْتِهَالِ أَدِييَا قَبْلَ تَادِيْبِ<sup>(٧)</sup>  
 يُدِيرُ الْمَلِكُ مِنْ مِصْرَ إِلَى عَدَنَ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضَ الرُّومِ فَالنُّوبِ  
 يُصْرَفُ الْأَمْرُ فِيهَا طِينُ خَاتِمِهِ لَوْ تَطَّلَسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ<sup>(٨)</sup>  
 قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لِمَ إِلَى غِيوْثِ يَدَيْهِ وَالشَّايِبِ<sup>(٩)</sup>  
 إِلَى الَّذِي تَهَبُ الدُّوَلَاتُ رَاحَتَهُ وَلَا يَنْ عَلِيٍّ أثارَ مَوْهوبِ  
 وَلَا يَرْوَعُ بِمَعْدُورٍ بِهِ أَحَدًا وَلَا يَفْزَعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوبِ<sup>(١٠)</sup>

(١) الجآذر اولاد بقر الوحش تشبه بها النساء لجمال عيونها . كان يقول من هؤلاء البدويات.

الحسان حمر الحلي والثياب والراكبات على النياق الحمر (هي أكرم النياق)

(٢) الرعايب الطويلات الممتلئات الجسم (٣) التطرية التكلف والصنعة

(٤) يقصد بالمعيز نساء الحضرة وبالآرام « الظباء » البدويات (٥) التمويه اي الطلي ويراد.

به الترين

(٦) ليت الحوادث ترجع لي ما سلبتني من الشباب وتأخذ ما اعطتني من العفل والتجربة

(٧) اي نشأ حاصلاً على عفل الكهول قبل ان يكون كهلاً

(٨) يدبر الامور بطين خاتمه الذي ينتم به رسائله ولو امحى النقش الذي فيه

(٩) قالوا هجرت بتركك سيف الدولة المطر فقلت الى امطار يدي كافور الساكبة

(١٠) اي لا يندر باحد لبروع به غيره ولا يسلب احداً ليفزع غير المسلوب

وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخِرُهُ  
لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بِي  
وَكَيْفَ أَكْفَرُ يَا كَافِرُ نِعْمَتَهَا  
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَالْكِنِي أَعُوذُ بِهِ  
مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرِي وَتَقْرِيبِ (١)  
وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صَمُّ الْإِنَائِبِ (٢)  
وَقَدْ بَلَغْنَاكَ بِي يَا كُلَّ مَطْلُوبِي  
مَنْ أَنْ أَكُونَ مَجْبَأً غَيْرَ مَحْبُوبِ

وقال يمدحه سنة ٣٤٧

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مَذْمُومٍ  
وَمَا مَنَزَلُ الذَّاتِ عِنْدِي بِمَنْزَلِ  
سَجِيَّةٍ نَفْسٍ مَا تَرَالُ مُلِيجَةً  
رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنِ  
وَمَا رَبَّةُ الْقَرَطِ الْمَلِيحِ مَكَانُهُ  
فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مَقْنَعٌ  
رَمَى وَاتَّقَى رَمِي وَمَنْ دُونَ مَا اتَّقَى  
وَأَمْ وَمَنْ يَمَّتْ خَيْرٌ مَيْتَمٍ  
إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَاسْكَرَمٍ  
مَنْ الضَّمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلُّ مَحْرَمٍ (٣)  
عَلِيٍّ وَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمٍ (٤)  
بِأَجْرَعٍ مِنْ رَبِّ الْحَسَامِ الْمَصْتَمِ  
عَذْرَتْ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مَعْتَمٍ (٥)  
هُوَ كَلَسْرُ كِنِي وَقَوْسِي وَاسْهَمِي

إِذَا سَاءَ فَعَلَ الْمَرْءُ سَاءَتْ ظَنُونُهُ  
وَعَادَى مَحَبَّتِهِ بِقَوْلِ عِدَاتِهِ  
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جَسَمِهِ  
وَأَحْلَمُ عَنْ خَلِيٍّ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ  
وَإِنْ بَدَّلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَائِسٍ  
وَأَهْوَى مِنَ الْفَتِيَانِ كُلِّ سَمِيدِعٍ  
وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوْعَمٍ  
رَاصِحٍ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مَظْلَمٍ  
وَاعْرِفْهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ  
مَتَى اجْزَيْهِ حَلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ  
جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمَتَبِمِ  
نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْمَقْوَمِ

- (١) وجدت أنفع مال جري الخيول . والتقريب نوع من عدو الخيل  
(٢) النون في رأيت راجعة الى الخيل اي لما رأيت الخيل غدر الدهر بي وفوت لي بمحلي عن مواطن  
النذر وكذلك وفوت الرماح بمساعدتي  
(٣) مليحة من الضم اي خائفة منه . محرم طريق في الجبال  
(٤) رحلت فكلم حسناء تبكي عليّ وكلم بطل  
(٥) الحبيب كناية عن المرأة والحبيب المدمم عن الرجل (يقصد سيف الدولة)

خطت تحته العيس الفلاة وخالطت  
ولا عفة في سيفه وسانانه  
وما كل هاوٍ للجميل بفاعل  
فدعى لابي المسك الكرام فانها  
اغرَّ بجدرٍ قد شخصن وراه  
اذا منعت منك السياسة نفسها  
يضيق على من رآه العذر ان يرى  
ومن مثل كافور اذا اخيل احجمت  
شديد ثبات العُرف والتقع واصل  
به اخيل كبات الحميس العرمم  
ولكنها في الكف والطرف والفم  
ولا كل فعال له بتهم  
سوابق خيل يهتدين بادهم<sup>(١)</sup>  
الى خلق رجب وخلق مطهم  
فقف وقفة قدأمة تتعلم  
ضعيف المساعي او قليل التكرم<sup>(٢)</sup>  
وكان قليلاً من يقول لها اقدمي  
الى لهوات الفارس المتلثم<sup>(٣)</sup>

...

ابا المسك ارجو منك نصراً على العدى  
ويوماً يغيظ الحاسدين وحالة  
ولم ارج الا اهل ذاك ومن يرد  
فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها  
ولا نجت خيلي كلاب قبائل  
ولا اتعت آثارنا عين محائف  
ومحنا بها البيداء حتى تعمرت  
وأمل عزاً ينجذب البيض بالدم  
أقيم الشقا فيها مقام التنعم  
مواطراً من غير السعائب يظلم  
بقلب المشوق المستهام المتيم  
كان بها في الليل حملات ديلم<sup>(٤)</sup>  
فلم تر الا حافراً فوق منسم<sup>(٥)</sup>  
من النيل واستدرت بظل المتظم

...

وابلج يعصي باختصاصي مشيرته  
فساق الي العرف غير مكدر  
قد اخترتك الأملاك فاختر لهم بنا  
فاحسن وجهه في الوري وجه محسن  
عصيت بقصديه مشيري ولو مي  
وسقت اليه الشكر غير مجمع  
حديثاً وقد حكمت رايك فاحكم<sup>(٦)</sup>  
واين كف فيهم كف منعم

(١) ابو المسك اي كافور . جعل الكرام جياداً وهو الادهم في مقدمتهم

(٢) رآه بمعنى رآه (٣) الطرف المهر اي شديد الثبات حين اشتداد الوجود

(٤) اي ولولاك لما قطعت القفار حتى نجت خيلي كلاب القبائل كافي من بعض عصابات الديلم

(٥) الغائف هو الذي يتبع الاثر ليعرف صاحبه

(٦) اي قد اخترتك واستغيت بك عن كل الملوك فاحسن الي احساناً يلهجون به

واشرفهم من كان اشرف همهً واكثر اقداماً على كل معظم  
لمن تطلب الدنيا اذالم ترد بها سرور محب او مساوة مجرم

...

ولو كنت ادري كم حياتي قسمتها وصيرتُ ثلثيها انتظارك فاعلم  
ولكن ما يضي من الدهر فانتُ فوجدتُ لي يحظّ البادر المتغمّم  
رضيت بما ترضى به لي محبةً وقدتُ اليك النفس قود المسليم  
ومثلك من كان الوسيط فواده فكلمه عني ولم اتكلم

### مرثاة في ابي شجاع فانك الرومي

وكان من المشهورين بالكارم وقد توفي بمصر سنة ٣٥٠

الحزن يُقلق والتجملُ يردعُ والدمعُ بينها عسي طبع  
يتنازعانِ دموعَ عين مسهدٍ هذا يجي بها وهذا يرجع  
النوم بعد ابي شجاع نافر والليلُ معي والكواكبُ طلعتُ<sup>(١)</sup>  
اني لاجين عن فراق احبتي وتخسُ نفسي بالحمام فاشجع  
ويزيدني غضب الاعادي قسوةً ويلمُ بي عتب الصديق فاجزع  
تصفو الحياة لجاهل او غافلٍ عما مضى منها وما يتوقع  
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فقطع  
اين الذي المرمانِ من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع  
تتخلف الآثار عن اصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع  
لم يرض قلب ابي شجاع مبلغٌ قبل المات ولم يسعه موضع

(١) النوم بعده لا يالف العين والليل يطول كانه منهوك من التعب والكواكب كانها ظالعة لا

لا تحسن السير



كنا نظن دياره مملوءة  
 وإذا المكارم والصوارم والقنا  
 المجد أخسرُ والمكارمُ صفقةُ  
 والناس اتزل في زمانك متزلاً  
 برِد حشاي ان استطعت بلفظة  
 ما كان منك الى خليل قبلها  
 ولقد اراك وما تلمم ملئمةُ  
 ويدٌ كأن نوالها وقتالها  
 يا من يبدل كل يوم حلةً  
 ما زلت تخلعها على من شاءها  
 فظلمت تنظر لا رماحك شرع  
 بابي الوحيد وجيشه متكاثر  
 واذا حصلت من السلاح على البكا  
 وصلت اليك يد سواء عندها  
 من المحافل والجحافل والسرى  
 ومن اتخذت على الضيوف خليفة  
 قبلاً لوجهك يا زمان فانه  
 اموت مثل ابي شجاع فاتك  
 ابقيت اكذب كاذب ابقيته  
 ولئى وكل مخالم ومنادم  
 من كان فيه لكل قوم ملجأ

ذهباً فات وكل دار بلقع  
 وبنات اعوج كل شي . يجمع<sup>(١)</sup>  
 من ان يعيش لها الهام الاروع  
 من ان تعایشهم وقدرک ارفع<sup>(٢)</sup>  
 فلقد تضر اذا تشاء وتنفع  
 ما يستراب به ولا ما يوجع  
 الا نفاها عنك قلب اصم  
 فرض يمتح عليك وهو تبرع  
 انى رضيت بحجة لا تترع  
 حتى لبست اليوم ما لا تحلج  
 فيما عراك ولا سيوفك قطع  
 يبكي ومن شر السلاح الادمع<sup>(٣)</sup>  
 فحشاك رعت به وخذك تقرع  
 بازي الأشهب والغراب الابقع<sup>(٤)</sup>  
 فقدت بفقدك نيراً لا يطلع  
 ضاعوا ومثلك لا يكاد يضيع  
 وجه له من كل قبح برقع  
 ويعيش حاسده الخصي الاوكمع<sup>(٥)</sup>  
 واخذت اصدق من يقول ويسمع  
 بعد اللزوم مشيع ومودع  
 ولسيفه في كل قوم مرتع

(١) كنا نظن دياره مملوءة بالذهب والاموال ولكنه لجوده لم يترك فيها شيئاً ولم يجمع في حياته غير المكارم والسلاح والخيول (٢) الناس في زمانك اقل قدراً من ان تعيش بينهم

(٣) يقصد بالوحيد التقيد . وقوله بابي لتنفدية

(٤) وصلت اليك يد الموت التي يتساوى بها العظيم والحقير

(٥) الخصي الاوكمع يقصد به كافرراً

ان حلَّ في فرس ففيها رُبها كسرى تذلُّ له الرقاب وتخضع  
 او حلَّ في روم ففيها قيصر او حلَّ في عرب ففيها تُبَعُّ (١)  
 قد كان اسرع فارس في طعنة فرساً ولكنَّ المنيَّة اسرع  
 لا فلبت ايدي الفوارس بعده رحماً ولا حملت جواداً اربع

### وقال برقي والد سيف الدولة وبغزبه عنرا

سنة ٣٣٧

- تُعدُّ المشرفيَّة والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال  
 وزتبطُ السوابقُ مقربات وما ينجين من خيب الليلي  
 - ومن لم يعيش الدنيا قديماً ولكن لا سبيل الى الوصال  
 نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال  
 - رماني الدهرُ بالارزاه حتى فؤادي في غشاء من نبال  
 - فصرتُ اذا اصابتي سهامُ تكسرت النصال على النصال  
 وهان فما أبالي بالزايا لاني ما انتفعت بان ابالي  
 - وهذا اول الناعين طراً لاول ميتة في ذا الجلال  
 كأن الموت لم يجمع بنفسه ولم يخطر لمخلوق ببال  
 صلاةُ الله خالقنا حنوط على الوجه المكفَّن بالجمال  
 على المدفون قبل التراب صوناً وقبل اللحد في كرم الخلال  
 اطاب النفس أنك مت موتاً تمتته البواقي واخوالي  
 وزلت ولم تری يوماً كريهاً تسرُّ النفس فيه بالزوال  
 رواق العز فوقك مسبطاً وملك علي ابنك في كمال (٢)  
 سقى مشواك غادر في العوادي نظير نوال كفك في النوال (٣)  
 - ير بقبرك العافي فيسكي ويشغله البكاء عن السؤال

(١) اي انه عظيم تظهر عظمته ابنا حل في الفرس او في الروم او العرب

(٢) علي اي سيف الدولة

(٣) سقى قبرك سحاب هائل يشبه جود كفك

وما اهداك للجدوى عليه  
 بعيشك هل سلوت فان قلبي  
 تزلت على الكراهة في مكان  
 تحجب عنك رائحة الخزامي  
 بدار كل ساكنها غريب  
 حصان مثل ماء المزن فيه  
 يعالها نطاسي الشكايا  
 اذا وصفوا له داء بشعر  
 وليست كالاناث ولا اللواتي  
 ولا من في جنازتها تجار  
 مشى الامراء حولها حفاة  
 ولو كان النساء كمن فقدنا  
 وافجع من فقدنا من وجدنا  
 يدفن بعضها بعضاً وتشي  
 وم عين مقبلة التواحي  
 ومغض كان لا يعرضي خطب  
 أسيف الدولة استجد بصبر  
 وانت تعلم الناس التعزي  
 وحالات الزمان عليك شتي  
 رأيتك في الذين ارى ملوكاً  
 فان تفق الانام وانت منهم

لو اترك تقدرين على فعال  
 وان جانبك ارضك غير سال  
 بعدت عن النعامي والشمال<sup>(١)</sup>  
 وتمنع منك انداء الطلال  
 بعيد الدار منبت الجبال  
 كتوم السر صادقة المقال  
 وواحدنا نطاسي المعالي<sup>(٢)</sup>  
 سقاها سنة الاسل الطوال  
 تعد لها القبور من الجبال  
 يكون وداعها نفذ النعال  
 كأن المرو من زف الرئال<sup>(٣)</sup>  
 لفضلت النساء على الرجال  
 قبيل القعد مفقود المثال  
 او اخرنا على هام الاوالي  
 كحيل بالجنادل والرمال  
 وبال كان يفكر في الهزال<sup>(٤)</sup>  
 وكيف بمثل صبرك للجبال  
 وخوض الموت في الحرب السجال  
 وحالك واحد في كل حال  
 كأنك مستقيم في محال  
 فان المسك بعض دم الغزال<sup>(٥)</sup>

(١) تزلت في مكان بعدت فيه عن ربح الشمال وريح الجنوب (يعني القبر)

(٢) يداويها طبيب الامراض ولكن ابنها طبيب المعالي

(٣) لم تكن من العامة فيسير وراها اهل السوق والتجار ولكن الامراء مشوا حفاة وراها

كأنها المجارة كانت من وبر النعام

(٤) وم عين كانت تقبل دلالة اصبحت مكتحلة بالتراب وم رجل كان لا ينكس رأسه  
 سقط اصبح منكساً في القبر . وم من كان يفكر كثيراً في صحته اصبح الآن بالياً بتأثير الهمام

(٥) ليس من الغريب ان تفوق الناس وانت منهم فان المسك (وهو من دم الغزال) يفضله كثيراً

وقال بصف صمى اصابه وبمرض بالرهين عن مصر

مَاوُمَكَمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ      وَوَقَعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ<sup>(١)</sup>  
 ذِرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلِ      وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لَثَامِ  
 فَأَنِي أَسْتَرِيحُ بِذِي وَهَذَا      وَأَتَعْبُ بِالْأَنَاخَةِ وَالْمَقَامِ  
 وَلَا أَمْسِي لِأَهْلِ الْبَخْلِ ضَيْقًا      وَلَيْسَ قَرِي سَوَى مَخِ النَّعَامِ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خَبًّا      جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ ابْتِسَامِ<sup>(٣)</sup>  
 وَصَرْتُ أَشْكُ فَيَمِنُ أَصْطَفِيهِ      لَعَلِمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْإِنَامِ  
 يَجِبُ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي      وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ<sup>(٤)</sup>  
 وَأَنْفَ مِنْ أَخِي لِأَيِّ وَأُمِّي      إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ  
 أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا      عَلَى الْإِوْلَادِ اخْتِلَاقَ اللَّتَامِ<sup>(٥)</sup>  
 وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ      بَانَ أُعْزَى إِلَى جَدِّهِ هَمَامِ<sup>(٦)</sup>  
 عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدْ وَحْدٌ      وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضَمِ الْكَهَامِ<sup>(٧)</sup>  
 وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي      فَلَا يَذُرُّ الْمَطْيَ بِلَا سَنَامِ<sup>(٨)</sup>  
 وَلَمْ أَرِ فِي عِيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا      كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّامِ

...

أَقْتِ بَارِضَ مِصْرَ فَلَا وَرَائِي      تَحَبُّ فِي الرِّكَابِ وَلَا أَمَامِي<sup>(٩)</sup>

(١) يخاطب صاحبيه فيقول ان من تلومانه على ركوب الاسفار هو اعلى من ان يصل اليه الملام  
 (٢) وليس لي زاد البتة . اشارة الى ان النعام لا يخاف من اي خداعاً  
 (٣) خباً اي خداعاً  
 (٤) الوسام حسن المنظر . يقول العاقل يجب لاجل تصافي الود بينه وبين محبوبه اما الجاهل فيتم  
 بالهيئة الخارجية (٥) اي ان الاخلاق اللثيمة قد تغلب الاصل الكريم فيجني . الولد لثيماً  
 (٦) اي لا اقتنع ان انسب الى جد كرم بل ادرك الفضل بنفسه (٧) اي عجبت من الشايب  
 القوي الذي اذا عرض له الامر العظيم رجوع عنه رجوع السيف الذي لا يقطع (٨) من لا يذيبه  
 اسنة الابل بجهاده في سبيل المعالي (٩) تحب بي الركاب اي تسير بي الابل، ويريد بهذا البيت  
 انه لم اقم الاقامة جا

وملأني الفراش وكانَ جنبي  
 قليل عائدي سقمٌ فؤادي  
 عليل الجسم ممتنع القيام  
 مثل لقاءه في كل عام  
 كثيرٌ حاسدي صعبٌ مرامي  
 شديد السكر من غير المدام

...

وزازرتي كأنَّ بها حياء  
 كبذت لها المطارف والحشايا  
 يضيق الجلد عن كفسي وعنهما  
 كان الصبح يطردُها فتجري  
 أراقبُ وقتها من غير شوق  
 وأصدق وعدها والصدق شرٌ  
 أبيت الدهر عندي كلُّ بنتٍ  
 جرحت مجرَّحاً لم يبق فيه  
 يقول لي الطبيب اكلت شيئاً  
 وما في طنبه اني جوادٌ  
 تعود أن يُعَبِّرَ في السرايا  
 فأمسك لا يظال له فيرعى  
 فليس تزورُ الا في الظلام<sup>(١)</sup>  
 فمافتها وباتت في عظامي<sup>(٢)</sup>  
 فتوسعه بانواع السقام  
 مدامعها باربعة سجام  
 مراقبة المشوق المستهام  
 إذا القالك في الكرب العظام  
 فكيف وصلت انت من الزحام<sup>(٣)</sup>  
 مكان للسيوف ولا السهام  
 وداؤك في شرابك والطعام  
 اضرَّ بجسمه طولُ الجمام<sup>(٤)</sup>  
 ويدخل من قتام في قتام<sup>(٥)</sup>  
 ولا هو في العليق ولا اللجام<sup>(٦)</sup>

(١) إشارة الى الحمى (٢) المطارف اردية الحنز. والحشايا الفرش (٣) يريد بينت الدهر الحمى وبنات الدهر شدائده فيقول : اجما الحمى عندي كل نوع من انواع الشدائد فكيف لم يتمك ازدهامهن من الوصول اليّ (٤) الجمام الراحة (٥) تعود ان يثير الغبار بين الجيوش ويخرج من غبرة الى غبرة اي من معركة الى اخرى (٦) فأمسك لا يرخى له الجبل فيرعى ولم يقدم له العليق فياكل ولم يكن تحت اللجام في السفر . وقد شبه حالته مع كافر بجالة هذا الجواد



# المعري

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان

٣٦٣ - ٥٤٤٩ هـ

٩٧٤ - ١٠٥٨ م

## مصادر دراسة

- تزهة الالباء. للانباري ٤٢٥  
 كتاب الانصاف والتحري - لكهال الدين ابن العديم  
 وهو منشور ضمن كتاب اعلام النبلاء للطباخ ج ٤ من ص ٧٨  
 معجم الادباء لياقوت ج ١ ص ١٦٢-٢١٦  
 وفيه ما دار من المراسلات بين المعري وداعي الدعاة  
 وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٧ (تحت حرف احمد)  
 ترجمة المعري للذهبي منشورة في ذيل رسائل المعري (اكسفورد)  
 مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج ١ ص ١٩١ - ١٩٢  
 رسائل المعري (طبع اكسفورد)  
 اللزوميات مطبعة المحروسة (مصر ١٨٩١) وبومباي ١٣٠٣ هـ  
 مصر ١٩٢٤  
 شرح التنوير على سقط الزند مطبعة الاسلام (مصر) ١٣٣٤ هـ  
 ومما كتب عنه حديثاً  
 ترجمة مسهبة بالانكليزية للاستاذ مرغوليوث في مقدمة رسائل المعري  
 ترجمة للاستاذ نكلسون في دائرة المعارف الاسلامية  
 ذكرى ابي العلاء للدكتور طه حسين  
 اعلام النبلاء للطباخ ج ٤ ص ١٧٥-١٨٠  
 المهرجان الانبي للمعري نشر المجمع العالمي العربي بدمشق ١٩٤٥  
 ورسائل وترجمات شتى في كتب الادب والتاريخ لعرب ومستشرقين منها  
 ترجمة وشرح بعض اللزوميات لقون كريم في Z. M. D. G. المجلد ٣٠ و٣١ و٣٨



## توطئة تاريخية

ذكرنا في فصل سابق ان اماره بني حمدان كانت ايام سيف الدولة في حروب متواصلة وان هذا الامير كان كثير السخاء على الادباء والعلماء ، وقد اضطره كل ذلك الى الانفاق والتشديد في جمع الاموال من رعيته . ولما مات خلفه ابنه ابو المعالي ثم ابنه ابو الفضائل ، وفي ايامهما تفاقمت الخطوب واصبحت اماره حلب يوم نشأ شاعرنا معتز كالاربع قوى رئيسية - الاولى - الحمدانية وكانوا قد ضعف امرهم واخذت السيطرة تخرج من ايديهم الثانية - الفاطمية اصحاب الامر في مصر وكان هؤلاء مطامع في حاب ، فلم يألوا جهداً في دس الدسائس وارسال الجيوش لفتحها الثالثة - قبائل البادية، ومنهم المرديسية التي كان لها شأن يذكر في هذا الاضطراب

## السياسي

الرابعة - الروم وغاراتهم على اماره بني حمدان معروفة ، على انهم بينا كانوا ايام سيف الدولة يُعدون اعداء المسلمين عموماً، اصبحوا ايام المعري - بسبب تطاحن امراء المسلمين - عوناً لبعض هؤلاء الامراء على بعض ، وسبباً في توسيع شقة الخلاف بينهم . فمن ذلك انهم ناصروا ابا الفضل بن حمدان على الفاطميين ، وكان هؤلاء يحاصرون حلب<sup>(١)</sup> ، وبهم استنجد حسان بن مفرج ولؤلؤ مولى ابي الفضائل . فكان بين المسلمين حروب داخلية ادت الى تدخل الروم وانحيازهم الى احد الفريقين ، مما زاد الطين بلة في تلك الفوضى السياسية . وانك لتلمح في شعر المعري شيئاً من ذلك فقد قال في مدحة له لاحد الامراء

ايعدنا بالروم ناس وانما هم النبت والبيض الرقاق سوام  
 كأن لم يكن بين المخاض وحارم كئائب يشجين الفلا وخيام<sup>(٢)</sup>  
 كئائب من شرق وغرب تألبت فرادى اتاها الموت وهو توام

ويؤخذ من هذه الابيات ان بلدة الشاعر كانت في يد امير معاد للروم ، والارجح انها كانت قد استقلت يومئذ عن حلب ، وان اعداء ذلك الامير كانوا يتوعدونه باستنجد الروم عليه ، فنظم الشاعر قصيدته مشيراً الى بأس الامير والى انهزام كئائب الروم بين

(١) ذيل تجارب الامم للروذروري (امندوز ١٩١٦) حوادث سنة ٣٨١  
 (٢) المخاض نهر قرب المرة، وحارم بلدة قرب انطاكية . يشجين الفلا اي ينص جم الفلا لكثير ضم

هذين المكانين ، وانهم لذلك لا يخشون باسهم ولا يباليون بوعيدهم .  
 فاذا نظرنا الى الاحوال السياسية التي نشأ فيها ابو العلاء ، زهاها كثيرة الاضطراب والفتن  
 والاهوال ، ولا شك ان ذلك كان شديد التأثير في احوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية ،  
 فاشتدت فيها الضائقة والفساد وبرزت في الرؤساء الروح الشعبية ، روح التكالب على  
 المال والامارة مما يعكس لنا جلياً في شعر شاعرنا الكبير .

ملّ المقام فكهم اعاشر امةً امرت بغير صلاحها امرؤها  
 ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

...

ولد المعري في المعرة وفيها نشأ . والمعروف من كتب التاريخ انه اصيب بجذري وهو  
 في الرابعة من عمره ذهب بنظره . على ان عمه لم يكن في اول الامر كلياً ، فان النصوص  
 كلها تشير الى ان الجذري ذهب يسرى عينيه وغشي بيناهها بياض . ويقول الانباري انه  
 كان ضريباً اعمى ولم يكن اكمه كما توهم من لا علم له<sup>(١)</sup> . وقد روى ابن العديم عن  
 بعض اهل الادب حكاية نقلها هذا عن رجل اسمه ابو منقذ انه رأى ابا العلاء وهو صبي  
 دون البلوغ فقال في وصفه - وهو صبي دميم الخلق مجذور الوجه وعلى عينه بياض من  
 الجذري وكأنه ينظر باحدى عينيه قليلاً<sup>(٢)</sup> .

والذي يترجح لدينا من ذلك ان الشاعر لم يفقد بصره تماماً الا بعد بضع سنوات من  
 مرضه . على ان ما فقدته من باصرته استعاض عنه بجمدة بصيرته ، فقد اجمع المؤرخون على  
 شدة ذكائه وقوة حافظته ، ولهم في ذلك اقاويص وروايات معروفة<sup>(٣)</sup> .

والمعري من بيت علم ورتاسة<sup>(٤)</sup> - فابوه من العلماء ، وجدّه وابو جدّه ، وجدّ جدّه  
 كلهم تولوا قضاء المعرة . وقد بقي القضاء في بني اخيه الى ان دخلها الافرنج سنة ٤٩٢<sup>(٥)</sup> -  
 اي الى ما بعد موت الشاعر باكثر من اربعين سنة .

ومن آله ( آل سليمان ) فضلاء وعلماء وشعراء لا يتسع المقام لذكرهم ، وكانت الفتاوى

(١) طبقات الادباء ٤٢٥

(٢) الانصاف والتحري ( في اعلام النبلاء ج ٤ - ١٠٤ )

(٣) راجع ترجمته في معجم الادباء ، وفي الانصاف والتحري ( طباخ ٤ - ١٠١ )

(٤) مفتاح السعادة ١ - ١٩١ (٥) معجم الادباء ١٠٥٠ - ١٦٤

اعلى ما يستفاد من ياقوت وابن العديم) في بيتهم على المذهب الشافعي اكثر من مئتي سنة .  
 في وسط علمي ديني كهذا الوسط نشأ شاعرنا فاخذ العلم والادب او لا عن ابيه ثم  
 عن جماعة من علماء المعرفة ، وزار في حدائته بعض المدن الشامية المعروفة بالعلم كانطاكية  
 واللاذقية وطرابلس ، فاخذ العلم من علمائها ومما يجده في مكاتبتها . ويؤخذ من رسالته  
 الى خاله ابي القاسم ابن سيبيكة انه لم يقصد بعد العشرين اهدأ اجتداً العلم<sup>(١)</sup> . بقي في  
 ذلك بضع سنوات ثم عاد الى المعرفة ، والظاهر انه بدأ حياته العملية كسائر العلماء والشعراء  
 ( في قرص الشعر للامراء ) ولكنه لم يكذب يفعل ذلك حتى عدل عنه . فليس له في  
 سقط الزند الا بضع مدائح فيمن يرجى عطاؤهم ، كسعد الدولة بن حمدان وسواه . وهذه  
 المدائح من اوائل شعره ، اما سائر مديحه في فقهاء او ادباء من طبقة اختصاصهم بالوداد  
 والاطراء .

ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره ( اي سنة ٣٩٨ ) قام برحلة اولى الى بغداد ولا  
 تعرف كثيراً عن هذه الرحلة ، ثم رحل اليها ثانية سنة ٣٩٩ وقام فيها سنة وسبعة اشهر<sup>(٢)</sup> .  
 وهنا لا بد من ان تتساءل لماذا رحل الى بغداد ولماذا لم يبق فيها طويلاً ؟ والذي  
 يؤخذ من مراجعة شعره ورسائله ومقابلتها باقوال المؤرخين ان الاضطرابات السياسية في  
 حلب والمعرفة اهابت به الى ترك وطنه وقصد بغداد<sup>(٣)</sup> . وكان ينوي الإقامة فيها واستخدام  
 مواهبه في سبيل العلم ، ولكنه لم يوفق الى امينته . في رسالته الى خاله ابي القاسم التي  
 كتبها على اثر رجوعه من بغداد يقول - « وكنت ظننت ان الايام تسمح لي بالاقامة ، فاذا  
 الضارية احجأ بعراقها ، والعبد اشح بكراعه ، والغراب اضن بتمرتة » . الى ان يقول  
 « فلما ربتت الضروس الخالب ، وتوت العنود تحت الراكب ، ومنعت القلوع النازع ،  
 وخيب رائدأ سحاب ، وكذب شامأ برق ، عادت لعتراها لئس<sup>(٤)</sup> وذكر وجاره نعاله » .  
 ثم يقول « ولما فاتني المقام بحيث اخترت ، اجعت على انفراد يجعلني كالظبي في  
 الكناس . الخ »<sup>(٥)</sup> .

(١) رسائل المعري (أكسفورد) ٣٢

(٢) ابن خلكان ١-٤١

(٣) ويروي الذهبي انه ذهب الى بغداد متظلاً من امير حلب لمعارضته اياه في وقف له

(٤) مثل يضرب لمن يرجع الى ما كان عليه ويشير هنا الى رجوعه الى وطنه

(٥) راجع رسائل المعري (أكسفورد) ٣٠-٣٢

رسائل المعري  
 من رسائل المعري  
 في معرفة  
 المعري

ولعلّ ما في طبع المعري من الأنفة منعه من ان يَحْضِلَ رزقه في بغداد على طريقة المدّاحين المستبجدين من الشعراء ، فكان ذلك من الاسباب التي عجلت في رجوعه . فقد ذكر في الرسالة الأنفة الذكر ان اهل بغداد قابلوه بالاكرام وانهم لما احسوا بتأهبه للرحيل اظهروا كسوف بال ، ثم يقول « وانصرفت وما وجهي في سقاء غير سرب ، ما ارتقت منه قطرة في طاب ادب ولا مال » . وتظهر انفته الشديدة ايضاً في ما جرى له في مجلس المرتضى ، وكان هذا يبعث المتنبّي ، وكان المعري يتعصب . فخرى يوماً بحضرتة ذكر المتنبّي فتنبّعه المرتضى ، فقال المعري لو لم يكن للمتنبّي من الشعر الا قوله « لك يا منازل في القلوب منازل » لكفاه فضلاً ، فعضب المرتضى وامر فسُجِبَ برجله وأُخرج من مجلسه<sup>(١)</sup> . وقال لمن بحضرتة اراد هذا الاعمى قوله

وإذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

وفي شعره كثير مما يشير الى هذا الطبع فيه ، كقوله من قصيدة كتب بها الى الفقيه  
الى حامد الاسفراييني عند دخوله بغداد

ولا اتّيل في جام ولا نشب ولو غدوت اخا عدم وادقاع  
ومما كتبه من بغداد يخاطب اهل بلده

اخواننا بين الفرات وجأت يد الله لا اخبرتكم بجمال  
انبتكم اني على العهد سالم ووجهي لما يبتدل بسؤال  
فاصبحت محسوداً بفضلي وحده على بعد انصاري وقلة مالي

رجل عزيز النفس مثله يأنف من السؤال ومن التلّف الى كبار القوم في عصر كان التلّف هو جادة الاديب الى الرزق ، لا يُستغرب ان تضيق به الحال في عاصمة الخلافة حتى تحمله الى ان يقول

تمّيت ان الحمر حلت لنشوة تجهلي كيف اطمانت بي الحال  
فاذهل اني بالعراق على شفا رزي الاماني لا انيس ولا مال  
مقلّ من الاهلين يسر واسرة كني حزناً بين مشت واقلال

وكم ماجد في سيف دجلة لم أثم له بارقاً والمرء كالزنب هطأ  
 سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لما زاد والدنيا حظوظ واقبال  
 وبرغم ما في قصيدته التي ودع فيها بغداد من مدح لاهل تلك المدينة ، فان في  
 قصائده الاخرى التي قالها في بغداد ما يتم على ما كان يشعر به من ضيق ومن تحنان الى وطنه<sup>(١)</sup>  
 وفي قصيدة بعث بها الى القاضي التنوخي يذكر ان الذي اهاب به الى تركها رجاؤه ببقاء  
 والدته ونفاد ماله

اثارني عنكم امران، والدة لم القها وثراء عاد مسفوتا

اما والدته فانت قبل وصوله الى المعرة فيجزع لذلك ورتاها رثاء ابن مفجوع .

ولما عاد الى المعرة لزم منزله وعاش فيه على طريقة الفلاسفة المتقشفين ويظهر من  
 بعض رسائله انه فكر كثيراً في ذلك ، فقد قال من رسالته لاهل المعرة « فوجدت اوفق  
 ما اصنعه في ايام الحياة عزلة تجلاني من الناس كبارح الأروى من سائح النعام . وما أوت  
 نصيحة لنفسي ، فاجمعت على ذلك واستخرت الله فيه بعد صلواته على نفر يوثق بنحائلهم ،  
 فكلهم رآه حزماً ، وعدة اذا تمّ رشداً ، وهو امر ليس بنتيج الساعة ولا ربيب الشهر  
 والسنة ولكنه غذي الحطب المتقدمة ، وسليل الفكر الطويل الخ<sup>(٢)</sup> .

على ان زهد المعري لا يعني انقطاعاً عن العمل ، بل ترفعاً عن حطام الدنيا وغرورها .  
 فالرجل كان كثير العمل حريصاً على التعلم والتأليف - وفي هذا الطور من حياته نظم  
 لزومياته وصنف اكثر كتبه ورسائله<sup>(٣)</sup> . وكان منزله محجة الطلاب يقصدونه من كل  
 الآفاق<sup>(٤)</sup> ، والى ذلك يشير في اللزوميات

يزورني الناس هذا ارضه بمن من البلاد وهذا داره الطّيب

وقد خرج منهم ائمة وقضاة ورؤساء في العلم : منهم الخطيب ابو زكريا التبريزي وابو  
 المكارم الابيري وابو تمام ابن عيسى الانصاري وابو ظاهر الانباري وابو القاسم التنوخي  
 وسواهم .

(١) ولا يستبعد ان يكون اكثر ذلك في اثناء رحلته الاولى

(٢) رسائل المعري (أكسفورد) ٣٤

(٣) من اراد ان يعرف عدد مؤلفاته فليراجع معجم الادباء والانصاف والتجري وما نقله الذهبي

عن الففطي (٤) ابن خلكان ١ - ٤١

وبرغم تقشفه ولزومه منزله كان له من الواجهة اسمى مقام : قال ابن العديم « وما زالت حرفة ابي العلاء في علاء و بجر فضله مورداً للوزراء والامراء . وما علمت ان وزيراً مذكوراً وفاضلاً مشهوراً مرتبعة النعمان في ذلك العصر الا وقصده واستفاد منه <sup>(١)</sup> » .  
ومما يدل على وجاهته ما نقله ياقوت والذهبي <sup>(٢)</sup> من ان اهل المعرفة لما اشتد عليهم صالح بن مرداس لم يجدوا بداً من ايفاد المعري مستشفعاً فيهم ، فقصد الامير ولما دخل عليه قال له الامير انت ابو العلاء ؟ فقال انا ذاك . فرفعه الى جانبه ، وبعد ان خاطبه المعري بامرهم قال له اني قد وهبتها لك ايها الشيخ

ولما اصبحت المعرفة وحلب تحت سطوة الفاطميين بذل له المستنصر الفاطمي ما بيت المال بالمعرة فلم يقبل منه شيئاً ، وكذلك داعي الدعاة لما عرف ترهد المعري وقلة دخله كتب الى نائب الفاطميين بحلب بان يجري ما تدعو اليه حاجته وان يضاعف حرمة ويرفع منزلته عند الخاص والعام ، فامتنع من قبول ذلك <sup>(٣)</sup> . وبين المعري وداعي الدعاة رسائل ومكاتبات نستدل منها على ما كان لشاعرنا من المتزلة الرفيعة عند زعماء ذلك العصر .

ويؤيد كل ذلك ما ذكره الشاعر الفارسي ناصر خسرو الذي زار المعرة سنة ٤٣٩ اي قبل موت المعري بعشر سنوات ، فوصفه بقوله « انه رجل ذو نفوذ عظيم في بلده وذو غنى ، ينفق على الفقراء والمعوزين ، مع انه هو (اي المعري) كان يعيش عيشة الزهد والتقشف <sup>(٤)</sup> » .  
وفي شعر المعري ورسائله ما قد يزيك شهادة ناصر خسرو ، كقوله في اللزوميات مشيراً الى ما يعتقدونه الناس من حسن حاله

من لي ان لا أقيم في بلد أذكر فيه بغير ما يجب  
يُظنُّ بي اليسر والديانة والعلم وبينها حجب

ومن قصيدته

تفهم يا صريع البين بشرى اتت من مستقلٍ مستقلٍ

(١) اعلام النبلاء ٤ - ٢٤٤

(٢) معجم الادباء ١ - ٢١٦ ورسائل المعري (اكسفورد) ١٣٠

(٣) الانصاف والتحري (في اعلام النبلاء) ٤ - ١٤٤

(٤) نقلاً عن Encyc. of Islam من فصل للاستاذ نكلسون

يستدل انه ارسل قدراً من المال الى اديب اسمه صريع البين ، ويسأله المَعذرة على قلة ما ارسل اليه .

وكذلك في قصيدته

ايسط عذري منعم ام يخصني بما هو حظي من اليم عتاب

يعتذر لفقيره عن ان الهدية التي ارسلها اليه اقل من قدره وكان المعري يومئذ في الحسين من عمره فقال -

فيا ليتني اهديت خمسين حجةً مضت لي فيها صحتي وشبابي  
وقلت له - فترك ثلاثين اسوداً متى ما تكشفت تلاف غير لباب  
لعل الذي انفذت يكفيه ليلة لاسباغ طهر حان او لشراب

وفي البيت الثاني اشارة الى ان الهدية ثلاثين درهماً فقط

ومثلها قوله في رسالة ارسلها الى علوي « وقد بعثت بشي . من النفقة ، نفسي من قلته كل المشفقة »<sup>(١)</sup>.

وما يؤيد ذلك ما ذكره ابن العديم مما قرأه بخط ابي الفرج محمد بن احمد بن الحسن الكاتب الوزير « روزنامج » انشأه لولده الحسن يذكر فيه رحلته سنة ٤٢٨ الى الحج وعبوره بعمرة النعمان ، ويذكر اجتماعه بابي العلاء . ومن قوله فيه « وقصر همه على ادب يفيدہ وتصنيف يجيده ، ومتعلم بفضل عليه ومسترفد صعاوك يحسن اليه » . قال وله دار حسنة بأوبها ومعاش يكفيه وعونه ، واولاد اخ يخدمونه ويقرأون بين يديه ويدرسون عليه ويكتبون له ، ووراق برسمه مستأجر ، ثم ينفق على نفسه من دخل معاشه نفقة طفيفه ، وما يفضل عنه يفرقه على اخيه واولاده واللائذين به وللفقراء والقاصدين له من الغرباء .<sup>(٢)</sup>

ولما قصده الخطيب التبريزي ليقراً عليه دفع اليه صرة فيها ذهب ، وقال اوثر من الشيخ ان يدفعها الى بعض من يراه ليشتري لي ما تدعو اليه الحاجة مدة مقامي للقراءة واتوفر بذلك على الاشتغال . وعلم المعري ان هذا الطاب كان فقيراً فاخذ الصرة وخبأها وتقدم الى وكيله ان يجري للخطيب ما تدعو اليه الحاجة مدة اقامته بالمعرة . ولما اتم دروسه وهم

(١) رسائل المعري (اكسفورد) ٣٥

(٢) الاضاف والتجري (اعلام النبلاء ٦-١٥٢)

بالانصراف ودّع الشيخ ، فدفع اليه صرته بعينها . ولما اصر عليه الخطيب قال المعري لا سبيل الى رد الصرة عليّ ، وهذا ذهبك بعينه<sup>(١)</sup> .

وهناك قصة نقلها الصفدي في نكت الهميان عن ابن سبط الجوزي عن رجل دخل المعرة ايام المعري وقد وُشي بشاعرنا الى محمرد بن صالح انه زنديق - قال : فامر محمود بحمله اليه وبعث خمسين فارساً ليحملوه ، فاتزلمهم ابو العلاء دار الضيافة .

ولا نعلم مبلغ هذه القصة من الصحة ، ولكنها اذا قرنت بما ذكرناه عن جاه ابي العلاء وحسن حاله في المعرة - مما لا سبيل الى الشك فيه - ترجح لدينا تصديقها .

ومع كل ذلك فاكثر الذين يترجمون للمعري من قدماء ومحدثين يذهبون الى فقر شاعرنا ، وانه كان يعيش من وقف له لا يتجاوز الثلاثين ديناراً يعطيه نصفه لخدمته . فكيف نجتمع بين القولين - بين وجاهة المعري وكرمه من جهة ، وفقره وزهده من جهة اخرى ؟ - والجواب على ذلك ان المعري بعد ان استقر في المعرة وعكف على العلم والتعليم قصده الطلاب من الافاق وكتبه الكبراء والامراء ، فعظم شأنه وحسنت حاله . ولكنه لم يكن يستعمل من ماله الا التزير اليسير ، وينفق الباقي في سبيل اللاتذنين والمعوزين . وهنا سر العظمة في حياة المعري الزهدية . عاش عيشة الحكماء المتورعين عن الدنيا ، ولكنه لم يكن في ذلك كابي العتاهية واضرابه من الحريصين على المال المقبلين على حطام الحياة ، بل قنع باليسير اعتقاداً بحكمة القناعة ، وأحسن بما كان يفضل عنه اقتناعاً بشرف الاحسان .

### زُرْفَةُ وَابْنُ

اختلف الناس في المعري فمن ناعت اياه بالتقى وحسن العقيدة ، ومن ناسب اليه الضلال والاحاد . وسبب ذلك ما يجدونه في لزومياته من النقد الموجه الى الزعماء والرؤساء ، وما يهاجم به احياناً بعض المذاهب والعقائد الدينية . فمن اتهموه في دينه ياقوت وابن الجوزي والصلاح الصفدي وجارهم الذهبي فقال « مات متحيراً لم يحتم بدین من الاديان نسال الله ان يحفظ علينا ايماننا بكرمه »

ومن ذهب الى انه صحيح العقيدة ابو الحسن المكاري وابن العديم صاحب «الانصاف



والتحري في دفع التجري عن المعري « . ومنهم السلبي فقد لخص اقوال الناس فيه ثم ختم ذلك بقوله - فني الجملة كان من اهل الفضل الوافر ، قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات . وله في التوحيد واثبات النبوة وما يحض على الزهد واحياء طرق الفتوة والمروة شعر كثير<sup>(١)</sup>

...

ولا يزال الناس الى اليوم مختلفين في هذا الامر ، على انه لا بد قبل الحكم على المعري من ان نلقي نظرة على عصره وعلى ما كان له من الاثر في نفسه . فقد عاش شاعرنا ما بين منتصف القرن الرابع ومنتصف القرن الخامس الهجري - اي في ابان الحركة الفكرية عند العرب . في ذلك العصر تم نقل العلوم اليونانية ونبغ بين المسلمين كثيرون من العلماء والمفكرين والنقادين ، فكانت بغداد وكثير من المدن الشرقية الاخرى مراكز علمية احتكت فيها «الروحانية» السامية التي حملت الى الناس الايمان بالتوحيد والمعاد والآداب الدينية «بالعقلية» اليونانية التي حملت اليهم البحث المنطقي والنظريات العلمية . وكان من جراء ذلك الاحتكاك اشتداد الفرق الكلامية وتعدد المنازع الفكرية بين مناصر للنصوص الدينية او مضاد لها . ومن الانصاف هنا ان نقول ان هذا النزاع بين النقل والعقل كان يضعف او يشتد بالنسبة الى الاحوال الاجتماعية او السياسية . على ان العصور الوسطى مدينة للغة العربية في انبا (اي العربية) اتسعت يومئذ للتفكير العلمي ، فكانت الموثل الذي حفظت فيه ثمار العقول القديمة .

ولا شك ان هذا النزاع الفكري احدث في العقول ميلاً الى النظر النقدي في الكون والحياة والدين والمعاد ، فانسرب الشك الى عقول بعض المفكرين ، واستولى عليهم روح الانكار ، فرفضوا ما لم يقبله عقولهم من تعاليم وسنن ، ونادوا بالرجوع الى المبادئ الاولية في الحياة الروحية والاجتماعية . ومن هؤلاء شاعرنا - فقد نشأ في هذا الجو الفكري المضطرب تواقفاً الى المعرفة والى بلوغ الحقائق ، وفي نفسه اصطدمت «تقاليد» الدين بأحكام العقل ، فاضطرب وصار يتلمس طريقه توصلاً الى ما يشفي اوامه ، فلم يوفق تمام التوفيق : كان الايمان اساس حياته ولكنه قضى الحياة حائزاً تنقاذفه لحج الشك والتشاؤم .

(١) راجع القول في عقيدة المعري واختلاف الناس فيه (اعلام النبلاء ص ١٦٣ الى ١٦٧ والذهبي في رسائل اكسفورد ص ١٣٠-١٣٥) وراجع مفتاح السعادة ج ١ - ١٩١ و ١٩٢

ومن هنا هذا الاختلاف في الحكم عليه .

على اننا اذا دققنا في درس حياته وشعره وحاولنا ان نخترق الضباب الذي يحيط به رايناه يظهر لنا في طورين مختلفين تفصل بينهما مدة اقامته في بغداد . فالطور الاول طور الشباب ويمتد الى سنة ٤٠٠ هـ . وفي هذا الطور زاه مسلماً حقيقياً ، وبرغم ما قد تم عليه بعض اشعاره من روح التفكير ، لا زاه يختلف في تصرفه العادي عن سائر المؤمنين .  
والطور الثاني طور العزلة . يبتدىء على اثر رجوعه من بغداد ، ويمتد الى آخر حياته وفي هذا الطور يقف موقفين رئيسيين

٤ - تجاه الآخرة . وهو هنا حائر يجمع في نفسه التفكير الفلسفي وال عاطفة الدينية .  
الموروثة جمعاً غير محكم - فتارة تراه مؤمناً وطوراً مشككاً - ولهذا نجد في شعره بعض المتناقضات ، وسيأتي معنا تفصيل ذلك

٢ - تجاه الحياة والانسان . وهو هنا صريح ثابت الرأي يغلب عليه التشاؤم والمرارة ، ويلخص هذا الموقف بالمبادئ التالية

✓ ان الطبيعة ثابتة لا تزول - ( وهو مذهب الفلاسفة الطبيعيين )

✓ ان الانسان فاسد بطبيعته ولا يمكن اصلاحه

✓ ان الطمع اساس كل تصرفاته ومعتقداته

✓ ان الدين اثما هو حسن الاخلاق وشرف المعاملة ( لا الفروض والسنن والايمان )

✓ ان حقيقة الحياة هي القناعة والبساطة

✓ ان الوجود علة الشقاء فالأفضل ان نتخلص منه بعدم التناسل

✓ وله في المرأة آراء لا تخرج عن آراء عصره ، وسيظهر لنا كل ذلك في تحليلنا لشعره

### شاعريته وشعره

للمعري مقام فريد بين شعراء العربية - لا من حيث اسلوبه وفنّه - ولكن من حيث روحه ونظيره الى الدنيا . وقد راينا ان حياته الفكرية تظهر في طورين مختلفين . وفي هذين الطورين تظهر حياته الشعرية ايضاً - الاول يتناول شعر الشباب منذ بدء عهده بالنظم الى اعتزاله ، ويدخل فيه ايضاً بعض ما نظمته بعد ذلك . وقد دون لنا هذا الشعر في يسقط

الزند - والثاني شعر العزلة ويتمثل لنا في لزومياته او ديوانه المعروف بلزوم ما لا يلزم - ولنتقدم الى تحليل كل من هذين الطورين

### الطور الاول - سقط الزند

في هذا الطور نجد المعري جاريًا في سنن الاقدمين من الشعراء ، فيكثر في شعره ذكر النباق والرحيل والاحبة . ولكي تعرف مقدار ذلك نقول خذ الجزء الاول من سقط الزند فهو يشتمل على اكثر من ثلاثين قصيدة ، وفي اكثر من ثلثيها نجد مقدمة يصف بها المطايا او يتكلم الغزل على الطريقة القديمة . اما الجزء الثاني من الديوان فاذا استئثنت «درعياته» رايت نصفه على هذا المنوال القديم

ومن امثلة وصفه للمطايا قوله يذكر سريها في الليل

واسود لم تعرف له الانس والداً كساني منه حلة وخمارا  
سرت بي فيه ناجيات مياهها نجم اذا ماء الركائب غارا  
مخرقن ثوب الليل حتى كانني اطرت بها في جانبيه شرارا

الى ان يقول -

اذا قيدت في منزل بتوقفه حسبت مناخاً اوطنته مثارا  
تظن غطيظ النوم نومة زاجره فتقطع قيلاً او تبث هجارا

ثم يقول -

وليست تحس الارض منها بوطاة فتفرع سرباً او تروع صوارا  
تدوس افاحيص القطا وهو هاجد فتمضي ولم تقطع عليه غرارا

وينسج مقدمته على هذا النسق البدوي في نحو عشرين بيتاً ، ثم يتقدم الى المدح ويصف بأسه في الحرب ، ثم يتناول وصف خيله وكرها في اثني عشر بيتاً لا تقول اذا قرأتها الا ان ناظمها فارس من فرسان البادية<sup>(١)</sup>

وقس على ذلك عشرات من قصائده . وقد يلفت النظر متابعتها لاني تمام في وصف

(١) راجع هذه القصيدة في سقط الزند ١-١٧٥

المركب الذي حمّله الى الأنبار ، وتشبيهه اياه بالناقة السريعة ، كقوله من قصيدة مطلعها  
« ياناق جدّي فقد افنت اناتك لي »

على نجاة من الفرصاد أيدها ربّ القُدوم باوصال واضلاع  
تُطلى بقارٍ ولم تجرب كأن طليت بسائل من ذفاري العيس مُنباع<sup>(١)</sup>  
ولا تُبالي بمجل ان الم بها ولا تهش لاختصاب وامراع

اما غزله فظاهر الصناعة قليل الرونق ولا ينتظر بمن كان كالمعري غزلٌ خارجٌ من  
قلب متأثرٌ بجبال الحبيب . فن قوله في ذلك

لله ايامنا المواضي لو ان شيئاً مضى يعود  
ابلى ودادي لكم زمان الين احداثه حديد  
لم يبيل من بذلة ولكن يبلى على طيه الجديد

فانظر الى هذا الحب الذي يبلى لتقادم العهد عليه وقابله بشعور محب صادق الحب متم  
القلب . ومن غزله

ما يوم وصلك وهو اقصر من نفس باطول عيشه غالي  
علقت جبال الشمس منك يدي وجديدها في الضعف كالبالي  
واردت ورد الوصل من قر فصدت عنه كوارد الآل  
وطلبت عندك راحة وعلى قدر اعتقادي كان ادلاي  
وظننت في البلوى مناي ولم تكن المنية لي على بال  
ما زلت ابلغ ما اهمُّ به حتى هممتُ بكوكب عال  
ان فات سلوان الحياة فكل الناس بعد مماته سال

الى آخر الابيات واكثرها على هذا النسق من قلة الطلاوة . وليس غزل المعري بقليل  
في شعره ، ولكنه فنياً دون غزل المتنبي او البحتري او ابى تمام - ناهيك بشعراء الحب  
المعروفين . ولا نرى الا ان المعري كان يجري فيه جرياً صناعياً متبعاً فيه طريقة من تقدمه  
في النظم .

(١) تطلى بقار كانه لسواده عرق سائل من ذفاري الابل (الذفاري مؤخر الاذن) وعرق الابل  
اسود . ورب القُدوم اي النجار . نجاة ناقة مربية

ومما يلازم ذكر المطايا والحبيب ذكر السيف والرمح والدرع ، وله في ذلك اقوال كثيرة تدل على مهارته اللغوية في الوصف كقوله

وكلُّ ابيض هنديّ به شُطْبٌ      مثل التكرُّس في جار بمنحدر  
تفايرت فيه ارواح تموت به      من الضراغم والفرسان والجُرُر  
روض المتايا على ان الدماء به      وان تخالفن ابدال من الزهر  
ماكنت احسب جفنًا قبل مسكنه      في الجفن يطوى على نار ولا نهر  
ولا ظننت صغار النمل يمكنها      مشي على اللج او سعي على السعر

ومما يبرز في شعره ذكر الضواري والطيور ، فهو كثير التمثيل بالذئب والضبع والاسد والارتم والقطا والحمام والنعام والنسر والوعل والغراب

ومثل ذلك كثرة ذكره للنجوم والافلاك والصبح والظلام، ونجوتى. منه بما يلي وهو من قصيدته « ارى العنقاء تكبر ان تصادا »

لي الشرف الذي يطاء الثريا      مع الفضل الذي بهر العبادا  
ولو ملاً السهمى عينيه مني      ابر على مدى زحل وزادا  
وقد اثبت رجلي في ركاب      جعلت من الزماع له بدادا  
اذا اوطنها قدمي سهيل      فلا سقيت خنصرة العهادا<sup>(١)</sup>  
كان ظاهن بنات نعش      يردن اذا وردن بنا الثادا

• • •

ومما يلاحظ في شعر المعري عموماً كثرة استشهاده بالحوادث الماضية ورجالها . في الجزء الثاني من سقط الزند مثلاً نحو ثلاثين شاهداً من هذا القبيل<sup>(٢)</sup>

وفي هذا الطور من شعر المعري زاه شديد الشعور باهمية نفسه كثير التفاخر بها ، يستلذ مدح المادحين ويؤلم حسد الحساد

(١) خنصرة محل بالشام

(٢) راجع من ذلك الصفحات التالية ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٩٩ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩

١٣٩ ، ١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥

كقوله -

تعاطوا مكاني وقد فُتِّهم فما ادركوا غير لمح البصر  
وقد نبهوني وما هجتهم كما نبه الكلب ضوء القمر

لسان المعري  
وله كثير من الشعر الفخري ، وهو بذلك غير المعري في اللزوميات حيث تعدى طور  
الشباب وانضجه اختبار الدنيا ، فازم التواضع والترهد وصار يتعد عن السخائف والظواهر<sup>(١)</sup>  
أما أسلوبه فيكثر فيه الغريب من الالفاظ وغير المألوف من المصطلحات ، وهو كثير  
الولع بانواع البدع والمجاز ولا سيما الجناس والتمثيل وسرى ذلك في كلامنا عن لزومياته  
...  
زاهد يتعد عن السفر المطهر

وإذا نظرنا الى الرجل نفسه فأننا نراه في سقط الزند متمسكاً بعقائد دينه كسائر  
اهل زمانه . وإذا كنت تلمح فيه شيئاً من روح الشك والتأمل الفلسفي كقوله في مرثاة  
والده -

طلبت يقيناً يا جهينته عنهم ولن تخبريني يا جهين سوى الظن  
فان تمهيديني لا ازال مسائلًا فاني لم اعط الصحيح فاستغني

فذلك ضئيل جداً لا يكاد يظهر ازا. ما يظهر فيه من روح الاسلام والتعصب له  
والدود عن تعاليمه . وقد كان قبل سفره الى بغداد وقبل عزله يناضل عن وجود الله  
وحدوث الكون والبعث ، وكلامه في ذلك ثابت صريح ، كقوله يرد على الدهريين  
القائلين ان العالم قديم وانه لا بعث ولا حساب

ضلّ الذي قال البلادُ قديمةً بالطبع كانت والانام كتبها  
وامامنا يوم تقوم هجوده من بعد إبلا. العظام ورفتها  
وعلى كلّ فان التأمل والتشكيك ليسا الطابعين اللذين طبع بهما شعره قبل رجوعه  
من بغداد

.....

بقي علينا هنا ان نذكر درعياته وهي قصائد في وصف الدرع يصفها على لسان رجل

(١) راجع فخره في الجزء الاول ٨٧ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٥٧ ، ١٨٢ . ومقابلة لذلك راجع من  
أمثلة تواضعه في اللزوميات ٢ - ١٥ و ٢٢٢ و ٢٢٧ و ج ١ - ٩٣ و ٩٧ و ١٠٠

اسن فترك لبسها او على لسان رجل دهنها ، وقد يصفها على لسان درع تخاطب سيفاً ، او رجل يبيع درعاً ، او رجل خانه آخر في درع ، او فارس سأل عن درع ابيه الى غير ذلك مما لا علاقة له بموضوعه الخاص

وان الذي يطالع هذه الدرعات يعجب من رجل كاي العلاء ينصرف الى موضوع كهذا الموضوع ، فيبدل جهده ويكد نفسه في اوصاف ومجازات وعبارات لا طائل تحتها ، وليس لها اقل علاقة بنفسه او حياته . ولا يسعنا ان نقول فيها الا انها في الارجح اداة استعمالها لاظهار مقدرته اللغوية

### اللزومات بعد الصلاة .

ينفرد هذا الديوان بزييتين - خالوه من ابواب الشعر المطروقة ( المديح والثناء والفخر وما اليها ) - وانصراف ناظمه الى نقد الحياة . وقد نظم كله ، كما عرفنا سابقاً ، بعد رجوع المعري من بغداد ولزومه منزله في المعرة ، ولذا فهو يمثل لنا نضج القوة الشعرية في الشاعر ونظراته الفلسفية في الكون وال عمران . على انه مع ذلك قلما يختلف من حيث الصناعة عن شعره السابق ، فانك ترى الشاعر هنا - في هذا الجو الفكري الانتقادي - شديد الكلف بالصناعة وقد قيد نفسه تقييداً شديداً بلزوم ما لا يلزم ، فاضطر الى كثير من القوافي الغريبة والالفاظ الغامضة . ولقد يستغرب الذي يطالع ديوانه من جمعه بين النقيضين : حيناً تراه يتجنب كد النفس ويسلس للعاطفة القيادة فيأتي شعره من الطبقة الاولى متانةً وعذوبة كقوله

يرتجي الناس ان يقوم امام ناطق في الكتيبة الخرساء  
كذب الظن لا امام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

وقوله

قالوا فلان جيد لصديقه لا يكذبوا ما في البرية جيد  
فاميرهم نال الامارة بالحناء وتقيهم بصلاته متصيد

وقوله

يا محبي عليك مني سلام سوف امضي وينجز الموعود  
ايرجون ان اعود اليهم لا ترجوا فانني لا اعود

ولجسي الى التراب هبوط ولروحني الى الهواء صعود  
وعلى حالها تدوم الليالي فنحوس<sup>١</sup> لمعشر وسعود

وهذا الضرب من شعره كثير . ومنه ما لا يجاريه فيه الا القليلون كقوله  
رويدك قد غررت وانت حر<sup>٢</sup> بصاحب حيلة يعظ النساء  
يجرم فيكم الصهباء صباحاً وبشرها على عمد مساء  
يقول لكم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء  
اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة اساء  
وقوله

يسوسون الامور بغير عقل فينفذ امرهم . ويقال ساسه  
فاف<sup>٣</sup> من الحياة واف<sup>٤</sup> مني ومن زمن رئاسته خساسة

وحيناً يهيم في اودية الغرائب اللفظية فيتعسف<sup>٥</sup> وياتيك بالمكدر المتكلف كقوله  
ترى الهم لا شيء سوى الاكل هم<sup>٦</sup> له جسد ما استطاع حرّاً ولا برداً  
يقول العصا مستقل الطمر بعدما علا فرساً واجتاب ماذية<sup>٧</sup> سرداً  
ولا تترك الايام مردى<sup>٨</sup> لطبية من الأدم تختار الكباب ولا المرذا  
ولم يلب منها فارد القمر مخلصاً وقد بلغت احدائها القمر الفرد<sup>(١)</sup>

وقوله

لعمري ابيك ما خالي بخال لشانه ولا شهدي بهف<sup>٩</sup>  
فان أعطى القليل يكن هنيئاً يحيي<sup>١٠</sup> المستبيح بغير شف<sup>١١</sup>  
اذا ورد الفقير على احتياجي اغثت لهيفه بالمستدف<sup>١٢</sup>  
ولو كان الكثير لقل<sup>١٣</sup> عندي واهون بالظيف المستطف<sup>(٢)</sup>

وقوله

فقد لاحت مخايل صادقات تروق العين باللمع الولا

(١) إجم الشيخ الهرم . الطمر الثوب البالي . الماذية السرد الدرع . مردى مهلك . الكباب والمراد

عثر الاراك . فارد القمر الحمار في بطنه يياض

(٢) المستدف القليل . والمستطف المستطف



فمن لك بالغريريات سارت باشباهِ نَسَبِ الى عِلاف  
 واذا علمت ان الولا ف هو البرق اللامع لمعتين وان علاف اسم رجل من قِطاعة تنسب  
 اليه الرجال ، علمت ما جناه عليه تقيده ، ولاسيا في قوله اشباه نَسَبِ الى علاف  
 ومن هذا القبيل قوله

فامنح ضعيفك ان عراك ولو نزرأ ولا تصرفه بالكهر  
 وارفع له شقراء رَمَحَ في دهما مثل تارن المهر  
 اي امنح الضعيف ولا تصرفه بوجه عبوس وارفع له ناراً تتأجج في الظلام

وقوله

غَبَقْنَا الْأَذَى وَالْجَاشِرِيَّةُ هَمْنَا      ونادى ظلام لا سبيل الى الجشتر  
 انكتب سطرأ ليس فيه تخوف      لربك ما اولى بنائك بالاشتر  
 وان بُتكت عشر فمن بعد ما جنت      بكل فسيطِ قصاً أكثر من عشر<sup>(١)</sup>

وقوله

كبرت فاصبحت للراشدين      كبرت يعدُّ هدي دليلاً  
 كبرت فما زال هذا الزمان      كبرت يجذّ قليلاً قليلاً

واذا تأملت هذين البيتين لا تجد فيهما الا تكلفه الجناس بين كبرت الفعل وكبرت  
 الجار والمجرور ( اي كدليل ) في البيت الاول ، وبين الفعل ايضاً ولفظة برت (بمعنى الغاس)  
 في البيت الثاني

وامثال هذا الكلام المصنوع كثير جداً في شعر شاعرنا، فلا جرم اذا جاء القم الوافر  
 منه صعباً مبهماً حتى على اهل الادب . واذا اردنا التدقيق في اسباب صعوبته وابهامه  
 وجدناها ترجع الى ما يلي -

- ١ - شغفه في المحسنات البيانية ولاسيا في الجناس والطباق والتورية
- ٢ - كثرة الاشارات الى الحوادث التاريخية والى رجال التاريخ - المشهور منهم

وغير المشهور

(١) النبوq الشرب مساء والجاشرية شرب السحر . الاشر القطع . بتكت اي قطعت . فسيط  
 قلامة ظفر .

٣ - استعماله لا وابد الكلام وشواذه

٤ - اضطرابه الى القوافي العربية لزمه ما لا يلزم

فاذا اضفت الى ذلك ما في مواضعه الفلسفية الاخلاقية من معان مجردة هي بطبيعتها صعبة المتناول ، علمت السر في هذا الابهام العام في معانيه .

ولا تذهب الى ما ذهب اليه بعض اعلام الباحثين من ان المعري كان يقصد ذلك ليخفي اغراضه<sup>(١)</sup> عن العامة . فان شاعرنا كان صريحاً ، وله في لزومياته كثير من النقد المر الذي بلغت به الصراحة ابعد مدى كبعض ما ذكرناه له آنفاً ، وكقوله

افيقوا افيقوا يا غواة فاننا دياناتكم مكر من القدماء  
او قوله

قد حجب النور والضياء وانما ديننا رياء  
يا عالم السود ما علمنا ان مصايك اتقيا.

وقوله

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مزلله  
اثنان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

وقوله

في البدو خراب اذواد مسومة وفي الجوامع والاسواق خراب  
فهؤلاء تسموا بالعدول او التجار واسم اولاك القوم اعراب

وقوله

ملّ المقام فكم اعاشر امة امرت بغير صلاحها امرؤها  
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقس على ذلك مئات الابيات في ديوانه

ويمتاز المعري في لزومياته بدقة تشابيهه وروعة حكمه : اما دقة التشبيه فيه فنتيج الخيال وحسن التعبير عن النفس ، واما الحكم فلما في طبعه من صدق التأمل في الحياة

(١) راجع ذكرى ابي العلاء للدكتور طه حسين ص ٢٦٧

والموت . ويختلف عن المتنبى ان حكم المتنبى ناشئة عن نفس رجل خاض غمرات الحياة سعيًا وراها ، اما حكم المعري فناشئة عن نفس حكيم مفكر عرف الحياة فزهدها . وليس من الانصاف ان نقرنه من هذا القبيل بابي العتاهية ، فان للمعري من دقة التأمل وصدق التضحية ومعرفة الكون ما لا نراه لشاعر القبور والنشور : كان ابو العتاهية واعظ الموت ، والمتنبى خطيب الحياة ، اما المعري فحكيم الموت والحياة

### المواقف الشعرية في اللزومات

تتناول اللزومات منشأ الانسان ومصيره وما بينهما . وللشاعر فيها موقفان رئيسيان (١) تجاه الغيبيات ( الله والبعث والحساب ) . (٢) تجاه الانسان والطبيعة . واليك بيان ذلك -

### الغيبات

هنا نرى موقفه مضطرباً ، ولكن اضطرابه اضطراب مؤمن يحاول ان يجمع بين العقل والنقل ، فيقع في شيء من الارتباك . ومن الخطأ ان نحكم عليه من شعره بالوجود فان الشواهد فيه على ايمانه بالله وبشكل من اشكال الخلود كثيرة ، بل هي اكثر من اضدادها . ويتضح ذلك من الامثلة التالية

قال مستهزئاً بالتنجيم ومثبتاً قوة الله

متى ينزل الامر السامري لا يُفقد  
سوى شبح رمح الكمي المناجد  
وان لحق الاسلام خطب يعضه  
فما وجدت مثلاً له نفس واجد  
اذا عظموا كيوان عظمت واحداً  
يكون له كيوان اول ساجد

وقال

والله حتى وابن آدم جاهل  
من شأنه التفريط والتجكذب

وقال

الله لا ريب فيه وهو محتجب  
بادر وكل الى طبع له جذبا

وقال

فَلَكُ بِدورِ بِحكمةٍ وله بلا ربِّ مديرِ

وقال

اما الحياة فلا ارجو نوافلها لكنني لاهي خائف راجي  
ربِّ السماءِ وربِّ الشمسِ طالعةً وكلُّ أزهرٍ في الظلِّماءِ خرَّاجِ

وفي الحشر يقول -

اذا كنت من فرط السفاه معطلًا فيا جاحدُ اشهدُ انني غير جاحد  
اخاف من الله العقوبة آجالًا وازعم ان الامر في يد واحد

ويقول

إن ادخل النار في خالق يحمل عني مثقلات العذاب  
يقدر ان يسكنني روضة فيها ترمى بالمياه العذاب

ومن ذلك هذان البيتان المشهوران

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشرُ الاجساد قلت اليكما  
ان صح قولكما فليست بنادم او صح قولي فالحسار عليكما

وبلي هذين البيتين خمسة ابيات كلها على هذا النمط

وله مثل ذلك قصيدة مطلعها

عجبي للطبيب يلحد في الخالق من درسه التشرىحا

وليس الذي ذكرناه الا تراءى مما في اثناء الديوان من هذه المعاني الايمانية . ولكن شاعرنا  
في هذا الموقف كما قلنا مضطرب متحير - تراه آونةً مؤمناً صريح الايمان - ثم تراه وقد  
غشيتة الشكوك والاهام . فهو بين مد وجزر لا يستقر على حال واحدة

ومن شكِّه هذه الامثلة القليلة ، وهي قلُّ من كثير

اما الجسوم فللتراب ما لها وعييتُ بالارواح اني تسلك

...

دفنَّاهم في الارض دفن تيقن . ولا علم بالارواح غير ظنون

ورومُ الفتى ما قد طوى الله علمه يعدُّ جنوناً او شبيه جنون

...

قد قيل ان الروح تأسف بعدما تنأى عن الجسد الذي غنيت به  
ان كان يصحبها الحجا فلعلها تدري وتأبه للزمان وغيبه  
اولا فكم هذيان قوم غابر في الكتب ضاع مداده في كتبه

...

تقدم الناس فيا شوقنا الى اتباع الاهل والاصدقاء  
ما اطيب الموت لشرابه ان صح للاموات وشك التقاء

...

اما اليقين فلا يقين وانما اقصى اجتهادي ان اظن واحدا

...

اما القيامة فالتنازع شائع فيها وما تخيئها اصحار

ومما يكاد يكون انكاراً قوله

قلتم لنا خالق حكيم قلنا صدقتم كذا نقول  
زعمتموه بلا مكان ولا زمان الا فقولوا  
هذا كلام فيه خبي معناه ليست لنا عقول

وقوله

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان ييكونوا  
يخطئنا صرف الزمان كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله

خذ المرأة واستنجد نجوماً تيرت بطعم الأري المشور  
تدل على الحياة بلا ارتياب ولكن لا تدل على النشور

على اننا اذا دققنا في هذه الحيرة وهذا التناقض ، وراجعنا كل ما قاله المعري بهذا  
الصدد ، ثم عارضناه بسيرته واقوال الناس فيه ، ترجح لدينا ان شاعرنا لم ينقطع عن  
الايان بالله وبالأخرة . ولكن صورة الله في نفسه لم تكن صورته في نفس المؤمن العادي .  
وانما كان نظره الى ما وراء الطبيعة نظرياً « لا ادرياً » متأثراً بالاسلام

## الطبيعة والحياة البشريّة

ويتلخص ذلك بما يلي :

الاديان ورؤساؤها - الشعب وزعمائه - الانسان وطبيعته ومصيره  
وفي كل ذلك تراه ثابت النظر مستقرّ الراي مقتنعاً بصحة ما يقول ، والى القارى .  
زبدة هذه النظريات

## الارباب

اذا قوبل الاسلام بسائر الاديان فهو عند المعري مفضل على الجميع . وانك لترى المعري  
في بعض مواقفه يتعرض للجدل ، فيهاجم اليهود والنصارى والفرق الاسلامية المختلفة  
( كالمعتزلة والمرجئة وبعض الشيعة والصوفية ) ، وله فيها اشعار كثيرة لا يتسع لها المقام<sup>(١)</sup>  
ومع كل ذلك فله في الدين نظر عام يشمل كل الاديان على السواء . وهو يتناول الدين  
من وجهتين (١) العقائد والفروض او هيكل الدين و(٢) الفضائل والاعمال او روح الدين .  
اما الاولى فيحمل عليها حملة شعواء فيحذر الناس من السنن والمذاهب ، ويزعم ان الدين  
من هذه الوجهة اداة يستعملها الرؤساء . لجذب الدنيا اليهم

انما هذه المذاهب اسباب لجذب الدنيا الى الرؤساء

واقواله في ذلك لا تحصى فنكتفي بالإشارة اليها والى ما ذكر منها في غير هذا المقام  
واما الوجهة الثانية فهي الدين الحق عنده . وعلى قدر استهزائه بخرافات الاقدمين  
واوهامهم المذهبية ترى تعظيمه للروح الدينية التي يراد بها التزه عن الجشع والظلم  
والشهوات ، وبذلك يشارك المصلحين الروحانيين في كل مكان وزمان . ومن اقواله في هذا  
الباب .

الدين هجر الفتى لذات عن يسر في صحّة واقترار منه ما عمرا

...

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد

(١) راجع من ذلك الزوميات ١ - ١٣٩ و ٢ - ١٧٢

وانا هو ترك الشر مطرحاً ونفضك الصدر من غل ومن حسد

...

الدين انصافك الاقوام كلهم واي دين لآتي الحق ان وجبا

فالدين عنده ترك الشر وانصاف الجميع ، ولا دين لمن يرفض الحق . وقد كرر هذا  
المعنى كثيراً في لزومياته ، ونجتهى. هنا بقوله التهكمي فيه

توهمت يا مغرور انك دين علي بين الله ما لك دين  
تسير الى البيت الحرام تنتكأ ويشكوك جار بانس وخذين

وقوله

سبيح وصل وطف بمكة زائراً سبعين لا سبياً فلتست بناسك  
جهل الديانة من اذا عرضت له اطاعه لم يلف بالمناكسك

### الشعب وزعماءه

ولا يختلف نظره هنا عن نظره الى الدين ورؤسائه ، فهو يهاجم الامراء والحكام  
واصحاب الزعامة السياسية متهاً ايهم بالجهل والحشع والاستبداد  
فشان ملوكهم عزف وتزف واصحاب الامور جباة خرج

...

ملء المقام فكم اعاشر امة امرت بغير صلاحها امرؤها  
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

...

ساس الانام شياطين مسأطة في كل مصر من الوالين شيطان  
متى يقوم امام يستفيد لنا فتعرف العدل اجبال وغيطان

ومع اشفاقه على الشعب لا يرى فيه غير الفساد العام كقوله

قد فاضت الدنيا بادناسها على براياها واجناسها  
وكل حي فوقها ظالم وما بها اظلم من ناسها

...

كلنا غادرٌ يبيل الى الظلم وصفو الايام للتمكير  
ورجال الانام مثل الفواني غير فرق التأنيث والتذكير

...

عشٌ بجيلاً كأهل عصرك هذا وتباله فان دهرك أبسه  
قومٌ سوء فالثيلُ منهم يقول الليثُ فرساً والليث يأكل يشبهه

وقس على هذا القول كثيراً من الامثلة التي تعكس لنا بيئته او نظره الاسود الى اهل  
زمانه عموماً ، لا فرق في ذلك بين حاكم ومحكوم او غني وفقير

هم السباع اذا عتت فرائسها وان دعوت خيبر حوالت حمرها

وكما انه يهاجم الرجال فينتهم بالرجس والعدو واللوم كذلك يهاجم النساء فينتهن  
بالضعف والرياء والخبائث والمكر ، ولا يرى لمن الا الاحتجاب التام والتزام المنزل  
والانصراف الى شؤونه . وانك لتري سوء ظنه بهن اذ يقول

فوارسُ فتنمة اعلامُ غيية لقينك بالأساور معلبات  
ودفنٌ - والحوادثُ فاجعات - لاحداهن إحدى المكرمات

وهذان البيتان من قصيدة تنيف على التسمين بيتاً في كل بيت منها ذم للمرأة وتحقير  
من شأنها ، ومثلها في اللزوميات كثير . ولا ندري الذي حمل المعري على الازدراء بالمرأة  
ووصفها بكل الشوائب ، ولكنه ولا شك جاري عصره ، بل تقادى في هذه الآراء السقيمة  
الى الحد الاقصى - على انه عطف على الوالدات واوصى بهن خيراً

### الطبيعة البشرية

اما الطبيعة البشرية ففسادة عنده لا امل باصلاحها ، والانسان مسير بقوتين قوة داخلية  
هي الغريزة الوحشية التي لا يمكن تهذيبها

واللبُّ حاول ان يهذب اهلها فاذا البرية ما لها تهذيب

....

لم يقدر الله تهذيباً لعالمنا فلا ترومن للاقوام تهذيباً



ولا تصدق بما البرهان يبطله فتستفيد من التصديق تكذيباً

...

وجبة الناس الفساد فضلاً من يسمو بحكمته الى تهذيبها

وقوة خارجية هي قضاء جبار يدفع الانسان امامه فلا ارادة له ولا اختيار . لكن كيف نجتمع بين « حكمة الله » كما زها في شعر المعري وبين جبروت القضاء ؟ وكيف نوفق بين القدر والحساب ؟ مسألة فلسفية دقيقة لا نرى الشاعر يوضحها او يهتم بتطبيقها تطبيقاً صحيحاً ، وانما همه من ذلك ان يصف ما يشعر به او يتوهمه ، ولذا لا ينتظر ان يراه هنا مأنس الخواطر مطرد الفكر

ومن هذا القبيل ذكره للعقل والنقل ، فانك تراه يهيب بالناس الى رفض الشرائع تناسباً اليها كل اسباب الفتى والاضطراب كقوله

ان الشرائع القت بيننا احناً وادعتنا افانين العداوات

ولا يرى من هادر غير العقل

كذب الظن لا امام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

...

تستروا بامور في ديانتهم وانما دينهم دين الزناديق  
نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل اولى باكرام وتصديق

...

اذا رجع الحصيف الى حجاه تهاون بالشرائع وازدراها

ولكن اي عقل نتبع واي نقل نرفض ؟ هنا لا بد من الحذر . فالمعري يندفع بتأثير التأمل الفلسفي الى تقديس العقل دون النظر الى عاقبة ذلك التقديس ، وهو بذلك هدأم - ونعم المعول العقل - على شرط ان يستخدمه فيما يفيد ، في تهذيب الشرائع ورفعها الى مستوى الكمال الممكن ، لا في التخلص منها تبعاً لتزعجات الفوضى . والذي يلوح لنا ان المعري لم يكن فوضوياً ، ولم يقصد الهدم المطلق ، بل قصد الاصلاح الاجتماعي . على انه اندفع الى ذلك متأثراً من طبيعته ومن الفساد الذي حوله ، فلم يسلك طريقاً يصح ان نسميها طريق الهداية العملية

وليس من اثر للفوضى في شعره الا حمله على النسل ، ودعوته الناس الى الفناء واقواله  
في ذلك معروفة نذكر منها هذين البيتين

لو ان كل نفوس الناس رائية كراي نفسي تئات عن خزاياها  
وعطّلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

### كلمة ختامية

وهنا لا بد ان نسأل : ما العوامل التي احلّت المعري هذا المحل الرفيع في تاريخ الادب  
العربي وخذلت له هذا الاحترام في نفوس المتأدبين ؟ والجواب على ذلك

١ - صراحته في مهاجمة ما كان يراه فاسداً ✓

٢ - صرفه الشعر الى مواضيع عمرانية اخلاقية لم يسبق اليها ✓

٣ - تطبيقه الحكمة على نفسه واظهاره مبادءها في حياته ✓

٤ - زهده الحقيقي وترفعه عن اغراض الدنيا ✓

نعم قد يؤخذ عليه بعض شذوذه الفكري الذي حمله احياناً الى اقاصي التطرف وجعله  
هداماً لا يحسن البناء ، وتحرجه اللغوي الذي دفعه مراراً الى ركوب اخشن المراكب توصلاً  
الى معانيه . على ان المعري برغم ذلك الشذوذ وذلك التحرج هو تلك الشخصية التي  
تجمع بين الاخلاص والشدة - الاخلاص في خدمة الحقيقة كما تتراوى له ، والشدة في مهاجمة  
اهل الفساد . وهو بذلك يختلف عن سائر الشعراء الذين لمعوا في تاريخ الادب العربي  
اذ ليس لاحدهم معها تسامت مكانته الفنية ما للمعري من النظر الى الحياة التي تعيج حوله  
ومحاولة نقدها . كان الشعراء قبله لا يرون في الحياة الا انفسهم ولا يرون في الادب الا  
ما يوصل الى اغراضهم ، فجاء المعري ينظر الى البيئة التي تحويه محاولاً رفعها واصلاح شؤونها .  
على انه لم ير فيها غير اوجه الفساد والظلام ولم ينتبه - الى مجالي الجمال التي تزين وجه الطبيعة  
والحياة - فجاء شعره قائم اللون كأنما هو مصباح تنفذ اشعته الينا من وراء زجاجة سوداء .

## المختار من شعر المعري

قارب في خضم مضطرب تتقاذفه الرياح وتترامى به الامواج - ذلك هو المعري  
في نظره الى الحياة  
ظلمات من كل جانب ، وعقل مفكر يحاول ان يرى من ورائها ما لا يرى ، فيرتد  
خائباً نافقاً على الدهر وجوده ، ناعياً على الحياة مسرّاتاً ، مهيباً بالناس : الى الفناء الى الفناء ،  
فما الوجود الا شقاء في شقاء .

### نخبة من سقط الزند

#### ١ - في المرابي

قال في صباه يرثي والده

نعمت الرضا حتى على ضاحك المزن      فلا جادني الا عبوس من الدجن  
فليت في ان شام سني تبسني      فم الطعنة النجلاء تدمي بلا سن  
كأن ثناياه اوانس يبتغي      لها حسن ذكر بالصيانة والسجن<sup>(١)</sup>

...

ابي حكمت فيه الليالي ولم تزل      رماح المنايا قادرات على الطعن  
مضى طاهر الجمان والنفس والكربي      وسهد المنى والحبيب والذليل والرذن  
فيا ليت شعري هل يخف وقاره      اذا صار أحد في القيامة كالعمن  
وهل يرد الحوض الروي مبادراً      مع الناس ام يأبى الزحام فيستانى

(١) كرهت الرضا حتى على السحاب المتألق . فسوف يبقى في مطبقاً كأن اسنانه نساء مصونات  
في خدورهن

حجاً زاده من جرأة وساحة<sup>(١)</sup> وبعض الحجا داع الى البخل والجن<sup>(٢)</sup>

...

على ام دفر غضة الله انها لا جدر أنثى ان تحون وأن تُنحي<sup>(٣)</sup>  
 كهاب دجاها فرعها ونهارها محياً لها قامت له الشمس بالحسن  
 رآها سليل الطين والشيب شامل لها بالثريا والساكين والوزن<sup>(٤)</sup>  
 زمان توت وأد حواء بنتها وكم وأدت في إثر حواء من قرن

...

جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذي يراد بنا والعلم لله ذي المن  
 اذا غيب المرء استمر حديثه ولم تجر الافكار عنه بما يعني  
 تصل العقول الهزليات رشدها ولم يسلم الرأي القوي من الأفن<sup>(٥)</sup>  
 وما قارنت شخصاً من الخلق ساعة من الدهر الا وهي افتك من قرن  
 وجدنا اذى الدنيا لذيداً كأنما جنى النحل اصناف الشقاء الذي لنجني  
 فما رغبت في الموت كدر مسيرها الى الورد خمس ثم يشربن من أجن<sup>(٥)</sup>  
 يصادفن صقراً كل يوم وليلة ويلقن شراً من مخالبه الحجن  
 وخوف الردى آوى الى الكهف اهله وكلف نوحاً وابنه عمل السفن<sup>(٦)</sup>  
 وما استعذبت روح موسى وآدم وقد وعدا من بعده جنتي عدن

...

أمولى القوافي كم اراك انقيادها لك الفصحاء العرب كالجمم اللكن  
 هنيئاً لك البيت الجديد مؤسداً بينك فيه بالسعادة واليمن

(١) في هذا البيت وما قبله يصف اياه بالوقار ويقول: هل ينفع وقاره يوم القيامة (يوم يصبح جبل احد كالقطن) وهل يتسارع مع الناس ويزاحمهم الى الخوض. ان عقله قد زاده جرأة وساحة في حين ان العقل يدعو اصحابه الى الخذر الشديد.

(٢) ام دفر كناية عن الدنيا. وتُنحي تحلك

(٣) شبه الدنيا بالحسناء في قلة الوفاء وقال اخا قديمة رآها آدم وهي شائبة وعلامات شيبها هدم

النجوم - الثريا والساكان والوزن

(٤) الهزليات القوية. والافن النقص والضعف

(٥) فما رغبت في الموت قضا تسير خمسة ايام حتى تصل الماء فتشربه فاسداً آناً

(٦) قصة اصحاب الكهف وقصة نوح معروفان

بحاورٍ سَكَنَ في ديارٍ بعيدةٍ من الحمي سقياً للديار وللسكن  
 x طلبتُ يقيناً من جهينةٍ عنهم ولن تحزبيني يا جهينُ سوى الظن  
 > فان تعهديني لا ازال مسائلًا فاني لم أعطَ الصحيح فاستغني

• • •

أمرٌ بربع كنتَ فيه كأننا امر من الاكرام بالبحر والرُكن<sup>(١)</sup>  
 وما اكثرَ المثني عليكَ ديانةً لو انَّ رحاماً كان يثنيه من بُثني  
 يوافيك من رب العلا الصدق بالرضا بشيراً وتلقاك الامانة بالأم  
 فيا قبرٍ وامر من ترابك لينا عليه وآمر من جنادلك الحشن  
 لاطبقتَ اطباقَ التجارة فاحتفظ بلؤلؤة المجد الحقيقة بالخزن<sup>(٢)</sup>  
 سابكي اذا غنى ابنُ ورقاء بهجةً وان كان ما يعنيه ضدَّ الذي اعني  
 ونادبة في مسمعي كل قينة تغرد باللحن البري عن اللحن<sup>(٣)</sup>  
 واحمل فيك الحزن حياً فان امت وألقك لم اسلك طريقاً الى الحزن  
 وبعذك لا يهوى الغواد مسرةً وان خان في وصل السرور فلا يهني

### دالمة المشورة

يرثي صديقاً له من الفقهاء

x غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوحُ بالكِ ولا ترثمُ شادٍ  
 وشبيهه صوتُ النعي اذا قيس بصوت البشير في كل ناد  
 أبكتُ تلکم الحمامة ام غنتُ على فرع غصنها المياد  
 صاح هذي قبورنا تملأ الرحبَ فاين القبور من عهد عاد  
 خفت الوطء ما أظن اديم ال ارض إلا من هذه الاجساد

(١) الحجر ما حول الحطيم في مكة . والركن ركن البيت الحرام

(٢) انك ايجا القبر كالصدفة وهو فيك كاللؤلؤة

(٣) اللحن الخالي من الخطأ

وقبيحٌ بنا وان قدم العهد هوان الآباء والاجداد  
 سر ان اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد  
 ربّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحك من تراحم الاضداد  
 ودفين على بقايا دفين في طويل الازمان والآباد  
 فاسأل الفرقدين عن احسأ من قبيل وآسا من بلاد<sup>(١)</sup>  
 كم اقاما على زوال نهار وانارا لمدلج في سواد  
 تمبٌ كلُّها الحياة فما اعجبُ الا من راغب في ازدياد  
 إن حزنأ في ساعة الموت اضعا فُ سرور في ساعة الميلاد  
 خلقَ الناس للبقاء فضلتُ أمةٌ يحسبونهم للنفاد  
 إنما ينقلون من دارِ أعمالٍ الى دارِ شقوةٍ او رشاد  
 ضجعة الموت رقدةٌ يستريح الجلم فيها والعيشُ مثل السهاد

...

أبناتٍ الهديل أسعدنَ اورعدنَ نَ قليل العزاء بالإسعاد  
 إليه لله درككنَ فانتنُ اللواتي تحسنَ حفظَ الوداد  
 ما نسيتنَ هالكأ في الاوان الخال اودي من قبل هلك إياد<sup>(٢)</sup>  
 بيدَ أني لا ارتضي ما فعلتنَ واطواقكنَ في الاجياد  
 قلسأبنَ واستعرنَ جميعاً من قيص الدجى ثياب حداد  
 ثم غردنَ في المآتم وأندينَ بشجو مع الغواني الخراد

...

قصد الدهرُ من ابي حمزة الأوأ ب مولى حجى وخذن اقتصاد<sup>(٣)</sup>  
 وفقهياً افكاره شدنَ للنعمان ما لم يشده شعر زياد<sup>(٤)</sup>

(١) فاسأل هذين الكوكبين عما عرفاه وشهداه من احوال الناس

(٢) اشارة الى ان الهام لا ترال تبكي على هديلها الذي هلك قديماً

(٣) ابو حمزة اسم الفقيه المرثي . قصد الدهر منه رجلاً صالحاً عاقلاً

(٤) في لفظة نعمان هنا تورية فالنعمان ملك الخيرة، والنعمان الامام ابو حنيفة وهو المراد . وزياد

هو النابتة المشهور وكان شاعر ملك الخيرة

فالعراقيُّ بعده للحجازي قليل الخلاف سهل القيادة  
انفق العمر ناسكاً يطلب العلم بكشف عن أصله وانتقاد  
ذا بنان لا تلمس الذهب الأحمر زهداً في المسجد المستفاد

...

ودعاً أيها الحفيان ذلك الشخص أن الوداع أيسر زاد  
وإسلامه بالدمع إن كان طهراً وادفناه بين الحشى والفؤاد  
وأحبوا الأكلان من ورق المصحف كبيراً عن انفس الأبراد  
وأتلوا النعش بالقراءة والتسبيح لا بالنجيب والتعداد  
أسف غير نافع واجتهاد لا يؤدي إلى غناء اجتهاد  
طالما أخرج الحزين جوى الحزن إلى غير لائق بالسداد  
مثلاً فاتت الصلاة سليماً ن فأنحى على رقاب الجياد  
وهو من سُجرت له الألس والجُنُّ بما صحَّ من شهادة صاد<sup>(١)</sup>

...

كيف أصبحت في محلِّك بعدي يا جديراً مني بحسن افتقاد  
قد أقرَّ الطيب عنك بعجز وتقضى تردد العواد  
وانتهى اليأس منك واستشعر الوجدان لا معاد حتى المعاد  
هجد الساهرون حواك للتمريض ويح لأعين الهجاء  
كنت خل الصبا فلما أراد البين وافقت رأيه في المراد<sup>(٢)</sup>  
ورأيت الوفاء للصاحب الأول من شيممة الكريم الجواد  
وخلعت الشباب غصاً فيا ليتك ابليت مع الانداد  
فأذهبها خير ذاهبين حقيقين بسقيا روائح وغواد  
ومراث لو أنهم دموع لمحون السطور في الانشاد

...

(١) إن الحزن قد يخرج الإنسان عن صوابه كما فعل سليمان من ضرب الخيل لما عرضت عليه  
فاشتغل بها حتى فاتته الصلاة. وهو الذي شهد له في سورة صاد إذ قيل - فسخرنا له الريح تجري  
بأمره - الآية

(٢) الضمير في أراد راجع إلى الصبا

زحلُ اشرف الكواكب داراً من لقاء الردى على ميعاد  
ولنار المريخ من حدثان الدهر مطفئ وان علت في اتقاد  
والثريا رهينة بافتراق الشمل حتى تُعدَّ في الافراد  
كل بيت للهدم ما تبني الورق قاه والسيد الرفيع العباد  
بان امر الاله واختلف الناس فداع الى ضلال وهاد  
والفتى ظاعنٌ ويكفيه ظلُّ السدرِ ضرب الاطناب والاوْتاد<sup>(١)</sup>  
بان امر الاله واختلف الناس فداع الى ضلال وهاد  
والذي حارت البرية فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جماد  
والليب اللبيب من ليس يعترُّ بكونه مصيره للفساد.

### قصيدة الحكمية

في رثاء جعفر بن علي بن المهذب

احسنُ بالواجد من وجدته صبرٌ يعيد النار في زنده  
ومن ابى في الرزء غير الاسى كان بكاه منتهى جهده  
فليذرف الجفنُ على جعفرِ اذ كان لم يُفتح على نده  
والشيء لا يكثر مدأحه الا اذا قيس الى ضده  
لولا غضى نجدٍ وقلامه لم يُثنَّ بالطيب على رنده<sup>(٢)</sup>  
ليس الذي يُبكي على وصله مثل الذي يبكي على صده  
كان الاسى فرضاً لو ان الردى قال لنا افدوه فلم نَفده  
هل هو الا طالعٌ للهدى سار من التراب الى سعده

...

يا دهرُ يا منجزاً إبعاده ومخلفَ المأمول من وعده

(١) والانسان راحل يقنيه ظل السدر عن ان يبني الخيام - اي انه قليل الاقامة في الدنيا فيجب  
لان لا يحمى جا . والسدر شجر النبق  
(٢) اي ان الرند خص بالثناء لمقابله بسائر الاشجار التي لا طيب لها



ايُّ جديدٍ لك لم تُبَلِّهْ      وايُّ أقرانك لم تُردِّهْ  
 تستأثر العقبان في جوثها      وتُنزل الاعصم من فِنده<sup>(١)</sup>  
 ارى ذوي الفضل واضدادهم      يجمعهم سيلك في مده  
 ان لم يكن رشد الفتى نافعاً      ففقيه انفع من رشه  
 تجربة الدنيا وفعالها      حثت ابا الزهد على زهده  
 والقلب من اهوائه عابداً      ما يعبد الكافر من بده<sup>(٢)</sup>  
 إن زماني برزايه لي      صيرني امرح في رده<sup>(٣)</sup>  
 كأننا في كفيه ماله      ينفق ما يختار من نقده  
 لو عرف الانسان مقداره      لم يفخر المولى على عبده  
 امس الذي مر على قربه      يعجز اهل الارض عن رده  
 اضحى الذي أُجل في سته      مثل الذي عوجل في مهده  
 والواحد المفرد في حفته      كالخاشد المكث من حشده  
 وحالة الباكي لأبائه      كحالة الباكي على ولده

...

ما رغبة الحيِّ بابنائه      عما جنى الموت على جدّه<sup>(٤)</sup> ؟  
 ومجده افعاله لا الذي      من قبله كان ولا بعده  
 لولا سجايه واخلاقه      لكان كالمعدوم في وجده  
 تشتاق آيار نفوس الوري      وانما الشوق الى ورده<sup>(٥)</sup>  
 تدعو بطول العمر افواهنا      لمن تناهى القلب في وده  
 يُسرُّ ان مُدَّ بقاء له      وكل ما يكره في مده  
 كم صائنه عن قبلة خده      سلطت الارض على خده

(١) تمهر العقبان في الجو وتترل الوعل من معقله في الجبل

(٢) البد الصم

(٣) اي لكثرة ائتلاف رزايا الدهر وتمزجها عليها صرت لا ابالي بما بل ازداد نشاطاً ومرحاً .

والقد سير يقدر من جلد يوثق به الاسير

(٤) كيف يمتزج الحي بابنائه من الموت وهو الذي فتك باجداده

(٥) كما ان النفوس تشتاق آيار لاجل ورده كذلك الانسان انما هو اخلاقه وسجايه

وحاملٍ ثقل الثرى جیده وكان يشكو الضعف من عقده  
وربَّ ظانَّ الى موردٍ والموت لو يعلم في ورده

...

فيا اخا المقود - في خمسة كالشهب ما سلاك عن فقده<sup>(١)</sup>  
جاءك هذا الحزن مستجدياً اجرك في الصبر فلا تجده  
سالم الى الله فكل الذي ساك او سرَّك من عنده  
لا يعدم الاسمر في غابه حتفاً ولا الابيض في غمده<sup>(٢)</sup>  
ان الذي الوحشة في داره تؤنسه الرحمة في لحده  
لا أوحشت دارك من شمسها ولا خلا غائبك من أسده

### املته من وصفه وفخره

قال متبرماً من بغداد ومتشوقاً الى وطنه

معاني اللوى من شخصك اليوم اطلال وفي النوم معنى من خيالك مجلال<sup>(٣)</sup>  
وابغضت فيك النخل والنخل يانع واعجبتني من حيك الطلح والصال<sup>(٤)</sup>  
حملت من الشامين اطيب جرعة واترها والقوم بالفقر ضلال<sup>(٥)</sup>  
فسقياً لكأس من غير مثل خاتم من الدر لم يهجم بتقبيله خال<sup>(٦)</sup>  
كان الخزامى جمعت لك حلة عليك بها في اللون والطيب سر بال  
اتعلم ذات القرط والسيف اني يشتفني بالزار اغلب رنبال<sup>(٧)</sup>

(١) يعزي اخا الفقيده ويقول ان في اولاده الحمسة ما يسليك عن فقده

(٢) الاسمر الرمح والايض السيف

(٣) يخاطب الحبيبة ويقول ان المنازل منك خالية ولكن خيالك كثير الحلول في عيوننا عند النوم

(٤) وابغضت لاجلك النخل واحييت اشجار البادية لانك بدوية

(٥) اي حملت من الشام والجزيرة اطيب جرعة واقها (اي رضابك)

(٦) الخال هنا الخائل اي المدل بعظم شأنه

(٧) اتعلم هذه الفتاة المتحلية في اذنها بالقرط والسيف ان لي فيها خصماً يتهددني ويزار علي كالاسد

فيا دارها بالحزن إن مزارها  
بكت فكان العقد نادى فريده  
تحلّى النقا درّين دمعاً ولؤلؤاً  
وغثت لنا في دار سايور قينة<sup>(١)</sup>  
فقلت تعني كيف شئت فانما  
غناؤك عندي يا حمامة إعوال  
قريب ولكن دون ذلك أهوال  
هلم لعقد الخلف قلب واخلخال<sup>(٢)</sup>  
وولت أصيلاً وهي كالشمس معطال  
من الورق مطراب الاوائل ميهال<sup>(٣)</sup>  
غناؤك عندي يا حمامة إعوال

...

تجنّيت أن الحمر حلت لنشوة  
فاذهل أني بالعراق على شفى  
مقل من الاهلين يسر واسرة  
طويت الصبا طي السجل وزارني  
متى سألت بغداد عني واهلها  
اذا جن ليلى جن ليبي وزائد<sup>(٤)</sup>  
وماه بلادي كان النجع مشرباً  
فيا وطني ان فاتني بك سابق  
فان استطع في الحشر آتك زائراً  
وكم ماجد في سيف دجلة لم أشم  
من الغر ترأك المهاجر معرض  
سيطلبني رزقي الذي لو طلبته  
اذا صدق الجد افتري العم للفتي

تجنّيتني كيف أطأنت بي الحال  
رزى الاماني لا انيس ولا مال  
كفي حزناً بين مشت واقلال  
زمان له بالشيب حكم وإسجال  
فاني عن اهل العواصم سألت  
خفوق فؤادي كلما خفق الآل<sup>(٥)</sup>  
ولو ان ماء الكرخ صهبا جريال<sup>(٦)</sup>  
من الدهر فلينعم لساكنك البال  
وهيهات لي يوم القيامة اشغال  
له بارقاً والمره كانرن هطال<sup>(٧)</sup>  
عن الجهل قذاف الجواهر مفضال  
لما زاد والدنيا حظوظ واقبال  
مكارم لا تكري وان كذب الخال<sup>(٨)</sup>

- (١) بكت الحبيبة للفراق وقطرت دموعها على قدمها فصار القلب (الاسوار) والاخلخال يتاديان الفريد في العقد هلم تتحالف مع الدموع  
(٢) وغثت لنا في هذا المكان مغنية من الحمام  
(٣) الآل السراب  
(٤) ماء بلادي اطيب ولو ان ماء بغداد كالصهبا  
(٥) سيف دجلة اي شط دجلة . وكم من كريم هناك لم اقصده ولم اطعم في جوده  
(٦) اذا خدم الخط احدًا اخترع له الناس (العم) من المكارم ما ليس في مخايله . وقد تلاعبه  
في جد وعم وخال تلاعباً بياناً ظاهر التكلف

وقال في الشريف موسى بن اسحق محبياً اياه عن قصيدة

عللاني فانَّ بيضَ الاماني فنتت والظلامُ ليس بقاني  
 ان تناسيتما وداذَ أناس فاجعلاني من بعض من تذكران  
 رُبَّ ليلٍ كأنه الصبحُ في الحسنِ وان كان اسود الطيلسان  
 قد ركضنا فيه الى اللهو لما وقفَ النجمُ وقفَةَ الحيران<sup>(١)</sup>  
 كم اردنا ذاك الزمان بدمحٍ فشغلنا بدمٍ هذا الزمان  
 فكأنني ما قلت والبدردُ طفلٌ وشبابُ الظلماءِ في عنفوان  
 ليأتي هذه عروسٌ من الزنجِ فيها قلائدٌ من جمان  
 هربَ النومُ عن جفوني فيها هربَ الامن عن فؤادِ الحبان  
 وكانَ الهلالُ يهوى الثرياَ فهما اللوداعِ معتقان  
 قال صحي في لجّتين من الخندسِ والبيدِ اذ بدا الفرقدان  
 نحن غرقى فكيف ينقذنا نجبان في حومة الدجى غرقان<sup>(٢)</sup>  
 وسهيلٌ كوجنةِ الحبِّ في اللوِّ ن وقلبِ الحبِّ في الخفقان  
 مستبدّاً كأنه الفارسُ المعلمُ يبدو معارضَ الفرسان  
 يسرعُ اللحمُ في احمرارِ كما تسرعُ في اللحمِ مقلّةُ النضبان  
 ضرّجته دماً سيوفِ الاعادي فبكت رحمةً له الشعريان  
 مهردماه وراه وهو في العجزِ كساعٍ ليست له قدمان<sup>(٣)</sup>  
 ثمَّ شاب الدجى وخاف من الحجرِ ففطى المشيبَ بالزّعفران  
 ونضا جفره على نسرهِ الواقعِ سيفاً فهممٌ بالطيران  
 وعلى الدهرِ من دماءِ الشهيدينِ عليه ونجته شاهدان<sup>(٤)</sup>

(١) تكلف المطابقة بين الجري والوقوف فقال كم جرينا فيه الى اللهو والنجم في الليل واقف حائراً (يصف الليل بالطول)

(٢) قال صحي وقد دخلنا في احشاء الظلام والفقر : نحن غرقى فكيف ينقذنا الفرقدان وهم غرقان

(٣) خلف سهيل نجان يقال لهما قدما سهيل . فهو معكوس الحال يمضي عاجزاً كمن لا قدمان له

والشعريان نجان

(٤) النسر الواقع اسم نجم . قال ويلوح على الدهر من دماء الشهيدين الامام علي وابنه الحسين شاهدان

× فهما في اواخر الليل جفرا ن وفي أولياته شفقان<sup>(١)</sup>  
وجمالُ الاوان عقبُ جدودِ كلِّ جدّ منهم جمالُ اوان

...

× يا ابن مستعرض الصفوف ببدرٍ ومبيدِ الجموع من غطفان<sup>(٢)</sup>  
× أحدِ الخمسة الذين هم الاغراض في كل منطقٍ والمعاني<sup>(٣)</sup>  
× والشخص التي خُلقن ضياءً قبل خلق المريخ والميزان<sup>(٤)</sup>  
× قبل ان تخلق السمواتُ او توّمر افلاكهن بالدوران  
× لو تأتّى لنطحها حملُ الشهبِ تَرَدَّى عن رأسه الشرطان<sup>(٥)</sup>  
او اراد السماءُ طعناً لها عا دَ كسيرَ القناة قبل الطعان<sup>(٦)</sup>  
او عاصها حوتُ النجوم سقاءُ حتفه صائدٌ من الحدّان  
× انت كالشمس في الضياء وان جا وزت كيوان في علو المكان<sup>(٧)</sup>  
وسجايًا محمّداً اعجزت في الوصفِ لطفَ الافكارِ والاذهان  
وجرت في الانام اولادُهُ السّنةُ مجرى الارواح في الابدان  
اقبلوا حاملي الجدولِ في الاغساد مستلمين بالنقدان<sup>(٨)</sup>  
يضربون الاقران ضرباً يعيدُ السعدَ نحاً في حكم كل قران  
وجلوه غمرة الوغى بوجهٍ حسنتٍ فهي معدنُ الاحسان  
قد اجبنا قولَ الشريف بقولِ واثبنا الحصى عن المرجان  
ايها الدرُّ انا فضت من بجرٍ محلى الطريق للجرّيان  
ما أمرؤ القيس بالمصلي اذا جا راه في الشعر بل سكيتُ الرهان

(١) هذان الشاهدان هما الفجران الكاذب والصادق اي الحمرة التي ترى اول الصبح وكذلك الشفقان اي الحمرة او الصفرة التي تبقى في افق المغرب بعد الغروب. ويزعم انها من آثار ما اريق من دم الشهيدين ( يريذ بذلك انها تلوح مدى الدهر )

(٢) يا ابن النبي الذي عرض صفوفه بواقعة بدر واباد هذه القبائل

(٣) يريذ بالخمسة الذين هم موضوع كل ثناء اعضاء المعترة الشريفة - النبي وعلياً وفاطمة والحسن والحسين (٤) المريخ والميزان من النجوم

(٥) الشرطان كوكبان مضيئان في برج الحمل يقال لهما قرنا الحمل

(٦) يقصد السماء المعروف بالرامح (٧) كيوان اسم لرحل

(٨) يقصد بالجدول السيوف وبالنقدان الدروع

يا ابا ابراهيم قصرَ عنك الشعرُ لما وُصفتَ بالقرآن  
أشربَ العالمونَ حَبَّكَ طبعاً فهو فرضٌ في سائرِ الاديان  
بانَ للمسلمينَ منك اعتقادٌ ظفروا منه بالهدى والبيان  
عش فداة لوجههم القمران فهما في سناه مستصغران

### ✕ وقال بفتخر وبزم الزمان

ألا في سبيل المجد ما انا فاعلُ  
أعندي وقد مارستُ كلَّ خفيّة  
تعدُّ ذنوبي عند قوم كثيرة  
كأني اذا طلتُ الزمان واهله  
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم  
يهمُّ الليالي بعض ما انا مضمّرُ  
+ واني وان كنتُ الاخيرَ زمامهُ  
+ واغدو ولو أن الصباح صوارمُ  
واني جوادٌ لم يُجَلِّ لجامه  
وان كان في لبس الفتى شرف له  
ولي منطق لم يرض لي كنه متزلي  
لدى موطن يشتاقه كلُّ سيد  
ولما رايت الجهل في الناس فاشياً  
فواعجبا كم يدعي الفضل ناقصُ  
عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ  
يصدق واشر او ينجيبُ سائلُ  
ولا ذنب لي الا العلاء والفواضل  
رجعتُ وعندي اللانام طوائل<sup>(١)</sup>  
باخفاء شمس ضوءها متكامل  
ويثقلُ رضوى دون ما انا حامل<sup>(٢)</sup>  
لا تـ بما لم تستطعه الاوائل  
وأسري ولو ان الظلام جحافل  
ونضرو يان اغفلته الصياقل<sup>(٣)</sup>  
فما السيف ألا غمده والحمائل  
على أنني بين السماكين نازل<sup>(٤)</sup>  
ويقصر عن ادراكه المتناول  
تجاهلت حتى ظنَّ أنني جاهل  
ووأسفا كم يظهر النقص فاضل

(١) كاني اذا فتت اهل الزمان عادوني فاصبحت وفي نفوسهم علي ثارات

(٢) رضوى اسم جبل بالمدينة

(٣) قوله لم يجل من التحلية والنضو الياني السيف الياني والصياقل الذين يصقلون السيوف

(٤) السماكين نجهان معروفان

وكيف تنام الطير في وكناتها  
 ينافس يومي في امسي تشرفاً  
 وطال اعترافي بالزمان وصرفه  
 فلو بان عضدي ما تأسف منكبي  
 اذا وصف الطائي بالبخل مادر  
 وقال السهي للشمس انت خفية  
 وطاولت الارض السماء سفاهة  
 فيا موت زر ان الحياة ذميمة  
 وقد نصبت للفرقدين الجبائل<sup>(١)</sup>  
 وتحسد اسجاري علي الاوائل  
 فلست ابالي من تقول العوائل  
 ولو مات زندي ما بكته الانامل  
 وعير قساً بالفهاهة باقل<sup>(٢)</sup>  
 وقال الدجى يا صبح لوزك حائل  
 وفاخرت الشهب الحصى والجنادل  
 ويانفس جدي ان دهرك هازل

...

اذا انت اعطيت السعادة لم تبيل  
 تفتك على اكتاف ابطالها القنا  
 وان سدّد الاعداء نخوك اسهماً  
 وترجع اعقاب الرماح سليمة  
 فان كنت تبغي العز فابغ توسطاً  
 توتق البذور النقص وهي أهامة  
 وان نظرت شزراً اليك القبائل<sup>(٣)</sup>  
 وهابتك في اغمادهن المناصل<sup>(٤)</sup>  
 نكصن على افواقهن المعابل<sup>(٥)</sup>  
 وقد حطمت في الدارين العوامل  
 فعند التناهي يقصر المتناول  
 ويدركها التقصان وهي كوامل

### اصلته من لزومياته

وفيها تظهر نزعة الى التشاؤم من اعمال الانسان والزمان

اولو الفضل في اوطانهم غرباء  
 تشد وتناى عنهم القرباء  
 وحسب الفتى من ذلة العيش أنه  
 يروح بادنى القوت وهو حباء

(١) شبه نفسه بالفرقدين في علو المقام وقال اذا كان مثلي تنصب له الجبائل فما قولك فيمن هم دوني

(٢) الطائي هو حاتم المشهور بكرمه. ومادر رجل من بني هلال معروف بالبخل. وقس هو الخطيب

الجاهلي المشهور. وباقل يضرب به المثل في العي

(٣) اذا انت اعطيت الخبز والسعادة فلا تبالي ولو حسدك الناس

(٤) الرماح تحميك والسيوف في اغمادها تحابك

(٥) اي اذا جاء حظك وسدد الاعداء سهامهم نخوك رجعت النصال عليهم

وما بعد مرّ الخمس عشرة من صبا  
تواصل جبل النسل ما بين آدم  
تساب عمرو اذ تساب خالد<sup>(١)</sup>  
وزهدني في الخلق معرفتي بهم  
اذا نزل المقدار لم يك للقطا  
على الولد يجني والد ولو انهم  
وزادك بعداً من بنيك وزادهم

٢

اذا كان علم الناس ليس بنافع  
تضى الله فينا بالذي هو كائن  
وهل يابق الانسان من ملك ربه  
وقد بان ان النحس ليس بغافل  
ومن كان ذا جود وليس بمكثر

ولا دافع فالخسر للعلماء  
فتم وضاعت حكمة الحكماء  
فيخرج من ارض له وساء  
له عمل في انجم الفهلاء  
فليس بحسوب من الكرماء<sup>(٢)</sup>

...

افيقوا افيقوا يا غواة فانما  
ارادوا بها جمع الخطام فادركوا  
يقولون ان الدهر قد حان موته  
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاه

دياناتكم<sup>(٣)</sup> مكر من القدماء  
وبادوا وماتت سنة الاثام  
ولم يبق في الايام غير ذمائه<sup>(٤)</sup>  
فلا تسمعوا من كاذب الزعماء

٣

يرتجي الناس ان يقوم امام<sup>(٥)</sup> ناطق في الكتيبة الخرساء<sup>(٦)</sup>

(١) يريد جذين البيتين ان جبل النسل انقطع فيه (اي انه لم يتزوج) وان التزوج كالتوباء  
عدوى تصيب الناس بعضهم من بعض اما هو فبقي سليماً منها  
(٢) المخدرات الاسود في آجامها  
(٣) المكثر اي كثير المال (٤) لا يقصد بالديانة هنا الايمان الحقيقي بل النظم والظواهر  
والطقوس الخارجية التي هي من وضع الانسان  
(٥) ذمائه بقية الروح في الجسد  
(٦) اشارة الى القول بظهور المهدي



كذب الظنُّ لا إمامَ سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء  
 فاذا ما اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء  
 انما هذه المذاهبُ اسبابُ جذب الدنيا الى الرؤساء  
 فانفرد ما استعطت فالقائل الصا دق يضحى ثقلاً على الجلساء

## ٤

يُحْسِنُ مَرَأَى لِبَنِي آدَمَ وَكُلَّهُمْ فِي السُّذُوقِ لَا يَعْذِبُ  
 مَا فِيهِمْ بَرٌّ وَلَا نَاسِكٌ إِلَّا إِلَى نَفْعٍ لَهُ يَجْذِبُ  
 أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لَا تَظْلِمُ النَّاسَ وَلَا تُكْذِبُ

## ٥

مَنْ لِي أَنْ لَا أَقِيمَ فِي بَلَدٍ أَذْكَرُ فِيهِ بَغَيْرِ مَا يَجِبُ  
 يُظَنُّ بِي الْبَسْرُ وَالِدِيَانَةُ وَالْعِلْمُ وَبَيْنَهَا حَجَبٌ  
 كُلُّ أُمُورِي عَلَيَّ وَاحِدَةٌ لَا صَفْرٌ يَتَّقَى وَلَا رَجَبٌ  
 أَقْرَرْتُ بِالْجَهْلِ وَادَّعَى فَهَمِي قَوْمٌ فَامَرِي وَأَمْرُهُمْ عَجَبٌ

## ٦

قَدْ قِيلَ أَنَّ الرُّوحَ تَأْسَفُ بَعْدَهَا تَنَأَى عَنِ الْجَسَدِ الَّذِي عَنَيْتَ بِهِ  
 أَنَّ كَانَ يَصْحَبُهَا الْحَجَى فَلَعَلَّهَا تَدْرِي وَتَفْطِنُ لِلزَّمَانِ وَعَتَبَهُ  
 أَوْ لَا فَكَمْ هَذِيانَ قَوْمٌ غَابَرُ فِي الْكُتُبِ ضَاعَ مَدَادُهُ فِي كُتُبِهِ

## ٧

أَنَا صَاحِبُ طَوْلِ الْحَيَاةِ وَأَنْسَا فِطْرِي الْحَمَامِ وَيَوْمَ ذَاكَ أُعَيِّدُ  
 لَوْنَانَ مِنْ لَيْلٍ وَصَبْحٍ لَوْنَا شَعْرِي وَأَضَعْفِي الزَّمَانَ الْأَيْدِ  
 وَالنَّاسَ كَالْأَشْعَارِ يَنْطِقُ دَهْرُهُمْ بِهِمْ فَطَلِقْ مَعْشَرَ وَمَقَيِّدْ  
 قَالُوا فَلَانٌ جَيِّدٌ لِصَدِيقِهِ لَا يَكْذِبُوا مَا فِي الْبَرِيَّةِ حَيِّدْ  
 غَامِرُهُمْ نَالَ الْإِمَارَةَ بَاخُنَا وَتَقِيَّهُمْ بِصَلَاتِهِ مَتَّصِيْدْ  
 كُنْ مَنْ تَشَاءُ مَهْجَنًا أَوْ خَالصًا وَإِذَا رَزَقْتَ غَنِيًّا فَانْتَ السَّيِّدْ

٨

لا تبدأوني بالعداوة منكم فسيحكم عندي نظير محمد  
أبغيت ضوه الصبح ناظر مدلج ام نحن اجمع في ظلام سرمد  
ان السيوف تراح في اغماها وتظل في تعب اذا لم تقعد  
روح اذا اتصلت بشخص لم يزل هو وهي في مرض العناء المكمد  
ان كنت من ربيع فيا ربيع اسكني او كنت من هب فيا هب اخمد

٩

جر يا غراب وأفسد ان ترى أحداً الا مسيناً واي الخلق لم يجبر  
تخذ من الزرع ما يكفيك عن عرض وحاول الرزق في العالي من الشجر  
وما ألومك بل أوليك معذرة اذا خطفت ذبال القوم في الحجر  
فآل حواء راعوا الاسد مخدرة ولم يفادوا بسلم ربة الوجر<sup>(١)</sup>  
ومن اتاهم بظلم فهو عندهم كجالب التمر معتراً الى هجر<sup>(٢)</sup>  
هم المعاشر ضاموا كل من صحبوا من جنسهم وابعوا كل محتجر  
لو كنت حافظ اثار لهم ينعت ثم اقتربت لما اخلك من حجر

١٠

العالم العالي<sup>(٣)</sup> برأي معاشر كالعالم الهاري يحس ويعلم  
زعمت رجال ان سياراته تسق العقول وانها تتكلم  
فهل الكواكب مثلنا في دينها لا يتفقن فهائد او مسلم  
والنور في حكم الخواطر محدث والاولي هو ازمان المظلم  
والخير بين الناس رسم دائر والشر نهج والبرية معلم  
طبع خلقت عليه ليس بزائل طول الحياة وآخر متعلم

ان جارت الأمراء جاء مؤمر اعني واجور يستقيم ويكلم<sup>(٤)</sup>

(١) اي اخلفوا الاسد في عربها واقلقوا سائر الحيوانات في اوجرها

(٢) هجر بلد مشهور بتمره

(٣) يريد بالعالم العالي عالم الافلاك والعالم الهاري عالم الانسان والطبيعة

(٤) يكلم اي يدمي

ان شئت ان تُكني الحمام فلا تعش  
 أحسنُ بدنيا القوم لو كان الفتى  
 وكأنا الاخرى تيشظ نائم  
 يتشبه الطاغبي بطاغ. مثله  
 في الناس ذو حلم يسفه نفسه  
 وكلاهما تعبٌ يحارب شيمةً  
 هذي الحياة الى المنية سلم  
 لا يُقتضى وأديمه لا يحلم<sup>(١)</sup>  
 وكاننا الاولى منامٌ يحلم  
 واخو السعادة بينهم من يسلم  
 كيا يهابُ وجاهل يتعلم  
 غلبت فأضُ بجريها يتألم<sup>(٢)</sup>

## ١١

أركان دنيانا غرائزُ اربعُ  
 والله صير للبلاد واهلها  
 والدهر لا يدري بما هو كائن  
 والمرء ليس بزاهد في غارم  
 والحيُّ تخلق جسمه حركاته  
 نبكي ونضحك والقضاء مسأطُ  
 نشكو الزمان وما اتى بجناية  
 متواقين على المظالم رُكبت  
 يضي بنا الفتيان ما اخذا لنا  
 جعلت لمن هو فوقنا اركاناً  
 طرفين وقتاً ذاهباً ومكاناً  
 فيه فكيف يلام فيما كانا  
 لكنه يترقب الامكانا  
 فيكلُّ وهو يجاذر الاسكانا  
 ما الدهر اضحكنا ولا ابركانا  
 ولو استطاع تكلماً لشكانا  
 فينا وقارب شرنا ازكانا  
 نفساً على حالٍ ولا تركانا<sup>(٣)</sup>

## ١٢

قد اختلَّ الانامُ بغير شك  
 وودوا العيش في زمنٍ خوون  
 وينشأ ناشئ<sup>(٤)</sup> الفتيانِ مثاً  
 وما دان الفتى بجباً ولكن  
 فجدوا في الزمانِ او العيره  
 وقد عرفوا أذاهُ وجريوه  
 على ما كان عودهُ أيوه  
 يعلمه التدئينُ أقربوه

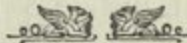
(١) ادبته لا يحلم اي جلده لا يفسد والمعنى لو كان الانسان لا يصير الى زوال

(٢) آض اي رجع

(٣) الفتيان الليل والنهار

(٤) الناشئ الحدث اليافع

وضماً الناس كأنهم هواء  
 لعل الموت خير للبرايا  
 أطاعوا ذا الخداع وصدقوه  
 وجاءتنا شرايع كل قوم  
 وغير بعضهم أقوال بعض  
 فلا تفرح اذا رُجيت فيهم  
 صحبنا دهرنا دهرأ - وقدماً  
 وغيظاً به بنوه وغيظاً منهم  
 وهل ترجى الكرامة من اوانر  
 وهل من وقتهم أبغى وأطغى  
 أجار مكثرأ وتنصفوه  
 يذلل بالحوادث مصعبوه<sup>(١)</sup>  
 وان خافوا الردى وتهيبوه  
 ولم نصح النصيح فكذبوه  
 على آثار شيء رتبوه  
 وأبطلت النهى ما اوجبه  
 فقد رفعوا الدين ورجبوه<sup>(٢)</sup>  
 رأى الفضلاء ان لا يصحبه  
 فعذب ساكنيه وعذبوه  
 وقد غلب الرجال مغلبوه  
 على أي المذاهب قلبوه  
 وعابوا من أقل وأثبوه<sup>(٣)</sup>



(١) اصعب الجمل فهو مصعب لم يركب قط وكل ما استصعب من الامور فهو مصعب

(٢) رجه عظمه وهابه

(٣) المكثر النفي . تنصفوه اي خدموه

# ابن الفارض

ابو القاسم (ابو حفص) عمر بن علي بن مرشد

٥٧٧ - ٢٦٢ هـ

١١٨١ - ٥٣٣٥ م

## مصادر دراسة شعره ونصوفه

- المع لابن السراج الطوسي ليدن ١٩١٤  
 الرسالة القشيرية دار الكتب المصرية ١٣٣٠  
 كشف المحجوب للحجويري ترجمة Nicholson 1911  
 الاحياء للغزالي وبهامشه عوارف المعارف للسهروردي مصر ١٣٠٢  
 وفيات الاعيان لابن خلكان الطبعة الميرية  
 الخطط والآثار للمقرئزي مطبعة النيل ١٣٢٥  
 حسن المحاضرة للسيوطي مصر ١٣٢١  
 شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي مصر ١٣٥١  
 قوانين حكم الاشراق لابي المواهب الشاذلي مطبعة ولاية سوريا ١٣٠٩  
 شرح الديوان للبوريني والتابلي مصر ١٣١٠  
 ( نشر الدحداح ) مرسيليا ١٨٥٣  
 التائية الكبرى شرح الفرغاني ( ١٢٩٣ هـ ) والقاشاني ( ١٣١٠ )  
 التائية الكبرى تحرير Von Hausman فينا ١٨٥٤

Nicholson, Studies in Islamic Mysticism, Cambridge, 1921

Massignon - Encyc. of Islam. § Tasawwuf

- ابن الفارض والحب الالهي لمحمد مصطفى حلمي مصر ١٩٤٥  
 ومقالات شتى لادباء عرب ومستشرقين

تحفة بارزة -  
بنها صدر  
تأثر بالبحار

بمجالس  
التقصير  
حسن الوعد

يرجع ابن الفارض بنسبه الى بني سعد <sup>(١)</sup>. ووالده حموي الاصل قدم مصر يقطنها، وكان يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكماء فلُقِبَ بالفارض <sup>(٢)</sup>. ويستدل انه (الوالد) كان رجل فضل وجاه، يتصدر مجالس الحكم والعلم، حتى سئل ان يكون قاضي القضاة فامتنع وتزل عن الحكم، واعتزل الناس، وانقطع الى الله تعالى بقاعة الخطابة في الجامع الازهر الى ان توفاه الله <sup>(٣)</sup>.

وفي مصر ولد شاعرنا، ولا شك انه كان لوالده يد كبيرة في ثقافته، وفي تكييف نزعاته النفسية. قال ابن العماد الحنبلي - «فنشأ تحت كنف ابيه في عفاف وضيافة وعبادة، بل زهد وقناعة وورع، وأسدل عليه لباسه وقناعه. فلما شب وترعرع اشتغل بفقهاء الشافعية، واخذ الحديث عن ابن عساكر» <sup>(٤)</sup>.

وقد ظهر فيه منذ اوائل شبابه ميل الى التدين والتلذذ بالتجريد الروحي على طريقة المصوفين. فكان يستأذن والده في الانفراد للعبادة والتأمل. ويظهر انه كان في جبل المقطم مكان خاص يعرف بوادي المستضعفين يختلف اليه المتجردون <sup>(٥)</sup>، فحبب الى ابن الفارض الخلاء فيه، فترهد وتجرد وكان يايي الى ذلك المكان احياناً <sup>(٦)</sup>. ثم انقطع عنه ولزم اياه. فلما توفي الوالد عاد الولد الى التجريد والسياسة الروحية او سلوك طريق الحقيقة فلم يفتح عليه بشي <sup>(٧)</sup> (اي لم يكشف له من المعرفة ما يستغني به ولعله يريد هنا لم يوح اليه من الشعر شي). ثم قيض له رجل من الاتقياء اشار عليه ان يقصد مكة. فقصدها واقام فيها مجاوراً نحواً من ١٥ سنة. وهناك بين المناسك المقدسة نضجت شاعريته وكرمت مواهبه الروحية. ثم عاد الى مصر، وكانت يومئذ تحت سيادة الايوبيين، وقد عنوا كل العناية بفتح المدارس والمعاهد فيها، فتجددت في ايامهم الروح الدينية. والتعاليم

(١) قبيلة السيدة حليلة مرضعة النبي العربي (٢) شذرات الذهب ٥ - ١٢٩

(٣) عن سبطه في الديوان ص ٧

(٤) شذرات الذهب ٥ - ١٢٩. وابن عساكر هذا غير الحافظ الشهير صاحب التاريخ الكبير

(٥) الديوان ٦ (٦) شذرات الذهب ٥ - ١٢٩

(٧) الديوان ٧. شذرات الذهب ١ - ١٥٠

السنية . حدث ذلك على اثر انتصاراتهم على الصليبيين ، تلك الانتصارات التي وطدت مركزهم في مصر والشام والحجاز ، وتركت لهم في تاريخ الشرق الاسلامي ذكرى خالدة .

والذي يلفت النظر ان عطف الايوبيين على السنة كان مقروناً بترايد عدد الصوفية<sup>(١)</sup> في مصر ، فكان التصوف يومئذ كان يعتبر مظهراً من مظاهر التدين ليس الا . ولذلك نرى الجمهور يكرمون مشايخ الطرق ويعظمون شأنهم ، ونرى الحكام والامراء يقفون لهم « الخوانك »<sup>(٢)</sup> . ويذكر المقرئ ما ملخصه<sup>(٣)</sup> ان صلاح الدين خصص سنة ٥٦٩ - بمصر داراً للصوفية كانت قبلاً لوزراء الفاطميين ، ووقف لهم وقفاً كبيراً ، فكانت اول خانكاه عملت بديار مصر ، وعُرفت بدويرة الصوفية . وكان سكتانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم . وولى مشيختها الاكبر والاعيان . قال « واخبرني الشيخ احمد بن علي القصار انه ادرك الناس في يوم الجمعة ياتون من مصر الى القاهرة ليشهدوا الصوفية عندما يتوجهون منها الى صلاة الجمعة ، كي تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم » . ثم يصف موكبهم الفخم ويعقب على ذلك بقوله « انه كان من اجمل عوايد القاهرة » وقد بقي الامر كذلك الى اوائل القرن التاسع الهجري .

فلا نستغرب اذن ما نسمعه عن اكرام الناس لابن الفارض وقد رجع من مكة شيخاً متصوّفاً وشاعراً كبيراً ، حتى كان اذا مشى في المدينة تردحهم الناس عليه يلتمسون منه البركة والدعاء ، ويقصدون تقبيل يده<sup>(٤)</sup> . قال ولده<sup>(٥)</sup> « وكان اذا حضر في مجلس يظهر على ذلك المجلس سكون وهيبة ، وسكينة ووقار . ورايت جماعة من مشايخ الفقهاء والفقراء ( المتصوفة ) واكابر الدولة من الامراء والوزراء والقضاة ورؤساء الناس يحضرون مجلسه وهم في غاية ما يكون من الادب معه ، والاتضاع له . واذا خاطبوه فكأنهم يخاطبون ملكاً عظيماً » . وقال ابن العماد الحنبلي<sup>(٦)</sup> « فاقام بقاعة الخطابة في جامع الازهر »

صوفية  
شاعراً  
كبيراً  
حتى كان  
اذا مشى  
في  
المدينة  
تردحهم  
الناس  
عليه  
يلتمسون  
منه  
البركة  
والدعاء  
ويقصدون  
تقبيل  
يده  
قال  
ولده  
« وكان  
اذا  
حضر  
في  
مجلس  
يظهر  
على  
ذلك  
المجلس  
سكون  
وهيبة  
وسكينة  
ووقار  
ورايت  
جماعة  
من  
مشايخ  
الفقهاء  
والفقراء  
( المتصوفة )  
واكابر  
الدولة  
من  
الامراء  
والوزراء  
والقضاة  
ورؤساء  
الناس  
يحضرون  
مجلسه  
وهي  
في  
غاية  
ما  
يكون  
من  
الادب  
معه  
والاتضاع  
له  
واذا  
خاطبوه  
فكأنهم  
يخاطبون  
ملكاً  
عظيماً  
وقال  
ابن  
العماد  
الحنبلي  
« فاقام  
بقاعة  
الخطابة  
في  
جامع  
الازهر »

(١) راجع قائمتهم في حسن المحاضرة ١ ص ٢٤٣ - ٢٥٤

(٢) جمع خانكاه وهي فارسية معناها البيت ويقصدون بها محلات خاصة لاقابهم

(٣) الحطط (بولاق) ٢ - ٤١٥

(٤) الديوان ٦

(٥) » »

(٦) شذرات الذهب ٥ - ١٥٠



وعكفت عليه الائمة وقصد بالزيارة من الخاص والعام ، حتى ان الملك الكامل كان يتزل لزيارته »

قلنا اننا لا نستغرب ما رواه ولده ، وما نقله صاحب شذرات الذهب عن منزلة شاعرنا الدينية والاجتماعية ، على انه لا بد من القول انصافاً للتاريخ ان ابن خلكان الذي ادرك الشاعر وترجم له <sup>(١)</sup> لا يذكر شيئاً من هذا القبيل . وكل ما يقوله من ذلك « سمعت انه كان رجلاً صالحاً كثير الخير على قدم التجرد » . فهو يذكّي قول سبطه وولده ومن نقل عنها انه كان معروفًا بالصلاح والكرم وسلوك طريقة التصوف على انه يسكت عما ذهبوا اليه من تعظيم الخاصة والعامه له . ولا يازم عن سكوته انكار ما ذهبوا اليه ، ولكن فيه ما يجوز لنا التحرز مما قد يكون من قبيل الغاوي او التعرض .

### مختبة

يجمع مؤرخوه على انه كان ورعاً وقوراً طيب الاقوال والافعال . والذي يراجع سيرته، ويتفهم روح قصائده يتجلى له في نفسه ثلاث مزايا بارزة

١ - انه كان شديد التأثر ( ولاسيما بالجمال ) الى درجة الانفعال العصبي ، يسحره جمال الشكل حتى في الجمادات . ومن ذلك ما يروونه عن تأثره بحسن بعض الجمال ، او ببرنية حسنة الصنعة رآها في دكان عطّار <sup>(٢)</sup> . وقد يسحره جمال الاخوان - فاذا سمع انشاداً جميلاً استخفّه الطرب فتواجد ورقص ولو على مشهد من الناس . نقل عن ولده ان الشيخ كان ماشياً في السوق بالقاهرة فرآ على جماعة من الحرسية يضرّبون بالناقوس ويفنون . فلما سمعهم صرخ صرخة عظيمة ، ورقص رقصاً كثيراً في وسط السوق ، ورقص جماعة كثيرة من المارين . وتواجد الناس الى ان سقط اكثرهم الى الارض . ثم خلع الشيخ ثيابه ورمى بها اليهم وحمل بين الناس الى الجامع الازهر ، وهو عريان مكشوف الرأس ، وفي وسطه

(١) كان ابن خلكان في الرابعة والعشرين لما توفي ابن الفارض

(٢) شذرات الذهب ٥-١٠١

لباسه . واقام في هذه السكره ( الثوبه العصبية ) ملقى على ظهره ، مسجى كالميت <sup>(١)</sup> .  
 ومما يذكر من هذه السكرات او النوبات التواجديه انه كان مرّة جالساً في الجامع  
 الازهر على باب قاعة الخطابة ، وعنده جماعة من الفقراء والامراء ، وجماعة من مشايخ  
 الاعجام المجاورين بالجامع وغيرهم . وكلما ذكروا حالاً من احوال الدنيا مثل الطشت او  
 الفرش قالوا هذا من زخم ( اي وضع ) العجم . فبينما هم يتفارضون في ذلك ويفخّمون  
 « زخم العجم » رفع المؤذنون اصواتهم بالاذان جملة واحدة فقال الشيخ « وهذا زخم  
 العرب » وتواجد ، وصرخ كل من كان حاضراً حتى صار لهم ضجة عظيمة <sup>(٢)</sup> .  
 فالرجل كان شديد التأثر العصبي وسئرى اثر ذلك في شعره ولاسيا في قصيدته الكبرى  
 نظم الساوك . والظاهر ان للطريقة الصوفية وما يلازمها من رياضة وأذكار وتأملات  
 روحية تأثيراً بيتاً من هذا القبيل . وقد روي في كتاب كشف المحجوب كثير من اخبار  
 الصوفيين الذين ماتوا لشدة وجدهم <sup>(٣)</sup> .

٢ - ميله الى الخلو والتعشف . وهو ظاهر منذ حادثته في ما ذكرناه سابقاً من  
 اختلافه الى وادي المستضعفين وظاهر ايضاً في مجاورته بككة ، وما روه عن هيامه باوديتها  
 يستأنس بوحشها . وقد عبّر عن ذلك بقوله -

وابعدني عن اربعي بعد اربع . شبلي وعقلي وارتياحي وصحّي  
 فملي بعد اوطاني سكون الفلا وبالوحش النبي اذ من الانس وحشتي

وكان ايام النيل يتردد الى المسجد المعروف بالمشتهى في الروضة ، ويجب مشاهدة  
 البحر ( اي نهر النيل ) مساءً <sup>(٤)</sup> . وفي ذلك ما يشير الى حبه التأمل بالجمال الطبيعي والبعد  
 عن ضجيج الناس ومتاعهم .

وقد قرن كل ذلك بقهر النفس تقشفاً وصياماً حتى نقل عن ولده انه كان للشاعر  
 اربعينيات <sup>(٥)</sup> يجيها بالصيام والتأمل . وكانت تلك طريقة اعتمدها بعض المتصوفين ولهم في  
 ذلك الحديث التالي يرفعونه الى النبي « من اخلص لله تعالى العبادة اربعين يوماً ظهرت ينابيع

(١) الديوان ١٤ (٢) الديوان ١٥

(٣) كشف المحجوب (نقله نكلسون من الفارسية الى الانكليزية) راجع في النسخة الانكليزية

الصفحات ٤٠٦ - ٤١٠ (٤) شذرات الذهب ٥ - ١٥٠

(٥) الديوان ١٧ وشذرات الذهب ٥ - ١٥٠ ومعنى الاربعينية اربعون يوماً

الحكمة من قلبه على لسانه»<sup>(١)</sup> . وقد عقد الشهروردي فصلاً في هذه الطريقة ومعانيها وكيف يدخلها المرید وما يتطلب منه، فليراجمه من يريد التمتع في ذلك<sup>(٢)</sup> . وخلاصته ان مشايخ الصوفية متفقون على ان بناء امرهم على اربعة اشياء - قلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلة الكلام ، والاعتزال عن الناس . فن استطاع ان يتحمل الجوع ابتغاء الفرح الاعلى الذي ينسبه لهب الجوع فله ذلك . ولا يتحتم عليه الانقطاع التام عن الطعام والشراب طيلة الاربعةين يوماً بل الاكتفاء بالقليل القليل من خبز وملح او ما شاكل ، والقيام بما تتطلبه الخلوّة من رياضة روحية حتى يفتح عليه ويكشف بشيء من المنح الالهية ويظهر مما رووه ان شاعرنا كان يقوم بهذه الرياضة الزهدية احياناً ولعله الى ذلك يشير في قوله

في هوائكم رمضان عمره ينقضي ما بين احياء وطي

ومهما حاولنا غريلة الاخبار التي يروونها عن تشفئه وصيامه فاننا لا نرى محيصاً عن القول ان الرجل كان متصوفاً وكان يسلك طريقة اهل الورع والزهد<sup>(٣)</sup> ، وقصائده ولاسيما التائية الكبرى تنضح بذلك نضحاً لا سبيل الى انكاره .

٣ - كرم سجيته وحسن عشرته . قد يكون في امره ما كان في شاعرنا من حدة التأثير ، والميل الى الطريقة الزهدية ، وقد يكون مع ذلك سيء العشرة قليل الخير . اما ابن الفارض فقد اجمع الكل على نعمته بسمو الخلق من رقة وايناس وكرم وترفع عن حطام الدنيا<sup>(٤)</sup> . فهو لم يكن من الذين يصطنعون التدين طمعاً بالحصول على المال او شرف المقام ، بل كان التدين طبعاً فيه يرفعه عن الشهوات والاطماع المعيبة . وقد عرف الناس له ذلك فاكرموه ورفعوه الى مصاف الصالحين .

ومن مزاياه البارزة السخاء . روي انه ركب مرة مع مكارم الى جامع مصر واشترط المكارمي ان تكون اجرتة « على الفتوح » اي بقدر ما يفتح على الشاعر من العطايا . قال

(١) عوارف المعارف (هامش الاحياء) ٢-٢٢٣

(٢) « « « « الفصل الثامن والعشرون

(٣) راجع قصته مع السلطان الملك الكامل . الديوان ١٥

(٤) ابن خلكان في ترجمته ، وشذرات الذهب ٥-١٥٠

قيام الصوم  
بجميعه  
قلة المنام  
النوم  
الاعتزال عن  
الناس  
قلة الكلام

الراوي - وكان يرافقه - وتبعنا فارس من جهة الامير فخرالدين فاستند اليّ فقال لي قل للشيخ هذه مئة دينار يقبلها من الامير على الفتح . فقلت ذلك للشيخ . فقال نحن ركبتنا مع المكارى على الفتح وامر له بها . فرجع الفارس الى الامير واخبره بذلك . فبعث اليه مثلها ، فقال اعطها للمكارى . ولما وصلنا الى الجامع اعتذر الشيخ الى المكارى ودعا له <sup>(١)</sup> .

وكان شديد المؤاخذة لنفسه . قال لولده <sup>(٢)</sup> حصلت مني هفوة انحصرت بسببها باطناً وظاهراً حتى كادت روحي تخرج من جسدي ، فخرجت هائماً كالهارب من امر عظيم كَعَلَمَهُ وهو مطالبٌ به ، فطلعت المقطم وقصدت موطن سياحي ، وانا ابكي واستغيث واستغفر فلم ينفرج ما بي . وقصدت مدينة مصر ودخلت جامع عمرو بن العاص ، ووقفت في صحن الجامع خائفاً مذعوراً ، وجددت البكاء والتضرع والاستغفار ، فلم ينفرج بالي ، فغلب عليّ حال مزعج لم اجد مثله قط ، فصرخت وقلت

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

قال فسمعت قائلاً يقول بين السماء والارض ، اسمع صوته ولا ارى شخصه

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

ولا نتكر انه لا يجوز التقيد بمثل هذه القصص ، والاستناد اليها في الحكم عليّ شاعرنا ولكنها ترينا على الاقل راي الذين ترجموا له ، او كيفية تأثرهم باخلاقه . والقصة الاخيرة ترجع الى ايام الشاعر فقد رواها ابن خلكان عن بعض اصحابه وانه ترخم يوماً وهو في خلوة ببيت الحريري « من ذا الذي ما ساء قط » فسمع البيت الثاني من قائل لم ير شخصه . ولا يذكر ابن خلكان دقائق القصة كما يرويها ولد الشاعر . وليس بالعجيب ان يكون ابن الفارض كما ذكرنا وان يوهمه الانفعال النفسي انه يسمع صوت شخص لا يراه . فاذا ذلك الشخص الا نفسه الواجدة ، التي كثيراً ما كان الوجد يفصلها عن العالم المحسوس .

....

(١) الديوان ١٦

(٢) « ٣١

فرجل كابن الفارض - شديد الاحساس والتأثر ، كثير الخلوة والتأمل ، ورع مترقع  
عن حطام الدنيا ، محب حسن الصحبة كثير الخير ، لا يستعرب ان تفيض نفسه بقصائد  
الوجد والهيام ، وان ينال من معاصريه ومن تبعهم جميل الذكر والاكرام

### أثر الصوفية في شعره

مرّ معنا في القسم الاول من هذا الكتاب شي . عن الطريقة الصوفية ومنشأها ، فلا  
لزم لاعادته هنا . على انه لا بدّ لنا لدرس ابن الفارض وتفهم شعره ، من النظر في  
الصوفية ومصطلحاتها العامة فنقول -

« للقلب بابان ، باب مفتوح الى عالم الملكوت ، وباب مفتوح الى الحواس الخمس  
المتمسكة بعالم الملك والشهادة . فعلم الاولياء والانبياء . يأتي من الباب الاول ، وعلم  
الحكماء ( العلماء والفلاسفة ) يأتي من الثاني . والفرق بين الفريقين ان الحكماء يعملون في  
اكتساب العلوم واجتلابها الى القلب ، واما الاولياء ( الصوفية ) فيعملون في جلاء القلوب  
وتطهيرها وتصفيتها وتصقلها فقط حتى تتلأأ فيها جليته الحق بنور الاشراق ، وهذا هو  
الكشف»<sup>(١)</sup>

فالصوفية اذن مجاهدة لتطهير القلب من الادران والانفراد بذكر الله توصلاً الى  
الحصول على الالهام النوراني - او الاتحاد الكامل بالحق الاعلى  
وفي خلال هذه المجاهدة تمر نفس الصوفي في تطورات شتى ، منها ما يدعى مقامات ،  
ومنها ما يدعى احوالاً . ويراد بالمقامات قيام العبد بين يدي الله والانقطاع اليه ، ولزوم  
العبادات والمجاهدات والرياضات الروحية . وبكلمة اوضح هي المسالك التي يتدرج فيها  
نحو غايته المنشودة ، كالتروبة - والورع - والزهد - والفقر - والصبر - والتوكل -  
والرضا - وغير ذلك<sup>(٢)</sup> .

واما الاحوال فهي ما يحلّ بالقلوب من صفاء الأذكار - او هي اختبارات النفس اذ

(١) ملخصاً عن الاحياء للغزالي ٣ - ٢١

(٢) من اراد معاني هذه الالفاظ من الوجهة الصوفية فليراجع اللمع ٤٣ - ٥٤ او كتاب قوانين

حكم الاشراق لابي المواهب الساذني

تقرّ في شتى المقامات . ومن ذلك القرب - المحبة - الحوف - الرجاء - الشوق -  
الانس - الطمأنينة - المشاهدة - اليقين<sup>(١)</sup>

وللصوفية مصطلحات يكثر من ترديدها في اشعارهم ، وقد افرد لها ابن السراج  
الطوسي في اللمع باباً خاصاً ذكر فيه نحواً من ١٥٠ نوعاً ، ثم شرحها شرحاً وافياً فليراجعها  
من شاء .<sup>(٢)</sup> وانا نختزى . هنا باشهرها واكثرها تردداً في الشعر الصوفي وخاصة في شعر ابن

الفارض - ومنها

الجمع والتفرقة - فالجمع هو اتحاد الوجد بالله عن سبيل الوجد<sup>(٣)</sup> ، والتفرقة تعلقه بالبشرية -

فالاول عن طريق القلب والثاني عن طريق العقل - فمثال الجمع قوله .

لها صلاتي بالمقام اقيمها واشهد فيها انها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد الى حقيقته بالجمع في كل سجدة

الفناء والبقاء - الفناء رؤية حركات العبد والبقاء رؤية عناية الله . كقوله

وتلافي ان كان فيه انتلافي بك عجل به - جعلت فداك

وقوله

ان كان في قلني رضاك صبابة ولك البقاء وجدت فيه لذاذا

الحب والهوى - وما يتعلق به من كتمان - والم - ونحول - وشوق - وهجر -

ووصل - وتهتك - وعدل وغيره من الوجة الصرفية وهو الموضوع

العام في شعر ابن الفارض ، والامثلة اكثر من ان تحصر هنا

الوحد - ان ينقطع القلب عن العلاقات الدنيوية فيشاهد ويسمع ما لم يكن يتهمياً له

من قبل

يا اخا العذل في من الحق مثلي هام وجداً به عدمت اخاكا

لو رايت الذي سباني فيه من جمال - ولن تراه - سباكا

القبض والبسط - وهما حالان شريفان لاهل المعرفة (الصوفية) . اذا قبضهم الله

(١) راجع معانيها في اللمع ٥٤ - ٧٢

(٢) اللمع ٣٣٣ - ٣٧٦

(٣) وفي جامع البدائع ( مصر ١٩١٧ ) ص ٨٧ ان كل واحد من الموجودات يشق الخبير

المطلق عشقاً غريبياً ، وان الخبير المطلق يتجلى لماشقه وان غاية القرين منه هي قبول لتجليه على

اكمل ما في الامكان . وهو المعنى الذي يسميه الصوفية بالاتحاد

حشهم عن تناول المباحات حتى والاكل والشرب والكلام ، واذا  
بسطهم ردّهم الى هذه الاشياء حتى يتأدب الخلق بهم .

وفي رحمت البسط كلّي رغبةٌ بها انبسطت آمال اهل بسيطتي  
وفي رهبوت القبض كلّي رهبة ففياً اجلت العين مني اجلت

السكر والصحو - (الغشية والحضور) فالسكر غيبة القلب عن مشاهدة الخلق ،

ومشاهدته للحق بلا تغير ظاهر على العبد (ويختلف عن الغشية بانها تظهر )

تهذب اخلاق الندامي فيهمدي بها لطريق العزم من لا له عزم  
وفي سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائعا ولك الحكم

والصحو رجوع القلب الى ما غاب عن عيانه لصفاء اليقين ، ويختلف عن الحضور  
بان هذا دائم والصحو حادث

المحو وصحو الجمع - وهما حالان تتلوان السكر والصحو . فالمحو صعقة السكر ثابتة

بعد الصحو الاول يتاوها صحو الجمع وهو الرتبة العليا وفيها يتم الاتحاد بالله .

واذ ذاك تتساوى الطوابع وتجتمع الاضداد فيصبح العابد والمعبود واحداً ،

وكذلك الرسول والمرسل ، والمحب والمحبوب ، والحاضر والماضي ، والليل

والنهار ، والصفة والذات

فالوجد واحد ، وليس هنالك زمان ، او سابق ذوات ، او اختلاف اديان ،

او انا وانت وهو ، بل روح واحدة هي حقيقة الحقائق التي تنجلي بمظاهر

مختلفة في الوجود الحبي

ففي الصحو بعد المحولم الكُ غيرها وذاتي بذاتي اذ تحلت تجلت

فكل الذي شاهده فعل واحد بفرده لكن بجعب الاكنة

اذا ما ازال الست لم تر غيره ولم يبق بالأشكال إشكال ربية

واذا يزغت انوار التوحيد على قلب العارف ( الصوفي ) كسف سلطانها سائر الانوار

وفي حيا بعث السعادة بالشقا ضللاً وعقلي عن هداي به عقل

وقلت لرشدي والتنسك والتقى تحلوا وما بيني وبين الهوى خلوا

الكشف - بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعارف كأنه رأي عين  
وما برحوا معنى أراهم معي فان نأوا صورة في الذهن قام لهم شكل

...

فالدجاجي لنا بك الآن غرٌ حيث اهديت لي هدى من سناكا  
واقتباس الانوار من ظاهري غير عجيب وباطني مأواكا

التجريد - ما تجرد للقلب من شواهد الالهية اذا صفا من كدورة البشرية

ابعينيه عمى عنكم كما صممٌ عن عدله في أدني  
او لم يبه النهى عن عدله زاوياً وجه قبول النصح زي

...

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سرٌ ارقٌ من النسيم اذا سرى  
واباح طرفي نظرة املتها فغدوت معروفاً وكنت منكراً  
فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبرا

الشطح - كلام غريب يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن قلب الواجد كما يفيض الماء  
الغزير اذا جرى في مجرى ضيق . كقوله -

فخمر ولا كرم وآدم لي ابٌ وكرم ولا خمر ولي آما امٌ

وقوله في حالة الاتحاد -

فاتلو علوم العالمين بلفظة واجلو علي العالمين بلحظة  
واستعرض الآفاق نحوياً بخطرة واخترق السبع الطباق بخطوة  
فن قال او من طال او صال انفا يتٌ بامدادي له برقيقة  
وما سار فوق الماء او طار في الهواء او اقتحم النيران الا بهمتي  
لو قامت بيت لطيفة لردت اليه نفسه وأعيدت

صبا

طبا

نحر

ساقص

فنا

دقة الرض

الكرا المعاني

القحوض



## اسلوب الشعرى

نشأ ابن الفارض في عصر بلغت فيه الأناقة البديعية نثراً ونظماً اعلى درجتها . فهو عصر القاضي الفاضل ، والعباد الاصبهاني ، وابن التعاويذي ، وابن النيه ، والبهاء زهير ، وابن سناء الملك ، وابن الساعاتي ، وسواهم ممن عاصروا شاعرنا او سبقوه قليلاً . وقد عرفت هذه الطبقة جميعها بولعها الشديد بالصناعة اللفظية ، وتكلف انواع البديع . ولم يشذ عنهم ابن الفارض ، بل لعله ابعدهم شأوا في ذلك . فالتأنق البديعي عام في جميع قصائده بل في اكثر ابياتها . واكثر ما يظهر في ما يلي -

الجناس ( في انواعه المختلفة ) - ومنه

التام - ليت شعري هل كفى ما قد جرى مذ جرى ما قد كفى من مقلتي

والملفق - جنة عندى رباها احلت ام حلت عجلتها من جنتي

المشتق او شبهه - دار خلد لم يدر في خالدي انه من ينأ عنها يلتغ غي

وكثيراً ما يعنى بجمع عدد من ضروب الجناس في بيت واحد - كقوله

وباينت بانات كذا عن طويلع بسلع فسل عن حلة فيه حلت

ففيه الملق والمحرف وشبه المشتق

فذاك هوى اهدى اليّ وهذه على العود اذ غنت عن العود اغنت

وفيه شبه المشتق والتام والناقص

الطاق - فلي بين هاتيك الحيام ضنيئة عليّ بجمعي سمحة بثشتي

...

وبسط طوى قبض التناثي بساطه لنا بطوى ولي بارغد عيشة

...

مئي له ذلّ الخضوع ومنه لي عزّ المتوع وقوة المستضعف

الطي والنشر - فضمني وسقمني ذا كراي عواذلي وذلك حديث النفس عنها برجمة

...

فقايني وطرفي ذا بعني جاهلًا معنيّ وذا مغري بلين قوام

...

وعقدي وعهدي لم يحلّ ولم يحلّ ووجدنيّ ووجدني والغرام غراميد

وقد يحمله الشغف بهذه الصناعة على جمع بضعة من انواع البديع - كقوله  
وقالوا جرت سُحرا دموعك قلت عن امور جرت في كثرة الشوق قلت  
نحرت لضيف الطيف في جفني الكرى قرى فجري دمعي دماً فوق وجنتي  
في هذين البيتين جناس وطباق ومراعاة نظير ومجاز مرسل

وقوله

اي صبا اي صبا هجت لنا سحرا من اين ذياك الشذي  
ذاك ان صافحت ريان السكلا وتحرشت بمجذان ككلي  
فلذا تروي وتروي ذا صدا وحديثاً عن فتاة الحي حي

ففيه من الجناس التام والمخرف ، وفيه التناسب ، والطباق ، والطي والنشر

ومن مزايا اسلوبه . توهم التناقض . وهو ان يوهمك بوجود تناقض في المعنى

والحقيقة غير ذلك . كقوله -

ما بين ضال المنحنى وظلاله ضلّ المتيم واهتدى بظلاله

...

فلي بعد او طاني سكون الى الفلا وبالوحش انسي اذ من الانس وحشي

...

فلعلّ نار جوانحي ان تنظني بهوبها واود ان لا تنظني

...

وقلت لرشدي والتنسك والهوى تحلوا وما بيني وبين الهوى خلوا

...

ومن اجلها اسعى لمن بيننا سعى واعدو ولا اغدو لمن دأبه العذل

ومنها لطف العبارة والاشارة وحلاوة الحرس - وبكاد يكون مذهبه العام . ولا بدع  
فوضوعه حبي والفاظه رقيقة مألوفة ، وهو يجمع بين سلامة البحري وصنعة ابي تمام جمعاً  
لطيفاً قد يعلوه عن كليهما . نعم تلك صفات الشعر الغزلي في كل زمان ، ولكن لابن  
الفارض نفس خاص يمتاز به - لطف روهي ينعكس على اسلوبه فيحبيه الى القلوب برغم  
ما فيه من عيوب سيأتي ذكرها . ولو اردنا التدليل على ذلك لاينا باكثر ديوانه وانما  
نكتفي هنا بقوله -

يا اخت سعد من حبيبي جنتي برسالة اديتها بتلطف  
فسمعت ما لم تسمعي ونظرت ما لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي  
وقوله

زدني بفطر الحب فيك تحييراً وارحم حشا بلظى هواك تسعراً  
واذا سالتك ان اراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جواني ، لن ترى

ومن حسناته دقة الوصف والتمثيل . وتظهر في بلاغة تشابيهه ، ووضوح رسومه  
الفكرية كقوله -

خافياً عن عائد لاح كما لاح في برديه بعد النشرطي

فتشبيهه ما صار اليه من التحول باثر الطي في الثوب يدل على دقة في الرسم تذكر  
للشاعر . وقوله يصف شيوخ الجمال الاسنى في كل شي . -

تراه ان غاب عني كل جارحة في كل معنى لطيف رائق بهج  
في نعمة العود والناي الرخيم اذا تألفا بين الحان من الهزج  
وفي مسارح غزلان الخائل في برد الاوائل والاصباح في البلج  
وفي مساقط انداء النمام على بساط نور من الازهار منتجع

الى آخر هذه الابيات المشهورة .

وقوله يشبه تواجده بحال الطفل الذي يبكي من شد القاط ويحن الى اخلاص منه  
فيحرك ويناعي فيجد في ذلك ما يسكنه وينسيه شد القاط - ( الثانية ٤٣٠ )

ويُنِيك عن شاني الوليد وان نشا بليدا بالهام كوحى وفطنة  
اذا ان من شد القاط وحن في نشاط من تفريج افراط شدة

يتاغى فيلقى كلُّ كَلِّ اصابه ويُصغي لمن ناغاه كاللنصتِ  
 يُسكِّن بالتحريك وهو بمهده اذا ما له ايدي مرتبه هزت  
 وجدت يوجد آخذي عند ذكرها بتجبير تال او بالحن صت

وقس على ما ذكر كثيراً من لطائفه التي يشرح بها حاله فيصف تأثير الحب او جمال  
 المحبوب ، او ضلال العذال وما الى ذلك مما يبلغ فيه الطبقات العليا من الخيال الشعري

...

### عيوب اسلوبه

على ان في شعر ابن الفارض عيوباً لا يجوز الاغضاء عنها اهمها  
 تكرير المعاني - وذلك طبيعي في قصائد تدور على موضوع واحد ، وما اشبهه في  
 ذلك بابي العتاهية . على ان شاعرنا لا يكتفي بتكرير المعنى بل كثيراً ما يكرر العبارة  
 وقد يكرر البيت في اماكن شتى . كقوله -

اخذتم فؤادي وهو بعضي فإ الذي يضركم لو كان عندكم الكل

فقد جاء في قصيدة اخرى -

اخذتم فؤادي وهو بعضي فإ الذي يضركم لو تتبعوه بجملي  
 وورد هذا المعنى مراراً في مواضع اخرى

وقوله

كهلال الشك لولا انه ان عيني عينه لم تنأي

وتراه في موضع آخر

كأنني هلال الشك لولا تاوهي خفيت فلم تهد العيون لرويتي

وقوله

ليت شعري هل كني ما قد جرى مذ جرى ما قد كني من مقلي

وقد ورد ايضاً بقوله

قد كني ما جرى دماً من جفون بك قرحي فهل جرى ما كفاكا

وقوله

فألو بسطت جسمي رأيت كل جوهر به كل حسن فيه كل محبة

ومثله

ولو بسطت جسمي رأت كل جوهر به كل قلب فيه كل غرام

وقوله عن العين

فانسانها ميت ودمعي غسله واكفانه ما ابيض حزناً لفرقتي

ومثله

فسهدي حي في جفوني مخلد ونومي بها ميت ودمعي له غيل

وقس على ما ذكر ما لم يذكر .

وقلما تجد قصيدة من قصائده تخلو من مخاطبة سائق الظعن ، والتقدم اليه ان يحمل

السلام الى الاحباب ، وان يذكر لهم صباً سريعاً يحيل الجسم الى درجة الخفاء .

ويكثر في شعره التنقص من العذال واللائمين ، وذكر ريح الصبا التي يخلصها بحمل

الخباره او اخبار الحبيب .

✓ ومن عيوبه الغموض - وهو اماً لبعده اشاراته وشطحاته احياناً ، او لتعسفه في الصناعة

خذ قوله مثلاً

ناب بدر التام طيف محيأك لطرفي بيقظتي اذ حكاكا

فترايت في سواك لعين بك قرّت وما رايت سواكا

وكذاك الخليل قلب قبلي طرفه حين راقب الافلاك

ومعنى الابيات - ظهر لي البدر نائباً عنك مشبهاً محيأك ، فما ظهر لي سواك لان عيني

لا تشاهد الا جمالك . وكذا ابرهيم الخليل كان يرقب النجوم باحثاً عن مبعثها العظيم .

وفي هذا التركيب من التعسف ما ترى

وله من هذا القبيل ما يلفت النظر . وانغض منه شطحياته وهي راجعة الى غرائب

ما يصفه من احواله الصوفية وهذه لا يفهمها الا ارباب هذه الطريقة او المطلعون على

اسرارها .

اما غموض البديع فعروف وهو يشارك فيه كل اهل الصناعة ، وربما فاقهم احياناً  
لمحاوثة الجمع بين عدة ضروب في معنى او بيت واحد .

...

وبرغم مقدرة اللغوية وشاعريته الممتازة لا يخلو ديوانه من هفوات لغوية او اعرابية.  
كقوله -

لو طويتم نصح جار لم يكن فيه يوما يالُ طياً يالَ طي  
وصحيحه يالو طياً يا آل طي

وقوله يضركم لو تبعوه بجملي - الصواب لو تبعونه

وقوله ناب بدر التام طيف محياك - وصوابه عن طيف محياك

وقوله اعل اصيحابي بمكة يبردوا بذكر سليمان ما تجن الاضالع  
وصوابه يبردون

وقوله فان لها في كل جارحة نصلُ وصوابه نصلا وقد يخرجونه بتقدير ضمير  
الشان فتصبح فانه الخ

وهو يكثر من استعماله لعة « اكلوني البراغيث » كقوله

وان كثروا اهل الصباية او قأوا وقوله وان مزجوه عذلي

وما الى ذلك مما يلاحظ في تضاعيف ديوانه .

ومن تساهله اللغوي

قوله لم يرق لي منزل بعد النقا . وهو لطيف على ان فعل راق يتعدى راساً  
فيقال راقني ذلك .

وليس ما ذكرناه بالذي يتفرد به ابن الفارض ، فقد مر معنا ما عيب على المتنبي وغير

المتنبي . ولما يخلو ديوان من مثل هذه الهفوات ، واكثرها للمحافظة على الوزن .

عزله

عرف ابن الفارض بانه شاعر الحب . والناس في ذلك طائفتان ، اهل الظاهر ، واهل  
الباطن . فاهل الظاهر هم القائلون بانه لا يخرج عن سبيل العشاق او الغزلين الذين وصفوا

الجمال الانساني (ولاسيا جمال المرأة) وتأثيره في نفوس المحبين وقد عزا اليه بعضهم ولعه بسماع الغناء من جوار له وانه كان يرقص لذلك ويتواجد<sup>(١)</sup>. وعلى الظاهر يفترسون حبه وساعه وشعره او على الاقل لا يتعترضون لما في ذلك من رموز صوفية. ذكروا ان بعضهم في عصر الحافظ ابن حجر كتب على الثانية شرحاً ، وارسله الى بعض عظام صوفية الوقت ليقرظه ، فاقم عنده مدة ، ثم كتب عليه عند ارساله اليه

سارت مشرقة وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

« فقيل له في ذلك، فقال: مولانا الشارح اعتنى بارجاع الضائر والمبتدا والخبر والجناس والاستعارة ، وما هنالك من اللغة والبديع ، ومراد الناظم وراء ذلك كله »<sup>(٢)</sup>  
ومن نظر الى الديوان نظراً ظاهرياً ابن ابي حجلة . وقد قال في وصفه<sup>(٣)</sup> « هو من ارتق الدواوين شعراً ، وانفسها درأ برأً وبجرأً ، واسرعها الى القلوب جرحاً ، واكثرها على الطول نوحاً ، اذ هو صادر عن نقشة مصدر ، وعاشق مهجور ، وقلب بحر النوى مكسور ».

ولا يقصد ابن ابي حجلة بالعشق هنا النوع الصوفي منه الذي يرمز الى الجمال الالهي ، اذ المعروف عنه انه كان من سبتي الاعتقاد بابن الفارض<sup>(٤)</sup> ، بل يقصد ما يذهب اليه كثيرون من ان غزله غزل عادي كغزل ابن ابي ربيعة ، عباس ابن الاحنف ، والبهاء زهير وسواهم . ولا ينكر ان شهرة شاعرنا قائمة عند الجمهور على هذه الوجهة الظاهرية ، فهم يحفظون قصائده ويرددونها لضربها على اوتار الغرام ، ولانها تلائم ما يشعرون به من خوالج الوجد والهيام . على ان شعور الجمهور لا يحتم علينا ان ننظر اليها كذلك ، مهما حاولنا ان نضرب صفحاً عن تصوفه ، فان من قصائده ما لا يفتر الا تفسيراً باطنياً او رمزياً ( صوفياً ) . ومن ذلك قصيدته الحزبية ، واليك مثلاً منها -

ولو جليت سراً على اكمه غدا بصيراً ومن راووقها يسمع الصم<sup>٢</sup>  
ولو ان ركباً يسموا ترب أرضها وفي الركب ملسوع لما ضره الصم<sup>٢</sup>

(١) شذرات الذهب ٥-١٥٢

(٢) « « « ١٥١

(٣) « « « ١٥١

(٤) الديوان ١١

(١) (١٥٠٠) ٢٢٢

(٢) (١٥٠٠) ٢٢٢

(٣) (١٥٠٠) ٢٢٢

تقدّم كل الكائنات حديثها قديماً ولا شكلاً هناك ولا رسم  
وقامت بها الاشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لا له فهم  
وهامت بها روحي بحيث تازجا اتحاداً ولا جرمٌ تحلله جرم  
وقالوا شربت الاثم كلاً وانما شربت التي في تركها عندي الاثم

والذي يقرأ هذه القصيدة ويتفهم معانيها ومراميتها، ثم يقابلها ببحريات ابي نواس مثلاً يرى فرقاً واضحاً برغم ما قد يتوهمه من تشابه الصفات في البحرين النواسية والفارضية

...

واهمٌ من هذه الخمرية واسمى تصوفاً تائيته الكبرى « او نظم السلوك » التي مطلعها -  
سقتني حياً الحبّ راحةً مقلتي وكاسي حياً من عن الحسن جأت

وهي قصيدة فريدة في الادب العربي ، او كما يقول المستشرق العلامة هامر في مقدمة ترجمته لها « انها اسمى ما وصل الينا من هذا القبيل في ادب الشرق والغرب »<sup>(١)</sup>. ويقابلها « بنشيد الانشاد » في التوراة فيقول « هي نشيد انشاد العرب في الحب الصوفي ولئن قصرت عن « نشيد الانشاد » في الصور الطبيعية ، فانها تفوقه في الرموز التصوفية »<sup>(٢)</sup>

...

والمروي « انه لم ينظمها على حدّ نظم الشعراء اشعارهم بل كانت تحصل له جذبات يغيب فيها عن حواسه فاذا افاق املى ما فتح الله عليه منها ، ثم يدع حتى يعاوده ذلك الحال »<sup>(٣)</sup>

ويصف ولده هذه الغيبوبة فيقول « كان الشيخ في غالب اوقاته لا يزال دهشاً ، وبصره شاخصاً ، لا نسمع من يكلمه ولا يراه : فتارة يكون واقفاً ، وتارة يكون قاعداً ، وتارة يكون مضطجعا على جنبه ، وتارة يكون مستلقياً على ظهره مسجياً كاليت . وعير عليه عشرة ايام متواصلة ، واقل من ذلك واكثر ، وهو على هذه الحالة - لا يأكل

(١) مقدمة الترجمة XX (فيينا ١٨٥٤)

(٢) « VIII

(٣) الديوان ١١



ولا يشرب ولا يتكلم ولا يتحرك - ثم يستغيث وينبث من هذه الغيبة ، ويكون اول كلامه انه يلي من القصيدة « نظم السلوك » ما فتح الله عليه <sup>(١)</sup> .

وعلى ما رووه من غيبته يعقب المستشرق الاستاذ نكلسون بقوله « انا لا نرى لزاماً ان نشك في صحة ما رووه في التاريخ ما يذكىه - هذا بلايك (Blake) فقد قال عن نفسه ان سكرة روحية كانت تغشاها كلها مسك القلم او المرصم - وسانت كاترين اوف سيانا كانت تلمي احاديثها على كتبها وهي في حالة الوجد او الغيبة (Ecstasy) . وكان جلال الدين الرومي ، اذا غاص في بحر المحبة ، امسك بعمود في داره واخذ يدور حوله وفي خلال ذلك ينظم ويملئ <sup>(٢)</sup> »

فليس من الغريب ان تأخذ « الحال » شاعراً رقيق الشعور شديد التأثر كابن الفارض . والذي يتأمل تأنيته العجيبة يرى فيها آثار تلك الحال ، كقوله -

ودأهني منها ذهولي ولم أفق  
فاصبحت فيها والمأ لاهياً بها  
وعن شغلي عني شغلت فلو بها  
وما زلت في نفسي بها متردداً

علي ولم اقف التامسي بظنتي  
ومن ولّيت شغلاً بها عنه الهت  
قضيت ردى ما كنت ادري بنقلتي  
لنشوة حسي والمحاسن خمرتي

وقوله

يشاهدها فكري بطرف تحبلي  
ويحضرها للنفس وهمي تصوراً  
فاعجب من سكري بغير مدامة  
ويسمعها ذكري بسمع فظنتي  
فيحسبها في الحس وهمي نديتي  
واطرب في سري وهمي طربتي

ومما يشير الى انه نظم كثيراً منها على اثر تواجد او « حال » ان المعاني تتكرر فيها على طرق شتى . ففي نفس الشاعر شوق مستعر يحمله الى العلى ، وكثيراً ما يجب عنه ابواب التأمل المنطقي . على انه يثير شعوره فيظهر في ابيات او قطع قد تختلف لفظاً عما نظم قبلاً ولكنها لا تختلف معنى . ومن ذلك معظم ما نظمه في الجمع والاتحاد والفناء . والصحو وما شاكل من هذه المعاني التي كانت تشغل عقله فاذا غاب تسارعت الى خاطره

(١) الديوان ١١

(٢) Studies in Islamic Mysticism 167

فألى لسانه . وإذا اعترض أن الصنعة البدئية فيها تعارض ذلك لتطلبها التدقيق في التركيب  
وامتلاك الحواس في اختيار الألفاظ المناسبة ، قلنا قد يكون ذلك صحيحاً ، ولكنه ليس  
بحتم . وإذا كان رجل كابن الفارض مشبع الروح بالتأملات الصوفية ، وكان مع ذلك  
واسع الاطلاع على لغة عصره الشعرية يخزن في ذاكرته الكثير من اوضاعهم واساليبهم ،  
لم يستحل عليه حتى في حال ذهوله ان يبت شعوره بواسطة تلك الاوضاع والاساليب

فالتائية الكبرى نشيد الوجد الروحي . فيها نشعر بذلك الحب الاسنى الذي يملك على  
الناظم حواسه فيسكره وينقله من عالم المادة الى عالم الروح . فيها نرى ذلك العراك  
المستمر بين الصلاح والشمر وذلك الفوز النهائي الذي انما ينال بمشاهدة الجمال الالهي -

وما هو إلا ان ظهرت لناظري باكمل اوصاف على الحسن اربت  
فحليت لي البلوى فخلت بينها وبينى فكانت منك اجمل زينة

وما الحب الحقيقي إلا الذي ينتهي بتلاشي ارادة الحب او اتحاده في حقيقة المحبوب  
وغيبت عن افراد نفسي بحيث لا يراحمي ابداء وصفه بحضورتي  
وها انا ابدي في اتحادي مبدأي وأنهى انتهائي في تواضع رفعتي

اما الجمال فهو الجمال المطلق الذي يتجلى في كل ما هو جميل في الطبيعة والانسان  
وصرح باطلاق الجمال ولا تقل بتقييده ميلاً لخرق زينة  
فكل مليح حسنه من جماله معار له بل حسن كل مليحة

وحب الجمال هو حب الله نفسه وهو عند ابن الفارض أعلى من عبادة الناسك ومن  
عبادة المتعلمين انفسهم بظواهر التقليد والنقل

وطب بالهوى نفساً فقد سدت انفس العباد من العباد في كل أمة  
وقر بالعلي واخر على ناسك علا بظاهر اعمال ونفس تركت  
وجز مثقلاً لو خف طف مؤملاً بمنقول احكام ومعقول حكمة  
وحز بالولا ميراث ارفع عارف غدا همهم ايثار . تأثير همة  
وته ساجباً بالسحب اذبال عاشق يوصل على اعلى الحجره جرت

على ان الجمال الانساني لا يمكن مشاهدته إلا بعد التجرد من اثار العقل والحس

الى ان بدا مني لعيني بارق      وبان سنا لجري وبانت دجنتي  
 هناك الى ما احجم العقل دونه      وصلت وبني مني اتصالي ووصلتي  
 واستار لبس الحس لمأ كشتها      وكانت لها اسرار حكمتي ارخت  
 رفعت حجاب النفس عنها بكشفتي      والتقاب وكانت عن سوالي مجيبي

ومتى شاهدت النفس المتجرّدة الجمال الاسنى تساوت لديها الاسماء والصفات واصبحت

هي والوجود الالهي شيئاً واحداً ، فرأت في كل الاشكال معنى واحداً

ترى صور الاشياء تجلي عليك من      وراء حجاب اللبس في كل خلقه  
 تجمعت الاضداد فيها لحكمة      فاشكالها تبدو على كل هيئة

وكل الاديان مظاهر لدين واحد حتى عبّاد الاوثان ليس عبادتهم في الحقيقة الا اتجاهاً

نحو الجمال الالهي المطلق

فما قصدوا غيري وان كان قصدهم سواي وان لم يظهروا عقد نية

ولشيوخ مثل ذلك في شعره اتهمه البعض بالحلول<sup>(١)</sup> وكفروه ، حتى قال المناوي وهو  
 من المدافعين عنه<sup>(٢)</sup> - « والحاصل انه اختلف في شأن صاحب الترجمة ( ابن الفارض ) وابن  
 عربي ، والعميق التلمساني ( وفلان وفلان يعددهم ) من الكفر الى القطبانية ، وكثرت  
 التصانيف من الفريقين في هذه القضية » على ان الفارض يدافع عن نفسه فيقول

وكيف وباسم الحق ظلّ تحقّقي      تكون اراجيف الضلال مخيفي  
 ولي من اصحّ الرؤيتين اشارة      تنزه عن رأي الحلول عقيدتي  
 وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر      ولم اعد عن حكمتي كتاب وسنة

فابن الفارض لا يعتمد في شعره الطريقة الجدلية ، ولا يدخل في نضال فلسفي يدعه  
 بالادلة والبراهين ، بل هو يصور الوجود بالوان الجمال المطلق ، وينسج من عواطفه حلة  
 سداها ولحمها الحب المسكر ، حلة تلبسها النفس فتحتجب عن علاقاتها المادية ، وتعلو في  
 لوح الغشاء الى حيث تتزج بروح الكون . وفي ذلك المقام تطل على الوجود فلا ترى فيه

(١) الديوان ١٢

(٢) شذرات الذهب - ٥ - ١٥٢

ألا شكلاً واحداً ولوناً واحداً ، وقوة واحدة .

الحبّ هو نشيد ابن الفارض . وهو ، سواء نظرت اليه من وجهة الظاهر او وجهة الباطن ، حب سام يرفع النفس الى المثل العليا ، ويكشف لها عن جمال الوجود الاعظم . وما ميّ ، وعتب ، ورياء ، وسلمى ، وليسلى وسواهن عنده ألا مرايا تعكس لنا نور المحبوب الاسنى .

وما الوجد ، والشوق ، والوصل ، والهجر ، والعذل ، والتعذيب ، والذلّ ، والنحول ، والموت ، والقدر ، والوفاء ، واللوم ، والعتاب ، والرضا واضراب هذه الاوضاع الغزليّة ألا اختبارات نفس شديدة الاحساس في سعيها نحو مصدر الجمال

وما مراتب الحجاز ألا رمز للمراتب العلوية، ولذلك تراه يردد ذكراها في اكثر قصائده ، فيقول مثلاً

يا ساكني البطحاء هل من عودة احيا بها يا ساكني البطحاء .

...

لا تُملني عن هوى مرتبعي عدوتيّ تيماً لربعٍ بثمي

...

قسماً بمكّة والمقام ومن اتى البيت الحرام ملتياً سيأحيا  
ما رنّحت ربيع الصبا شريح الرُّبّي ألا واهدت منكم افراحا

تلك هي عاطفته المجازية التي تبرز في اكثر قصائده . ومهما غلا المشككون فان في تلك العاطفة ما يبرّر قولنا بصوفيّة شاعرنا ونبالة حبه .

## المختار من شعر ابن الفارض

نفس رقيقة ترتفع على اجنحه الحب الى العلى ثم تذبذب في الفضاء الواسع تاركة وراءها  
نغماً لطيفاً يترجمه الشعر فيطرب السامعين

## بأبنته المشروورة

سائق الاضمان يطوي البيدَ طي<sup>(١)</sup>      منعماً عرج علي كئيبان طي<sup>(١)</sup>  
وبذات الشيح عني إن مر<sup>(٢)</sup>      ت بجي من عريب الجزع حي<sup>(٢)</sup>  
وتلطف وأجر ذكري عندهم      علمهم أن ينظروا عطفاً إلي<sup>(٣)</sup>  
قل تركت الصب فيكم شبحاً      ما له مما يراه الشوق في<sup>(٣)</sup>  
خافياً عن عائد لاح كما      لاح في برذيه بعد النشر طي<sup>(٣)</sup>  
كهلال الشك لولا أنه      أن عيني عينه لم تتأي<sup>(٤)</sup>  
مسبلاً للنأي طرفاً جاد إن      ضن نوء الطرف أن يسقط خي<sup>(٤)</sup>  
بين اهليه غريباً نازحاً      وعلى الاوطان لم يعطفه كي<sup>(٥)</sup>  
نشر الكاشح ما كان له      طاوي الكشح قبيل النأي طي<sup>(٥)</sup>  
في هواكم رمضان عمره<sup>(٥)</sup>      ينقضي ما بين إحياء وطبي<sup>(٥)</sup>  
حائراً في ما اليه امره<sup>(٥)</sup>      حائر والمر في المحنة عي<sup>(٥)</sup>  
يا أهيل الود أني تنكرو      في كهلا بعد عرفاني فتي<sup>(٥)</sup>

(١) طي الاول مصدر طوى . والثانية اسم قبيلة

(٢) ذات الشيح موضع . الجزع منعطف الوادي . والحى ( الثانية ) اي سلم

(٣) هو في الخفاء كهلال الذي لم تثبت رويته ولولا انينه لما رات عيني ذاته ( عينه )

(٤) ساكباً دموع طرف يجود بالبكاء وان بخل نجم « الطرف » عند سقوطه بالمطر ( وكان

نوءه ماحلاً او خياً )

(٥) كي اي عطف

وهوى الفادةِ عمري عادةً      يجلبُ الشيبَ الى الشابِ الأحمي<sup>(١)</sup>  
 نصباً اكسبني الشوق كما      تكسب الافعال نصباً لام كي  
 ومتى اشكُ جراحاً بالحشا      زيد بالشكوى اليها الجرح كي  
 عجباً في الحربِ أدعى بأسلاً      ولها مستبسلاً في الحبِ كي<sup>(٢)</sup>  
 هل سمعتم او رأيتم أسداً      صاده لحظ مهارةٍ او ظي  
 وضع الآسي بصدري كفته      قال مالي حيلةٌ في ذا الهوي  
 سقمي من سقمِ اجفانكم      وبموسولِ الثنايا لي دوي  
 اورعدوني او عدوني وأطلوا      حكمُ دينِ الحبِ دينِ الحبِ لي  
 رجعَ اللاحي عليكم أنساً      من رشادي وكذاك العشق غي  
 أبعينيه عمي عنكم كما      صممٌ عن عدله في أذني<sup>(٣)</sup>  
 ظلُّ يهدي لي هدىً في زعمه      ضلُّ كم يهذي ولا أضغي لغي  
 ذابت الروح أشتياقاً فهي به      دد نفاذِ الدمع اجري عبرتي  
 فهبوا عيني - ما اجدى البكا - عين ما ه في إحدى منيتي  
 او حشا سال وما أختاره      إن ترؤوا ذاك به منأ على  
 بل أسيتوا في الهوى او احسنوا      كلُّ شيءٍ حسنٌ منكم كدي

...

روح القلب بذكر المنحني      وأعدهُ عند سمعي يا أخي  
 لم يرق لي منزلٌ بعد النقا      لا ولا مستحسنٌ من بعد مي  
 آه واشوقي لضاحي وجهها      وظها قلبي لذياك اللئي<sup>(٤)</sup>  
 فكلر منه والاحاظ لي      سكرةً واطرباً من سكرتي  
 جنّةٌ عندي ربها أمحلت      أم حلت - عجلتها من جنتي<sup>(٥)</sup>

(١) الاحي اي الاسود الشعر (٢) كي جبان

(٣) هل عميت عينه عن جمالكم كما صمت اذني عن مماع عدله

(٤) تصغير لي وهو سكرة في باطن الشفة او ماء الثغر

(٥) هي عندي جنّة سواء اجذبت ام تحلت بالخصب ويشير بالجنّة الثانية الى السماء

دارٌ مُخلدٌ لم يدُرْ في خلدي أنه من ينأ عنها يلقَ غي

...

خاطبَ الخطبَ دع الدعوى فما بالرُّقى ترقى الى وصل رُقي<sup>(١)</sup>  
 رُحٌ معافى وأنتم نصحي وإن شئت ان تهوى فلبلوى تهبي  
 كم قتيلٍ من قبيلٍ ماله قودٌ في حبنا من كل حي  
 ايُّ تعذيب سوى البعد لنا منك عذبٌ حببًا ما بعد اي  
 إن تبي راضيةً قتلي جوى في الهوى حسي أفتخاراً أن تسي  
 ما رأيت مثلك عيني حسناً ومثلي بك صباً لم تري  
 نسبٌ اقربُ في شرع الهوى بيننا من نسبٍ من أبوي  
 ليت شعري هل كني ما قد جرى منذ جرى ما قد كني من مقلتي  
 سرُّكم عندي ما اعلنه غير دمعٍ عندي عن دمي<sup>(٢)</sup>  
 مظهراً ما كنتُ أخفي من قديمٍ حديثٍ صانه مني طي  
 يا أصيحابي تمادى بيننا ولبعدٍ بيننا لم يقضَ طي  
 عللوا روحي بارواح الصبا فبريأها يعود الميثُ حي  
 أي صبا أي صبا هجت لنا سحراً من اين ذياك الشذي  
 ذاك ان صاغت ريان الكلا وتحرشتِ بجودان كُلي<sup>(٣)</sup>  
 فلذا تروي وتروي ذا صدَى وحديثاً عن فتاة الحبي حبي<sup>(٤)</sup>  
 سائلي ما شقني في سائلِ الدمع لو شئت غني عن شفتي  
 عتبٌ لم تُعتبِ وسلمى اسلمت وحى اهل الحمى رؤية ربي<sup>(٥)</sup>

...

(١) رقي اسم فتاة ويكنى بها عن الجبال الاسنى

(٢) عندي اي احمر . دمي تصغير دم اي سائل من دمي

(٣) اي انما ذلك الشذا لانك لمست الكلا الناضر وتحرشت بنبات الخوذان في وادي الحبيب .  
 ولذا فانت تروي صاحب الطش وتروي الخبر الصادق (الحبي) عن فتاة الحبي

(٥) يا من تسأني عما اصابني انظر الى الدمع السائل تجد فيه جواني . وعتب وسلمى وري اماء فتيات .

## هو الحب

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل  
وعش خالياً فالحب راحته عناً  
ولكن لدي الموت فيه صباة  
نصحتك عاماً بالهوى والذي ارى  
فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به  
فمن لم يمت في حبه لم يعش به  
تمسك باذيال الهوى وأخلع الحيا  
وقل لقتيل الحب وفيت حنه  
تعرض قوم للغرام واعرضوا  
رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم

أحبة قلبي والمجبة شافعي  
عسى عطفة منكم علي بنظرة  
احباي انتم احسن الدهر ام أسا  
اذا كان حظي المهجر منكم ولم يكن  
وتعذيبكم عذب لدي وجوركم  
وصبري صبر عنكم وعليكم  
اخذتم فوادى وهو بعضي فما الذي  
نأيتم فغير الدمع لم ار وافياً  
فسهدي حي في جفوني محلداً  
هوى ظل ما بين الطلول دمي فمن

لديكم اذا شتمت بها اتصل الحب  
فقد تعبت بيني وبينكم الرسل  
فكونوا كما شتمت انا ذلك الخل  
بعاد فذاك المهجر عندي هو الوصل  
علي بما يقضي الهوى لكم عدل  
ارى ابدأ عندي مرارته تحلو  
يضركم لو كان عندكم الكل  
سوى زفرة من حر نار الجوى تعلق  
ونومي بها ميت ودمعي له غسل  
جفوني جرى بالسفح من سفحه وبل<sup>(٢)</sup>

(١) ان حب الجال الاسنى والتادي فيه (على طريقة الصوفية) هو افضل الطرق فسر به ولو خالفت اهل الطرق الاخرى

(٢) هوى هدر دمي بين طول الاحبة فجرى من جفوني لذلك وابل من الدموع



تَبَّالَهَ قَوْمِي إِذْ رَأَوْنِي مَتِيماً  
وماذا عسى عني يقال سوى غدا  
وقال نساء الحبيِّ عَنَّا<sup>(١)</sup> بذكر من  
إذا انعمتُ نَعَمٌ عَلَيَّ بِنظرةٍ  
وقد صدقت عيني برؤية غيرها  
وقد علموا أَنِّي قَتِيلٌ لِحَاضِهَا  
حديثي قديمٌ في هواها وما له  
وما ليَ مِثْلٌ في غرامي بها كما  
حرامٌ شفا سقمي لديها رضىتُ ما  
فحالي وان ساءت فقد حسنت به  
ولي همةٌ تعلو إذا ما ذكرتها  
جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي  
فنافس ببذل النفس فيها أخوا الهوى  
فمن لم يجد في حبِّ نعيمٍ بنفسه  
ولولا مراعاة الصيانةِ غيرةً  
لقلت لعشاق الملاحاة اقبلوا  
وان ذكركم يوماً فغروا لذكركم  
وفي حبهما بعث السعادة بالشقا  
وقلت لرشدي والتنسك والتقى  
وفرغت قلبي عن وجودي مخلصاً  
واصبوا الى العذال جأ لذكركم  
فان حدثوا عنها فكلي مسمع

وقالوا بن هذا الفتى مسه الجبل 9  
بنعم له شغل نعم لي بها شغل  
جفانا وبعد العز لذة له الذل  
فلا سعدت سعدى ولا اجملت جمل  
ولم جفوني تربها للصداء يجلو  
فان لها في كل جارحة نصل<sup>(٢)</sup>  
كما علمت بعد وليس له قبل  
غدت فتنة في حسنها ما لها مثل  
به قسمت لي في الهوى ودمي حل  
وما حط قدري في هواها به اعلو  
وروح بذكرها اذا رخصت تغلو  
فاصبح لي عن كل شغل بها شغل  
فان قبلتها منك يا حبذا البذل  
ولو جاد بالدنيا اليه انتهي البخل  
ولو كثروا اهل الصباية او قلوا  
اليها على رأبي وعن غيرها واولا  
سجوداً وان لاحت الى وجهها صلوا  
ضلالاً وعقلي عن هداي به عقل<sup>(٣)</sup>  
تحلوا وما بيني وبين الهوى خلوا  
لعي في شغلي بها معها اخلوا  
كأنهم ما بيننا في الهوى رسل  
وكلي ان حدثتهم ألسن تتلو

(١) عتاً به اي ابعده

(٢) الاصل فان لما نصلاً ولكنهم يخرجون الاعراب بتقديرهم ضمير الشأن فكأنه يقول

فانه لما الخ

(٣) عقل الثانية مصدر عقل اي منع او ربط

تخالفت الاقوالُ فينا تبايناً  
 فشنعَ قومٌ بالوصالِ ولم تصلِ  
 فما صدقَ التشنيعُ عنها اشقوتي  
 وكيف أُرَجِي وصلَ من لو تصوّرتُ  
 تُرى مقلتي يوماً ترى من أحبهم  
 وما برحوا معنى أراهم معي فان  
 فهم نصب عيني ظاهراً حيناً سرّوا  
 لهم ابدأ مني حنوً وإن جفوا  
 برجم ظنوننا بيننا ما لها اصل  
 وارجف بالسلوان قومٌ ولم أسلُ  
 وقد كذّبت عني الاراحيف والتقل  
 حماها المنى وهما لضاقت بها السبل  
 ويعتبني دهري ويجمع الشمل  
 نأوا صورةً في الذهن قام لهم شكل  
 وهم في فؤادي باطناً ايناً حلّوا  
 ولي ابدأ ميل اليهم وان ملّوا

### أما القبل

ما بين معترك الاحداق والمُهَج  
 ودعت قبل الهوى روجي لما نظرت  
 لله اجفان عين فيك ساهرة  
 واضلعت نجلت كادت تقومها  
 وادمع هملت لولا التنفس من  
 وحبذا فيك اسقام خفيت بها  
 اصبحت فيك كما امسيت مكتئباً  
 أهفو الى كل قلب بالقرام له  
 عذب بما شئت غير البعد عنك تجد  
 وخذ بقية ما ابقيت من رفق  
 من لي باتلاف روجي في هوى رشاق  
 من مات فيه غراماً عاش مرتقياً  
 محجّب لو سرى في مثل طرقة

انا القليل بلا إثم ولا حرج  
 عيناى من حسن ذاك المنظر البهج  
 شوقاً اليك وقلب بالقرام شج  
 من الجوى كبدي الحرى من العوج  
 نار الهوى لم اكذب انجو من اللجج  
 عني تقوم بها عند الهوى حجج  
 ولم اقل جزعاً يا أزيمة أنفرجي  
 شغل وكل لسان بالهوى رنج  
 اوفى محب بما يرضيك مبتهج  
 لا خير في الحب إن ابقى على المهج  
 حلوا الشائل بالارواح مسترج  
 ما بين اهل الهوى في ارفع الدرّج  
 اغتنه غرته العرا عن السرج<sup>(١)</sup>

(١) اي لو سرى في ليل اسود كشمه لكان له من غرته نور يغنيه عن السرج

وان ضَلَّتْ بِبَيْلٍ مِنْ ذَوَائِبِهِ  
وان تَنَفَّسَ قَالِ الْمَسْكُ مَعْتَرَفًا  
يا ساكنَ الْقَلْبِ لا تَنْظُرْ الى سَكْنِي  
تَبَارَكَ اللهُ ما احلى شَبَائِلِهِ  
يهوى لذكرِ اَسْمِهِ مِنْ لُحٍّ فِي عَذْلِي  
وأرحمُ البرقِ فِي مَسْرَاهِ مُنْتَسِبًا  
تراه ان غابَ عني كُلُّ جَارِحَةٍ  
في نعمة العود والناي الرخيمِ اذا  
وفي مسارحِ غزلانِ الحماثلِ فِي  
وفي مساقطِ انداءِ الغمامِ على  
وفي مساحبِ اذْيالِ النسيمِ اذا  
وفي الثشاميِّ نَعْرَ الكأسِ مرثشفاً  
لم ادرِ ما غرْبَةُ الاوطانِ وهوَ معي

اهدى لعيني الهدى صبحٌ من البلج  
لعارفي طيبه « من نثره أرجي »  
واربج فؤادك وأحذر فتنة الدبع  
فكم اماتت واحيت فيه من مهج  
سمي ، وان كان عذلي فيه لم يلج<sup>(١)</sup>  
لشعره وهو مستحي من الفلج  
في كل معنى لطيف رائق بهج  
تألفا بين الحان من المزج  
برد الاوائل والاصباح في البلج  
بساط نور من الازهار منتجع  
اهدى الي سحيراً اطيب الارج  
ريق المدامة في مستزده فرج  
وخاطري اين كنا غير متزعج

فلمي بمدني جركومر

صم

قلبي يمدُّني بانك متلني  
لم أقض حق هواك ان كنت الذي  
ما لي سوى روعي وبأذل نفسه  
فلئن رضيت بها فقد اسعفتني  
يا مانعي طيب المنام وماحي  
عطفاً على رمقي وما ابقيت لي  
فالوجدُ باقٍ والوصال مماطلي

روحي فذاك عرفت ام لم تعرف  
لم اقض فيه اسي ومثلي من يفي<sup>(٢)</sup> ريمو  
في حب من يهواه ليس بمسرف  
يا خيبة المسعى اذا لم تسعف  
ثوب السقام به ووجدني المتلف  
من جسمي المضني وقلبي المذنف  
والصبر فان واللقاء مسوفي

(١) اي جوى سمي ان يسمع كلام العاذل اللجوج لانه يذكره وان كان (سمعي) لا يقبل العذل  
(٢) اقضي الاولى أو ذِي . والثانية اموت

لم اخلُ من حسدٍ عليك فلا تُضِعْ  
 وأسألُ نجومَ الليلِ هل زار الكرى  
 لا غروُ إن شحَّتْ بغمضِ جفونها  
 وبنا جرى في موقفِ التوديعِ من  
 ان لم يكن وصلٌ لديك فعد به  
 فالطلُّ منك لدي ان عزَّ الوفا  
 اهفو لانفاس النسيم تعلقةً  
 فاعلِّ نارِ جوانحي بهبوبها  
 يا اهل ودي انتم املي ومن  
 عودوا لما كنتم عليه من الوفا  
 وحياتكم وحياتكم قَمَماً وفي  
 لو أن روعي في يدي ووهبتها  
 لا تحسبوني في الهوى متصِّعاً  
 اخفيتُ حبكم فاخفاني اسي  
 وكتمتُه عني فاو ابيته  
 ولقد اقول لمن تجرَّش بالهوى  
 انت القتيلُ باي من احبته  
 قل للعذول اطلت لومي طامعاً  
 دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى  
 برح الخفاء بحب من لو في الدجى  
 وهواه وهو أيتي وكني به  
 او قال تيهاً قف على جمر الغضا  
 لا تنكروا شعني بما يرضى وان

سهري بتشنيع الخيال المرجف  
 جفني وكيف يزور من لم يعرف  
 عيني وسحَّتْ بالدموع الذرف  
 ألم النوى شاهدت هول الموقف<sup>(١)</sup>  
 املي وماطل ان وعدت ولا تني  
 يحلو كوصل من حبيب مسعف  
 ولوجه من نقلت شذاه تشوئي  
 ان تنظفي واود ان لا تنظفي  
 نادام يا اهل ودي قد كفي  
 كراماً فاني ذلك الخلُّ الوفي  
 عمري بغير حياتكم لم احلف  
 لبشري بقدمكم لم أنصف  
 كلني بكم خلقت بغير تكلف  
 حتى لعمرى كدت عني اختفي  
 لوجدته اخي من اللطف الخفي  
 عرضت نفسك للبلا فاستهدف  
 فاختر لنفسك في الهوى من تصظفي  
 أن الملام عن الهوى مستوفي  
 فاذا عشقت فبعد ذلك عتف  
 ستر اللثام لثقت يا بدر أخف  
 قماً اكاد أجله كالمصحف<sup>(٢)</sup>  
 لوقفت ممثلاً ولم اتوقف  
 هو بالوصال علي لم يتعطف

(١) الموقف الثانية يوم الحساب في الآخرة

(٢) البقي اي قسمي، والمصحف القرآن الكريم

غلب الهوى فاطمتُ امر صابتي من حيث فيه عصيت نهي معتي  
 متي له ذلُّ الخضوع ومنه لي عزّ المنوع وقوةُ المستضعف  
 ألف الصدود ولي فؤاد لم يزل مذ كنت غير وداده لم يألّف  
 لو اسمعوا يعقوب ذكر ملاحته في وجهه نسي الجمال اليوسفي  
 او لو رآه عائداً أيوب في سنة الكرى قدماً من البلوى شفي  
 كلُّ البدور اذا تجلّى مقبلاً تصبو اليه وكلُّ قدر اهيف  
 ان قلتُ عندي فيك كلُّ صابرة قال الملاحه لي وكلُّ الحسن في (١)  
 كملت محاسنه فلو اهدى السنا للبدر عند تمامه لم يخفف  
 وعلى تغنّي واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف  
 ولقد صرفتُ لجنه كآلي على يد حسنه فخدمت حسن تصرفي  
 اسعد أخى وغنني بجديشه وأنثر على سمعي حلاه وشرف  
 لأرى بعين السمع شاهد حسنه معنى فاتحني بذاك وشرف (٢)  
 يا أخت سعد من حبيبي جشني برسالة اديتها بتلطف  
 فسمعت ما لم تسمعي ونظرت ما لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي (٣)  
 ان زار يوماً يا حشاي تقطعي كلفاً به او سار يا عين أذرفي  
 ما للنوى ذنب ومن اهوى معي ان غاب عن انسان عيني فهو في (٤)

## زدني بفرط الحب

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشى بلظى هواك تسعرا  
 واذا سألتك ان اراك حقيقة فاسمع ولا تجعل جوابي ان ترى

(١) اي وكل الحسن في

(٢) غنني بجديشه لارى جماله عن طريق السمع وقد جعل للسمع عيناً عن طريق المجاز

(٣) اي ايها الفتاة المنتمية الى قبيلة سعد انك حملت لي رسالة الحبيبة ولكنك لم تسمعي منها ولم

(٤) اي في الغاب

ترفي ما سمعت وعرفت انا

يا قلبُ انت وعدتني في جهنم  
 ان الغرام هو الحياة فت به  
 قل للذين تقدموا قبلي ومن  
 عني خذوا ولي اقتدوا ولي اسمعوا  
 ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا  
 واباح طرفي نظرة املتها  
 فدهشت بين جماله وجلاله  
 فادرت لحاظك في محاسن وجهه  
 لو ان كل الحسن يكمل صورة  
 صبرا فحاذر ان تضيق وتضجرا  
 صبا فحفاك ان تموت وتعدرا  
 بعدي ومن اضحى لاشجاني يرى  
 وتحذثوا بصباتي بين الورى  
 سر ارق من النسيم اذا سرى  
 فغدوت معروفا وكنت منكرا  
 وغدا لسان الحال عني مخبرا  
 تلقى جميع الحسن فيه مصورا  
 وراه كان مهلا ومكبرا



## محتويات الكتاب

ص	ص
ظواهر الحضارة في العصر العباسي	٢٤
نشوء قومية عربية جديدة - انتشار	٢٤
العرب في الامصار	
الامتزاج بالزواج	٢٧
تعرب الامم المغلوبة	٢٨
حضارة بغداد	٢٩
الحيابة والمصادرة	٢٩
امثلة من بذخ العباسيين - ملابس	٣١
الموفق والمكتفي	
جواهر المقدر	٣٢
بذخ ام جعفر وام المستعين	≈
الهادي والرشيد والواثق	≈
الولائم والافراح والمساكل	٣٣
ال عمران الزراعي والتجاري	٣٤
بعض صور اجتماعية يعكسها	٣٧
الادب - الجوارى والقلبان	
مجالس الشراب	٣٨
التأنيق في الفنون العصرية	٣٩
انتشار المدارس والعلوم	٣٩
ظواهر الحركة الفكرية العامة	٤٠
مجارى الحركة الفكرية	
مصادرها الرئيسية	٤١
نظرة عامة في الادوار السياسية	٣-١
في العصر العباسي	
التنافس بين العناصر	٣
بجزء الخلافة	٥
الامارات المستقلة في بلاد فارس	٧
الامارات التركية	٧
الامارات العربية	٨
الدولة الفاطمية	٩
الدولة الاندلسية	٩
تأثير هذا التجزؤ في الادب	١٠
الحركات الهدامة الداخلية	١١
حركات الحوارج	١٢
حركات العلوية	١٢
الزنج	١٣
القرامطة	١٤
الحشاشون	١٤
العوامل الهدامة الخارجية - الروم	١٥
غارات الصليبيين	١٦
تطور الحياة الاجتماعية	
الحضارة في فجر الاسلام	١٨
الدولة الاموية	١٩

المختار من شعره		المصدر اليوناني	٤١
دع غنك لومي	٩٧	المصدر الفارسي	٤٤
دع الربع ما للربع فيك نصيب	٩٧	المصدر الهندي	٤٧
ذكر الصبح بسحرة فارتاحا	٩٨	المجاري الفكرية الكبرى - الفلسفة	٤٩
مازلت استلّ روح الدنّ في لطف	٩٩	الكلام -	
عاج الشقي على رسم يسائله	٩٩	المعتزلة - نشأتها - غايتها	٥١-٥٠
خفيت عليك محاسن الحجر	١٠٠	مبادئها	٥٤-٥٢
ودار ندامي عطّأوها وادجلوا	١٠٠	الاشعرية وتعاليمها	٥٦-٥٤
وفتيان صدق قد صرفت مطيهم	١٠١	التصوّف ، نشأته - مبادئه	٦٠-٥٦
غدوت على اللذات منهتك الستر	١٠١	خصائص الشعر العباسي	٦٢
يا شفيق النفس من حَكَم	١٠٢	الشعر الوجداني والموضوعي	٦٢
اذا خطرت منك الهموم فداوها	١٠٣	التجدد في صناعة الشعر - رقة العبارة	٦٣
لا تحشعن طارق الحدان	١٠٤	النقد البياني	٦٥
اني عشقت وما بالعشق من باس	١٠٤	التفنن في المعاني	٦٦
اذا التقى في النوم طيفانا	١٠٤	البديع اللفظي	٦٩
بعض اقواله في جنان	١٠٥	التوسع في المصطلحات اللفظية	٧٠
يا دار ما فعلت بك الايام	١٠٥	امراء الشعر العباسي	٧٣
وعظمتك واعظة القدير	١٠٦	ابو نواس - مصادر دراسته	٧٥
سجّر الله للامين مطايا	١٠٧	بيئته وعصره	٧٦
انت يا ابن الربيع الزمتني النسك الخ	١٠٨	ميله الى الشعورية	٧٧
ايا رب وجه في التراب عتيق	١٠٨	موقفه من التجدد	٨٠
خل جنبيك لرام	١٠٩	مقامه الادبي	٨١
الم ترني ابجت اللّهُ نفسي	١٠٩	اساوبه - الموقف الاول - المقلد	٨٣
ايا من بين باطية وزق	١١٠	الموقف الثاني - المجدد	٨٦
دبّ في الفناء سفلاً وعلاوا	١١٠	شخصيته في شعره	٩١
١١١-١١٢ ابوالغاثية - مصادر دراسته		نظرة الى الحياة	٩٤



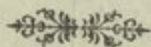
ص	ص
نادت بوشك رحيلك الايام ١٣٨	١١٣ نسبه وزندقته
سكن يبقى له سكن ١٣٩	١١٥-١١٧ حياته الادبية - اسباب انصرافه
الدهر ذو دول والموت ذو علل ١٤٠	١١٨-١١٧ عن اللهور راي الناس في ترجمه
١٤١-١٤٢ ابو تمام - مصادر دراسته	١١٩ رسالته الشعرية
١٤٣-١٤٥ توطئة تاريخية	١٢١ ابو العتاهية وابو نواس
١٤٥ اهم ممدوحيه	١٢٢ حكمه
١٤٦-١٤٩ شخصيته - عنفوانه - اعجابه بنفسه	١٢٥ شاعريته
١٤٩ خصائصه الفنية	١٢٦ مزايا شعره - السهولة
١٥٠-١٥٥ التأنق البديعي	١٢٧ رساقه التعبير
١٥٥-١٦٠ تفننه المعنوي	١٢٨ سرعة الخاطر
١٦٠ شغفه بالاغراب	١٢٩ عيوب شعره
١٦٣ دواعي غموضه	١٣١ عدم تفننه
المختار من شعره	المختار من شعره
١٦٧ السيف اصدق انباء من الكتب	١٣٢ نصبت لنا دون التفكير يا دنيا
١٧١ من سجايا الطلول الانجيبا	بكيته على الشباب بدمع عيني
١٧٣ على مثلها من اربع وملاعب	لدوا للموت وابنوا للخراب
١٧٥ اهن عوادي يوسف وصواجه	طلبت المستقر بكل ارض
١٧٦ دية سمحة القياد سكوب	اخوي مرآ بالقبور
١٧٧ غدت تستجير الدمع خوف نوى غد	١٣٤ حتى متى يستفزني الطمع
١٧٩ الحق ابلخ والسيوف عوار	١٣٤ متى تنقضى حاجة المتكلف
١٨١ اجل ايها الربع الذي خف آهله	١٣٥ بليت وما تبلى ثياب صباكا
١٨٢ كذافليجل الخطب وليفدح الامر	نعى نقسي الي من الليالي
١٨٤ دموع اجابت داعي الحزن همع	١٣٦ لمن طلل اسائه
١٨٧-١٨٨ البحري - مصادر دراسته	١٣٧ الاهل الى طول الحياة سبيل
١٨٩ توطئة تاريخية - اطوار حياته الثلاثة	اتدري اي ذل في السؤال

ص	ض
حاله مع الزمان ٢٣٣	ممدوحوه - ١٩١
عقليته واثرها في شعره ٢٣٤	ولمه بالخر ١٩٢
هجاؤه ٢٣٥	مذهبه السياسي ١٩٣
طيرته ٢٣٦	
اسرافه الخلقى ٢٣٧	<u>شعره في ديوانه</u>
شعره وشاعريته ٢٣٩	راي النقد في اسابوه ١٩٤
القول بالوحدة في قصائده ٢٣٩-٢٤١	مواضيعه الشعرية ١٩٥-١٩٩
مزياه الفنية - طول النفس ٢٤١	مزيمته الفنية - الوصف ١٩٩
استيفاء المعنى وتفصي الاغراض ٢٤٣	٢٠٢-٢٠٢ الوصف الحسي والوصف الخيالي
دقة احساسه - مجازه المرسل ٢٤٦	بعض اوصافه المشهورة ٢٠٢-٢٠٥
ديوانه عموماً ٢٤٨	٢٠٥-٢٠٨ غزله - راي النقاد فيه
<u>المختار من شعره</u>	<u>المختار من شعره</u>
كفى بالشيب من ناه مطاع ٢٤٩	اجدك ما ينفك يسري لزينا ٢٠٨
شاب راسي ولات حين مشيب ٢٥٢	سلام عليكم لا وفاء ولا عهد ٢١٠
بكاؤ كما يشفي وان كان لا يجدي ٢٥٤	انا القمي ان يكون رشيدا ٢١٢
امامك فانظر اي نهجيك تنهج ٢٥٥	اخني هوى لك في الضلوع واظهر ٢١٣
ذاد عن مقلتي لذيد المنام ٢٥٧	الم تر تغليس الربيع المبكر ٢١٥
يا اخي ابن ربع ذاك اللقاؤ ٢٦٠	صنت نفسي عمأ يدتس نفسي ٢١٧
يا خليلي يتمتني وحيد ٢٦٢	قل للسحاب اذا حدثه الشمال ٢١٩
٢٦٤-٢٦٦ مقطعاته الحكيمية	ميلوا الى الدار من ليلي نخيها ٢٢٠
٢٦٧-٢٦٨ المتنبي - مصادر دراسته	أفاق صب من هو فأيقا ٢٢٢
نشأته الاولى - صباه في الكوفة ٢٦٩	رحلوا فاي عزيمه لم تسكب ٢٢٤
ثم في الشام ٢٧٠	<u>ابن الرومي - مصادر دراسته</u>
اسباب سجنه ٢٧٠	سيرته ٢٢٩
تلقينه بالمتنبي ٢٧١	حاله مع ممدوحيه ٢٣٠-٢٣٢

١٤

ص	ص
فديناك من ربع وان زدتنا كربا	٢٧٢
٣٠٣	تردده في الاقطار الشامية ✓
على قدر اهل العزم	٢٧٣
٣٠٥	في حلقة سيف الدولة ✓
واحر قلباه	٢٧٥
٣٠٧	في مصر - عند كافور
كني بك داء ان ترى الموت شافيا	٢٧٧
٣٠٩	بين العراق وفارس
اود من الايام ما لا توده	٢٧٩
٣١٠	مقتله ✓
من الجادر في زي الاعارب	٢٧٩
٣١٣	مزايه الخلفية - تعاضه
فراق ومن فارقت غير مذمم	٢٨٠
٣١٤	سؤ سياسته
الحزن يقلق والتجمل يردع	٢٨١
٣١٦	شعوره بالتفوق ✗
نعد المشرقية والعوالي	٢٨٣
٣١٨	طموحه الى المجد ✗
ملومكم بما يجمل عن الملام	٢٨٥
٣٢٠	عصيته العربية
٣٢٣-٣٢٤ المعري - مصادر دراسته	٢٨٧
	نسبه والقول فيه
٣٢٥	شهرته الشعرية
توطئة تاريخية - عصره	٢٨٩
٣٢٦	شراحه وثقاده
بيئته	
٣٢٧	شخصيته الشعرية
رحلاته	
٣٢٩-٣٣٢ ترثه وجاهه وكرمه	٢٩١
٣٣٢	عواطف الشباب ونفثات الالم ✓
زندقته وایانه	٢٩٤
٣٣٣	الجهاد والبطولة - في حلب
التزاع الفكري في عصره و اثره	٢٩٦
٣٣٤	الفيظ من الماضي والامل بالمستقبل
في الشاعر	في مصر
٣٣٤	طوره الاول وطوره الثاني
٣٣٥	شعره في العراق وفارس
شاعريته وشعره - سقط الزند	٢٩٨
	المتبي في حكمه
٣٣٦-٣٣٧ ما يكثر في شعره	
٣٣٨	المختار من شعره
عواطفه الدينية	٢٩٩
٣٣٨	كم قتيل كما قتلت شهيد
درعياته	٣٠١
	في الحد ان عزم الخليل رحيلاً

ص	ص
يحسن مرأى لبني آدم ٣٦٥	لزومياته
من لي ان لا اقيم في بلد =	٣٣٩ سلاسته وتعقده
قد قيل ان الروح تأسف بعدما =	٣٤١ اسباب تعقده
انا صائم طول الحياة =	٣٤٢ دقة تشابيهه وروعة حكمه
لا تبدأوني بالعداوة منكم ٣٦٦	٣٤٣ المواقف الشعرية في اللزوميات
جر يا غراب وافسد =	الغبيات =
العالم العالي يراي معاشر =	٣٤٤ تحيره فيها
اركان دنيانا غر اتر اربع ٣٦٧	٣٤٦ الطبيعة والحياة البشرية
قد اختل الانام بغير شك =	الاديان =
٣٧٠ ابن الفارض - مصادر دراسته	٣٤٧ الشعب وزعاؤه
٣٧١ نشأته	٣٤٨ الطبيعة البشرية
٣٧٣ شخصيته	٣٥٠ اسباب شهرته
٣٧٧ اثر الصوفية في شعره	المختار من شعره
٣٨٠-٣٨٣ اسلوبه الشعري ومزاياه الفنية	٣٥١ قمت الرضا حتى على ضاحك المزن
٣٨٣-٣٨٦ عيوب اسلوبه	٣٥٣ غير مجدر في أمتي واعتقادي
٣٨٦ غزله	٣٥٦ احسن بالواجد من وجده
٣٨٨-٣٩٢ غيبوته والثانية الكبرى	٣٥٨ مغاني اللوى من شخصك اليوم اطلال
المختار من شعره	٣٦٠ عللاني فان بيض الاماني
٣٩٣-٣٩٥ سائق الاظعان	٣٦٢ الا في سبيل المجد ما انا فاعل
٣٩٦-٣٩٧ هو الحب	امثلة من لزومياته -
٣٩٨ ما بين معترك الاحدق	٣٦٣ اولو الفضل في اوطانهم غرباء
٣٩٩-٤٠١ قلمي يمدني	٣٦٤ اذا كان علم الناس ليس بنافع
٤٠١ زدني بقرط الحب	٣٦٤ يرتجي الناس ان يقوم امام



# من مؤلفات صاحب الكتاب

تطور الاساليب النثرية

في

الادب العربي

كتاب في نحو ٤٥٠ صفحة كبيرة يتناول النثر العربي وخصائصه الفنية منذ بزوغ الاسلام الى النهضة الاخيرة ، ويتخلله دراسات تحليلية لنخبة من امراء الاقلام وعرض كثير من نصوصهم الانشائية ولعله اول محاولة علمية لدرس الاساليب النثرية وتبع تطورها مع الزمان

## المختارات السائرة (الطبعة الثانية)

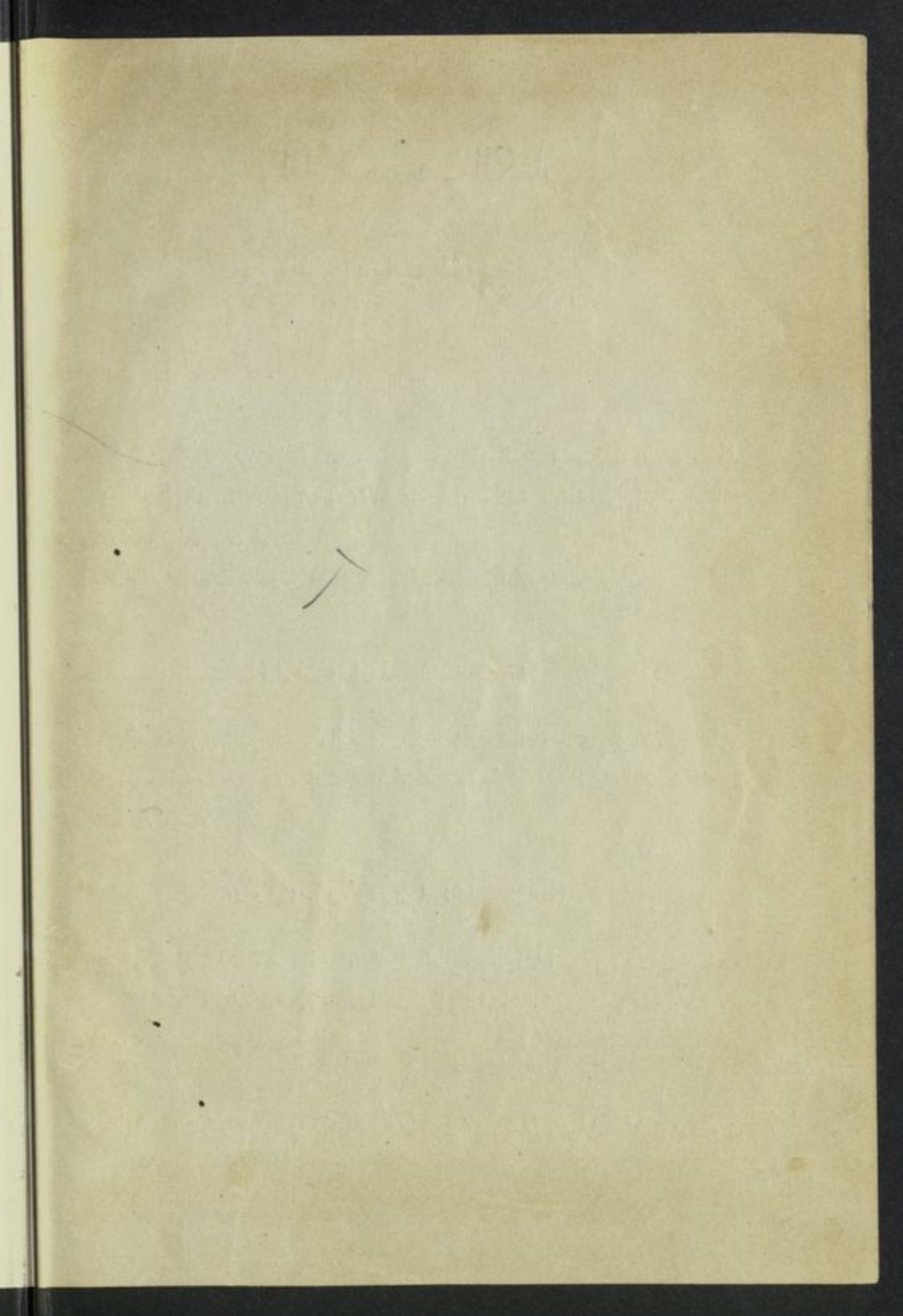
وهي مجموعة من روائع الشعر والنثر مما ذاع في الاقطار وجرى على الاسن لسوء معانيه وجمال مبانيه . وهي مرتبة بحسب المواضيع ومصدرة بدراسات في الفنون الادبية وخصائصها الرئيسية

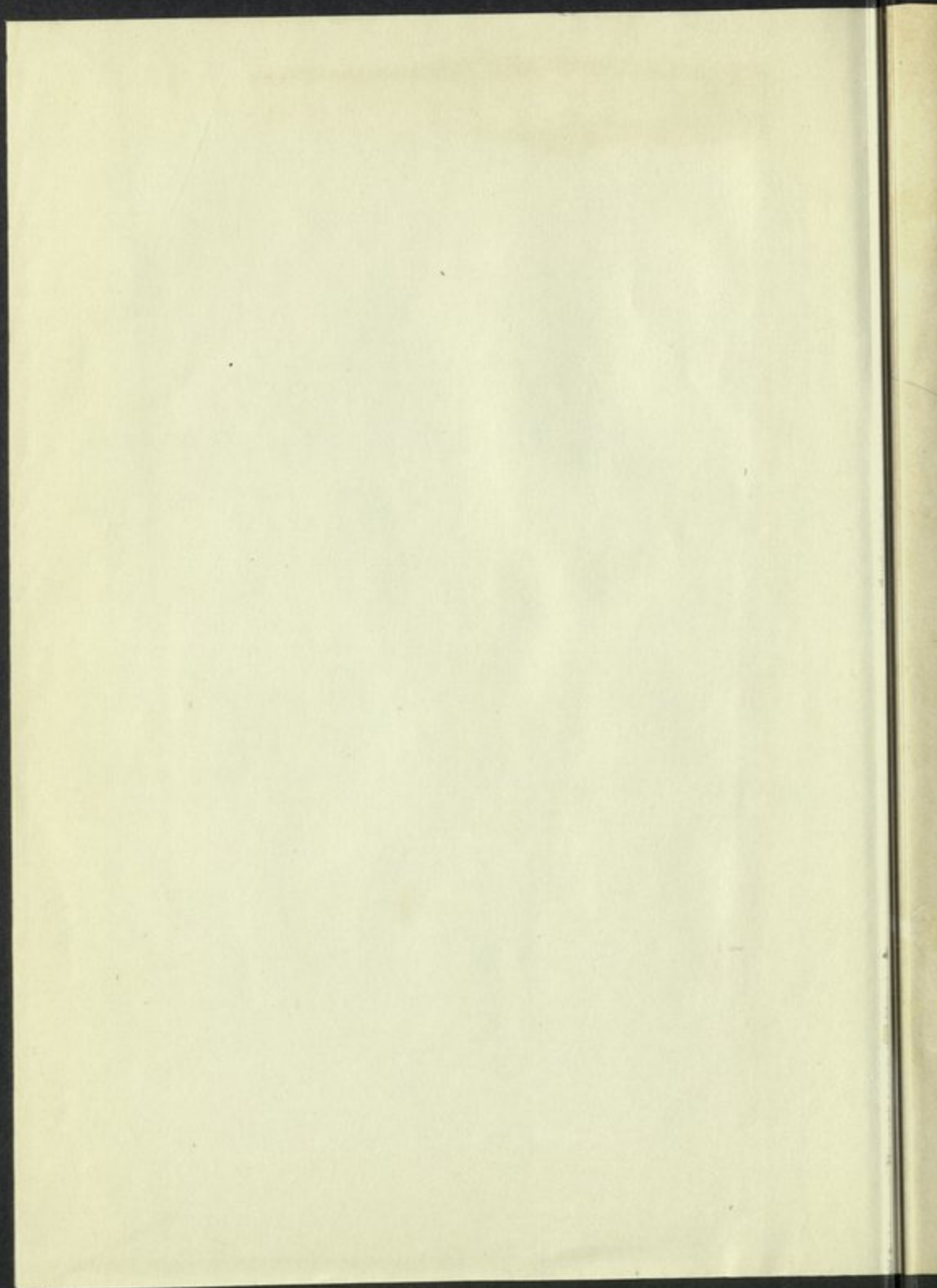
## الدول العربية وادبها (الطبعة السابعة)

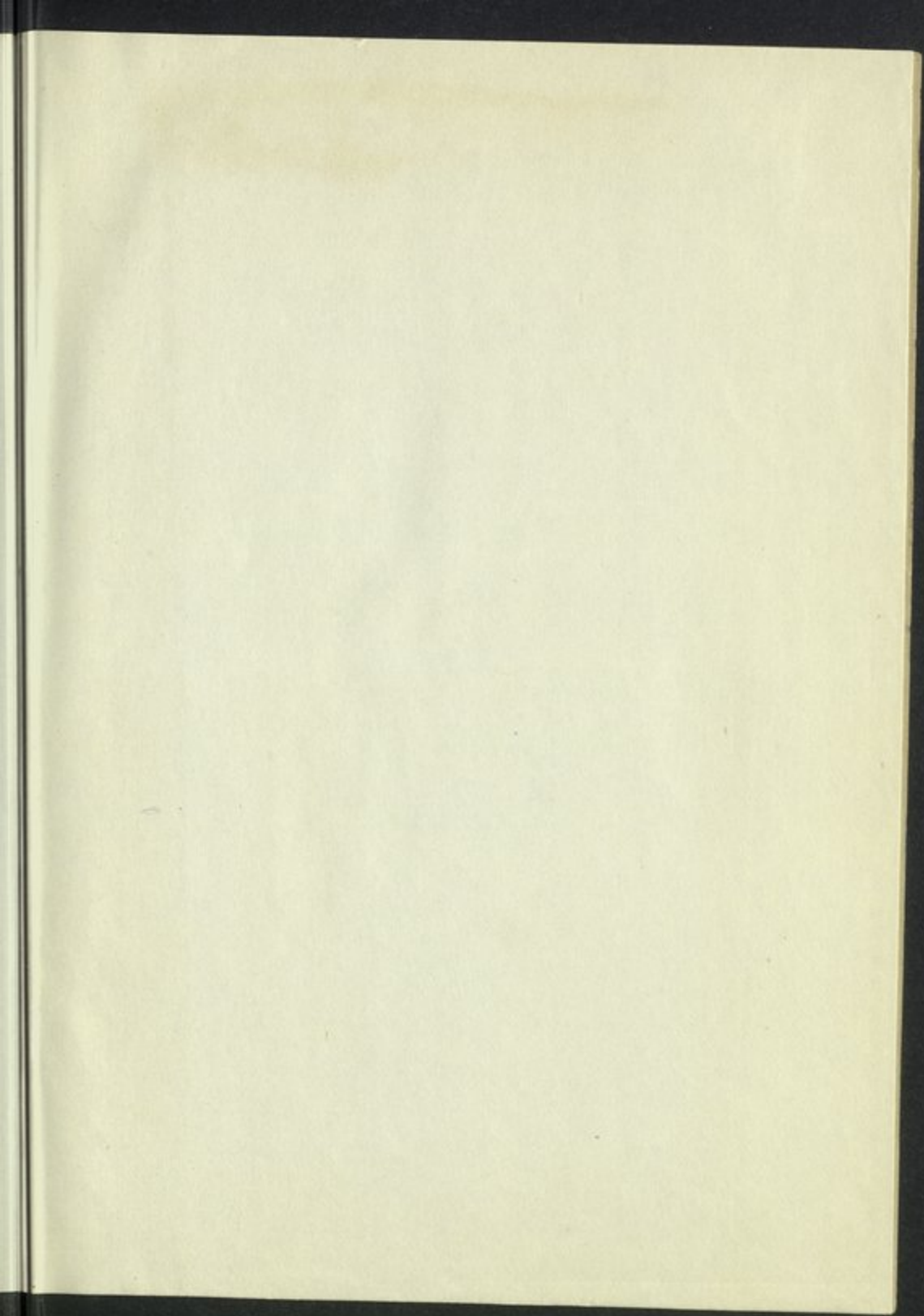
وهو موجز في تاريخ الادب يتناول الدول العربية وما نشأ فيها من الآداب . وفيه تراجم اشهر الشعراء والكتبة من اقدم العصور الى الوقت الحاضر - مقرونة بامثلة من اجود ما روي او نشر لهم

...

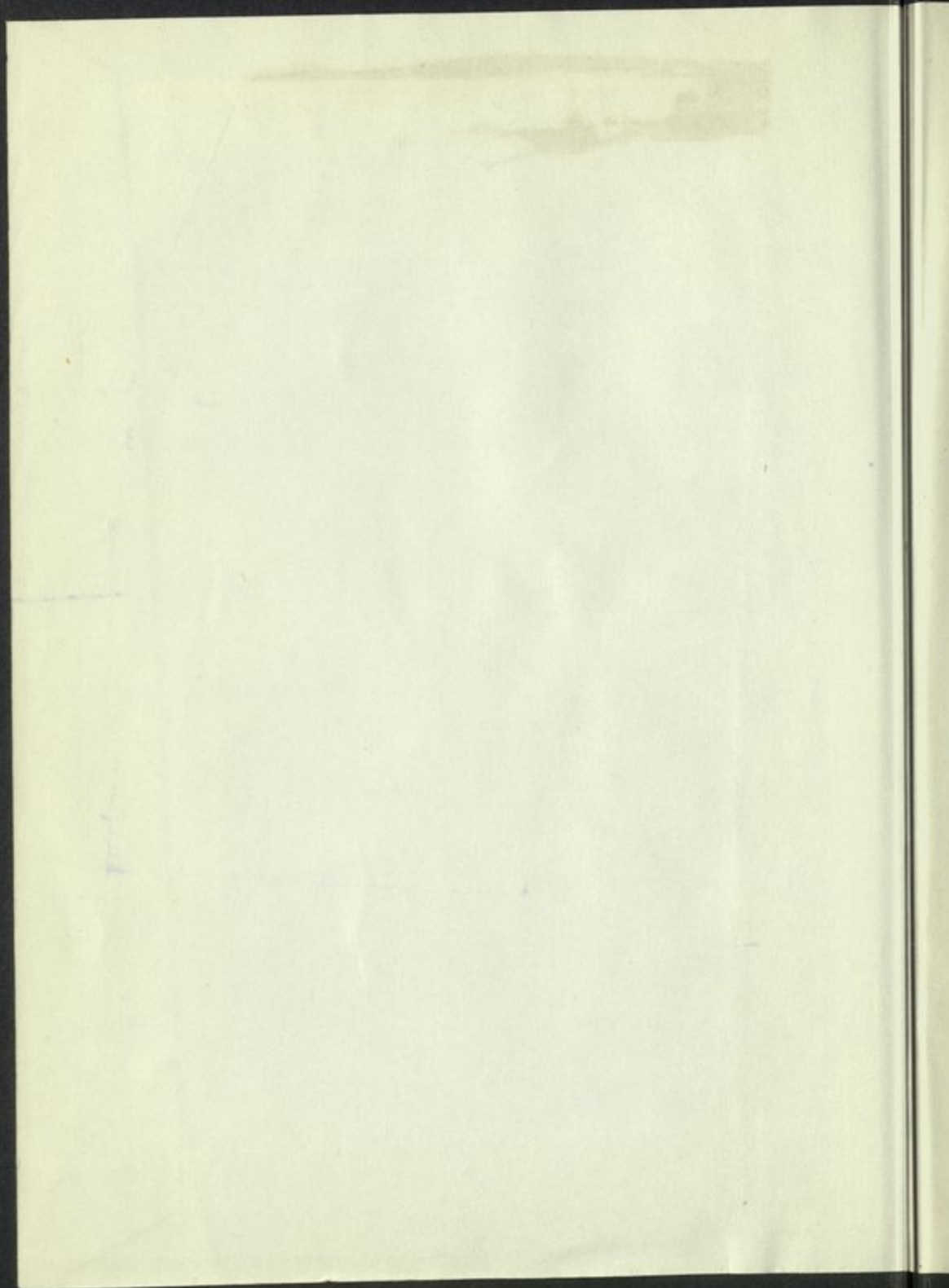
وهناك مؤلفات اخرى تطلب قارئتها من صاحبها او من المطبعة الاميركانية في بيروت

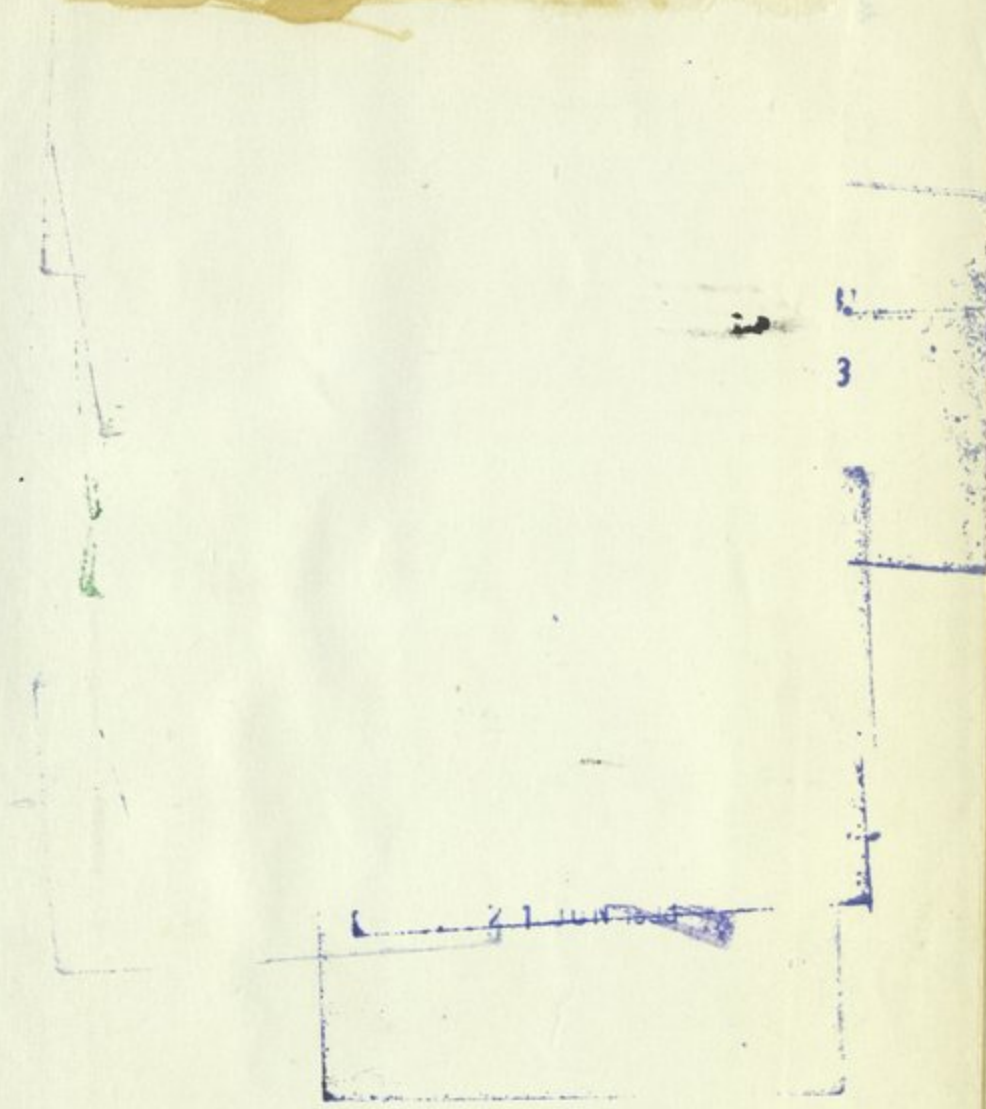










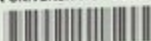


3

A.U.B. LIBRARY

CA: [redacted] 892.7109:M234u3A:c.1

AUB  
المقدسي، انيس الخوري  
امراء الشعر العربي في العصر العباسي  
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01068640

CA:AUB

[redacted] 892.7109:M234u3A

المقدسي .

امراء الشعر العربي في العصر العباسي وهو  
دراسات تحليلية لادب ثمانية من اشهر ...

DATE	Borrower's Number	DATE	Borrower's Number

CA:AUB

[redacted]  
892.7109  
M234u3A

